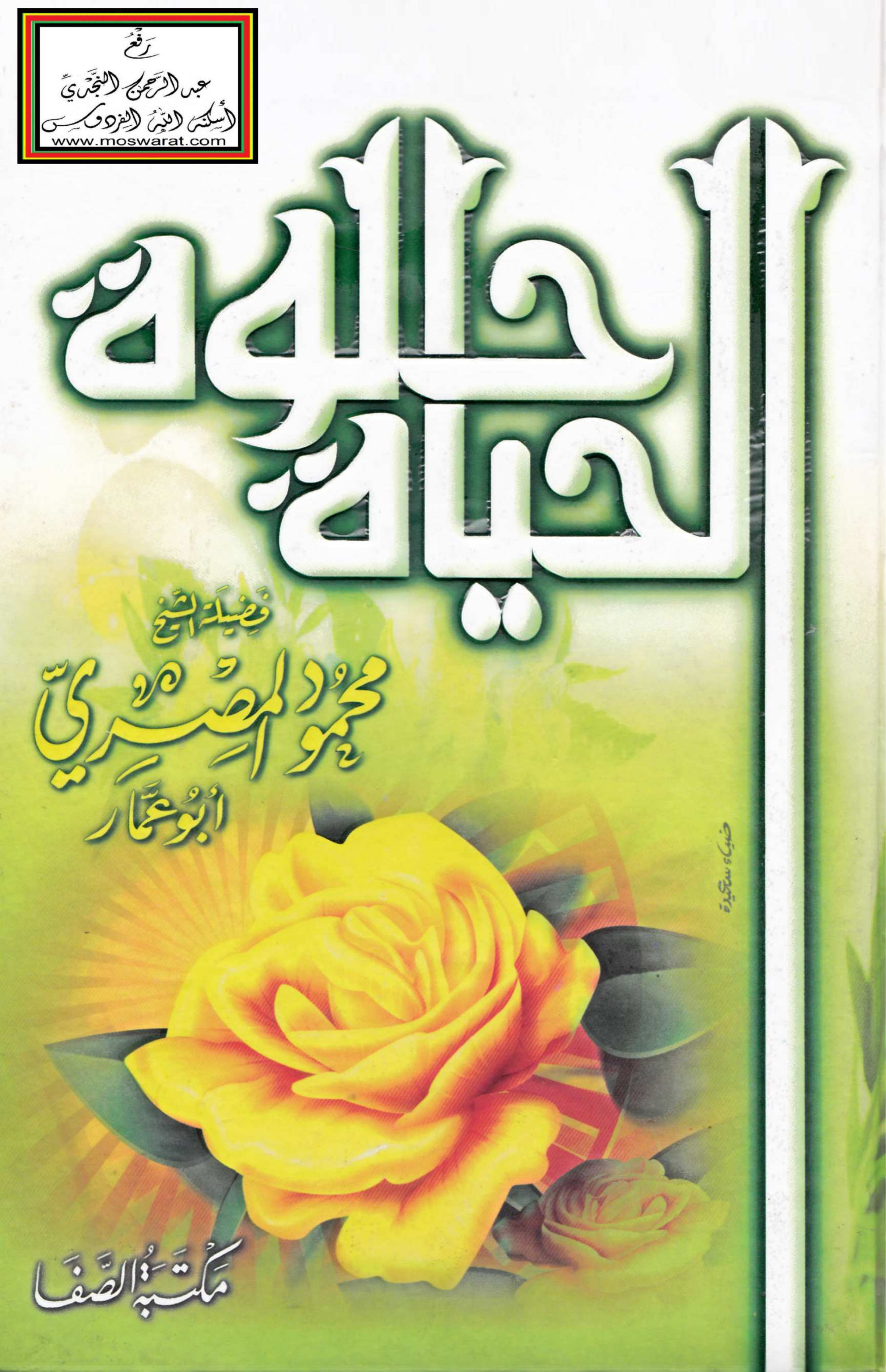
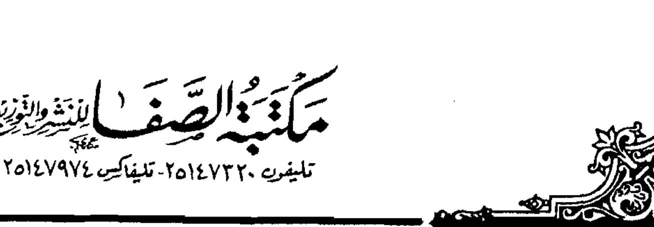

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com
الحياة حلوة
فضيلة الشيخ
محمود المصري
أبو عمار
مكتبة الصفا


رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

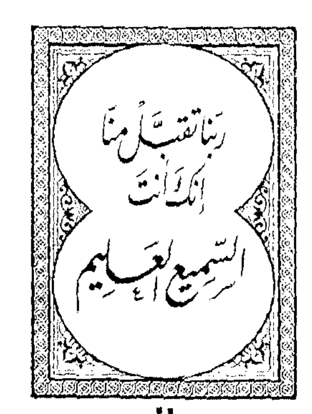
الحياة الحلوة

فضيلة الشيخ
محمود المصري أبو عمار



مكتبة الصفا للنشر والتوزيع
تليفون ٢٥١٤٧٣٢٠ - تليفاكس ٢٥١٤٧٩٧٤

بسم الله الرحمن الرحيم



١٤٣٤ هـ - ٢٠١٣ م

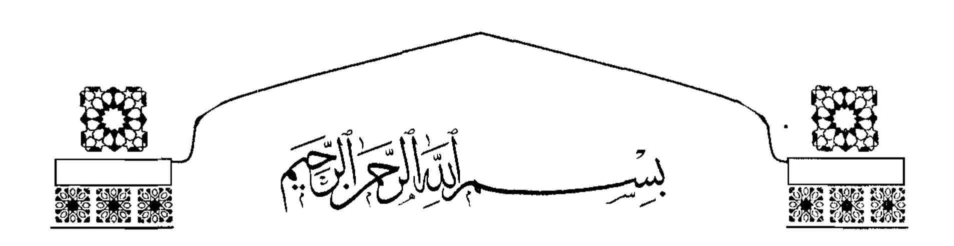
رقم الإيداع: ٢٠١٣/٣٦٤٠

الترقيم الدولي: 978-977-6430-45-07

مكتبة الصفا
للنشر والتوزيع

أولاد الحاج عويس أمين صالح

١٢٧ ميدان الأزهر / أمام الجامع الأزهر / القاهرة ت ٢٥١٤٧٣٢٠
١ درب الأتراك / خلف الجامع الأزهر ت ٠١٠١٤٣١١١٤ - تليفاكس ٢٥١٤٧٩٧٤



مقدمة الناشر

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن اتبعه بإحسان إلى يوم الدين، فمازال فضل الله العظيم الكريم يتوالَى علينا بالتوفيق لإخراج ونشر الكتب النافعة، المبينة لشرع ربنا تبارك وتعالَى، فقد مَنَّ علينا سبحانه بالتوفيق لإخراج عدة طبعات جديدة للمصحف الشريف، حرصنا فيها على غاية الإتقان فى جميع ما يتعلق بها.

كما وفقنا لإخراج كتب تفسير كتاب الله العزيز، سواء كان كاملًا، أو مفرقًا على هيئة سورة تلو السورة، أو مجموعة سور، أو موضوع تلو موضوع، كآيات الأحكام وغير ذلك من العلوم المتعلقة بالكتاب العزيز، كما وفقنا لإخراج كتب الحديث النبوى الشريف والتى عليها قوام هذا الدين وهى بيان وتفسير لكتاب الله العزيز، والتى قام بها الجهابذة الأولون من سلفنا الصالح علماء الحديث، الذين وفقهم الله ﷻ لتوصيل الدين وتبليغه كتابًا وسنة، قولًا وفعلًا، نصًّا وفَهمًا وعملًا.

وقد أخرجنا بفضل الله عدة كتب كموطأ الإمام مالك، وصحيحى الإمام البخارى ومسلم، وسير أعلام النبلاء، وفتح البارى بشرح صحيح البخارى، وشرح صحيح مسلم وغيرها من الكتب المتضمنة لحديث رسول الله ﷺ رواية ودراية، وشرحًا وبيانًا.

وأيضًا وفقنا لإخراج كتب العلوم الشرعية التى تخدم الكتاب والسنة

بشتى الأشكال. والتى قام بها من تبع الأولين بإحسان لبيان مراد الله ﷻ فى كتابه وسنة رسوله ﷺ، فى صور شتى ما بين المطول والمختصر- رحمنا الله وإياهم وغفر لنا ولهم، وأحسن إلينا وإليهم.

ويسرنا اليوم أن نقدم هذا الكتاب الذى بين يديك أخى القارئ وهو كتاب: «**الحياة حلوة**»، وهو إضافة جديدة لإصداراتنا والتى نرجو من الله ﷻ أن يتقبلها منا قبولًا حسنًا، وأن ينفع بها الإسلام والمسلمين.

إنه نعم المولى ونعم النصير.

والحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

مكتبة الصفا

جعلها الله منارًا لخدمة العلم والدين





بين يدى الكتاب

إن الحمد لله، نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله تعالى من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مُضلَّ له، ومن يضلل فلا هادى له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله ﷺ.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ (١٠٢)﴾ (١).

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا (١)﴾ (٢).

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا (٧٠) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا (٧١)﴾ (٣).

أما بعد: فإن أصدق الحديث كتاب الله تعالى، وخير الهدى هدىُ محمد ﷺ، وشر الأمور مُحدثاتها، وكل مُحدثة بدعة وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة فى النار.

وبعد:

فإننى بعد أن كتبت بمداد قلبى كتاب «**لا تحزن وابتسم للحياة**» ابتسمت للحياة ورأيت أن «**الحياة حلوة**».

إنَّها حلوة وأشعر بحلاوتها الآن فى عينى بل وفى قلبى لأنى عرفت ربى

---

(١) سورة آل عمران: الآية (١٠٢).

(٢) سورة النساء: الآية (١).

(٣) سورة الأحزاب: الآيتان (٧٠، ٧١).

(جلَّ وعلا) وعرفت سر وجودى فحددت أهدافى وعزمت على أن أعيش أجمل حياة فى ظلِّ الإيمان والطاعة ... وما أجملها من حياة .. وصفها الحق (جلَّ وعلا) بأنَّها طيبة

۞ **قال شيخ الإسلام ابن تيمية:** إن فى الدنيا جنة من لم يدخلها، فلن يدخل جنة الآخرة.. قالوا: ما هى؟. قال: إنها جنة الإيمان.

قال الإمام ابن القيم: وعَلِم الله ما رأيت أحدًا أطيب عيشًا منه قط، مع ما كان فيه من ضيق العيش، وخلاف الرفاهية والنعيم، بل ضدّها، ومع ما كان فيه من الحبس والتهديد والإرهاق، وهو مع ذلك من أطيب الناس عيشًا، وأشرحهم صدرًا، وأقواهم قلبًا، وأسرَّهم نفسًا، تلوح نضرة النعيم فى وجهه.

وكنا إذا اشتد بنا الخوف، وساءت منا الظنون، وضاقت بنا الأرض، أتيناه، فما هو إلاَّ أن نراه ونسمع كلامه، فيذهب ذلك كلّه، وينقلب انشراحًا، وقوةً، ويقينًا، وطمأنينة.

فسبحان مَن أشهد عباده جنته قبل لقائه، وفتح لهم أبوابها فى دار العمل، فأتاهم من روحها ونسيمها وطيبها ما استفرغ قواهم لطلبها والمسابقة إليها»(١).

قال تعالى: ﴿ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾ (٢).

۞ **كان إبراهيم بن أدهم يقول:** «لو عَلِم الملوك وأبناء الملوك ما نحن

(١) انظر «صحيح الوابل الصيب» ص (٩١-٩٥).
(٢) سورة النحل: آية (٩٧).

فيه من السَّعادة: لجالدونا عليها بالسيوف».

وقال آخر: «مساكين أهل الدنيا؛ خرجوا منها وما ذاقوا أطيب ما فيها؟ قيل: وما أطيب ما فيها؟ قال: محبة الله تعالى ومعرفته وذكره والأُنس به سبحانه وتعالى».

وقال آخر: «إنه لتمرّ بالقلب ساعات يرقص فيها طربًا حتى أقول: إن كان أهل الجنة فى مثل هذا إنهم لفى عيشٍ طيب».

۞ إن المؤمن يعيش فى جنة حقيقية بإيمانه بالله - جلَّ وعلا - ورضاه عن قضائه.. فهو يغمره شعورٌ فياض بنعم الله عليه فى كل وقت وفى كل حين مهما حدث له ومهما أصابه من البأساء والضراء.

ففى الحديث الذى رواه مسلم أن النبى ﷺ قال:

«عجبًا لأمر المؤمن، إنَّ أمرَهُ كلهُ له خير، وليس ذلك لأحدٍ إلا للمُؤمن، إن أصابتهُ سرَّاءُ شَكَر فكان خيرًا له، وإن أصابتهُ ضرَّاءُ صَبَر فكان خيرًا لهُ» (١).

۞ إنه يعلم يقينًا أن جنة الدنيا لا تكون ولن تكون إلاَّ فى ظلِّ الإيمان بالله والرضا عن الله... وهو يعلم أن الله أرحم به من رحمة الأم بطفلها الرضيع وأنه - سبحانه - يريد بعباده اليُسر ولا يريد بهم العُسر... وأنه لا يفعل شيئًا على وجه العبث - حاشا لله - فلماذا يعترض المسلم على قضاء الله وقدره؟ ولماذا يحرم نفسه من الدخول إلى جنة الرضا التى ما دخلها أحد إلا سَعِدَ فى الدنيا والآخرة.

۞ إن الغربيين يحسدوننا على نعمة الرضا التى نعيشها ونسعد بها.

(١) صحيح: رواه مسلم (٢٩٩٩) كتاب الزهد والرقائق.

قال ﷺ: «**الدُّنْيَا سِجْنُ الْمُؤْمِنِ، وَجَنَّةُ الْكَافِرِ**»(١).

۞ **وهنا قصة عجيبة لابن حجر العسقلانى** رَحِمَهُ اللَّهُ: وهى أنه خرج يومًا بأُبهته - وكان رئيس القضاة بمصر - فإذا برجل يهودى، فى حالة رثة، فقال اليهودى: قف. فوقف ابن حجر. فقال له: كيف تفسر قول رسولكم: «**الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر**» وها أنت ترانى فى حالةٍ رثة وأنا كافر، وأنت فى نعيم وأُبهة مع أنك مؤمن؟!.... فقال ابن حجر: أنت مع تعاستك وبؤسك تُعَدُّ فى جنة، لما ينتظرك فى الآخرة من عذابٍ أليم - إن مُتَّ كافرًا -.

وأنا مع هذه الأُبهة - إن أدخلنى الله الجنة - فهذا النعيم الدنيوى يُعد سجنًا بالمقارنة مع النعيم الذى ينتظرنى فى الجنات.

فقال: أكذلك؟ قال: نعم. فقال: أشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا رسول الله ﷺ(٢).

۞ فهيا لنلبس نظارة الأمل واليقين والرضا لنرى كل شيء حولنا جميلًا ... فإنْ كان نعمة فرحنا بها وحمدنا الله عليها .. وإن كان نقمة رضينا بقضاء الله (جلَّ وعلا).

۞ إن الحياة حلوة؛ لأنها مزرعة للآخرة... إنها حلوة لأننا نَسعد فيها بصحبة الصالحين الذين يُذكروننا بالله (جلَّ وعلا) إنها حلوة لأننا نغرف فيها من كنوز الحسنات إنها حلوة لأنها قنطرة للآخرة التى سنَسعد فيها بلقاء الله وجنته ورضوانه إن عشنا فيها أحلى لحظات العمر فى طاعته (جلَّ وعلا).

---

(١) صحيح: رواه مسلم (٢٩٥٦) كتاب الزهد والرقائق

(٢) إنها الجنة يا أختاه/ للمصنف (ص:٦٦).

۞ فيا من لبست نظارة الأمل واليقين والرضا هيا لنتعايش بقلوبنا مع هذا الكتاب الحبيب إلى قلبى (الحياة حلوة) لنرى كل شيء فى الحياة جميلًا ما دام يوصلنا إلى مرضاة الله وجنته.

۞ أسأل الله (جلَّ وعلا) الذى جمعنا فى هذه الحياة الحلوة على طاعته أن يجمعنا فى الآخرة فى الفردوس الأعلى مع الحبيب المصطفى ﷺ وأصحابه ... إنه ولى ذلك والقادر عليه.

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

وكتبه الفقير إلى عفو الرحيم الغفار



يَــا مُنــزلَ الآيَــاتِ والفُرْقَــانِ بَينــى وبينَــك حُرمَــةُ القُــرَآنِ
اشرَح بِـه صَـدرى لِمَعْرِفَـةِ الهُـدَى واعـصِم بـه قَلبـى مـن الـشيطَانِ
يـسِّر بـه أمـرى واقـضِ مَـآربي وأجِـر بـه جَـسَدى مـن النِّيـرانِ
واحطُـطْ بـه وِزرى وأخلِـص نيَّتـي واشـدُدْ بـه أزرى وأصـلِح شَـاني
واقْطَـعْ بـه طَمَعـى وَشَـرِّف همَّتـي كَثِّـر بـهِ وَرَعـى وأحْـى جَنَـاني
أنـتَ الَّـذى صَـوَّرتَنى وخَلَقْتَنـي وَهَــدَيتَنى لِــشرَائِعِ الإيــمَانِ
أنـت الَّـذى أَطعَمْتَنـى وَسَـقَيتَني مــن غَيــر كَـسبِ يَــدٍ ولا دُكَـان
أنـت الَّـذى آوَيتَنـى وَحَبَـوتَني وَهَــدَيتَنى مِــن حَيــرَة الخــذلَانِ
وَزَرَعْـتَ لـى بَـين القلُـوبِ مَـوَدَّةً والعطــف منــك برحمــةٍ وحَنَــانِ
وَنَـشَرْتَ لـى فى العَـالَمينَ مَحَاسِـنًا وَسَـتَرتَ عَـن أَبْـصَارِهم عِـصيَاني
والله لَـو عَلِمـوا قَبِـيحَ سَـريرَتي لَأبَـى الـسَّلامَ علـىَّ مَـنْ يَلْقَـاني
ولأَعْرَضُـوا عَنِّـى وَمَلُّـوا صُـحْبَتي وَلبُــؤْتُ بَعْــدَ كَرَامَــةٍ بهَــوَانِ
لكِــن سَـتَرْتَ مَعَــايِبى وَمَثَـالِبي وَحَلُمْتَ عَن سَقَطِى وَعـن طُغْيَـاني
فَلَـكَ المَحَامِـدُ والمَـدَائِح كُلُّهَـا بخَـوَاطِرى وَجَـوَارِحى وَلِـسَاني[١]

(١) هذه الأبيات من مقدمة نونية القحطانى.

أين لوحتك؟!

۞ اعلم أن حياتنا لوحة فنية جميلة ألوانها القول وأشكالها العمل وإطارها العمر ورسَّامُوها نحن جميعًا.

حتى إذا انقضت حياتنا اكتملت اللوحة وعلى قدر روعتها تكون قيمتها.

فإذا قامت القيامة عَرَض كل إنسانٍ لوحته وانتظر الجزاء.

فأبدِع فى لوحتك واملأها بالعمل الصالح وبإعمار الأرض وإيصال الخير لكل الناس من حولك واعلم أن الفُرشاة ما زالت فى يدك وعلى قدر إخلاصك سيكون توفيق الله لك فى أن تكون حياتك من أجمل اللوحات التى ستُعرض يوم العرض الأكبر .... فإياك أن تملأ لوحتك بالذنوب والمعاصى والإفساد فى الأرض لأنك بذلك تكون قد أفسدت لوحتك الجميلة وإنما اجعل لمساتك فيها ممزوجة بكل ألوان الطاعة لتكون نورًا لك على الصراط ولتَسعد بها يوم العرض على الله.



كُن أنت البطل

۞ في مشوار الحياة الدعوية الطويلة التي قضيتها بين الناس في شتَّى بقاع الأرض قابلت أُناسًا كثيرين فكنت أرى من بعض الناس شيئًا عجيبًا.

كنت إذا جلست مع أحدهم أجده يتفاخر بأن جَدَّه كان عالمًا كبيرًا وأجد هذا يتفاخر بأن أخاه كان طبيبًا ناجحًا.. وهذا يتفاخر بأن أباه كان سفيرًا في بلد كذا ... وهذا وذاك فقلت في نفسي لماذا يتفاخر أحدنا بمجد غيره ولا يسعى لأن يكون هو صاحب ذلك المجد والشرف.

لماذا لا تكون أنت البطل؟!! لماذا لا تسعى لأن تكون أنت ذلك العالِم أوذلك الطبيب أو ذلك السفير.

لماذا لا يبحث كل واحد منا عن مواهبه التي توافق الشرع ويسعى لتنميتها ويبذل جهده من أجل أن ينجح ... مستعينًا بالله (جلَّ وعلا) فإذا نجح كان هو البطل بدلًا من أن يحكي عن بطولات غيره.

۞ اجلس مع نفسك وانظر ماذا تستطيع أن تُقدم لنفسك ولدينك ولوطنك وتأكد أنك ستكون بطلًا من الأبطال الذين عاشوا بأعمالهم وعندما ماتوا بقيت أعمالهم تُذكِّر الناس بهم.

قال ﷺ: «إذا مات الإنسان انقطع عمله إلا من ثلاث: صدقة جارية أو علم يُنتفع به أو ولدٍ صالح يدعو له»[1].

---

(١) رواه مسلم (١٦٣١).

خضِّر حياتك

۞ أى اجعل حياتك خضراء اللون ... فى سيارتك وأثاث بيتك وديكوراتك وحوائط منزلك فإن اللون الأخضر يبعث السرور والبهجة والتفاؤل وحب الحياة.

۞ ومن أجل ذلك كان اللون الأخضر هو اللون الغالب فى الجنة.

فمن الأثاث الذى نراه فى الجنة (الرفرف الخُضر) ومن ثياب أهل الجنة تلك الثياب السُّندسية الخضراء بل إن أشجار الجنة التى تملؤها من أدناها لأقصاها كلها خضراء بل وحتى أرواح الشهداء جعلها الله فى حواصل طيرٍ خُضر تسرح من الجنة حيث شاءت.

۞ **قال ﷺ: «إن أرواح الشهداء فى جوف طيرٍ خُضرٍ، لها قناديل مُعلقة تحت العرش، تسرح من الجنة حيث شاءت، ثم تأوى إلى تلك القناديل، فاطَّلع إليهم ربهم اطِّلاعة فقال: هل تشتهون شيئًا؟ قالوا: أى شيءٍ نشتهى ونحن نسرح من الجنة حيث شئنا؟ فيفعل ذلك بهم ثلاث مرات، فلما رأوا أنهم لم يُتركوا من أن يُسألوا، قالوا: يا رب نريد أن تُرد أرواحنا فى أجسادنا حتى نرجع إلى الدنيا فنُقتل فى سبيلك مرة أخرى! فلما رأى أن ليس لهم حاجة تُركوا»**[1].

۞ **وقال ﷺ: «إن أرواح الشهداء فى طيرٍ خضرٍ تعلُقُ[2] من ثمار الجنة»**[3].

---

(١) **صحيح**: رواه مسلم (١٨٨٧).

(٢) أى: تأكل.

(٣) **صحيح**: رواه الترمذى وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (١٥٥٩).

أخبر الناس بحبك لهم

۞ لا شك أن أى إنسان يحب من يحبه ويكره من يكرهه.

وهناك صنف من الناس قد امتلأت قلوبهم حبًا لكنهم لا يُظهرون مشاعرهم لمن حولهم .... وهذا خطأ.

فلقد أمر النبى ﷺ هذا الصحابى الذى قال له: إنى أحب فلانًا، بأن يذهب إليه فورًا ويُعلمه أنه يحبه.

وفى الحديث: **«إذا أحب أحدكم أخاه فى الله فليُعلمه فإنه أبقَى فى الأُلفة وأثبت فى المودة»**(١).

۞ أذكر أننى ذهبت فى طلبى للعلم إلى كثير من العلماء فتعلمت من كل واحدٍ منهم الكثير لكن كان هناك واحد منهم يفعل شيئًا جعل قلبى متعلقًا به أشد من غيره وذلك أنه كان يعلم اسم كل تلميذ وظروفه الاجتماعية وأحواله كلها فإذا اتصل به تلميذ من التلاميذ ليسأله عن مسألة فقهية بدأ الشيخ يسأله عن أحواله وأحوال أسرته ويطمئن ماذا فعل فى المشكلة التى كان يعانى منها فيشعر التلميذ بحب الشيخ له واهتمامه بحياته فيزداد تعلُّقًا به واستفادة من علمه .... وهكذا ينبغى أن يكون الناس فى كل مجال من مجالات الدين والدنيا حتى تتآلف القلوب.

۞ أذكر أننى فى ليلة من الليالى قمت وصليت ركعتين ودعوت فى سجودى لكل المسلمين بالرحمة والمغفرة والتوفيق والنصر والتمكين ودخول الجنة ثم قمت بعد الركعتين وكتبت رسالة على المحمول وقلت

---

(١) حسن: رواه ابن أبى الدنيا فى كتاب الإخوان، وحسنه الألبانى فى صحيح الجامع (٢٨٠).

فيها: أخى الحبيب الغالى: لقد دعوت لك الآن فى الثلث الأخير من الليل بالرحمة والمغفرة والتوفيق والنصر والتمكين وأن يجمعنى الله بك فى الجنة يا أغلى الناس فأنا لا أستطيع أن أنساك.

وأرسلت هذه الرسالة لكل الأسماء الموجودة عندى فى الهاتف وهى حوالى سبعمائة اسم ... ولم أكن أتخيل كيف كان تأثير هذه الرسالة على كل من أرسلت له هذه الرسالة.

فلقد كتب أحدهم: جزاك الله خيرًا، والله لم أكن أتصور أن تذكرنى فى هذه الساعة المباركة وتدعو لى بهذه الدعوات.

وكتب الثانى: والله لا أدرى ماذا أقول لك ربنا يحفظك من كل سوء.

وكتب الثالث: وأنا والله لا أنساك أبدًا.

وهكذا جاءتنى رسائل فى غاية الرقة رغم أنى ما فعلت شيئًا سوى أننى أرسلت رسالة بسيطة عبرَّت فيها عن حبى لكل من حولى وليس فى هذا أى شيء من الرياء فإنك إذا أخبرت إخوانك بأنك تدعو لهم أو تفعل أى خير لهم من أجل تأليف قلوبهم فإن هذا لا يقدح فى إخلاصك أبدًا.

انظر إلى السماء

۞ قال أحدهم: صحبت الإمام أحمد بن حنبل عشرين سنة فما وجدته يومًا إلا وهو فى زيادة فى العلم والعبادة.

هكذا المؤمن ... يعلم يقينًا أن عمره هو الكنز الحقيقى وأنه لا ينبغى أن يمر عليه يوم إلا وهو فى زيادة فى العلم والعمل وإعمار الأرض والأخذ بأيدى الناس إلى خيرى الدنيا والآخرة.

۞ فمن الناس من يمضى عمره كله وهو لم يُطور ذكاءه أو يُنمى معارفه أو يكتشف مواهبة فإذا رأيته وهو ابن العشرين عامًا تجده كما هو وهو ابن الخمسين أو الستين.

يقضى حياته ما بين الأفلام والمسلسلات والرحلات والمتع والملذات فيعيش سعيدًا لكنه يعيش صغيرًا ويموت صغيرًا.

۞ ومن الناس من لا يترك ساعة من حياته إلا وهو ينتفع بها فى تطوير ذكائه وتنمية معارفة واكتشاف مواهبة وخدمة الناس من حوله والسعى فى إعمار الأرض والأخذ بأيدى الناس إلى مرضاة الله (جلَّ وعلا).

فهذا يتعب كثيرًا لكنه يعيش كبيرًا ويموت كبيرًا ويظفر بخيرى الدنيا والآخرة.

ابحث عن أبواب السعادة

۞ تعلمت من الحياة أنه عندما تُغلَق أبواب السعادة أمامنا فقد تُفتح أبواب أخرى للسعادة ولكننا لا نشعر بها؛ لأننا نقضى أوقاتًا كثيرة فى الحسرة على الأبواب التى أُغلقت.

۞ فقد يظن العبد أن سعادته فى باب المال فإذا أُغلق باب المال وفتح أمامه باب العلم الذى فيه النجاة والسعادة فى الدارين وإذا به يترك باب العلم ويجلس متحسرًا على باب المال الذى أُغلق.

۞ وقد يظن العبد أن سعادته فى باب الشهرة فإذا أُغلق باب الشهرة وفُتح أمامه باب الإخلاص ترك باب الإخلاص وجلس متحسرًا على باب الشهرة الذى أُغلق أمامه.

۞ ولا يدرى العبد أن الله يحميه من فتن الدنيا وشهواتها وأنه لا يغلق أمامه أى باب إلا ويفتح له ما هو أفضل له فى الدنيا والآخرة ولكن بعض الناس لا يعلمون ذلك.

قال ﷺ: **«إن الله تعالى ليحمى عبده المؤمن من الدنيا وهو يحبه كما تحمون مريضكم الطعام والشراب تخافون عليه»**[1].

---

(١) صحيح: رواه أحمد والحاكم وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (١٨١٤).

ثقة... وأملٌ... وطمأنينة

۞ فى يوم من الأيام قرر أهل قرية أن يخرجوا لِيُصلوا صلاة الاستسقاء فخرج أحدهم وهو يحمل مظلة تقيه من المطر ... تلك هى الثقة فى الله.

۞ هل تعرف الإحساس الذى يوجد فى قلب الطفل عندما تقذفه فى الهواء فيضحك؟ إنه يعرف أنك ستلتقطه ولن تدعه يقع .... تلك هى الطمأنينة.

۞ فى كل ليلة نستعد فيها للنوم ولسنا متأكدين أننا سننهض من الفراش فى الصباح لكننا ما زلنا نخطط للأيام القادمة .... هذا هو الأمل.

۞ فإن أردت السعادة فلابد أن يكون عندك ثقة فى الله وطمأنينة لما عنده (جلَّ وعلا) وأملٌ فى أن يُسعدك فى الدنيا والآخرة.

قال تعالى: «أنا عند ظن عبدى بى إن ظن خيرًا فله وإن ظن شرًّا فله»(١).

(١) صحيح: رواه أحمد وابن حبان وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (٤٣١٥).

ميزان السعادة .. وحقيقة الدنيا

۞ إنَّ ميزانَ السعادةِ في كتابِ اللهِ العظيمِ، وإنَّ تقديرَ الأشياءِ في ذِكْرِهِ الحكيم، فهو يقرِّرُ الشيءَ وقيمتهُ ومردودَهُ على العبدِ في الدُّنيا والآخرةِ:

﴿ وَلَوْلَآ أَن يَكُونَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً لَّجَعَلْنَا لِمَن يَكْفُرُ بِٱلرَّحْمَٰنِ لِبُيُوتِهِمْ سُقُفًا مِّن فِضَّةٍ وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ ﴿٣٣﴾ وَلِبُيُوتِهِمْ أَبْوَٰبًا وَسُرُرًا عَلَيْهَا يَتَّكِـُٔونَ ﴿٣٤﴾ وَزُخْرُفًا ۚ وَإِن كُلُّ ذَٰلِكَ لَمَّا مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۚ وَٱلْءَاخِرَةُ عِندَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ (١).

هذهِ هي حقيقةُ الحياةِ، وقصورُها ودُورُها، وذهبُها وفضَّتُها ومناصبُها.

إنَّ منْ تفاهتِها أنْ تُعطَى الكافرَ جملةً واحدةً، وأنْ يُحْرَمَهَا المؤمنُ ليبيِّن للناسِ قيمة الحياة الدنيا.

إنَّ عُتبةَ بن غزوان الصحابي الشهير يستغربُ وهو يخطبُ الناسَ الجمعة: كيف يكونُ في حالةٍ مع رسولِ اللهِ ﷺ، مع سيِّدِ الخَلْقِ يأكلُ معهُ وَرَقَ الشَّجَرِ مجاهدًا في سبيلِ اللهِ، في أرْضَى ساعاتِ عمرِهِ، وأحلى أيامِهِ، ثمَّ يتخلَّفُ عنْ رسولِ اللهِ ﷺ، فيكونُ أميرًا على إقليمٍ، وحاكمًا على مقاطعةٍ، إنَّ الحياةَ التي تُقْبلُ بعد وفاةِ الرسولِ ﷺ حياةٌ رخيصةٌ حقًّا.

أرى أشقياء الناسِ لا يسأمُونها ... على أنَّهمْ فيها عراةٌ وجُوَّعُ
أراها وإنْ كانت تسرُّ فإنها ... سحابةُ صيفٍ عنْ قليلٍ تَقشَّعُ

سعدُ بنُ أبي وقَّاصٍ يصيبُهُ الذهولُ وهو يتولَّى إمرة الكوفةِ بعدَ وفاةِ

---

(١) سورة الزخرف: الآيات (٣٣-٣٥).

الرسولِ ﷺ، وكان معه يأكلُ ورق الشجر، ويأكلُ جلدًا ميتًا، يشويهِ ثمَّ يسحقُه، ثم يحتسيهِ على الماءِ، فما لهذهِ الحياةِ وما لقصورِها ودُورِها، تُقبلُ بعد إدبارِ الرسولِ ﷺ، وتأتى بعد ذهابهِ ﷺ ﴿وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الْأُولَىٰ﴾(١).

إذنْ فى الأمرِ شيءٌ، وفى المسألةِ سرٌّ، إنها تفاهةُ الدنيا فَحَسْبُ ﴿أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُم بِهِ مِن مَّالٍ وَبَنِينَ ۝٥٥ نُسَارِعُ لَهُمْ فِي الْخَيْرَاتِ ۚ بَل لَّا يَشْعُرُونَ﴾(٢)، **«واللهِ ما الفقر أخشى عليكمْ»**.

لمَّا دخل عُمر على رسولِ اللهِ ﷺ وهو فى المَشْرَبة، ورآه على حصيرٍ أثَّر فى جنبهِ، وما فى بيتهِ إلا شعيرٌ مُعلّقٌ، دمعتْ عينا عُمَرَ.

إنَّ الموقف مؤثّرٌ، أنْ يكون رسولُ الله ﷺ قدوةُ الناسِ وإمامُ الجميع، فى هذهِ الحالةِ ﴿وَقَالُوا مَالِ هَٰذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ﴾(٣).

ثمَّ يقولُ له عُمَرُ رضي الله عنه: كِسرى وقيصر فيما تعلمُ يا رسول اللهِ! قال رسولُ الله ﷺ: **«أفى شكٍّ أنت يا ابن الخطاب، أما ترضى أن تكون لنا الآخرةُ ولهم الدنيا»**(٤).

إنها معادلةٌ واضحةٌ، وقسمةٌ عادلةٌ، فلْيَرْضَ مَنْ يرضى، ولْيَسخطْ منْ يسخطُ، وليطلُب السعادة منْ أرادها فى الدِّرهمِ والدينارِ والقصرِ والسيارةِ ويعملْ لها وحدها، فلنْ يجدها والذى لا إله إلا هو.

﴿مَن كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا

---

(١) سورة الضحى: الآية: (٤).

(٢) سورة المؤمنون: الآيتان: (٥٥-٥٦).

(٣) سورة الفرقان: الآية (٧).

(٤) **متفق عليه**: رواه البخارى (٢٣٣٦)، ومسلم (١٤٧٩).

يُبْخَسُونَ ﴿١٥﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ إِلَّا ٱلنَّارُ ۖ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا۟ فِيهَا وَبَٰطِلٌ مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾[1].

عفاءٌ على دنيا رَحَلْتُ لغيرِها ... فليس بها للصّالحين مُعَرَّجُ

۞ مفتاحُ السعادةِ:

إذا عرفت الله وسبَّحْته وعبدْتَهُ وتألَّهْتهُ وأنت فى كوخٍ، وجدت الخَيْرَ والسعادةَ والراحة والهدوء.

ولكنْ عند الانحرافِ، فلوْ سكنت أرقى القصورِ، وأوسع الدورِ، وعندك كلُّ ما تشتهى، فاعلمْ أنَّها نهايتُك المُرَّةُ، وتعاستُك المحققةُ؛ لأنك ما ملكت إلى الآنِ مفتاح السعادةِ.

﴿وَءَاتَيْنَٰهُ مِنَ ٱلْكُنُوزِ مَآ إِنَّ مَفَاتِحَهُۥ لَتَنُوٓأُ بِٱلْعُصْبَةِ أُو۟لِى ٱلْقُوَّةِ﴾[2][3].

(١) سورة هود: الآيتان (١٥-١٦).

(٢) سورة القصص: الآية (٧٦).

(٣) «لا تحزن» د. عائض القرنى (ص: ٣٢١-٣٢٣).

اكتب أهدافك

۞ إن أغلى ما يمتلكه العبد فى تلك الحياة هو الوقت، فالوقت هو الحياة وهو الكنز الحقيقى؛ لأن الدنيا مزرعة للآخرة، فما تزرعه هنا ستحصد ثماره هناك، ولذا كان النبى ﷺ يحضُّ أمته دائمًا على اغتنام كل لحظة فى طاعة الله (جلَّ وعلا).

قال ﷺ: «**نعمتان مغبونٌ فيهما كثير من الناس: الصحة والفراغ**»[1].

وقال ﷺ: «**اغتنم خمسًا قبل خمس: حياتك قبل موتك، وصحتك قبل سقمك، وفراغك قبل شغلك، وشبابك قبل هرمك، وغناك قبل فقرك**»[2].

قال الحسن البصرى: أدركت أقوامًا كان أحدهم أشحّ على عمره منه على درهمه.

وكان سلفنا الصالح يعرفون قدر الوقت ولا يدعون لحظة واحدة تضيع فى غير فائدة.

۞ وحتى لا يمر عمرك بلا فائدة فعليك أن تُحضر ورقة وقلمًا لتكتب أهدافك ... وأخرج تلك الورقة بين الحين والحين لترى ماذا حققت وماذا أنجزت من تلك الأهداف ولا مانع من أن تضيف أهدافًا أخرى كلما علتْ همتك.

۞ فهناك من كتب أهدافه فقال: هدفى أن أحفظ القرآن، وأن أحفظ

(١) صحيح: رواه البخارى (٦٤١٢) كتاب الرقاق، من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.

(٢) صحيح: رواه الحاكم فى المستدرك (٤/ ٣٤١)، والبيهقى فى شعب الإيمان (٧/ ٢٦٣)، من حديث ابن عباس رضي الله عنهما، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (١٠٧٧).

البخاري ومسلم، وأدرس العلوم الشرعية، وأن يهدى الله على يدى مائة نفس، وأن أحج خمس مرات، وأن أعتمر كل سنة، وأن أكفل طفلًا يتيمًا، وأن أُزوج شابًّا فقيرًا، وأن أبنى مسجدًا، وأن أكفل داعية، وأن أعمل شيئًا لخدمة بلدى وأن... وأن.......

۞ **وكما يقولون:** الحكمة ضالة المؤمن أينما وجدها انتفع بها.

كان هناك شاب أوربى مغمور اسمه (جون كودارد) وكان عمره عندما كتب أهدافه ١٥ عامًا، فكتب أهدافه تحت عنوان «لائحة حياتي»، وتضم اللائحة ١٢٧ هدفًا يود إنجازها خلال حياته!! ومرت السنون وهو لا يزال ثابتًا على إنجاز هدفه، وحتى عام ١٩٩٣م، كان قد أنجز ١٠٨ من الأهداف لكن لائحة أهدافه ليست بسيطة وسهلة، بل إن كل هدف منها شاق، وقد يبدو مستحيل المنال، .... من أهدافه على سبيل المثال:

دراسة حضارة ٢٠ شعبًا حول العالم، وتسلُّق ٤١ قمة جبلية (منها قمة إيفرست)، وزيارة كل دول العالم (بقى عليه ٣٠ دولة)، وإتقان السباحة والغطس والتزلُّج والركض (قطع ميلًا كاملًا ركضًا خلال خمس دقائق)، وقراءة دائرة المعارف البريطانية كاملة، ودراسة الطب، والتدريس فى إحدى الجامعات، وكتابة كتاب حول رحلته لنهر النيل، وتعلُّم اللغات الفرنسية والأسبانية والعربية (أتقنها جميعًا) ودراسة الإنجيل بأكمله، وقراءة الإنتاج الأدبى الذى ألَّفه ٢٠ فيلسوفًا أو كاتبًا أمثال شكسبير وأفلاطون وسقراط، وتعلُّم قيادة الطائرات، واستخدام المسدس والبندقية ... إلخ، وهذا يمثل جزءًا بسيطًا من أهدافه، ومع هذا اقترب من إنجاز معظمها(١).

---

(١) إدارة الوقت بين التراث والمعاصرة (ص ١٣٠) محمد أمين شحادة، نقلًا من كتاب شوربة الدجاج (ص ٢٢٩- ٢٣٠).

كُن متجددًا

۞ كُن متجددًا فى حياتك لكى لا تشعر بالسآمة والملل ولا تجعل حياتك فى إطارٍ لا تخرج عنه فإن ذلك يقتل الإبداع بداخلك.

نوِّع ثقافتك .. شكِّل مواهبك غاير بين حالتك فى المعيشة، لأن الرتابة مُملة، والاستمرار سأم، ولذلك تنوعت العبادات من صلاة وصيام، وزكاة وحج، وتنوعت الصلاة من قيام وقعود وركوع وسجود.

الزمن يتجدد: ليل ونهار، وصيف وشتاء، حر وبرد، مطر وصحو.

المكان يتجدد: جبل وسهل، رابية وهضبة، غابة وصحراء، نهر وغدير.

الألوان تتجدد: أبيض وأسود، أحمر وأصفر، أخضر وأزرق.

الحياة تتجدد: فرح وحزن، محنة ومنحة، ولادة وموت، غِنى وفقر، سِلم وحرب، رخاء وشدة.

كان المأمون ينتقل فى بيته وهو يقرأ، وأنشد قول أبى العتاهية:

لا يصلح النفس ما دامت مدثرة إلا التنقُّل من حالٍ إلى حال

اجعل وقتًا للتلاوة، ووقتًا للتفكر، وثالثًا للذكر، ورابعًا للمحاسبة، وخامسًا للمطالعة، وسادسًا للنزهة، وهكذا وزع العمر فيما ينفع.

النفس نفورة، والطبيعة متقلبة، والمزاج يتضجر، فحاول أن تكون مسافرًا خِرِّيتًا، وتاجرًا صيرفيًّا، تأخذ من كل شيءٍ أحسنه، ومن كل فَنٍّ أجمله.

إن كدَّ النفس على طريقة واحدة، ونسجٍ واحد، قتلٌ لإشراقها وأشواقها، وإنَّ أخذ الطبيعة بالصرامة المفرطة والجد الصارم انتحارٌ لها.

ولكن ساعة وساعة،... إن هناك بدائل من أعمال الخير، وأصول الفضائل، وسنن الهدى، يمكن للعبد أن ينتقل بين حقولها، ويراوح بين جداولها.

ما أحسن الحديقة يوم تضم أشكال الزهور، وأنواع الفاكهة، وسائر الأذواق والطعوم،... وكذلك حالات النفس وأطوارها، لابد أن يكون عندها من سعة الأفق، ورحابة المعرفة، ووسائل الحياة، وصنوف الهيئات المباحة ما يُسعدها.

وإن كبت النفس فى مسارات ضيقة، ورتابة باهتة، ما أنزل الله به من سلطان، يجعل النفس ذاوية مُنهكة مُحطَّمة: ﴿وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا﴾[1].

والأجدر بالعبد أن يضرب فى كل غنيمة من أعمال الخير والبر بسهمٍ:

يومًا يمان إذا لاقيت ذا يمنٍ وإن لقيت معديًا فعدناني[2]



(١) سورة الحديد: الآية: ٢٧.

(٢) حدائق ذات بهجة (ص ٤٨ – ٥٠).

جَمِّل صوتك بالقرآن

۞ قال ﷺ: «ليس منَّا من لم يتغنَّ بالقرآن»(١).

وقال ﷺ: «أحسن الناس قراءة الذى إذا قرأ رأيت أنه يخشى الله»(٢).

۞ قال الإمام ابن القيم عن تحسين الصوت وتجميله والتغنِّى بالقرآن: «ولأن تزيينه وتحسين الصوت به، والتطريب بقراءته أوقع فى النفس وأدعى إلى الاستماع والإصغاء إليه، ففيه تنفيذ للفظه إلى الأسماع ومعانيه إلى القلوب، وذلك عون على المقصود، وهو بمنزلة الحلاوة التى تُجعل فى الدواء لتنفذه إلى موضع الداء، وبمنزلة الأفاويه والطيب الذى يُجعل فى الطعام لتكون الطبيعة أدعى له قبولًا، وبمنزلة الطِّيب والتَّحلِّى وتجمُّل المرأة لبعلها ليكون أدعى إلى مقاصد النكاح.

قالوا: ولابد للنفس من طرب واشتياق إلى الغناء، فعُوِّضت عن طرب الغناء بطرب القرآن، كما عُوِّضت عن كل محرم ومكروه بما هو خير لها منه، وكما عوضت عن الاستقسام بالأزلام بالاستخارة التى هى محض التوحيد والتوكل، وعن السفاح بالنكاح، وعن القمار بالمراهنة بالنصال وسباق الخيل، وعن السماع الشيطانى بالسماع الرحمانى القرآنى ونظائره كثيرة جدًّا»(٣).

۞ بل وتأمل معى كيف كتب الله النجاة لقافلة بأكملها بسبب جمال

(١) صحيح: رواه البخارى (٧٠٨٩).

(٢) صحيح: رواه محمد بن نصر فى كتاب الصلاة ورواه البيهقى، وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (١٩٤).

(٣) زاد المعاد (١/ ٤٦٣).

صوت أحدهم بالقرآن: ذكر ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ في البداية في أحداث عام ثلاثمائة وثلاثة وتسعين: «وفيها خرج الرَّكْبُ العراقي إلى الحجاز، فاعترضهم الأُصيفر أمير الأعراف، فبعثوا إليه بشابين قارئين مجيدين كانا معهم، يقال لهما أبو الحسن الرفا وأبو عبدالله بن الزجاجي، وكانا من أحسن الناس قراءة ليُكلماه في شيء يأخذه من الحجيج ويُطلق سراحهم ليدركوا الحج، فلما جلسا بين يديه قرآ جميعًا عشرًا بأصواتٍ هائلة مطربة مطبوعة، فأدهشه ذلك وأعجبه جدًّا، وقال لهما: كيف عيشكما ببغداد؟ فقالا: بخير ... لا يزال الناس يكرموننا ويبعثون إلينا بالذهب والفضة والتحف، فقال لهما:

هل أطلق لكما أحدٌ منهم بألف دينار في يومٍ واحد؟

فقالا: لا، ولا ألف درهم في يوم واحد.

قال: فإني أُطلق لكما ألف ألف دينار في هذه اللحظة، وأطلق لكما الحجيج كله، ولولاكما لما قنعت منهم بألف ألف دينار.

فأطلق الحجيج كله بسببهما.

ولما وقف الناس بعرفات قرأ هذان الرجلان قراءة عظيمة على جبل الرحمة فضجَّ الناس بالبكاء من سائر الركوب لقراءتهما وقالوا لأهل العراق: ما كان ينبغي لكم أن تخرجوا معكم بهذين الرجلين في سفرة واحدة، لاحتمال أن يُصابا جميعًا، بل كان ينبغي أن تخرجوا بأحدهما وتَدَعوا الآخر، فإذا أُصيب سَلِم الآخر.

وقد كان أمير العراق عزم على العود سريعًا إلى بغداد على طريقهم التي جاؤوا منها، وأن لا يسيروا إلى المدينة النبوية خوفًا من الأعراب،

وكثرة الخفارات، فشقَّ ذلك على الناس، فوقع هذان الرجلان القارئان على جادة الطريق التى منها يعدل إلى المدينة النبوية، وقرآ: ﴿ مَا كَانَ لِأَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُم مِّنَ ٱلْأَعْرَابِ أَن يَتَخَلَّفُواْ عَن رَّسُولِ ٱللَّهِ وَلَا يَرْغَبُواْ بِأَنفُسِهِمْ عَن نَّفْسِهِۦ ﴾(١)، فضجَّ الناس بالبكاء وأمالت النوق أعناقها نحوهما، فمال الناس بأجمعهم والأمير إلى المدينة فزاروا وعادوا سالمين إلى بلادهم ولله الحمد والمنة(٢).

---

(١) سورة التوبة: الآية: ١٢٠.

(٢) البداية والنهاية (١١/ ٣٨٣) بتصرف يسير.

بين اليقظة والمنام

❁ **عن أبى مسعود عقبة بن عمرو الأنصارى قال:** جاء رجل بناقة مخطومة إلى النبى ﷺ فقال: هذه فى سبيل الله، فقال رسول الله ﷺ: «**لك بها يوم القيامة سبعمائة ناقة كلها مخطومة**»(١).

❁ **قال الإمام النووى:** «معنى مخطومة أى فيها خطام وهو قريب من الزمام، ويُحتمل أن المراد له أجر سبعمائة ناقة، ويُحتمل أن يكون على ظاهره: أى يكون له فى الجنة بها سبعمائة، كل واحدة منهن مخطومة يركبهن حيث شاء للتنزُّه،... وهذا الاحتمال أظهر»(٢).

ومن روائع قصص اليقين وعجائب أعلام الموقنين المتعلقة بهذا الحديث المغرى قصة شيخ الإسلام، وعالم زمانه وأمير الأتقياء فى وقته، الحافظ الغازى الإمام عبد الله بن المبارك الذى حكى عنه الإمام القرطبى فى تذكرته أنه خرج إلى غزو، فرأى رجلًا حزينًا قد مات فرسه، فبقى محزونًا، فقال له: بِعنى إياه بأربعمائة درهم، ففعل الرجل ذلك (أى باعه له)، فرأى الرجل من ليلته فى المنام كأن القيامة قد قامت وفرسه فى الجنة وخلفه سبعمائة فرس، فأراد أن يأخذه فنودى أن دعه فإنه لابن المبارك، وقد كان لك بالأمس، فلما أصبح جاء إلى ابن المبارك وطلب منه الإقالة أى أن يرد إليه فرسه، فقال له: ولِمَ؟ قال: فقصَّ عليه القصة، فقال له: اذهب فما رأيته فى المنام رأيناه فى اليقظة!!(٣).

(١) صحيح: رواه مسلم (١٨٩٢) عن أبى مسعود الأنصارى.
(٢) شرح النووى على صحيح مسلم (١٣/ ٣٨) بتصرف يسير.
(٣) التذكرة/ للقرطبى (ص ٥٦٤).

۞ رُوى أنه كان هناك رجل قد نزل فى بلد من بلاد العجم، وله زوجة وله منها بنات، وكانوا فى سعة ونعمة، فمات الزوج، وأصاب المرأة وبناتها بعده الفقر والقلة.

فخرجت ببناتها إلى بلدة أخرى خوف شماتة الأعداء، واتفق خروجها فى شدة البرد، فلما دخلت ذلك البلد أدخلت بناتها فى بعض المساجد المهجورة ومضت تحتال لهم فى القوت، فمرت بجمعين، جمع على رجل مسلم، وهو شيخ البلد، وجمع على رجل مجوسى، وهو ضامن البلد، فبدأت بالمسلم وشرحت حالها له. وقالت: أنا امرأة مسلمة رضي الله عنها معى بنات أيتام أدخلتهم بعض المساجد المهجورة وأريد الليلة قوتهم، فقال لها: أقيمى عندى البينة أنك مسلمة شريفة.

فقالت: أنا امرأة غريبة ما فى البلد من يعرفنى،.... فأعرَض عنها.

فمضت من عنده منكسرة القلب، فجاءت إلى ذلك الرجل المجوسى فشرحت له حالها، وأخبرته أن معها بنات أيتامًا، وهى امرأة شريفة غريبة، وقصت عليه ما جرى لها مع الشيخ المسلم، فقام وأرسل بعض نسائه، وأتوا بها وبناتها إلى داره فأطعمهن أطيب الطعام، وألبسهن أفخر اللباس، وباتوا عنده فى نعمة وكرامة.

قال: فلما انتصف الليل رأى ذلك الشيخ المسلم فى منامه كأن القيامة قد قامت، وقد عُقد اللواء على رأس النبى ﷺ وإذا القصر من الزمرد الأخضر شرفاته من اللؤلؤ والياقوت، وفيه قباب اللؤلؤ والمرجان، فقال يا رسول الله لمن هذا القصر؟ قال لرجل مسلم موحد. فقال: يا رسول الله، أنا رجل مسلم موحد. فقال رسول الله ﷺ: لما قصدتك المرأة المسلمة

قلت لها: أقيمى عندى البينة أنك مسلمة شريفة فكذا أنت أقم عندى البينة أنك مسلم!: فانتبه الرجل حزينًا على ردِّه المرأة خائبة، ثم جعل يطوف بالبلد، ويسأل عنها، حتى دُلَّ عليها أنها عند المجوسى، فأرسل إليه فأتاه فقال له: أريد منك المرأة المسلمة الشريفة وبناتها. فقال: ما إلى هذا من سبيل وقد لحقنى من بركاتهن ما لحقنى. قال: خذ منى ألف دينار وسلمهن إلىَّ. فقال: لا أفعل. لا بد منهن. فقال له: إن الذى تريده أنت أنا أحق به، والقصر الذى رأيته فى منامك خُلِقَ لى. أتدل علىَّ بالإسلام؟ فوالله ما نمت البارحة أنا وأهل دارى حتى أسلمنا كلنا على يد هذه المرأة المسلمة، ورأيت مثل الذى رأيت فى منامك، وقال لى رسول الله ﷺ: «المرأة وبناتها عندك» قلت: نعم يا رسول الله. قال: «القصر لك، ولأهل دارك، وأنت وأهل دارك من أهل الجنة، خلقك الله مؤمنًا فى الأزل»،قال: فانصرف المسلم وبه من الحزن والكآبة ما لا يعلمه إلا الله،... فانظر -رحمك الله- إلى بركة الإحسان إلى الأرملة والأيتام ما أعقب صاحبه من الكرامة فى الدنيا[1].

---

(١) الكبائر للإمام الذهبى (ص: ١٢١-١٢٢).

أمجادٌ زائلة

۞ إنَّ منْ لوازمِ السعادةِ الحقَّةِ أنْ تكون دائمةً تامَّةً،... فدوامُها أنْ تكون فى الدنيا والآخرةِ، فى الغيبِ والشهادةِ، اليوم وغدًا.

وتمامُها أنْ لا يُنغِّصها نكَدٌ، وأنْ لا يُخْدشَ وجهُ محاسِنها بسخطٍ.

۞ جلس النعمانُ بنُ المنذرِ - ملكُ العراقِ - تحت شجرةٍ متنزّهًا يشربُ الخَمْرَ فأراد عدى بنُ زيد - وكان حكيمًا - أنْ يعظه بلفظٍ فقال له: أيُّها الملكُ، أتدرى ماذا تقولُ هذهِ الشَّجرةُ؟ قال الملكُ: ماذا تقول؟

قال عدى: تقولُ:

رُبَّ ركبٍ قدْ أناخُوا حولنا ... يمْزُجُون الخمر بالماءِ الزُّلالْ

ثمَّ صاروا لَعِب الدَّهْرُ بهمْ ... وكذاك الدَّهرُ حالًا بعد حالْ

فتنغَّص النُّعمانُ، وترك الخمر، وبقى متكدِّرًا حتى مات.

۞ وهذا شاهُ إيران الذى احتفل بمرورِ ألفينِ وخمسمائةِ سنةٍ على قيام الدولةِ الفارسيِّةِ، وكان يُخطِّطُ لتوسيعِ نفوذِه، وبسْطِ مُلكهِ على بقعةٍ أكبر منْ بلدِهِ،... ثم يُسلَبُ سلطانُه بين عشيَّةٍ وضحاها ﴿تُؤْتِي ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ﴾[1].

ويُطردُ منْ قصورِه ودُورِهِ ودُنياه طردًا، ويموتُ مُشرَّدًا بعيدًا محرُومًا مُفلسًا، لا يبكى عليه أحدٌ: ﴿كَمْ تَرَكُوا۟ مِن جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿٢٥﴾ وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ﴿٢٦﴾ وَنَعْمَةٍ كَانُوا۟ فِيهَا فَٰكِهِينَ﴾[2].

(١) سورة آل عمران: الآية: (٢٦).

(٢) سورة الدخان: الآيات: (٢٥-٢٧).

۞ وكذلك شاوشيسكو رئيسُ رومانيا، الذى حكم اثنتين وعشرين سنة، وكان حَرَسُه الخاصُّ سبعين ألفًا، ثمَّ يحيطُ شعبُه بقصرِه، فيُمزِّقونهُ وجنودهُ إرَبًا إرَبًا ﴿فَمَا كَانَ لَهُۥ مِن فِئَةٍ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُنتَصِرِينَ﴾(١). لقدْ ذهب، فلا دنيا ولا آخرة.

۞ وذاك رئيسُ الفلبينِ ماركوس: جمع الرئاسة والمال، ولكنَّه أذاق أُمَّته أصناف الذُّلّ، وأسقاها كأس الهوانِ، فأذاقه اللهُ غُصص التعاسةِ والشقاءِ، فإذا هو مُشرَّدٌ منْ بلادِهِ ومنْ أهلِه وسلطانِه، لا يملكُ مأوى يأوى إليه، ويموتُ شقيًّا، يرفضُ شعبُهُ أن يُدفَنَ فى بلدِهِ: ﴿أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِى تَضْلِيلٍ﴾(٢)، ﴿فَأَخَذَهُ ٱللَّهُ نَكَالَ ٱلْـَٔاخِرَةِ وَٱلْأُولَىٰٓ﴾(٣)، ﴿فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنۢبِهِۦ﴾(٤)(٥).

(١) سورة القصص: الآية: (٨١).

(٢) سورة الفيل: الآية: (٢).

(٣) سورة النازعات: الآية: (٢٥).

(٤) سورة العنكبوت: الآية: (٤٠).

(٥) «لا تحزن» (ص: ٣١٥-٣١٦).

اشغل نفسك بالله .. ولا تخشَ فوات الرزق

۞ فَرِّغ خاطرك للهمِّ بما أُمرت به، ولا تشغله بما ضُمن لك؛ فإن الرزق والأجل قرينان مضمونان؛ فما دام الأجل باقيًا؛ كان الرزق آتيًا، وإذا سَدَّ عليك بحكمته طريقًا من طرقه؛ فتح لك برحمته طريقًا أنفع لك منه.

فتأمل حال الجنين يأتيه غذاؤه -وهو الدم- من طريق واحدة -وهو السُّرة-.

فلما خرج من بطن الأم، وانقطعت تلك الطريق؛ فَتَحَ له طريقين اثنين، وأجرى له فيهما رزقًا أطيب وألذّ من الأول؛ لبنًا خالصًا سائغًا.

فإذا تمَّت مدة الرضاع، وانقطعت الطريقان بالفطام؛ فتح طُرُقًا أربعة أكمل منهما: طعامان وشرابان؛ فالطعامان من الحيوان والنبات، والشرابان من المياه والألبان وما يضاف إليهما من المنافع والملاذّ.

فإذا مات؛ انقطعت عنه هذه الطرق الأربعة، لكنه -سبحانه- فتح له -إن كان سعيدًا- طُرُقًا ثمانية، وهي أبواب الجنة الثمانية؛ يدخل من أيها شاء.

فهكذا الربُّ سبحانه؛ لا يمنع عبدَه المؤمنَ شيئًا من الدنيا؛ إلا ويؤتيه أفضلَ منه وأنفعَ له، وليس ذلك لغيرِ المؤمن؛ فإنه يمنعه الحظَّ الأدنى الخسيس ولا يرضى له به؛ ليعطيه الحظ الأعلى النفيس.

والعبد -لجهله بمصالح نفسه، وجهله بكرم ربه وحكمته ولطفه- لا يعرفُ التفاوتَ بين ما مُنِعَ منه وبين ما ذُخِر[1] له، بل هو مُولَعٌ بحب العاجل

---

(١) ذُخِرَ: أُدخِر وخبئ.

وإن كان دنيئًا، وبقلة الرغبة فى الآجل وإن كان عليًّا.

ولو أنصف العبدُ ربه -وأنَّى له بذلك-؛ لعَلِمَ أن فَضْلَه عليه فيما منعه من الدنيا ولذاتها ونعيمها أعظمُ من فضله عليه فيما آتاه من ذلك؛ فما منعه إلا ليعطيه، ولا ابتلاه إلا ليُعافيه، ولا امتحنه إلا ليُصافيه، ولا أماته إلا ليُحييه، ولا أخرجه إلى هذه الدار إلا ليتأهب منها للقدوم عليه، وليسلك الطريق الموصلة إليه، فـ ﴿جَعَلَ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ خِلۡفَةً لِّمَنۡ أَرَادَ أَن يَذَّكَّرَ أَوۡ أَرَادَ شُكُورًا﴾[1] ، ﴿فَأَبَىٰٓ ٱلظَّٰلِمُونَ إِلَّا كُفُورًا﴾[2][3] .

۞ وتأمل هذه القصة لتوقن أن الرزق يأتيك من حيث لا تحتسب إذا أخذت بالأسباب وجعلت قلبك مشغولًا بالله.

۞ **عن إبراهيم الخواص قال:** سمعت حسنًا أخا سنان يقول: سمعت أبا تراب النخشى يقول: كنت أنا وجماعة من أصحابى قد خرجنا إلى مكة، فمضيت على طريق ومضوا على طريق، وكان قد أصابنا جوعٌ شديد، فلما افترقنا صاد أصحابى ظبيًا فذبحوه وشووه وجلسوا ليأكلوا إذا نسر قد انفضَّ عليهم فاحتمل ربع الظبى قالوا: فأقبلنا ننظر إليه ولا نقدر عليه.

قال أبو تراب: فلما اجتمعنا بمكة قال لهم: أى شىء كان خبركم، فأخبرونى خبرهم، وما كان من قصة الظبى، فقلت لهم: إنى كنت سائرًا، فإذا بنسر قد ألقى إلىَّ ربع ظبى مشوى، وكان أكلنا فى وقتٍ واحد[4] .

---

(١) سورة الفرقان: الآية (٦٢).

(٢) سورة الإسراء: الآية (٩٩).

(٣) الفوائد / للإمام ابن القيم (ص:٧٢-٧٣).

(٤) عيون الحكايات (ص ٢٠٧).

لا تنشغل بمن حولك

❁ قال ﷺ: «مَن أرْضَى الناس بسخط الله وَكَلَه الله إلى الناس ومَن أسخط الناس برضا الله كفاه الله مؤنة الناس»(١).

❁ فالمؤمن لا ينشغل برأى الناس فيه ما دام قلبه موصولًا بالله وما دام أنه لا يفعل شيئًا يقدح فى دينه أو مروءته.

فقليل من الناس الذى يُنصفون إخوانهم ... ولذا قال تعالى: ﴿ وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِي ٱلْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾(٢).

وقال تعالى: ﴿ وَمَآ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ ﴾(٣).

❁ ذكر ابن حزم فى كتابه طوق الحمامة: أنه كان فى الأندلس تاجر مشهور وقع بينه وبين أربعة من التجار تنافُس فأبغضوه وعزموا على أن يزعجوه.

فخرج ذات صباح من بيته متجهًا إلى متجره لابسًا قميصًا أبيض وعمامة بيضاء ... لقيه أولهم فحيَّاه ثم نظر إلى عمامته وقال: ما أجمل هذه العمامة الصفراء.

فقال التاجر: أعَمِى بصرك؟!! هذه عمامة بيضاء.

فقال: بل صفراء ... صفراء لكنها جميلة.

تركه التاجر ومضى فلما مشى خطوات لقيه الآخر فحيَّاه ثم نظر إلى عمامته وقال: ما أجملك اليوم وما أحسن لباسك خاصة هذه العمامة الخضراء.

---

(١) صحيح: رواه الترمذى وأبو نعيم فى الحلية وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (٦٠١٠).

(٢) سورة الأنعام: الآية: (١١٦).

(٣) سورة يوسف: الآية: (١٠٣).

فقال التاجر: يا رجل ... العمامة بيضاء.

قال: بل خضراء.

قال: بيضاء ... اذهب عنى ... ومضى المسكين يكلم نفسه وينظر بين الفينة والأخرى إلى طرف عمامته المتدلى على كتفه ليتأكد أنها بيضاء.

وصل إلى دُكانه وحرِّك القفل ليفتحه فأقبل إليه الثالث: وقال: يا فلان ما أجمل هذا الصباح خاصة لباسك الجميل وزادت جمالك هذه العمامة الزرقاء.

نظر التاجر إلى عمامته ليتأكد من لونها، ثم فرك عينيه..

وقال: يا أخى عمامتى بيضاااااء.

فقال: بل زرقاء لكنها عمومًا جميلة ... لا تحزن.

ثم مضى...فجعل التاجر يصيح به: العمامة بيضاء وينظر إليها ويُقلب أطرافها...جلس فى دكانه قليلًا، وهو لا يكاد يصرف بصره عن طرف عمامته.

دخل عليه الرابع وقال: أهلًا يا فلان ما شاء الله!! من أين اشتريت هذه العمامة الحمراء؟!

فصاح التاجر: عمامتى زرقاء.

قال: بل حمراء.

قال التاجر: بل خضراء ... لا لا ... بل بيضاء لا ... زرقاء ... سوداء.

ثم ضحك ثم صرخ ثم بكى وقام يقفز!!

قال ابن حزم: فلقد كنت أراه بعدها فى شوارع الأندلس مجنونًا يحذفه الصبيان بالحصى!! [1].

(١) القصة على ذمة ابن حزم رَحِمَهُ اللَّهُ.

۞ بل ها هو جحا يمشي مع ولده ... فكان جحا يركب الحمار وابنه يمشي بجواره فلما مرَّا على قومٍ قالوا: يا له من ر جل ليس عنده رحمة يركب على الحمار ويترك ابنه يمشي على رجليه ... فنزل جحا من على الحمار وجعل ابنه يركب على الحمار ... فلما مرَّا على قوم قالوا: يا له من ولدٍ عاق يركب الحمار ويترك أباه يمشي على رجليه ... فنزل ابنه من على الحمار وسار هو وأبوه جحا على الأرض وتركا الحمار يمشي وحده بجوارهما فلما مرَّا على قوم قالوا: ما هذه الحماقة!!! يتركا الحمار يمشي هكذا دون أن يركباه وقد سخره الله لهما.

فقال جحا لابنه: ها أنت قد علمت أنك لن تستيطع أن تُرضي الناس فلا تشغل نفسك إلا بالله (جلَّ وعلا).



سلامة القلب لا يعدلها شيء

۞ كان لعبد الله بن الزبير أرض مجاورة لأرض معاوية بن أبى سفيان، وكان فيهما عبيد لعمارة كل أرض، فدخل عبيد معاوية أرض عبد الله واغتصبوا منها قطعة، فكتب عبد الله بن الزبير إلى معاوية.

أما بعد، يا معاوية! فإن عندك عبيدًا قد اغتصبوا أرضى، فمرهم بالكف عنها، وإلا كان لى ولكم شأن.

فلما وقف معاوية على كتاب عبد الله بن الزبير، دفعه إلى ولده يزيد، فلما رآه وقرأه.

قال: ما تقول يا يزيد؟

قال: أرى أن تبعث إليه جيشًا يكون أوله عنده وآخره عندنا، يأتيك برأسه، وتستريح منه.

قال: عندى خير من ذلك!

قال: ما هو يا أبت؟

فقال: علىَّ بدواة وقرطاس؟

ثم كتب إليه فيه: وقفت على كتاب ابن أخى، وقد ساءنى والله ما ساءه، والدنيا وما فيها هينة فى جنب رضاك، وقد كتبت على نفسى مسطورًا أشهدت فيه الله وجماعة من المسلمين أن الأرض وما فيها والعبيد الذين بها ملكك، فضمها إلى أرضك، والعبيد إلى عبيدك والسلام.

فلما وقف عبد الله بن الزبير على كتابه، وكتب له جوابًا فيه: وقفت على كتاب أمير المؤمنين، لا أعدمنى الله بقاءه، ولا أعدمه هذا الرأى الذى أحله

هذا المحل، والسلام.

فلما وقف معاوية على الكتاب أعطاه لولده يزيد، فلما قرأه تهلل وجهه فرحًا.

فقال له: يا بنى! إذا بُليت بشىء من هذا الداء، داوه بمثل هذا الدواء، وإنّا لقوم لم نر فى الحِلم إلا خيرًا.



ادفع بالتى هى أحسن

۞ عندما تتعامل مع الناس فإنهم يعاملونك فى الغالب على ما يريدون هم.. لا على ما تريد أنت.. فليس كل مَن قابلته ببشاشة بادلك بشاشة مثلها.. فبعضهم قد يغضب ويسيء الظن ويسألك: مم تضحك؟!

ولا كل من أهديت له هدية.. رَدَّ لك مثلها.. فبعضهم قد تهدى إليه ثم يغتابك فى المجالس ويتهمك بالسفه وتضييع المال..!!

ولا كل من تفاعلت معه فى كلامه.. أو أثنيت عليه وتلطفت معه فى عباراتك قابلك بمثلها.. فإن الله قسم الأخلاق كما قسم الأرزاق.. والمنهج الربانى هو: ﴿ وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ﴾..

وبعض الناس لا حَلَّ له ولا إصلاح إلا أن تتعامل معه بما هو عليه.. فتصبر عليه أو تفارقه..

۞ ذُكر أن أشعب سافر مع رجل من التجار.. وكان هذا الرجل يقوم بكل شيء من خدمة وإنزال متاع وسقى دواب.. حتى تعب وضجر..

وفى طريق رجوعهما.. نزلا للغداء.. فأناخا بعيريهما ونزلا.. فأما أشعب فتمدد على الأرض.. وأما صاحبه فوضع الفرش.. وأنزل المتاع.. ثم التفت إلى أشعب وقال: قُم اجمع الحطب وأنا أقطع اللحم..

فقال أشعب: أنا والله مُتعَب من طول ركوب الدابة.. فقام الرجل وجمع الحطب.. ثم قال: يا أشعب! قم أشعل الحطب..

فقال: يؤذينى الدخان فى صدرى إن اقتربت منه.. فأشعَلها الرجل..

ثم قال: يا أشعب! قم ساعدنى لأقطع اللحم..

فقال: أخشى أن تصيب السكين يدي.. فقطع الرجل اللحم وحده..

ثم قال: يا أشعب! قم ضع اللحم فى القدر واطبخ الطعام..

فقال: يتعبنى كثرة النظر إلى الطعام قبل نضوجه..

فتولَّى الرجل الطبخ والنفخ.. حتى جهز الطعام وقد تعب..

فاضطجع على الأرض.. وقال: يا أشعب! قم جهِّز سفرة الطعام.. وضَعْ الطعام فى الصحن..

فقال أشعب: جسمى ثقيل ولا أنشط لذلك..

فقام الرجل وجهز الطعام ووضعه على السفرة..

ثم قال: يا أشعب! قم شاركنى فى أكل الطعام..

فقال أشعب: قد استحييت والله من كثرة اعتذارى وها أنا أطيعك الآن.. ثم قام وأكل!!

فقد تجد من الناس مَن هو مثل أشعب.. فلا تحزن.. وكن جبلًا..

كان المربى الأول ﷺ يتعامل مع الناس بعقله لا بعاطفته.. كان يتحمل أخطاء الآخرين ويرفق بهم..

وانظر إليه ﷺ وقد جلس فى مجلسٍ مبارك يحيط به أصحابه.. فيأتيه أعرابى يستعينه فى دية قتيل.. أى أن هذا الرجل قد قتل – هو أو غيره – رجلًا.. فأقبل يريد من النبى ﷺ أن يعينه بمالٍ يؤديه إلى أولياء المقتول..

فأعطاه رسول الله ﷺ شيئًا.. ثم قال تلطفًا معه: «**أحسنت إليك؟**».

قال الأعرابى: لا.. لا أحسنت ولا أجملت..

فغضب بعض المسلمين وهَمُّوا أن يقوموا إليه.. فأشار النبى ﷺ إليهم أن كُفُّوا.. ثم قام ﷺ إلى منزله.. ودعا الأعرابى إلى البيت فقال له: «**إنك جئتنا فسألتنا فأعطيناك.. فقلت ما قلت**».

ثم زاده ﷺ شيئًا من مال وجده فى بيته.. فقال: «**أحسنت إليك؟**».

فقال الأعرابى: نعم فجزاك الله من أهلٍ وعشيرة خيرًا..

فأعجبه ﷺ هذا الرضا منه.. لكنه خشى أن يبقى فى قلوب أصحابه على الرجل شيء.. فيراه أحدهم فى طريق أو سوق.. فلا يزال حاقدًا عليه.. فأراد أن يَسُلَّ ما فى صدورهم..

فقال له ﷺ: «**إنك كنت جئتنا فأعطيناك.. فقلت ما قلت.. وفى نفس أصحابى عليك من ذلك شيء.. فإذا جئت فقل بين أيديهم ما قلت بين يدي.. حتى يذهب عن صدورهم..**».

فلما جاء الأعرابي.. قال ﷺ: «**إن صاحبكم كان جاءنا فسألنا فأعطيناه فقال ما قال.. وإنا قد دعوناه فأعطيناه.. فزعم أنه قد رضي**»..

ثم التفت إلى الأعرابى وقال: «**أكذاك؟**».

قال الأعرابى: نعم فجزاك الله من أهلٍ وعشيرة خيرًا..

فلما همّ الأعرابى أن يخرج إلى أهله.. أراد ﷺ أن يعطى أصحابه درسًا فى كسب القلوب.. فقال لهم:

«**إن مثلى ومثل هذا الأعرابى كمثل رجل كانت له ناقة فشردت عليه.. فاتبعها الناس.. يعنى: يركضون وراءها ليمسكوها.. وهى تهرب منهم فزعًا.. ولم يزيدوها إلا نفورًا..**

فقال صاحب الناقة: خَلُّوا بينى وبين ناقتي.. فأنا أرفق بها وأعلم بها..

فتوجَّه إليها صاحب الناقة فأخذ لها من خشاش الأرض.. ودعاها.. حتى جاءت واستجابت.. وشَدَّ عليها رَحلها.. واستوى عليها..

ولو أني أطعتكم حيث قال ما قال.. دخل النار..» يعني: لو طردتموه.. لعله يرتد عن الدين.. فيدخل النار..[1]

وما كان الرفق في شيء إلا زانه.. وما نُزع من شيء إلا شانه.. ﴿وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾[2].

۞ ذُكر أنه ﷺ لما فتح مكة.. جعل يطوف بالبيت.. فأقبل فضالة بن عمير.. (رجل يُظهر الإسلام).. فجعل يطوف خلف النبي ﷺ.. ينتظر منه غفلة.. ليقتله..!!

فلما دنا من النبي ﷺ.. انتبه إليه.. فالتفت إليه وقال: «أفضالة!!».

قال: نعم.. فضالة يا رسول الله..

قال: ماذا كنت تحدث به نفسك؟

قال: لا شيء.. كنت أذكر الله.. !!

فضحك النبي ﷺ.. ثم قال: «استغفر الله».

قال فضالة..: ثم وضع رسول الله ﷺ يده على صدري..

فسكن قلبي.. فوالله ما رفع رسول الله ﷺ يده عن صدري.. حتى ما خلق الله شيئًا أحب إليَّ منه..

---

(١) رواه البزار (٢٤٧٦- كشف)، وقال الهيثمي في المجمع (٩/ ١٥): «وفيه إبراهيم بن الحكم ابن أبان وهو متروك».

(٢) سورة فصلت: الآية: (٣٤).

ثم رجع فضالة إلى أهله.. فمرَّ بامرأةٍ كان يُجالسها.. ويتحدث إليها.. فلما رأته.. قالت: هَلُمَّ إلى الحديث..

فقال: لا..ثم قال..

قالت هَلُمَّ إلى الحديث فقلت لا — يأبى عليك الله والإسلام
لو ما رأيت محمدًا وقبيله — بالفتح يوم تكسر الأصنام
لرأيت دين الله أضحى بيّنًا — والشرك يغشى وجهه الإظلام

وكان فضالة بعدها من صالحى المسلمين..

❁ كان ﷺ يملك قلوب الناس بالعفو عنهم..

يتحمل الأذى فى سبيل التأثير فيهم.. وأَخْذِهم إلى الخير..

كان أبو طالب يَكُفّ عن النبى ﷺ كثيرًا من أذى قريش.. فلما مات أبو طالب.. ضيقت قريش كثيرًا على النبى ﷺ فى مكة..

ونالت من الأذى ما لم تكن نالته منه فى حياة عمه أبى طالب..

فجعل ﷺ يفكر فى مكان آخر يلجأ إليه.. يجد فيه النُّصرة والتأييد..

فخرج إلى الطائف يلتمس من قبيلة ثقيف النصرة والمنعة..

دخل الطائف.. فتوجه إلى ثلاثة رجال هم سادة ثقيف وأشرافهم.. وهم إخوة ثلاثة: عبد يا ليل بن عمرو.. وأخوه مسعود.. وحبيب..

جلس إليهم.. دعاهم إلى الله.. كلمهم لما جاءهم له من نصرته على الإسلام.. والقيام معه على من خالفه من قومه.. فكان ردهم بذيئًا !!

أما أحدهم فقال: أنا أمرط ثياب الكعبة.. إن كان الله أرسلك!!

وقال الآخر: أما وجد الله أحدًا يرسله غيرك؟!

وجعل الثالث يبحث متحذلقًا عن عبارة يرد بها.. حرص على أن تكون أبلغ من كلام صاحبيه..

فقال: والله لا أرد عليك أبدًا.. لئن كنت رسولًا من الله كما تقول..

لأنت أعظم خطرًا من أن أرد عليك الكلام.. ولئن كنت تكذب على الله.. فما ينبغى لى أن أكلمك..

فقام ﷺ من عندهم وقد يئس من خير ثقيف.. وخشى أن تعلم قريش أنهم رَدُّوه.. فيزدادون أذًى له..

فقال لهم: إن فعلتم ما فعلتم.. فاكتموا علىَّ..

فلم يفعلوا.. بل أغروا به سفهاءهم وعبيدهم.. فجعلوا يركضون وراء رسول الله ﷺ.. يَسُبُّونه ويصيحون به..

وقد اصطفُّوا صفين.. وهو يسرع الخُطى بينهم.. وكلما رفع رِجلًا رضخوها بالحجارة.. وهو ﷺ يحاول أن يُسرع فى خطاه ليتقى ما يرمونه به من حجارة..

وجعلت قدماه الشريفتان ﷺ تسيلان بالدماء.. وهو الكهل الذى جاوز الخمسين..

فأبعد عنهم.. ومشى.. ومشى.. حتى جلس فى موضع آمن يستريح.. تحت ظل نخلة.. وهو منشغل البال.. كيف ستستقبله قريش.. كيف سيدخل مكة..

فرفع طرفه إلى السماء وقال:

«اللهم إنِّى أشكو إليك ضعف قوتي.. وقلة حيلتي.. وهوانى على الناس..

يا أرحم الراحمين.. أنت رب المستضعفين.. وأنت ربي..
إلى من تكلني! إلى بعيدٍ يتجهمني.. أم إلى عدوٍّ ملَّكته أمري!
إن لم يكن بك غضب عليَّ فلا أبالي.. ولكن عافيتك هي أوسع لي..
أعوذ بنور وجهك الذى أشرقت له الظلمات.. وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة.. من أن تنزل بى غضبك.. أو تحل عليَّ سخطك..
لك العُتبى حتى ترضى.. ولا حول ولا قوة إلا بك»[1]..

فبينما هو كذلك.. فإذ بسحابة تظله ﷺ.. وإذا فيها جبريل عليه السلام.. فناداه: يا محمد.. إن الله قد سمع قول قومك لك.. وما رَدُّوا عليك..

وقد بعث لك ملك الجبال لتأمره بما شئت فيهم..

وقبل أن ينطق ﷺ بكلمة.. ناداه ملك الجبال:

السلام عليك يا رسول الله.. يا محمد.. إن الله قد سمع قول قومك لك.. وأنا ملك الجبال.. قد بعثنى إليك ربك لتأمرنى ما شئت..

ثم قبل أن ينطق ﷺ أو يختار.. جعل ملك الجبال يعرض عليه.. ويقول: إن شئت تطبق عليهم الأخشبين ... وهما جبلان عظيمان فى جانبى مكة..

وجعل ملك الجبال ينتظر الأمر.. فإذا به ﷺ يطأ على حظوط النفس.. وشهوة الانتقام.. ويقول: «بل.. أستأنى بهم..
فإنى أرجو أن يُخرج الله من أصلابهم من يعبد الله ولا يشرك به شيئًا» [2].

---

(١) ضعيف: رواه الطبرانى، وضعفه الألبانى فى ضعيف الجامع (١١٨٢).
(٢) استمتع بحياتك / د. محمد العريفى.

ربنا ولك الحمد

۞ لا تَفْتُر عن كلمة (الحمد لله) املأ بها قلبك وردّدها بلسانك فإن كلمة (الحمد لله) لا يعلم قدرها إلا الله (جلَّ وعلا).

قال ﷺ: «**أحب الكلام إلى الله تعالى أربع: سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر، ولا يضرك بأيهن بدأت**»(١).

وقال ﷺ: «**أفضل الدعاء: الحمد لله**»(٢).

وقال رسول الله ﷺ: «**خير عباد الله تبارك وتعالى يوم القيامة الحمَّادون**»(٣).

وعن النبى ﷺ أنه قال: «**يصبح على كل سُلامَى من أحدكم صدقة، فكل تسبيحة صدقة، وكل تحميدة صدقة، وكل تهليلة صدقة، وكل تكبيرة صدقة، وأمرٌ بالمعروف صدقة، ونهيٌ عن المنكر صدقة، ويُجزئ من ذلك ركعتان من الضحى**»(٤).

وقال ﷺ: «**والحمدُ لله تملأ الميزان..**»(٥).

وأخبرنا النبى ﷺ أنها من غِراس الجنة فقال ﷺ: «**لقيت ليلة أُسرى بى إبراهيم الخليل عليه السلام فقال: يا محمد أَقرئ أمتك منِّى السلام، وأخبرهم أن**

(١) صحيح: رواه مسلم (٢١٣٧) كتاب الآداب.

(٢) حسن: رواه الترمذى وابن ماجه، والنسائى، وحسنه الألبانى فى صحيح الجامع (١١٠٤).

(٣) صحيح: رواه أحمد بإسنادٍ صحيح، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى الصحيحة (١٥٨٤).

(٤) صحيح: رواه مسلم (٧٢٠) كتاب صلاة المسافرين وقصرها.

(٥) صحيح: رواه مسلم (٢٢٣).

الجنة طيبة التربة، عذبة الماء، وأنَّها قيعان، وأن غِراسها: سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر»(١).

۞ عَنْ عَنْبَسَةَ بْنِ الْأَزْهَرِ، قَالَ:

كَانَ مُحَارِبُ بْنُ دِثَارٍ قَاضِى أَهْلِ الْكُوفَةِ قَرِيبَ الْجِوَارِ مِنِّى فَرُبَّمَا سَمِعْتُهُ فِى بَعْضِ اللَّيْلِ يَقُولُ وَيَرْفَعُ صَوْتَهُ:

أَنَا الصَّغِيرُ الَّذِى رَبَّيْتَهُ فَلَكَ الْحَمْدُ.

وَأَنَا الضَّعِيفُ الَّذِى قَوَّيْتَهُ فَلَكَ الْحَمْدُ.

وَأَنَا الْفَقِيرُ الَّذِى أَغْنَيْتَهُ فَلَكَ الْحَمْدُ.

وَأَنَا الصُّعْلُوكُ الَّذِى مَوَّلْتَهُ فَلَكَ الْحَمْدُ.

وَأَنَا الْأَعْزَبُ الَّذِى زَوَّجْتَهُ فَلَكَ الْحَمْدُ.

وَأَنَا السَّاغِبُ الَّذِى أَشْبَعْتَهُ فَلَكَ الْحَمْدُ.

وَأَنَا الْعَارِى الَّذِى كَسَوْتَهُ فَلَكَ الْحَمْدُ.

وَأَنَا الْمُسَافِرُ الَّذِى صَاحَبْتَهُ فَلَكَ الْحَمْدُ.

وَأَنَا الْغَائِبُ الَّذِى آوَيْتَهُ فَلَكَ الْحَمْدُ.

وَأَنَا الرَّاجِلُ الَّذِى حَمَلْتَهُ فَلَكَ الْحَمْدُ.

وَأَنَا الْمَرِيضُ الَّذِى شَفَيْتَهُ فَلَكَ الْحَمْدُ.

وَأَنَا الدَّاعِى الَّذِى أَجَبْتَهُ فَلَكَ الْحَمْدُ.

رَبَّنَا وَلَكَ الْحَمْدُ رَبَّنَا حَمْدًا كَثِيرًا عَلَى كُلِّ حَمْدٍ(٢).

---

(١) حسن: رواه الترمذى، وحسنه الألبانى فى «صحيح الجامع»، برقم (٣٤٦٠)، (٥١٥٢).

(٢) شعب الإيمان (٤/ ١٤٢).

تفاءل ثم تفاءل ثم تفاءل

مَن عَلِم أنه عبدٌ لربٍّ رحيم غفور ودود شكور فلابد أن يتفاءل ثم يتفاءل ... فمهما كثرت الهموم والغموم والمصائب فإنه لا يقول يا رب عندى هَمٌّ كبير بل يقول: يا هم عندى ربٌّ كبير عظيم ودود غَفورٌ شَكور.

۞ وإن كان المسلم لابد أن يتفاءل فإن أصحاب الدعوات والرسالة لابد أن يكونوا أشد تفاؤلًا من غيرهم لأنهم أعلم الناس بالله.

۞ لابد أن نعلم أن المتشائم يرى ضياء الدنيا ظلامًا، ويتصور نور الشمس قتامًا، يطوى صدره على الأذى، ويغمض جفنه على القذى، قد قبض الحزن ما انبسط من صدره، وأنفق الغَمُّ ذخيرة صبره، وإذا كان الطبيب متشائمًا يا دعاة، فكيف حال المريض؟!

وكل من تشاءم اليوم وما استبشر فما أطاع نبيه ﷺ ولا اقتدى به أو سلك طريقه ... وانظروا إلى مواقف تفاؤل النبى ﷺ التى امتلأت بها سيرته: مرَّ بقرية يُقال لها عثرة فغيَّر اسمها إلى خضرة، وغيَّر اسم صحابى اسمه شهاب وسمَّاه هشام(١)، وعاصية إلى جميلة(٢)، وأصرم (من الصَّرم

---

(١) صحيح: السلسلة الصحيحة رقم: ٢١٥ يقول الشيخ على القرنى: «إن تأنيث الأسماء جبن يورث تأنيث الشمائل والطباع، والظاهر يؤثر على الباطن، لقد كان المسلمون على عدوهم صخورًا وجنادل يوم كان فيهم مرة وحنظلا!! وكانوا عليهم حسكًا وشوكًا يوم كان فيهم قتادة وعوسجًا!! ولا يرضى بالأسماء والكُنى والألقاب الرخوة إلا العبيد!! وما شاعت هذه الرخاوة يوم كان المسلمون سادة!! وما راجت بينهم إلا عندما أضاعوا السيادة والقيادة!! أما والله لو نادى منادى ببعض هذه الأسماء فى حضرة عمر رضي الله عنه لهاجت شرته وبادرت بالجواب درته!!».

(٢) صحيح: رواه مسلم (٢١٣٩).

وهو القطع) إلى زُرعة[١].

وندب جماعة إلى حَلْبِ شاة، فقام رجل يحلبها، فقال: «**ما اسمك؟**» قال: مُرَّة، فقال: «**اجلس**»، فقام آخر فقال: «**ما اسمك؟**» قال: أظنُّه حرب، فقال: «**اجلس**»، فقام آخر فقال: «**ما اسمك؟**» فقال: يعيش فقال: «**احلبها**».

ولما قارب رسول الله ﷺ مشارف المدينة عند هجرته لقى بُريدة بن الحصيب الأسلمى فى سبعين من قومه من بنى سهم، فقال نبى الله ﷺ: «**من أنت؟**» قال: بريدة، فقال النبى ﷺ لأبى بكر: «**بَرُد أمرنا وصَلُح**»، ثم قال: «**ممن؟**» قال: من أسلم. فقال النبى ﷺ: «**سلمنا**»، ثم قال: «**من بنى من؟**» قال: من بنى سهم. قال: «**خرج سهمك (يا أبا بكر)**»، فأسلم بريدة وأسلم من كان معه جميعًا[٢].

وكان ﷺ يكره الأمكنة منكرة الأسماء، ويأبى العبور فيها، كما مر فى بعض غزواته بين جبلين فسأل عن اسميهما فقالوا: فاضح ومُخزٍ، فعدل عنهما ولم يَجُز بينهما[٣].

وهو ما علَّمه إياه ربه، ... ففى صحيح مسلم: «**إن الله سمَّى المدينة طيبة أو طابة**»، وكرِه أن تُسمَّى باسمها الجاهلى يثرب من التثريب وهو العيب.

وكان النبى ﷺ يحب الفأل الحسن، لأن الإنسان إذا أمَّل فضل الله تعالى كان على خير، وإذا قطع رجاءه من ربه كان على سوء.

وكان ﷺ يكره التشاؤم والنظرة السوداوية إلى الأحداث،... ومن ذلك

---

(١) صحيح: رواه أبو داود، وصححه الألبانى فى مشكاة المصابيح (٤٧٧٥).

(٢) أخرجه البيهقى فى الدلائل (٢/ ٢٢١).

(٣) كل من حديث الشاة والمرور ين الجبلين وردا فى زاد المعاد (٢/ ٣٠٧).

أن النبى دخل على أعرابى يعوده، وكان النبى ﷺ إذا دخل على مريض يعوده قال: «**لا بأس طهور إن شاء الله**»، فقال له: «**لا بأس طهور إن شاء الله**». قال: قلت: طهور كلا ... بل هى حُمَّى تفور أو تثور على شيخ كبير تُزيره القبور، فقال النبى ﷺ: «**فنعم إذن**»[١].

رأى النبى ﷺ فى الحُمَّى تطهيرًا من الذنوب؛ لأنه ﷺ ينظر دائمًا إلى الجانب المشرق من المحنة، أما الأعرابى فقد آثر الكآبة والأحزان واختار الهلاك والموت، فماذا كانت نتيجة التشاؤم وتوقع الأسوأ؟!.

اسمع رواية الطبرانى للحديث: قال النبى ﷺ: «**أما إذا أبيت فهى كما تقول، وما قضىَ الله فهو كائن**»، قال: فما أمسى من الغد إلا ميتًا[٢].

۞ ومن هنا خرج ابن القيم بالنتيجة التالية:

«واعلم أن التطير إنما يضر من أشفق منه وخاف، وأما من لم يُبالِ به ولم يعبأ به شيئًا لم يضره ألبتة»[٣].

---

(١) **صحيح**: رواه البخارى (٣٦١٦).

(٢) **صحيح**: رواه الطبرانى عن ابن عباس كما فى المعجم الكبير رقم (٧٢١٣). [معلومة: فى ثقافة دولة مثل هايتى يمكن أن يؤدى اعتقاد أو إيمان الشخص فى قدرة المشعوذ إلى الوفاة بالفعل!!].

(٣) مفتاح دار السعادة (٢/ ٢٣٠)، يذهب كثير من العلماء الغربيين إلى ما يسمى بسحر اليقين أو سحر الإيمان، ويرون أن كل الاشياء مُسخَّرة لمن أيقن .. وهناك قصة كثيرًا ما تُروى عن رجلين نزلا فى الغرفة الشاغرة المتبقية بأحد الفنادق، وكانت هذه الغرفة فى الأساس مخزنًا، ولكنها كانت تُستعمل كحجرة نوم عندما يزدحم الفندق، وفى إحدى الليالى شعر أحد الرجلين بالضيق من نقص الهواء فى الغرفة، فنهض وأخذ يتحسس بيديه فى الظلام ما اعتقد أنه النافذة ولكنه لم يتمكن من فتحها، وبعد أن وجد نعلًا فى الأرض أخذ يطرق به على اللوح الزجاجى حتى حطمه، ومن ثم تمتعا بنوم هادئ ما تبقَّى من الليل ليكتشفا فى الفجر أن النافذة سليمة، وما تحطم هو باب زجاجى لخزانة الملابس!- من كتاب سحر اليقين (ص ١٠٠)، كلود إم بريستول، مكتبة جرير.

وأنت يا حامل الراية: بوسعك أن تنظر إلى العالم بنظارة معتمة، فلا ترى فى العقبات سوى كومة أحزان وجعبة آلام، وبوسعك أن تنظر إليها باعتبارها ضريبة نصر وعلامة اصطفاء، فالشيء واحد والعين نفس العين لكن الرؤى تتباين.

قال مصطفى صادق الرافعى فى كلام مصطفى يفيض صدقًا ويورث رفعة، وقد امتلك روح المؤمن المتفائلة ونظرته المستبشرة فى كلام جميل صافح القلوب فأزال الكروب: «والبطل الشديد البأس لا ينبع إلا من الشدائد القوية، والداهية الأريب لا يخرج إلا من المشكلات المعقدة، والتَّقى الفاضل لا يُعرف إلا من الأهواء المستحكمة»(١).

والفقهاء متفائلون!!

ومَن عَظُم فقهه ورد رياض المتفائلين وضرب من هذه الغنيمة بأعظم سهم، ... وقد حفلت كتب الفقه بإشارات تفوح تفاؤلًا لتمحو أى تشاؤم: فمن ذلك من قال باستحباب قلب الرداء عند الاستسقاء تفاؤلًا بتغيُّر الحال، يعنى غيَّرنا ما كنا عليه فغيِّر اللهم حالنا، وحوِّل ساعة الجدب بساعة الخصب، وساعة العسر بساعة اليُسر.

ومن ذلك أنه يكره اتباع الجنازة بنارٍ فى مجمرة؛ لما فى ذلك من التفاؤل القبيح، ولكراهة أن يكون آخر زاد الميت من الدنيا نارًا كما قاله إبراهيم النخعي.

ومن ذلك أن أصحاب النبى ﷺ كان إذا لبس أحدهم ثوبًا جديدًا قيل

---

(١) وحى القلم (١/ ٣٥٥).

له: تبلى ويُخلف الله تعالى، تفاؤلًا بطول حياته حتى يُبلى ثوبه، وسعة رزقه حتى يشترى غيره.

ومن ذلك أنه ﷺ يكره بناء القبر من الآجُرِّ تفاؤلًا؛ لأن فى الآجُرِّ أثر النار، والقبر أول منازل الآخرة.

ومن ذلك أنه ﷺ لم يكن يُفطر يوم النحر حتى يرجع ليأكل من كبد أُضحيته تفاؤلًا؛ لما جاء من أن أول ما يأكل أصحاب الجنة هو كبد الحوت.

ومن ذلك استحباب عدم كسر عظام العقيقة؛ تفاؤلًا بسلامة عظام المولود.

ومن ذلك الكُنية، فكانوا يُكَنُّون الصبى تفاؤلًا بأنه سيعيش حتى يتزوج ويولد له.

ومن ذلك أن جعل كثيرٌ من الفقهاء آخر أبواب الفقه: الإقرار؛ تفاؤلًا بالإقرار بالشهادة وبعضهم اختار كتاب العتق؛ تفاؤلًا بالعتق من النار(١).



(١) يا صاحب الرسالة/ د. خالد أبو شادى (ص ١٢٣ - ١٢٧) بتصرف.

الإيمان يَلِدُ الأمل

۞ إنَّنا نجد الإيمان والأمل متلازمين، فالمؤمن أوسع الناس أملًا، وأكثرهم تفاؤلًا واستبشارًا، وأبعدهم عن التشاؤم والتبرُّم والضجر، إذ الإيمان معناه الاعتقاد بقوة عُليا تدبر هذا الكون لا يخفى عليها شيء، ولا تعجز عن شيء ... الاعتقاد بقوة غير محصورة، ورحمة غير متناهية، وكرم غير محدود، الاعتقاد بإلهٍ قدير رحيم، يجيب المضطر إذا دعاه، ويكشف السوء، يمنح الجزيل، ويغفر الذنوب ويقبل التوبة عن عباده، ويعفو عن السيئات، إله هو أرحم بعباده من الوالدة بولدها، وأبر بخلقه من أنفسهم.

إله يبسط يده بالليل ليتوب مسيئ النهار، ويبسط يده بالنهار ليتوب مسيئ الليل.

إله يفرح بتوبة عبده أشد من فرحة الضال إذا وجد، والغائب إذا وفد، والظمآن إذا ورد.

إله يجزى الحسنة بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف أو يزيد، ويجزى السيئة بمثلها أو يعفو.

إله يدعو المُعرض عنه من قريب، ويتلقى المقبل عليه من بعيد، ويقول: **«أنا عند ظن عبدى بى، وأنا معه إذا ذكرنى، إن ذكرنى فى نفسه ذكرته فى نفسى، وإن ذكرنى فى ملإٍ ذكرته فى ملإٍ خير منهم، وإن تقرب إلىّ شبرًا تقربت إليه ذراعًا، وإن تقرب إلى ذراعًا تقربت إليه باعًا، إن أتانى يمشى أتيتُه هرولة»**(١).

(١) متفق عليه: رواه البخارى (٧٤٠٥)، ومسلم (٢٦٧٥).

إلـه يـداول الأيـام بـين النـاس، فيُبـدل مـن بعـد الخـوف أمنًـا، ومـن بعـد الضعف قوة، ويجعل من كل ضيقٍ فرجًا، ومـن كـل هـمٍّ مَخرجًا، ومع كـل عُسرٍ يسرًا.

المؤمن الـذى يعتصم بهذا الإلـه البر الـرحيم، العزيز الكـريم، الغفـور الودود، ذى العرش المجيد، الفعَّال لما يريد يعيش على أملٍ لا حَدَّ لـه، ورجاء لا تنفصم عُراه. إنه دائمًا متفائل ينظر إلى الحياة بوجهٍ ضاحك، ويستقبل أحداثها بثغرٍ باسم، لا بوجهٍ عبوسٍ قمطرير.

فهو إذا حارب كان واثقًا بالنصر، لأنه مع الله فالله معه، ولأنه لله فالله له ﴿ إِنَّهُمْ لَهُمُ ٱلْمَنصُورُونَ (١٧٢) وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ ٱلْغَـٰلِبُونَ ﴾(١).

وإذا مرض لم ينقطع أمله فى العافية ﴿ ٱلَّذِى خَلَقَنِى فَهُوَ يَهْدِينِ (٧٨) وَٱلَّذِى هُوَ يُطْعِمُنِى وَيَسْقِينِ (٧٩) وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴾(٢).

وإذا اقترف ذنبًا لم ييأس من المغفرة، ومهما يكن ذنبه عظيمًا فإن عفو الله أعظم ﴿ قُلْ يَـٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴾(٣).

وهو إذا أعسر لم يزل يؤمِّل فى اليُسر ﴿ فَإِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا (٥) إِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ﴾(٤). ولن يغلب عسرٌ يُسرين أبدًا ... قال ابن مسعود: لو دخل العُسر جُحرًا لتبعه اليُسر.

---

(١) سورة الصافات: الآيتان: (١٧٢- ١٧٣).

(٢) سورة الشعراء: الآيات: (٧٨- ٨٠).

(٣) سورة الزمر: الآية: (٥٣).

(٤) سورة الشرح: الآيتان: (٥- ٦).

وهو إذا انتابته كارثة من كوارث الزمن كان على رجاء من الله أن يأجره فى مصيبته ويخلفه خيرًا منها ﴿ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتۡهُم مُّصِيبَةٞ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيۡهِ رَٰجِعُونَ ١٥٦ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيۡهِمۡ صَلَوَٰتٞ مِّن رَّبِّهِمۡ وَرَحۡمَةٞۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُهۡتَدُونَ ﴾(١).

وهو إذا عادى أو كَرِه، كان قريبًا إلى الصلة والسلام، راجيًا فى الصفاء والوئام مؤمنًا بأن الله يُحوِّل القلوب ﴿عَسَى ٱللَّهُ أَن يَجۡعَلَ بَيۡنَكُمۡ وَبَيۡنَ ٱلَّذِينَ عَادَيۡتُم مِّنۡهُم مَّوَدَّةٗۚ وَٱللَّهُ قَدِيرٞۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴾(٢).

وهو إذا رأى الباطل يقوم فى غفلة الحق أيقن أن الباطل إلى زوال، وأن الحق إلى ظهورٍ وانتصار ﴿ بَلۡ نَقۡذِفُ بِٱلۡحَقِّ عَلَى ٱلۡبَٰطِلِ فَيَدۡمَغُهُۥ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٞۚ ﴾(٣).

﴿فَأَمَّا ٱلزَّبَدُ فَيَذۡهَبُ جُفَآءٗۖ وَأَمَّا مَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ فَيَمۡكُثُ فِي ٱلۡأَرۡضِۚ ﴾(٤).

وهو إذا أدركته الشيخوخة واشتعل رأسه شيبًا، لم ينفكّ يرجو حياة أُخرى فيها شباب بلا هرم، وحياة بلا موت، وسعادة بلا شقاء ﴿ جَنَّٰتِ عَدۡنٍ ٱلَّتِي وَعَدَ ٱلرَّحۡمَٰنُ عِبَادَهُۥ بِٱلۡغَيۡبِۚ إِنَّهُۥ كَانَ وَعۡدُهُۥ مَأۡتِيّٗا ٦١ لَّا يَسۡمَعُونَ فِيهَا لَغۡوًا إِلَّا سَلَٰمٗاۖ وَلَهُمۡ رِزۡقُهُمۡ فِيهَا بُكۡرَةٗ وَعَشِيّٗا ﴾(٥).

۞ إن الماديين يقفون عند السُّنَن المعتادة، والأسباب الظاهرة، لا يطمعون فى شيء وراءها، أما المؤمنون فيعلون على ظواهر الأسباب، وينفذون إلى سر الوجود، إلى الله خالق الأسباب والمسببات، الذى عنده

(١) سورة البقرة: الآيتان: (١٥٦ – ١٥٧).

(٢) سورة الممتحنة: الآية: (٧).

(٣) سورة الأنبياء: الآية: (١٨).

(٤) سورة الرعد: الآية: (١٧).

(٥) سورة مريم: الآيتان: (٦١ – ٦٢).

من الأسباب الباطنة ما يخفى على إدراك عباده، فلماذا لا تتجه قلوبهم إليه حين تدلَهِم الأزمات، وتستحكم الحلقات، ويضيق على أعناقهم الخِناق؟

إنهم يجدون فيه الملاذ فى الشدة والأنيس فى الوحشة، والنصير فى القِلة. يتجه إليه المريض الذى استعصى مرضه على الأطباء ويدعوه آملًا الشفاء.

ويتجه إليه المكروب يسأله الصبر والرضا، والخلف من كل فائت، والعوض من كل مفقود.

ويتجه إليه المظلوم آملًا يومًا قريبًا ينتصر فيه على ظالمه، فليس بين دعوة المظلوم وبين الله حجاب.

ويتجه إليه المحروم من الأولاد سائلًا أن يرزقه ذرية طيبة.

وكل واحد من هؤلاء آمِلٌ فى أن يُجاب إلى ما طلب ويحقق له ما ارتجى ... فما ذلك على قدرة الله ببعيد، وما ذلك على الله بعزيز.

طلب إبراهيم الولد وهو شيخ كبير ﴿ رَبِّ هَبۡ لِي مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴾[١].

فاستجاب الله له وبعث إليه الملائكة، فى صورة ضيوف من البشر فقالوا له: ﴿ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَٰمٍ عَلِيمٖ ﴿٥٣﴾ قَالَ أَبَشَّرۡتُمُونِي عَلَىٰٓ أَن مَّسَّنِيَ ٱلۡكِبَرُ فَبِمَ تُبَشِّرُونَ ﴿٥٤﴾ قَالُواْ بَشَّرۡنَٰكَ بِٱلۡحَقِّ فَلَا تَكُن مِّنَ ٱلۡقَٰنِطِينَ ﴿٥٥﴾ قَالَ وَمَن يَقۡنَطُ مِن رَّحۡمَةِ رَبِّهِۦٓ إِلَّا ٱلضَّآلُّونَ ﴾[٢].

وقد أثنى على ربه فقال: ﴿ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى ٱلۡكِبَرِ إِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَۚ إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ ﴾[٣].

---

(١) سورة الصافات: الآية: (١٠٠).

(٢) سورة الحجر: الآيات: (٥٣- ٥٦).

(٣) سورة إبراهيم: الآية: (٣٩).

ويعقوب بعد أن طالت غيبة ولده يوسف عنه، وبَعُدت مسافة الزمن بينه وبينه، وكان جديرًا أن يفقد الأمل فى لقائه، ثم فُجع بحجز شقيقه من بعده فى حادثة صواع الملك، لكنه مع هذا لم يتسرب إلى فؤاده اليأس، بل قال: ﴿فَصَبْرٌ جَمِيلٌ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَأْتِيَنِى بِهِمْ جَمِيعًا إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ﴾(١)

وحين أبدى أسفه على ابنه يوسف قال له أبناؤه: ﴿تَٱللَّهِ تَفْتَؤُا۟ تَذْكُرُ يُوسُفَ حَتَّىٰ تَكُونَ حَرَضًا أَوْ تَكُونَ مِنَ ٱلْهَٰلِكِينَ ﴿٨٥﴾ قَالَ إِنَّمَآ أَشْكُوا۟ بَثِّى وَحُزْنِىٓ إِلَى ٱللَّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾(٢). ثم ألقى على أبنائه بحقيقة ما فى نفسه من أمل حلو تُعززه الثقة بالله أن يجمع شمله بأبنائه فقال: ﴿يَٰبَنِىَّ ٱذْهَبُوا۟ فَتَحَسَّسُوا۟ مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَا۟يْـَٔسُوا۟ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِنَّهُۥ لَا يَا۟يْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾(٣).... بل تأمل معى ما فعله الحق (جلَّ وعلا) بزكريا عليه السلام.. قال تعالى: ﴿ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُۥ زَكَرِيَّآ ﴿٢﴾ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥ نِدَآءً خَفِيًّا ﴿٣﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّى وَهَنَ ٱلْعَظْمُ مِنِّى وَٱشْتَعَلَ ٱلرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنۢ بِدُعَآئِكَ رَبِّ شَقِيًّا ﴿٤﴾ وَإِنِّى خِفْتُ ٱلْمَوَٰلِىَ مِن وَرَآءِى وَكَانَتِ ٱمْرَأَتِى عَاقِرًا فَهَبْ لِى مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا ﴿٥﴾ يَرِثُنِى وَيَرِثُ مِنْ ءَالِ يَعْقُوبَ وَٱجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا﴾(٤).

فاستجاب له الرحمن (جلَّ وعلا): ﴿يَٰزَكَرِيَّآ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَٰمٍ ٱسْمُهُۥ يَحْيَىٰ لَمْ نَجْعَل لَّهُۥ مِن قَبْلُ سَمِيًّا﴾(٥).

---

(١) سورة يوسف: الآية: (٨٣).

(٢) سورة يوسف: الآيتان: (٨٥- ٨٦).

(٣) سورة يوسف: الآية: (٨٧).

(٤) سورة مريم: الآيات: (٢- ٦).

(٥) سورة مريم: الآية: (٧).

وتأمل ما حدث لنبي الله أيوب عليه السلام: ﴿وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٨٣﴾ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ فَكَشَفْنَا مَا بِهِۦ مِن ضُرٍّ ۖ وَءَاتَيْنَٰهُ أَهْلَهُۥ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَذِكْرَىٰ لِلْعَٰبِدِينَ﴾[1].

ويونس قد ابتلعه الحوت: ﴿فَنَادَىٰ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٨٧﴾ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَنَجَّيْنَٰهُ مِنَ ٱلْغَمِّ ۚ وَكَذَٰلِكَ نُـۨجِى ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾[2].

وموسى حين يسرى بقومه لينجو بهم من فرعون وجنوده، فيعلمون بسراه ويحشدون الحشود ليدركوهن ﴿فَأَتْبَعُوهُم مُّشْرِقِينَ ﴿٦٠﴾ فَلَمَّا تَرَٰٓءَا ٱلْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَٰبُ مُوسَىٰٓ إِنَّا لَمُدْرَكُونَ﴾[3] وأى إدراك أكثر من هذا؟ البحر من أمامهم والعدو من ورائهم !! بَيدَ أن موسى لم يفزع ولم ييأس، بل قال: ﴿كَلَّآ ۖ إِنَّ مَعِىَ رَبِّى سَيَهْدِينِ﴾[4]، ولم يضع أمله سُدى ﴿فَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْبَحْرَ ۖ فَٱنفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَٱلطَّوْدِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٦٣﴾ وَأَزْلَفْنَا ثَمَّ ٱلْءَاخَرِينَ ﴿٦٤﴾ وَأَنجَيْنَا مُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓ أَجْمَعِينَ ﴿٦٥﴾ ثُمَّ أَغْرَقْنَا ٱلْءَاخَرِينَ ﴿٦٦﴾ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً ۖ﴾[5].

ومحمد يلجأ إلى غار ثور فى هجرته مع صاحبه الصدِّيق، ويقتفى المشركون آثار قدميه، ويقول قائفهم: لم يعدُ محمدٌ هذا الموضع، فإما صعد إلى السماء من هنا، وإما هبط إلى الأرض من هنا، ويشتد خوف الصدِّيق على صاحب الدعوة وخاتم النبيين ويبكى ويقول: لو نظر أحدهم

(١) سورة الأنبياء: الآيتان: (٨٣- ٨٤).
(٢) سور الأنبياء: الآيتان: (٨٧- ٨٨).
(٣) سورة الشعراء: الآيتان: (٦٠- ٦١).
(٤) سورة الشعراء: الآية: (٦٢).
(٥) سورة الشعراء: الآيات: (٦٣- ٦٧).

تحت قدميه لرآنا، فيقول له النبى: «**ما ظنك باثنين الله ثالثهما**»، وكانت العاقبة ما ذكره القرآن:

﴿إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ثَانِىَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ۖ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلسُّفْلَىٰ ۗ وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِىَ ٱلْعُلْيَا ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾[1].

وهذه وقائع عرفها التاريخ الذى لا شك فيه،... وربما أنكر الماديون بعضها، أو كلها، لأنها تخرج على الأسباب المعتادة للناس، غير أن المؤمنين يوقنون أن الأسباب المعتادة لا تَحُدّ قدرة الله المطلقة، وليس ثباتها واجبًا عقليًّا لا يقبل الانفكاك، ولو جمد العلماء والمخترعون على ما اعتاده الناس، وما تعارفوا عليه فى عصرهم، ما تقدم العلم شبراً وما وصلنا إلى عصر الذرة والفضاء[2].

---

(١) سورة التوبة: الآية: (٤٠).

(٢) الإيمان والحياة/ د. يوسف القرضاوى (ص ١٥٩ - ١٦٤) بتصرف.

قلوبٌ ترفع أصحابها

❁ **قال يحيى بن معاذ** رَحِمَهُ اللَّهُ: مفاوز الدنيا تُقطع بالأقدام ومفاوز الآخرة تُقطع بالقلوب[1].

❁ فبقدر ما فى قلبك من الإيمان والتوحيد ومحبة الله ﷻ والرجاء فيما عنده والخوف منه والتوكل عليه وحسن الظن به وغير ذلك من أعمال القلوب يكون قدرك ومكانتك عند الله وتكون منزلتك ودرجتك فى جنته (سبحانه وتعالى).

❁ وتأمل معى كيف رفعت القلوب قومًا كانوا خدمًا وعبيدًا، وسَمتْ بذكرهم فوق السحاب، ووالله لو كانت قلوبهم غير نقية أو خالصة لطمس الله ذكرهم وبعثر علمهم ومحا سيرتهم، أو قرنها بكل خبيث وسوء ولكنه القلب الحى يظل ينبض بعد موت صاحبه يتغنى بالذكر الجميل والسيرة العطرة بذا نطق الأمير شوقى فقال:

الناس صنفان: موتى فى حياتهم   وآخرون ببطن الأرض أحياءُ

❁ **قال ابن أبى ليلى:**

قال لى عيسى بن موسى وكان جائرًا شديد العصبية للعرب: من كان فقيه البصرة؟ قلت: الحسن بن أبى الحسن. قال: ثم من؟ قلت: محمد بن سيرين، قال: فما هما؟ قلت: موليان.

قال: فمن كان فقيه مكة؟ قلت: عطاء بن أبى رباح، ومجاهد بن جبر، وسعيد بن جبير، وسليمان بن يسار، قال: فما هم؟ قلت: موالي.

---

(١) حلية الأولياء (١٠/ ٥٢).

فتغير لونه ... ثم قال: فمن كان أفقه أهل قباء؟ قلت: ربيعة الرأى، وابن أبى الزناد، قال: فما كانا؟ قلت: من الموالي.

فانتفخت أوداجه فانتصب قاعدًا، ثم قال: فمن كان فقيه خُراسان؟ قلت: عطاء بن عبد الله الخراساني. قال: فما كان عطاء هذا؟ قلت: مولى.

فازداد تغيُّظًا، وحِنقًا، ثم قال: فمن كان فقيه الجزيرة؟ قلت: ميمون بن مهران. قال: فما كان؟ قلت: مولى.

قال: فتنفس الصعداء ثم قال: فمن كان فقيه الكوفة؟ قلت: فو الله لولا خوفه لقلت: الحكم بن عيينة وعمار بن أبى سليمان، ولكن رأيت فيه الشر، فقلت: إبراهيم، والشعبى، قال: فما كانا؟ قلت: عربيان، قال: الله أكبر! وسكن جأشه»[١].

لله دَرُّهم عبيدٌ أشرف من سادة وهمم تناطح الجبال؛ ونجوم ساطعة وإن رآهم الجاهل فى أدنى سلم المجتمع أو فى القاع ... وملوك آخرة ولو لم يجدوا ما يَسُد الرمق، والسر من وراء هذا كله القلب، وما يضرهم أن يكونوا من الحطام الفانى والعز الراحل فارغى اليد إذا كانوا من كنوز الشفاء ونوافع الدواء ممتلئى القلب؟!

وصدق إقبال وهو يجزم:

بامتثال الأمر يعلو من رَسَب وهوى الطاغى ولو كان اللهب[٢]



(١) العقد الفريد (٣/ ٣٢٨، ٣٢٩) تحقيق محمد سعيد العريان.

(٢) ديوان الأسرار والرموز (ص ٣٨) نقلًا عن (بأى قلب نلقاه).

﴿ قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ ﴾

مما يشرح الصدر ويزيح سُحب الهم والغم؛ السفر فى الديار وقطع القفار، والتقلب فى الأرض الواسعة، والنظر فى كتاب الكون المفتوح لتشاهد أقلام القدرة وهى تكتب على صفحات الوجود آيات الجمال، لترى حدائق ذات بهجة، ورياضًا أنيقة وجناتٍ ألفافًا، اخرج من بيتك وتأمل ما حولك وما بين يديك وما خلفك اصعد الجبال، اهبط الأودية، تسلق الأشجار، عبَّ من الماء النمير، ضع أنفك على أغصان الياسمين حينها تجد روحك حرة طليقة، كالطائر الغريد تَسبح فى فضاء السعادة، ... اخرج من بيتك، ألقِ الغطاء الأسود عن عينيك، ثم سِرْ فى فجاج الله الواسعة ذاكرًا مُسبِّحًا.

إن الانزواء فى الغرفة الضيقة مع الفراغ القاتل طريق ناجح للانتحار، وليست غرفتك هى العالم ولست أنت كل الناس، فلِمَ الاستسلام أمام كتائب الأحزان، ألا فاهتف ببصرك وسمعك وقلبك: انفروا خفافًا وثقالًا، تعالَ لتقرأ القرآن هنا بين الجداول والخمائل بين الطيور وهى تتلو خطب الحب، وبين الماء وهو يروى قصة وصوله من التلِّ.

أيها الشاكى وما بك داء كن جميلًا ترى الوجود جميلًا

أترى الشوك فى الورود وتعمى أن ترى فوقه الندى إكليلاً

إن الترحال فى مسارب الأرض متعة يوصى بها الأطباء لمن ثقلت عليه نفسه، وأظلمت عليه غرفته الضيقة، فهيًّا بنا نسافر لنَسعد ونفرح ونفكر ونتدبر ﴿وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ﴾ (١).

---

(١) حدائق ذات بهجة (ص ٢٧٨- ٢٧٩).

ما كان الرفق فى شيء إلا زانه

۞ عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: قال رسول الله ﷺ: «إن الله رفيق يحب الرفق فى الأمر كله»[١].

۞ وعنها رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أن النبى ﷺ قال: «إن الله رفيق يحب الرفق، ويعطى على الرفق ما لا يُعطى على العنف وما لا يُعطى على ما سواه»[٢].

۞ وعن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أن رسول الله ﷺ قال لها: «يا عائشة ارفقى فإن الله إذا أراد بأهل بيتٍ خيرًا دلَّهم على باب الرفق».

وفى رواية: «إذا أراد الله بأهل بيتٍ خيرًا أدخل عليهم الرفق»[٣].

۞ اتفق صديقان على أن يتقدما لرجل لخطبة ابنتيه، كانت إحداهما أكبر من الأخرى.

قال أحدهما للآخر: أنا آخذ الصغيرة وأنت تأخذ الكبيرة.

فصاح صاحبه: لاااا بل أنت خذ الكبيرة وأنا آخذ الصغيرة.

فقال الأول: طيب أنت تأخذ الصغيرة وأنا آخذ التى أصغر منها.

قال: موافق.

ولم يدرك أن صاحبه ما غيَّر قراره سوى أنه غير أسلوب الكلام برفق.

---

(١) متفق عليه: رواه البخارى (٦٩٢٧) كتاب استتابة المرتدين والمعاندين وقتالهم، ومسلم (٢١٦٥) كتاب السلام.

(٢) صحيح: رواه مسلم (٢٥٩٣) كتاب البر والصلة والآداب.

(٣) صحيح: رواه أحمد والبزار والبخارى فى التاريخ والبيهقى فى الشعب، وصححه العلامة الألبانى فى صحيح الجامع (٣٠٣) والصحيحة (١٢١٩).

رياحين الجنة

۞ كان سلفنا الصالح رياحين من رياحين الجنة، إذا شمَّها المؤمنون اشتاقت نفوسهم إليها،... قال عنهم مجاهد: «ما المجتهد فيكم اليوم إلا كاللاعب فيهم»[١]، مجتهد القرن الثالث الهجرى كاللاعب فيهم، فكيف بمجتهد القرن الحادى والعشرين؟!!!

۞ كان عامر بن عبد الله التميمى إذا فصل غازيًا يتوسم من يرافقه فإذا رأى رفقة تعجبه، اشترط عليهم أن يخدمهم ويُؤذِّن فيهم، وأن ينفق عليهم قدر طاقته[٢].

۞ وبعث معاوية بن أبى سفيان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إلى أم المؤمنين عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا بمائة ألف ففرقتها من يومها، فلم يبقَ منها درهم، فقالت لها خادمتها: هلا أبقيتِ لنا درهمًا نشترى به لحمًا لتفطرى عليه؟ فقالت: «لو ذكرتنى لفعلت»[٣].

۞ ومن رحمة عثمان بن عفان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مع كبر سنه وعلو مقامه: رحمته مع خدمه، فقد كان عثمان بن عفان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يأخذ الوضوء لنفسه إذا قام من الليل، فقيل له: لو أمرت الخادم فكفاك، قال: «لا،.. الليل لهم يستريحون فيه»[٤].

۞ وبلغت الرحمة من أُويس القرنى مبلغًا كان معه إذا أمسى تصدق

(١) الزهد لابن المبارك (ص ٤٠).
(٢) سير أعلام النبلاء (٤/ ١١٧).
(٣) البداية والنهاية (٨/ ١٣٦، ١٣٧) ابن كثير.
(٤) تاريخ دمشق (٣٩/ ٢٣٦).

بما فى بيته من الفضل من الطعام والثياب، ثم يقول: «اللهم مَن مات جوعًا فلا تؤاخذنى به، ومن مات عُريانًا فلا تؤاخذنى به»[1]. وكان مع فقره وحاجته يلتقط الكسرة من المزابل، فيغسلها ويتصدق ببعضها ويأكل بعضها، ويقول: «اللهم إنى أبرأ إليك من كل كبدٍ جائع»[2][3].

---

(١) صفة الصفوة (٣/ ٢٧).

(٢) صفة الصفوة (٢/ ٢٧).

(٣) صفقات رابحة (ص ٢٢٨- ٢٢٩).

صائد القلوب

۞ هناك صنف من الناس أعطاه الله قدرة فائقة على اصطياد القلوب وكسب محبة أصحابها فتجدهم ينجذبون إليه ويشتاقون للقائه والجلوس والتحدث معه ... والسبب فى ذلك هو توفيق الله له وإلقاء محبته فى قلوب الناس ثم أن الله منحه القدرة والمهارة التى يستطيع من خلالها أن يظفر بمحبة الناس من حوله.

۞ فنحن نعلم أنَّ كل صاحب هَمٍّ يتفنن فى صيد ما يريد..

عاشق المال يتفنن فى جمعه وتنميته.. ويحرص على تعلُّم مهارات التجارة والربح..

القنوات الفضائية تتفنن فى اصطياد الناس بتنويع البرامج واختيار الأساليب المتجددة.. وتدريب مُقدمى البرامج على مهارات تجذب الناس لمتابعتها..

وقُل مثل ذلك فى وسائل الإعلام المقروءة.. والمسموعة..

ومثله مُروِّجو البضائع المختلفة سواء كانت حلالًا أم حرامًا..

كلهم يحرصون على إتقان المهارات التى تفيدهم فى مجالهم الذى يحبونه..

وكسب القلوب فن من الفنون له طُرقه وأساليبه.. هَبْ أنك دخلت مجلسًا فيه أربعون رجلًا.. فمررت بالناس تصافحهم..

فالأول.. مددت يدك إليه مُسلِّمًا فناولك طرف يده.. وقال ببرود: أهلًا.. أهلًا..

والثاني.. كان مشغولًا بحديث جانبي.. ففاجأته بالسلام.. فردَّ ببرودٍ أيضًا وصافحك دون أن ينظر إليك..

والثالث.. كان يتحدث بهاتفه.. فمدَّ يده إليك دون أن يتلفظ بكلمة ترحيب.. أو يُبدى لك أى اهتمام..

أما الرابع.. فلما رآك مقبلًا قام مستعدًّا للسلام..

فلما التقت عينك بعينه ابتسم وأظهر البشاشة بلقياك..

وصافحك بحرارة..

واحتفى بقدومك.. وأنت لا تعرفه ولا يعرفك!!

ثم أكملت سلامك على الناس.. وجلست.. بالله عليك!

ألا تشعر أن قلبك ينجذب نحو ذلك الشخص؟

بلى.. ينجذب إليه.. وأنت لا تعرفه.. ولا تدرى ما اسمه.. ولا تعلم وظيفته ولا مركزه.. ومع ذلك استطاع أن يسلب قلبك.. لا بماله.. ولا بمنصبه.. ولا بحسَبِه ونسبه.. وإنما بمهارات تعامله..

إذن القلوب لا تُكسب بالقوة ولا بالمال ولا بالجمال ولا بالوظيفة.. وإنما تُكسب بأقل من ذلك وأسهل.. ومع ذلك فقليل من يستطيع كسبها..

۞ يقول د/ العريفى: أذكر أن أحد طلابى فى الكلية أصيب بمرض نفسي.. كان نوعًا صعبًا من الاكتئاب.. كان والده ضابطًا يشغل منصبًا عاليًا.. جاء مرارًا إلى الكلية وقابلنى وتعاونًّا على علاج ابنه..

كنت أذهب إلى بيتهم أحيانًا فأراه قصرًا منيفًا.. وأرى مجلس الأب مليئًا بالضيوف.. لا تكاد تجد فيه مكانًا فارغًا..

كنت أعجب من محبة الناس لهذا الرجل وإقبالهم عليه..

مضت سنوات وتقاعد الأب من منصبه.. فذهبت إليه زائرًا.. دخلت القصر.. ثم دلفت إلى المجلس وفيه أكثر من خمسين كرسيًّا.. فلم أرَ فى المجلس إلا الرجل يتابع برنامجًا فى التلفاز.. وخادمًا يخدمه بالقهوة والشاي.. جلست معه قليلاً..

فلما خرجت جعلت أتذكر حاله لما كان فى وظيفته.. وحاله الآن..

ما الذى كان يجمع الناس فيما مضى؟ ما الذى كان يجعلهم يُقبلون عليه مؤانسين متحببين؟!

أدركت عندها أن الرجل لم يكسب الناس بأخلاقه ولُطفه وحسن تعامله.. وإنما كسبهم بمنصبه ووجاهته وسعة علاقاته.. فلما زال المنصب زالت معه المحبة..

فخذ من صاحبنا درسًا..

وتعامل مع الناس بمهارات تجعلهم يحبونك لشخصك.. يحبون أحاديثك وابتسامتك ورفقك وحسن معشرك..

يحبون تغاضيك عن أخطائهم..

ووقوفك معهم فى مصائبهم..

لا تجعل قلوبهم مُعلقة بكرسيك وجيبك!!

الذى يوفر لأولاده وزوجته المال والطعام والشراب لم يكسب قلوبهم.. وإنما كسب بطونهم.. والذى يُغدق على أهله الأموال.. مع سوء التعامل.. لم يكسب قلوبهم.. إنما كسب جيوبهم..

لذلك لا تستغرب إذا وجدت شابًّا تقع له مشكلة فيشكوها إلى صديق أو إمام مسجد أو مدرس.. ويترك أباه.. لأن الأب لم يكسب قلبه.. ولم يحطم الأسوار بينهما.. بينما كسب هذا القلب مدرس أو صديق.. وربما كسبه عدو حاقد!!

وأمر آخر مهم.. ألا تلاحظ معي أن بعض الناس إذا دخل مجلسًا مزدحمًا.. وجعل يتلفت باحثًا عن مكان يجلس فيه.. رأيت الجالسين يتسابقون عليه كُلٌّ يناديه ليجلس بجانبه!.. لماذا؟

هل دُعيت يومًا إلى عشاء.. وكان بنظام (البوفيه المفتوح).. بحيث إن كل شخص يأخذ طعامه فى طبق ويجلس على إحدى الطاولات الدائرية.. ألم تر بعض الناس ما إن يملأ طبقه بالطعام حتى يتهافت عدد من الناس يشيرون إليه بوجود مكان فارغ.. ليجلس معهم.. بينما آخر يملأ طبقه بالطعام.. ويتلفت ولا أحد يناديه أو يُقبل عليه.. حتى تسوقه قدماه إلى إحدى الطاولات..

لماذا حرص الناس على الأول دون الثاني..

ألا تشعر أن بعض الناس تُقبل عليه القلوب أينما كان.. وكأن فى يده مغناطيسًا يجذبها به جذبًا!! عجبًا!

كيف استطاع هؤلاء جميعًا كسب الناس؟!

إنها طرق ذكية يستطيع بها الشخص أن يصيد بها القلوب..[1].

---

(١) استمتع بحياتك (ص ٨٩-٩١).

استخدم مهاراتك

۞ كنت أتعجب وأنا تلميذٌ صغير فى المدرسة عندما أرى مُدرسًا يدخل الفصل فنفرح جميعًا لدخوله ونظل سعداء بوجوده ونتمنى ألا يمضى وقت الحصة لنسعد برؤيته وسماع كلامه العذب.

فإذا انتهت الحصة ودخل علينا مُدرسٌ آخر لم نشعر بنفس السعادة بل نشعر بعكس ذلك وتمنينا أن وقت الحصة يمر سريعًا حتى تنتهى تلك الحصة.

۞ وعندما كنت أذهب لصلاة الجمعة كنت أشعر أنا ومن معى فى المسجد بالسعادة الغامرة عندما يخطب الجمعة شيخٌ معين. وكنا نتمنى أن يُطيل فى خطبته لنسعد بالاستماع إليه فإذا كان يوم الجمعة الذى يليه كنا نشعر بالملل فى خطبة الشيخ الآخر.

۞ وكنت أتعجب عندما أرى أحد أصدقائى وهو سعيد جدًّا لعودة والده من العمل فكان يترك اللعب معنا ويذهب ليُعانق والده ويصعد معه إلى بيته وهو فى قمة السعادة بينما كان زميل آخر يتضجر عندما يرى والده وكأنه رأى الموت بعينيه.

۞ لما جلست أتفكر فى تلك المشاهد وجدت أن ذلك كله كان السبب الرئيسى فيه أن هناك من الناس من يستخدم مهارات رائعة فى فن التعامل مع الناس وفى فن الإلقاء واستخدام الأساليب التى تجذب قلوب الناس بينما هناك صنف يتعامل مع الناس بغلظة وجفاء تجعل القلوب تنفر منه ولا تحب الجلوس معه.

۞ فياليتنا نتعلم كيف نكسب قلوب الناس وكيف نجعلهم يشتاقون إلينا.

إنها في كلمتين: أن يحبك الله فيقذف حبك في قلوبهم وأن تأتي إلى الناس بما يحبه الناس دون أن يكون في ذلك معصية لله (جلَّ وعلا) وأن تستعمل مهارات البسمة والرحمة والتسامح والتغاضي أحيانًا عن بعض الزلات والهفوات وأن تحمل إليهم البُشريات وأن تدعو لهم دائمًا أمام أعينهم بكل خير وأن تحب لهم ما تحب لنفسك وأن تشاركهم أفراحهم وأحزانهم وأن تشعر بآلامهم وأن لا تكون ثقيلًا عليهم بل تجعلهم دائمًا يبحثون عنك ويشتاقون إليك... وإنه ليسيرٌ على من يسَّره الله عليه.





بين الديك والدجاجة

أيهما أفضل: الداعية فى ميدانه أم الزاهد فى محرابه؟

۞ التقى ديك ودجاجة فى حظيرة وتحاورا:

الدجاجة: كُفَّ عن صياحك أيها الديك، فإن صوتك قبيح.

الديك: ويحك!! صوتى هو الذى يوقظ النائمين، ويؤنس العُبَّاد والقائمين ويبعث الروح فى الكسالى والخاملين، فكيف يكون قبيحًا؟!!

الدجاجة: كفاك فخرًا بنفسك فلى صوت كصوتك.

الديك: وهل يقظة كغفلة؟... فى الأسحار أصيح وأنت فى الأحلام، وأهتف والناس نيام، ويكفينى فخرًا أن خير الخلق ﷺ كان إذا سمع صوتى وثب.

الدجاجة: لكن قومًا أزعجهم صوتك فانهالوا عليك بالشتم والسباب.

الديك: أموات غير أحياء، أما سمعوا أمر الرسول ﷺ **«لا تسبُّوا الديك فإنه يوقظ للصلاة»**[1]؟!.

الدجاجة: فما بال طلب الناس علىَّ أكثر؟

الديك: تخدمين دُنياهم فيكافئونك بالذبح، وأخدم آخرتهم فيغمروننى بالمدح، وعند مسِّ النار يبين الفرق!.

---

(١) صحيح: رواه أبو داود (٥١٠١)، وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (٧٣١٤).

لكى تنجح دعوتك

۞ لكى تكون أنجح داعية فى العالم ويستفيد الناس من علمك وتنفتح لكلماتك القلوب والأسماع فلابد أولًا أن تُخلص النية لله (جلَّ وعلا) وأن يستفيد الناس من لَحْظِك قبل لفظك،... بمعنى أن تدعو الناس بأعمالك وأخلاقك قبل أقوالك.

فالناس يتأثرون جدًّا بسلوكيات الداعية وأخلاقه أكثر من تأثرهم بأقواله.

۞ وقد يكون أكثر الناس تأثُّرًا بسلوكيات الداعية وأخلاقه هم المخالفون ... ويتضح هذا جيدًا من سيرة الرسول ﷺ.

فنحن نعلم أن المشركين آذوا النبى ﷺ كثيرًا وعفا عنهم ولم يعاقبهم بل دبروا مؤامرات كثيرة لقتله ومع ذلك لم يعاقب أحدًا بل عفا عن كل من تآمر عليه ... وقد رأينا كيف عفا عن أهل الطائف بعد كل ما فعلوه معه ورأيناه يوم فتح مكة لما وقف أمام هؤلاء القوم الذين آذوه واضطروه للخروج من مكة واتهموه فى عِرضه وآذوا أصحابه وإذا به يقول لهم: «**ما تظنون أنى فاعلٌ بكم؟**» قالوا: خيرًا أخٌ كريم وابن أخٍ كريم. فقال ﷺ: «**اذهبوا فأنتم الطُّلقاء**».

۞ وتأملوا معى تلك المشاهد وكيف كانت ثمرتها.

وفى يوم.. خرج ﷺ مع أصحابه فى غزوة.. فلما كانوا فى طريق عودتهم.. نزلوا فى وادٍ كثير الشجر.. فتفرق الصحابة تحت الشجر وناموا.. وأقبل ﷺ إلى شجرة فعلق سيفه بغصن من أغصانها.. وفرش رداءه ونام..

فى هذه الأثناء كان رجل من المشركين يتبعهم.. فلما رأى رسول الله ﷺ خاليًا.. أقبل يمشى بهدوء.. حتى التقط السيف من على الغصن..

وصاح بأعلى صوته: يا محمد.. مَن يمنعك مني؟

فاستيقظ رسول الله ﷺ.. والرجل قائم على رأسه..

والسيف فى يده.. يلتمع منه الموت.. كان الرسول ﷺ وحيدًا.. ليس عليه إلا إزار.. أصحابه متفرقون عنه.. نائمون.. والرجل يعيش نشوة القوة والانتصار..

ويردد: من يمنعك مني؟ من يمنعك مني؟

فقال ﷺ بكل ثقة: «الله»..

فانتفض الرجل وسقط السيف من يده..

فقام ﷺ والتقط السيف وقال: «**من يمنعك مني؟**».

فتغير الرجل.. واضطرب.. وأخذ يسترحم النبى ﷺ.. ويقول: لا أحد.. كن خير آخذ..

فقال له ﷺ: «**تُسلم؟**».

قال: لا.. ولكن لا أكون فى قوم هم حربٌ لك.. فعفا عنه ﷺ..وأحسن إليه!! وكان الرجل ملكًا فى قومه.. فانصرف إليهم فدعاهم إلى الإسلام.. فأسلموا.

۞ وفى يوم آخر.. تجتمع قريش.. فينتدبون حصين بن المنذر الخزاعي... وهو أبو الصحابى الجليل عمران بن حصين.. ينتدبونه لنقاش النبى عليه الصلاة والسلام وردِّه عن دعوته..

يدخل أبو عمران على النبى ﷺ وحوله أصحابه.. فيردد عليه ما تُردده

قريش دومًا.. فرقت جماعتنا.. شتَّت شملنا.. والنبى ﷺ ينصت بلطف.. حتى إذا انتهى..

قال له ﷺ بكل أدب: «**أفرغت يا أبا عمران**»..

قال: نعم..

قال: «**فأجبنى عما أسألك عنه**»..

قال: قل.. أسمع..

فقال ﷺ: «**يا أبا عمران.. كم إلهًا تعبد اليوم؟**».

قال: سبعة..!! ستة فى الأرض.. وواحدًا فى السماء..!!

قال: «**فأيهم تُعد لرغبتك ورهبتك؟**».

قال: الذى فى السماء..

فقال ﷺ بكل لطف: «**يا حصين أما إنك لو أسلمت علَّمتك كلمتين ينفعانك**»..

فما كان من حصين إلا أن أسلم فى مكانه فورًا.. ثم قال: يا رسول الله.. علمنى الكلمتين اللتين وعدتني.. فقال ﷺ: «**قل: اللهم ألهمنى رشدي.. وأعذنى من شر نفسي**»[1]..

---

(١) ضعيف: رواه الترمذى، وضعفه الألبانى فى المشكاة (٢٤٧٦)، وضعيف الجامع (٤٠٩٨).



كلامك حلو

۞ إن نعمة اللسان نعمة جليلة لو أحسن الإنسان استخدامها وهو فى نفس الوقت باب من أبواب النار لو أساء الإنسان استعماله.

ولذا قال النبى ﷺ: «**إذا أصبح ابن آدم فإن الأعضاء كلها تُكفِّر اللسان**[1] **فتقول: اتقِ الله فينا، فإنما نحن بك، فإن استقمت استقمنا، وإن اعوججت اعوججنا**»[2].

۞ فمن الناس من إذا تكلم لا تسمع منه إلا الكلمة الطيبة والألفاظ الجميلة وكأنه ينتقى كلامه كما يُنتقى أطايب التمر.

ومنهم من إذا تكلم فإنك تشعر وكأنه يُلقى صخورًا وأحجارًا على من حوله ... ولذلك تجد أن الناس يفرحون كثيرًا بمجالسة الأول؛ لأنهم لا يسمعون منه إلا الكلام الطيب وهم فى نفس الوقت لا يحبون رؤية الثانى ولا مجالسته؛ لأن كلامه يؤذيهم.

۞ ولذا كان النبى ﷺ يحذر دائمًا من سوء الخلق وبذاءة اللسان والألفاظ النابية والكلمات الجارحة.

فها هو يقول لمعاذ بن جبل عندما سأله عما يُدخله الجنة ويباعده عن النار: «**لقد سألتنى عن عظيم وإنه ليسير على من يسره الله عليه، تعبد الله لا تشرك به شيئًا، وتقيم الصلاة المكتوبة، وتؤتى الزكاة المفروضة، وتصوم رمضان، وتحج البيت**».

---

(١) أى: تذل وتخضع له.

(٢) صحيح: رواه الترمذى وابن خزيمة والبيهقى وحسنه الألبانى فى صحيح الجامع (٣٥١).

ألا أدلك على أبواب الخير؟ الصوم جُنة، والصدقة تطفئ الخطيئة كما يطفيء الماء النار، وصلاة الرجل فى جوف الليل.

ألا أخبرك برأس الأمر وعموده وذِروة سنامه؟ رأس الأمر الإسلام؛ مَن أسلم سَلِمَ، وعموده الصلاة، وذروة سنامه الجهاد.

ألا أخبرك بملاك ذلك كله؟ كُفَّ عليك هذا» – وأشار إلى لسانه – قال: يا نبى الله! وإنا لمؤاخذون بما نتكلم به؟ قال: «ثكلتك أمك يا معاذ! وهل يَكُب الناس فى النار على وجوههم إلا حصائد ألسنتهم»[(١)].

۞ فكم من لسان أوقع صاحبه فى حفرة من حفر النار وكم من لسان رفع صاحبه فى الجنة درجات ... ولذا وصف الله أهل الجنة بصفاتٍ كثيرة كان من بينها: ﴿وَهُدُوٓاْ إِلَى ٱلطَّيِّبِ مِنَ ٱلْقَوْلِ﴾[(٢)].

۞ ولذلك لما سأل عقبة بن عامر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ رسول الله ﷺ وقال له: ما النجاة؟ أى: كيف ننجو: قال له النبى ﷺ: «املُكْ عليك لسانك وليسعك بيتك وابكِ على خطيئتك»[(٣)].

۞ تستطيع أن تفوز بمحبة الله ومحبة الناس، بلسانك الحلو ... تستطيع أن تظفر بملايين الحسنات، بلسانك الذاكر لله (جلَّ وعلا) ... تستطيع أن تُصلح بين الناس بلسانك وأن تكون أسعد الناس بلسانك .. وأن تكون أنجح داعية بلسانك .. وأن يشتاق الناس جميعًا للقائك ومجالستك بلسانك وكلامك الحلو.

---

(١) صحيح: رواه أحمد والترمذى والحاكم وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (٥١٣٦).

(٢) سورة الحج: الآية: (٢٤).

(٣) صحيح: رواه الترمذى وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (١٣٩٢).

ذُكر أن ملكًا مُعظَّمًا رأى فى منامه أن أسنانه تساقطت.. فاستدعى أحد المُعبرين.. وقَصَّ عليه الرؤيا وسأله عن تعبيرها؟!

فتغير المُعبر لما سمعها.. وجعل يردد: أعوذ بالله.. أعوذ بالله..

فزع الملك وقال: ما تعبير رؤياي؟!

فقال المعبر: تمضى عليك السنون.. ويموت أولادك وأهلك جميعًا.. وتبقى فى مُلكك وحدك..

فصاح الملك.. وغضب.. وسَبَّ ولعن.. وأمر بالمعبر أن يُسحب ويُجلد..

ثم دعا بمُعَبِّرٍ آخر.. وقَصَّ عليه الرؤيا.. وسأله عن تعبيرها.. فابتهج ذاك المعبر.. وتبسم.. وأظهر البشاشة.. وقال: أبشر.. خير.. خير.. أيها الملك..

قال الملك: ما تعبير الرؤيا؟

قال المعبر: هذا معناه: أنك سيطول عمرك جدًّا.. حتى تكون آخر أهلك موتًا.. وتبقى طول عمرك ملكًا.. فاستبشر الملك وأمر له بالأُعطيات.. وبقى راضيًا عليه.. ساخطًا على الآخر!!

مع أنك لو تأملت لوجدت أن التعبيرين متماثلان متطابقان.. لكن الأول عبَّر بأسلوب، والآخر عبر بأسلوب آخر..

۞ فاعمل بنصيحتى لتَسعد فى الدنيا والآخرة.. اجعل لسانك وكلامك حلوًا.

لا تلعنه .. إنه يحب الله ورسوله ﷺ

۞ أكثر الناس الذين نخالطهم مهما بلغ أحدهم من السوء.. إلا أنه لا يخلو من خير وإن كان قليلًا.. فلو استطعنا أن نعثر على مفتاح الخير لكان حسنًا.. اشتهر عن بعض المجرمين.. أنه كان يسطو على بيوت الناس ويسرق أموالهم.. لينفق بعضها على ضعفاء وأيتام!! أو يبنى بها مساجد!! أو كالتى ترى أيتامًا جوعى فتزنى لتُحصِّل مالًا تسد به جوعهم..

بنى مسجدًا لله من غير حِلِّه … فكان بحمد الله غيرَ موفقِ

كمُطعمة الأيتام من كدِّ عرضها … لك الويل لا تزنى ولا تتصدقي

وكم من حامل سكين ليطعن بها.. فاستعطفه طفل أو امرأة فرقَّ قلبه.. وألقى سكينه عنه.. إذًا عامل الناس جميعًا بما تعلم فيهم من خير.. قبل أن تسيئ الظن بهم.. نبينا وقرة أعيننا محمد ﷺ.. بلغ من خُلقه أنه كان يلتمس المعاذير للمخطئين.. ويحسن الظن بالمذنبين.. وكان إذا قابل عاصيًا ينظر فيه إلى جوانب الإيمان قبل جوانب الشهوة والعصيان.. ما كان يسيئ الظن بأحد.. يعاملهم كأنهم أولاده وإخوانه.. يحب لهم الخير كما يحبه لنفسه ... كان رجل فى عهد النبى ﷺ قد ابتُلى بشرب الخمر.. فأتوا به يومًا وقد شرب خمرًا إلى رسول الله ﷺ فأمر به فجُلد.. ثم مرت أيام.. فشرب خمرًا.. فجيء به أخرى فجُلد.. ومرت أيام.. ثم جيء به قد شرب خمرًا.. فجُلد.. فلما ولى خارجًا.. قال رجل من الصحابة: لعنه الله.. ما أكثر ما يُؤتى به!! فالتفت إليه ﷺ.. وقد تغير وجهه فقال له: «**لا تلعنه.. فوالله ما**

علمت إلا أنه يحب الله ورسوله»[١].. فإذا تعاملت مع الناس فكن عادلًا.. اذكر الخير الذى فيهم.. وأَشعرهم أن شرّهم لم يجعلك تنسى خيرهم.. فهذا يقربهم إليك.. [٢].

(١) صحيح: رواه البخارى (٦٣٩٨).

(٢) استمتع بحياتك (ص ٢٥٤).

اللهم أَفْرِحهم فى الآخرة كما أفرحتهم فى الدنيا

۞ قال إبراهيم الأطروش: كان معروف الكرخى قاعدًا على دجلةَ ببغداد، إذْ مرّ بنا أحداث فى زورقٍ يضربون الملاهى، ويشربون، فقال له أصحابه: أما ترى أن هؤلاء فى هذا الماء يعصون الله؟ ادعُ عليهم. فرفع يده إلى السماء، وقال: إلهى، وسيدى، أسألك أن تُفرّحهم فى الجنة، كما فرّحتهم فى الدنيا. فقال له أصحابه: إنما قلنا لك ادعُ الله عليهم، لم نقُل لك ادعُ الله لهم. فقال: إذا فرّحهم فى الآخرة تابَ عليهم فى الدنيا، ولم يضرّكم بشىء[1].

۞ وكان له كلمات أغلى من الذهب ... فمن ذلك أنه قال يومًا لرجل: «تَوَكَّلْ عَلَى اللهِ حَتَّى يكُونَ هُوَ أَنِيسُكَ وَمَوْضِعُ شَكْوَاكَ وَلْيكُنْ ذِكْرُ الْمَوْتِ جَلِيسكَ لَا يفَارِقَكَ وَاعْلَمْ أَنَّ الشِّفَاءَ مِنْ كَلِّ بَلَاءٍ نَزَلَ بِكِ كِتْمَانُهُ فَإِنَّ النَّاسَ لَا ينْفَعُونَكَ وَلَا يضُرُّونَكَ وَلَا يمْنَعُونَكَ وَلَا يُعْطُونَكَ»[2].

وقَالَ إِبْرَاهِيمَ بْنَ الْجُنَيدِ: كَانَ مِنْ دُعَاءِ مَعْرُوفٍ: «لَا تَجْعَلْنَا بثناء النَّاسِ مَغْرُورِينَ وَلَا بِالسِّتْرِ مَفْتُونِينَ اجْعَلْنَا مِمَّنْ يؤْمِنُ بِلِقَائِكَ وَيرْضَى بِقَضَائِكَ وَيقْنَعُ بِعَطَائِكَ وَيخْشَاكَ حَقَّ خَشْيتِكَ»[3].

وقَالَ: «إِذَا أَرَادَ اللهُ بِعَبْدٍ خَيرًا فَتْحَ عَلَيهِ بَابَ الْعَمَلِ وَأَغْلَقَ عَنْهُ بَابَ الْجَدَلِ وَإِذَا أَرَادَ بِعَبْدٍ شَرًّا أَغْلَقَ عَلَيهِ بَابَ الْعَمَلِ وَفَتَحَ عَلَيهِ بَابَ الْجَدَلِ»[4].

---

(١) صفة الصفوة (٢/ ٣٢١).

(٢) حلية الأولياء (٨/ ٣٦٠) وأول الخبر فى طبقات الصوفية (٨٧).

(٣) حلية الأولياء (٨/ ٣٦١).

(٤) طبقات الصوفية (٨٧).

أصحاب القلوب الحية

۞ عن عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قَدِم على النبى ﷺ سبىٌ فإذا امرأة من السبى تسعى، إذ وجدت صبيًّا فى السبى أخذته فألصقته ببطنها وأرضعته، فقال لنا النبى ﷺ: «**أترون هذه طارحة ولدها فى النار؟**» فقلنا: لا وهى تقدر على أن لا تطرحه، فقال: «**لله أرحم بعباده من هذه بولدها**»(١).

وانتفع ابن الجوزى بهذا الموقف من سيرة النبى ﷺ ثم قال: «لو صَفَتْ لك فكرة كان لك فى كل شيء عبرة، كل المخلوقات بين مُخوِّف ومُشوِّق، حر الصيف يُذكِّر حر جهنم، وبرد الشتاء محذِّر من زمهريرها، والخريف ينبه على اجتناء ثمار الأعمار، والربيع يحث على طلب العيش الصافي»(٢).

وعاش رجالات السلف الصالح هذه المواقف وبرهنوا على صدق اتباعهم لنبيهم واقعًا عمليًّا ومواقف يومية ... فهذا عطاء السُّلَمى نسج ثوبًا فأحكمه وحسَّنه، ثم حمله إلى السوق، فعرضه فاسترخصه البزَّاز (الخياط) وقال: إن فيه عيوبًا كيت وكيت، فأخذه عطاء وجلس يبكى بكاءً شديدًا، فندم الرجل على ذلك، وجعل يعتذر إليه، ويبذل له فى ثمنه ما يريد فقال عطاء: «ليس ذلك ما تظن؛ إنما أنا عامل فى هذه الصناعة، وقد اجتهدت فى إصلاح هذا الثوب وإصلاحه وتحسينه حتى لا يوجد به عيب، فلما عُرض على البصير بعيوبه، أظهر فيه عيوبًا كنت عنها غافلًا، فكيف أعمالنا هذه إذا

---

(١) متفق عليه: رواه البخارى (٥٩٩٩)، ومسلم (٢٧٥٤).

(٢) المدهش (ص ٣٩١).

عُرضت غدًا على الله سبحانه؟! كم يبدو فيها من العيوب والنُّقصان؟!»[١].

۞ وهذا هشام الدستوائى يطفئ السراج إلى الصبح ويقول: إذا رأيت الظُّلمة ذكرت ظُلمة القبر!!

وكان بعض السلف إذا شرب الماء البارد فى الصيف بكى وتذكَّر أمنية أهل النار حينما يشتهون الماء، وينادون أهل الجنة: ﴿أَنْ أَفِيضُواْ عَلَيْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ﴾.

وصُبَّ على رأس بعض الصالحين ماءٌ فوجده شديد الحر، فبكى وقال: ذكرت قوله تعالى: ﴿يُصَبُّ مِن فَوْقِ رُءُوسِهِمُ ٱلْحَمِيمُ﴾.

وأحد الصالحين يمشى ذات يوم فوجد رجلًا يشوى لحمًا فبكى، فقال له الرجل: ما يُبكيك؟ أَوَ محتاج إلى اللحم؟ قال: لا إنما أبكى على ابن آدم يدخل الحيوان النار ميتًا وابن آدم يدخلها حيًّا.

وطفل مبارك يُعلِّم الكبار ... رأى أهله يوقدون نارًا للطعام، فلما نظر إليها جعل يبكى، فقالوا له: لماذا تبكي؟ قال: وجدتكم تبدؤون بصغار الحطب قبل كباره.

وكان البعوض إذا وقع على ظهر إبراهيم العجلى وكتفه يتأذى منه ثم يقول لنفسه:

وأنت تأذَّى من حسيس بعوضة　　　فللنار أشقى ساكنين وأوجع[٢]

ونختم بموقف الحسن البصرى الذى حضر مجلسًا جمع شيوخًا

---

(١) منهاج العابدين (٢٣٤، ٢٣٥).

(٢) التخويف من النار (ص ١١٢) ابن رجب.

وشبابًا فقال: معشر الشيوخ ما يُصنع بالزرع إذا طاب. قالوا يُحصد ثم التفت فقال: معشر الشباب! كم من زرع لم يبلغ قد أدركته الآفة فأهلكته، وأتت عليه الجائحة فأتلفته، ثم بكى وتلا: ﴿وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾[1][2].

(١) سورة إبراهيم: الآية: ٢٥.

(٢) الحسن البصري (ص ٩٧، ٩٨).

كيف تكسب قلوب الآخرين؟

۞ جُبل الناس على حب من يمدحهم بما فيهم، وبما ليس فيهم.

فإذا أردت أن تكسب قلوبهم فانظر إلى أجمل ما فى كل إنسان وامدحه بما فيه وسوف ترى كيف أن قلبه قد انفتح لك وأصبحت قريبًا منه حبيبًا إليه .. فالمدح مفتاح القلوب.

۞ **فإذا رأيت شخصًا لأول مرة فقل له:**

سبحان الله!.. هذه أول مرة أراك ومع ذلك فقد دخلت إلى قلبي.. لا أدرى كيف!!

والله إنك أحب إلىَّ من آلاف الناس.. (وفعلًا أنت صادق فهو مسلم أحب إليك حتمًا من ملايين الكفار)..

سيفرح ويشكر لك لُطفك..

فإذا أردت أن تقدم له النصيحة فسوف يتقبل منك نصيحتك بكل حب.

۞وكذلك استعمل هذه الأساليب مع كل شخص تعالج سلوكه..

مثل:شخص يتهاون بالصلاة..

أو أب يهمل بناته فيتكشفن.. ويتساهلن بالحجاب..

أو شاب عاق لوالديه..

لأجل أن يقبلوا منك لا بد أن تمارس المهارات المناسبة..

نعم.. استخدم العبارات اللطيفة فى إصلاح خطأ الآخر.. كن مؤدبًا.. محترمًا لرأيه.. قل له: أنا ما أنصحك إلا لأنى أعلم.. أنك تقبل النصح..

وفى التنزيل العزيز يقول الله: ﴿إِذَا نَـٰجَيۡتُمُ ٱلرَّسُولَ فَقَدِّمُواْ بَيۡنَ يَدَيۡ نَجۡوَىٰكُمۡ صَدَقَةٗۚ ..﴾(١).

وقد كان المربى الحكيم ﷺ يستعمل طرقًا ومهارات تجعل من يعدل سلوكهم لا يملكون إلا أن يقبلوا منه..

أراد ﷺ يومًا أن يُعلِّم معاذ بن جبل ذكرًا يقوله بعد الصلاة..

فأقبل إلى معاذ وقال: «يا معاذ!.. والله إنى أحبك.. فلا تدعن فى دُبر كل صلاة أن تقول: اللهم أعنِّى على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك»..

بالله عليك.. ما علاقة المقطع الأول من الكلام «**والله إنى أحبك**»..

بالمقطع الثانى «**لا تدعن أن تقول: اللهم أعنى على ذكرك**»؟!(٢)

قد يكون الأنسب لقوله: (إنى أحبك) أن يقول بعدها وأريد أن أزوجك ابنتى – مثلًا – أو أعطيك مالًا.. أو أدعوك إلى طعام..

ولكن أن يتبع خبر المحبة تعليمه ذكرًا من أذكار الصلاة.. !! فهذا يحتاج إلى تأمل..

أتدرى ما موقع قوله: «والله إنى أحبك»؟ إنه التهيئة لقبول النصيحة.. بمشاعر صادقة.. فإذا ارتاحت نفس معاذ واستبشر، أعطاه النصيحة..

۞ وفى موقف آخر..

قبض ﷺ يد عبد الله بن مسعود بيده اليمنى، ثم وضع يده اليسرى فوقها، كنوعٍ من العطف والتهيئة، ثم قال: **«يا عبد الله!... إذا جلست فى**

---

(١) سورة المجادلة: الآية (١٢).

(٢) صحيح: رواه أبو داود، والنسائى فى الكبرى، وأحمد، وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (٧٩٦٩).

التشهد فقل: التحيات لله والصلوات والطيبات، السلام عليك أيها النبى ورحمة الله وبركاته..».

حفظها عبد الله ووعاها..

ومضت الأعوام ومات رسول الله ﷺ..

فكان عبد الله يفخر بذلك ويقول: علمنى رسول الله ﷺ التشهد وكفِّى بين كفيه..

۞ وفى يوم آخر لاحظ ﷺ أن عمر رضي الله عنه إذا طاف بالكعبة وحاذى الحجر الأسود..

زاحم الناس وقبَّله.. وكان صلبًا قوى البدن.. وربما زاحم الضعفاء..

فأراد ﷺ أن يقدم له نصيحة..فقال – على سبيل التهيئة لقبول النصيحة–: «**يا عمر! إنك رجل قوي**».. فرح عمر بهذا الثناء...

فقال ﷺ: «**فلا تزاحمن عند الحجر..**».

۞ ومرة أُخرى أراد أن ينصح ابن عمر بقيام الليل.. فقال: «**نِعم الرجل عبد الله لو كان يقوم الليل..**» [1].

وفى رواية قال: «يا عبد الله! لا تكن مثل فلان.. كان يقوم الليل.. فترك قيام الليل».. [2]

نعم.. كان ﷺ يستعمل هذا الأسلوب الرائع مع جميع الناس [3].

---

(١) متفق عليه: رواه البخارى (١١٠٥)، ومسلم (٢٤٧٩).

(٢) متفق عليه: رواه البخارى (١١٠١)، ومسلم (١١٥٩).

(٣) استمتع بحياتك (٣٦٧-٣٧٠).

ابتسم فى وجه الفقير

۞ إن الفقير ليس له ذنب فى فقره وإن المريض ليس له ذنب فى مرضه وإن الضعيف ليس له ذنب فى ضعفه.

فلماذا يتعامل بعض الناس مع الفقراء والضعفاء بشيء من الكبر والتعالى والقسوة.

۞ إن قلب الفقير قد يكون منكسرًا لأنه ربما لا يجد اهتمامًا ولا توقيرًا من الناس من حوله بينما يرى بعينيه مدى الحب والتوقير والاحترام الذى يظفر به الغنى وإن لم يكن أهلًا لذلك.

۞ لذا نجد أن النبى ﷺ كان يتعامل مع الناس ويعطف عليهم ولا يُفرق أبدًا بين غنى أو فقير أو بين وزير أو خفير، فالكل عنده سواء بل كان يزيد من اهتمامه بالفقراء والمساكين ويجالسهم وذلك لعلمه بتلك الكسرة التى تملأ قلوبهم من عدم اهتمام الناس بهم.

ولذا كان من دعاء النبى ﷺ: «اللهم أحينى مسكينًا وأمتنى مسكينًا واحشرنى فى زُمرة المساكين»(١).

۞ ولذا كان يُقرِّب الفقراء ويُكثر من الجلوس معهم بل ويمزح معهم من أجل أن يَجْبُر كَسر قلوبهم.

قال أنس رضي الله عنه: كان رجل من أهل البادية اسمه زاهر بن حرام. وكان ربما جاء المدينة فى حاجة فيهدى للنبى ﷺ من البادية شيئًا من أقط أو سمن فيُجهزه رسول الله ﷺ إذا أراد أن يخرج إلى أهله بشيء من تمر ونحوه.

---

(١) صحيح: رواه ابن ماجة والطبرانى فى الكبير وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (١٢٦١).

وكان النبى ﷺ يحبه.. وكان يقول: «**إن زاهرًا باديتنا.. ونحن حاضروه**»..

وكان زاهرٌ دميمًا..

خرج زاهر رضي الله عنه يومًا من باديته.. فأتى بيت رسول الله ﷺ.. فلم يجده.. وكان معه متاع فذهب به إلى السوق..

فلما علم به النبى ﷺ مضى إلى السوق يبحث عنه.. فأتاه فإذا هو يبيع متاعه.. والعرق يتصبب منه.. وثيابه ثياب أهل البادية بشكلها ورائحتها..

فاحتضنه ﷺ من ورائه، وزاهر لا يُبصره.. ولا يدرى مَن أمسكه..

ففزع زاهر وقال: أرسلني.. من هذا؟

فسكت النبى عليه الصلاة والسلام..

فحاول زاهر أن يتخلص من القبضة.. وجعل يلتفت وراءه.. فرأى النبى ﷺ فاطمأنت نفسه..

وسكن فزعه..

وصار يُلصق ظهره بصدر النبى ﷺ حين عرفه.. فجعل النبى ﷺ يمازح زاهرًا.. ويصيح بالناس ويقول: «**من يشترى هذا العبد؟**».. «**من يشترى هذا العبد؟**»..

فنظر زاهر فى حاله.. فإذا هو فقير كسير.. لا مال.. ولا جمال..

فقال: إذًا والله تجدنى كاسدًا يا رسول الله..

فقال ﷺ: «**لكنّك عند الله لست بكاسدٍ.. أنت عند الله غالٍ**»[1]..

۞ ومن أجل ذلك تعلقت قلوب الفقراء بالنبى ﷺ.

---

(١) صحيح: رواه أحمد، وابن حبان، وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (٢٠٨٧)، ومختصر الشمائل (٢٠٤).

۞ فيا أيها الأخ الحبيب .. ويا أيتها الأخت الفاضلة:

قد يكون الإحسان إلى الفقير بالبسمة الحانية والمعاملة الطيبة والإحسان إليه بابًا من أبواب الجنة.

فكم من فقير أحسنت إليه وابتسمت فى وجهه فقام فى جوف الليل ليدعو لك بخيرى الدنيا والآخرة.

وكم من فقير جبرت كَسْرَه فكان سببًا فى أن يَجْبُر الله كَسْرك فى الدنيا والآخرة.

۞ لقد كان الربيع رجلًا كريمًا سخيًّا فى بيته، إذا جاءه سائل يقول: أطعموهُ سُكَّرًا فإن الربيع يحب السُّكر.

وذات يوم كان يأخذ مجلسه من الطعام وقد جاء ابنه يقول: يا أبت إن أُمى قد صنعت لك طعامًا طيبًا فيه حلوى تحبُّه، وتود أن تأكل منه فقال: هاته يا بُنى.

فانصرف الفتى يحضر الطعام، وجاء سائل يطرق الباب فقال الربيع: ادخل، فدخل السائل وقد كان رجلًا كهلًا ممزق الثياب، وبدا من ملامح وجهه أنه معتوهُ لا يدرى ما يفعل.

وأقبل الفتى بالطعام المحبَّب إلى قلب أبيه الربيع بن خثيم، فأشار إليه أبوه بأن يضع الطعام بين يدى السائل؛ ففعل الفتى.

فأقبل السائل على الطعام يلتهمه التهامًا، وظل على حاله حتى أتى عليه كله فلم يُبقِ منه شيئًا.

فامتعض ابنه وقال: أبعد تعب أمى يا أبى تعطيه للسائل، إنه لا يدرى الحلو من المر.

فقال الربيع: على رِسلك يا بُنى، إذا كان هو لا يدرى فإن الله يدرى، أما سمعت يا بنى قول الله ﷻ: ﴿لَن تَنَالُواْ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَ﴾(١).

فانصرف الفتى مقتنعًا بما نصحه به أبوه.

۞ وفى يوم من الأيام اشتهى الربيع أن يأكل لحم الدجاج فأخذ يقاوم نفسه أربعين يومًا... ثم قال لامرأته: والله لقد اشتهيت لحم دجاج منذ أربعين يومًا، فكففتُ نفسى رجاء أن تكف فأبت. فقالت امرأته: سبحان الله! وأىُّ شىءٍ هذا فتكُف نفسك عنه، وقد أحلَّ الله لك. فأرسلت امرأتُه إلى السوق، فاشترت له دجاجة بدرهم ودانقين، فذبحتها وشوتها، وخبزت له خُبزًا، وجعلت له أصباغًا، ثم جاءت بالطعام حتى وضعته بين يديه، فلما ذهب ليأكل قام سائل على الباب فقال: تصدقوا علىَّ بارك الله فيكم. فكَفَّ عن الأكل وقال لامرأته: خذى هذا فَلُفِّيه وادفعيه إلى السائل. فقالت: امرأتُه: سبحان الله! فقال: افعلى ما أمرتك به. قالت: فأنا أصنعُ ما هو خيرٌ له وأحب إليه من هذا. قال: وما هو؟ قالت: نُعطيه ثمن هذا، وتأكُل أنت لحم الدجاج قال: أحسنت، ائتينى بثمنه. قال: فجاءت بثمن الدجاجة والخبز والأصباغ، فقال: ضعيه على هذا وادفعيه جميعًا إلى السائل(٢).

وكان الربيع لا يُعطى السائل أقل من رغيف، ويقول: إنى لأستحى أن يُرى فى ميزانى أقلُ من رغيف(٣).

۞ هكذا كان كرمه وسخاؤه - رحمه الله رحمة واسعة-.

(١) سورة آل عمران: الآية: (٩٢).

(٢) صفة الصفوة (٣/ ٦٤-٦٥).

(٣) صفة الصفوة (٣/ ٦٧).

لا حزن بعد اليوم

۞ ارفع هذا الشعار من الآن.. فعلى أى شيء تحزن؟!

وهل هناك شيء فى الدنيا يستحق أن نحزن عليه ... إذا كانت الدنيا بكل ما فيها لا تساوى عند الله جناح بعوضة فكم حصَّلت أنت من ذلك الجناح ... وهل هناك أحدٌ صَفَتْ له الدنيا.

قال الشاعر:

متى تصفُو لك الدنيا بخيرٍ　　إذا لم ترضَ منها بالمزاجِ
ألم تَرَ جوهَرَ الدنيا المصفَّى　　ومخرجهُ من البحرِ الأُجاجِ
ورُبَّ مُخيفةٍ فجأتْ بِهوْلٍ　　جرتْ بمسرَّةٍ لك وابتهاجِ
ورُبَّ سلامةٍ بَعْدَ امتناعٍ　　ورُبَّ إقامةٍ بَعْدَ اعوِجاجِ

۞ إذن.. فلا تحزن حتى لا يأكل الحزن قلبك.

يقول الدكتور «جوزيف ف. مونتاغيو» مؤلف كتاب «مشكلة العصبية»، يقول فيه: «أنت لا تُصاب بالقُرْحَةِ بسببِ ما تتناولُ من طعامٍ، بل بسببِ ما يَأْكُلُك» !!.

يقول دايل كارنيجى: «إن الزنوج الذين يعيشون فى جنوبِ البلادِ والصينيين نادرًا ما يُصابون بأمراض القلبِ الناتجةِ عن القلقِ؛ لأنهم يتناولون الأمور بهدوء» .

ويقول: «إن عدد الأمريكيين الذين يُقبلون على الانتحار هو أكثر بكثير من الذين يموتون نتيجة للأمراض الخمسة الفتَّاكة» .

عشرون وصفة لتجنُّب القلق

۞ فى مجلّةِ (أهلًا وسهلًا) بتاريخ ٣ / ٤ / ١٤١٥هـ مقالةٌ بعنوان «عشرون وصفةٍ لتجنُّبِ القلق» بقلم د. حسان شمسى باشا.

۞ من معانى هذه المقالةِ:

إنَّ الأجلَ قد فُرِغ منهُ، وإنَّ كلَّ شيءٍ بقضاءٍ وقدرٍ، فلا يأْسفِ العبدُ، ولا يحزنْ على ما يجري. إنَّ رزق المخلوقِ عند الخالقِ فى السماءِ، فلا يملكُه أحدٌ، ولا يتصرَّفُ فيه قومٌ، ولا يمنعُه إنسانٌ. وإنَّ الماضى قدْ ذَهَبَ بهمومِه وغمومِه، وانتهى فلنْ يعود، ولو اجتمع العالمُ بأسْرِه على إعادتِه.

وإنَّ المستقبل فى عالمِ الغيْبِ، ولم يحضرْ إلى الآن، ولم يستأذِن عليك، فلا تسْتدْعِهِ حتى يأتي. وإنَّ الإحسان إلى الناسِ يُضفى على القلبِ سرورًا، وعلى الصدرِ انشراحًا، وهو يعودُ على مُسديهِ أعْظَمَ بركةٍ وثوابٍ وأجرٍ وراحةٍ ممنْ أُسدى إليهِ.

ومنْ شِيمِ المؤمنِ عدمُ الاكتراثِ بالنقْدِ الجائر الظالمِ، فلمْ يَسْلَمْ من السَّبِّ والشَّتْمِ حتى ربُّ العالمين، الذى هو الكاملُ الجليلُ الجميلُ، تقدَّستْ أسماؤُه [1].

---

(١) لا تحزن (ص ٢٧٨).

عنقود من الجنة

۞ عن ابن عباس رضي الله عنهما أنَّ بعض الصحابة فى صلاة الكسوف قالوا: يا رسول الله رأيناك تناولت شيئًا فى مقامك ثم رأيناك تكعكعت، فقال ﷺ: «**إنى رأيت الجنة فتناولت عنقودًا ولو أصبته لأكلتم منه ما بقيت الدنيا**»(١).

آه ... يا ليت رسول الله ﷺ قطف هذا العنقود لتشاهده العيون فتزداد بذلك يقينًا، ولكن أنَّى له ذلك وهو غيب؟! ونحن مُمتَحنون بالإيمان بهذا الغيب، ولن يكون الغيب شهادة إلا عندما ندخل الجنة وتظهر نتيجة الامتحان.

أيقن الحجاج بن فرافصة بفاكهة الجنة. رآه الصحابة واقفًا فى سوق الفاكهة فقيل له: ما تصنع هنا؟! قال: «أنظر إلى هذه المقطوعة الممنوعة»(٢).

مشيرًا إلى ما وصف الله ﷻ به فاكهة الجنة فى كتابه الكريم فقال: ﴿لَّا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ﴾(٣).

لا مقطوعة: فلا تنقطع زمانًا بانقطاع فواكه الشتاء فى الصيف، وفواكه الصيف فى الشتاء.

ولا ممنوعة: فلا تمنع مكانًا ببعد مكان أو بعلو ثمن بل إذا اشتهاها العبد دنت منه ثم دنت حتى تبلغ فاه فيأكلها.

فإن حُرم العبد فاكهة الدنيا لضيق ذات اليد فإن له أن يُصبِّر نفسه على

---

(١) متفق عليه: رواه البخارى (١٠٥٢)، ومسلم (٩٠٧).

(٢) حلية الأولياء (٣/ ١٠٨).

(٣) سورة الواقعة: الآية: (٣٣).

طريقة سلمة بن دينار فيمر على الفاكهة ويقول مُسلِّمًا: «موعدك الجنة»[(١)].

۞ إخواني: قايسوا بين الدنيا والآخرة ... قايسوا الفناء بالخلود قارنوا التعب والعناء بالراحة والهناء، ثم اختاروا ما بدا لكم ... تعلَّموا من يونس ابن عُبيد وقد شكا رجل إليه وجعًا يجده في بطنه فقال له يونس ناصحًا إياه: «إن هذه دار لا توافقك فالتمس دارًا توافقك»[(٢)(٣)].

---

(١) حلية الأولياء (٢/ ٩٦).

(٢) حلية الأولياء (٣/ ٢٢).

(٣) البحث عن اليقين (ص ٤٧ - ٤٨).

قصة الغنى والمريض والعبد المملوك

۞ عَنْ مُجَاهِدٍ ، قَالَ:

«يُؤْتَى بِثَلَاثَةٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ: بِالْغَنِيِّ ، وَالْمَرِيضِ ، وَالْعَبْدِ الْمَمْلُوكِ ، فَقَالَ لِلْغَنِيِّ: مَا يَمْنَعُكَ مِنْ عِبَادَتِي؟ فَيَقُولُ: يَا رَبِّ، أَكْثَرْتَ لِي مِنَ الْمَالِ فَطَغَيْتُ، فَيُؤْتَى بِسُلَيْمَانَ فِي مُلْكِهِ فَيَقُولُ: أَنْتَ كُنْتُ أَشَدَّ شُغْلًا مِنْ هَذَا.

قَالَ: يَقُولُ: لَا ، بَلْ هَذَا ، قَالَ: فَإِنَّ هَذَا لَمْ يَمْنَعْهُ ذَلِكَ أَنْ عَبَدَنِي.

قَالَ: ثُمَّ يُؤْتَى بِالْمَرِيضِ قَالَ: فَيَقُولُ: مَا يَمْنَعُكَ مِنْ عِبَادَتِي؟ قَالَ: يَقُولُ: شُغِلْتُ عَلَى جَسَدِي ، قَالَ: فَيُؤْتَى بِأَيُّوبَ فِي ضُرِّهِ ، فَيَقُولُ: أَنْتَ كُنْتَ أَشَدَّ ضُرًّا مِنْ هَذَا؟ قَالَ: لَا ، بَلْ هَذَا.

قَالَ: فَإِنَّ هَذَا لَمْ يَمْنَعْهُ ذَلِكَ أَنْ عَبَدَنِي.

قَالَ: ثُمَّ يُؤْتَى بِمَمْلُوكٍ فَيَقُولُ: مَا مَنَعَكَ مِنْ عِبَادَتِي؟ فَيَقُولُ: يَا رَبِّ ، جَعَلْتَ عَلَيَّ أَرْبَابًا يَمْلِكُونَنِي ، قَالَ: فَيُؤْتَى بِيُوسُفَ فِي عُبُودِيَّتِهِ ، فَيَقُولُ: أَنْتَ كُنْتُ أَشَدَّ عُبُودِيَّةً أَمْ هَذَا؟

قَالَ: لَا ، بَلْ هَذَا ، قَالَ: فَإِنَّ هَذَا لَمْ يَمْنَعْهُ ذَلِكَ أَنْ عَبَدَنِي»[1].

---

(١) شُعب الإيمان (٩٩٩٩).

سماء القدوات

۞ من فوائد ذكر الصالحين وضرب نماذج المتقين إبطال كيد الشيطان وإغاظته والنيل منه وغزوِه فى عُقر داره، .... والأمر كما قال الرافعى: «فإن أسماء الزُّهاد والعُباد والصالحين هى فى تاريخ الشياطين كأسماء المواقع التى تنهزم فيها الجيوش»[١].

ومن فوائدها كذلك معرفة قدر نفسك إن كان الغرور والعجب قد بدأ يتسلل إليك، فتقطع الطريق على الشيطان من البداية وتبطل كيده والغواية.

ومن فوائدها الارتقاء إلى سماوات القدوات إن كانت الدنيا قد أظلمت من قلة الصالحين وكثرة الرويبضات، والتطلع إلى اللآلئ الغالية بدلًا من التحديق فى الأصداف الخاوية، وعندها «يحق لمن رأى الراحلين إلى الحبيب وهو قاعد أن يبكى، ولمن سمع بأخبار الواصلين وهو متباعد أن يقلق»[٢].

كُن كالصحابة فى زهدٍ وفى ورع ... القوم هُم ما لهم فى الناس أشباهُ
عُبَّاد ليلٍ إذا جَنَّ الظلام بهم ... كم عابدٍ دمعه فى الخدِّ أجراهُ
وأُسدُ غابٍ إذا نادى الجهاد بهم ... هَبُّوا إلى الموت يستجدون رؤياه
يا رب فابعث لنا من مثلهم نفرًا ... يُشيدون لنا مجدًا أضعناهُ

وانظروا كيف حرص كل صالح – مهما بلغ من صلاحه – على صحبة

(١) وحى القلم (١/ ٤٣٥).
(٢) المدهش (ص ٥١٩).

من هو أفضل منه، وما لهذا المبدأ من أثر رائع لا يتصور.

فسفيان الثورى الذى كان يُشبَّه فى زمانه بأبى بكر وعمر فى زمانهما يقول: «إنى لأشتهى من عمرى كله أن أكون سنة واحدة مثل عبد الله بن المبارك، فما أقدر أن اكون ولا ثلاثة أيام»[١].

لكن من هو عبد الله بن المبارك؟!

عبد الله بن المبارك إمام من أئمة السلف، ثرى من أرباب الأموال، لكنه مع هذا زاهد مجاهد، عالم محدِّث حافظ، فضائله لا تُحصى ... جمع خصائل الخير كلها وحاز من الفضل أعلاه ويكفيك أن تعلم أنه حين اجتمع جماعة مثل الفضل بن موسى ومخلد بن الحسين ومحمد بن النضر قالوا: «تعالوا حتى نَعُدَّ خصال ابن المبارك من أبواب الخير فقالوا: العلم، والفقه، والأدب، والنحو، واللغة، والزهد، والشعر، والفصاحة، وقيام الليل، والعبادة، والحج، والغزو، والشجاعة، والفروسية، والقوة، وترك الكلام فيما لا يعنيه، والإنصاف، وقلة الخلاف على أصحابه»[٢].

لذا وجب على سفيان مع جلال قدره وعلو شأنه أن يقتدى بهذه المنظومة الشمولية النادرة المتفردة، لكن بمن كان يقتدى أمثال عبد الله بن المبارك إذا أصابهم الفتور وحلَّ عليه التعب من مواصلة السير؟!.

قال ابن المبارك يومًا: «إذا نظرت إلى فضيل بن عياض جدَّد لى الحزن ومقتُّ نفسي»، ثم بكى.

وكذلك كان الربيع بن خيثم يقارن نفسه دومًا بمن هو أعلى وأتقى،

---

(١) صفة الصفوة (٤/ ١٣٨).

(٢) تاريخ الإسلام.

وهل هناك من هو أعلى من ذلك وأرقى؟! فيبكى حتى يبل لحيته من دموعه ويقول: «أدركنا قومًا كنا فى جنوبهم لصوصًا»[١]، وإذا كان الربيع يرى نفسه لصًّا فى جنب هؤلاء فماذا أكون أنا وأنت؟[٢].

(١) الزهد/ للإمام أحمد (ص ٤٦٩).

(٢) جرعات الدواء (ص ١٧٨ - ١٨٠).

هكذا يكون البر

❁ إنها صورة عجيبة لحفصة بنت سيرين (رحمها الله) وكان ابنها (الهذيل) يبرها برًّا عجيبًا.

عن هشام بن حسان قال: كان الهذيل بن حفصة يجمع الحطب فى الصيف فيقشره ويأخذ القصب، فيفلقه ... قالت حفصة: وكنت أجد قرة[١] فكان إذا جاء الشتاء جاء بالكانون، فيضعه خلفى وأنا فى مُصلاى، ثم يقعد فيوقد بذلك الحطب المقشر وذاك القصب المفلق وقودًا لا يؤذى دخانه ويدفئنى. نمكث بذلك ما شاء الله. قالت: وعنده من يكفيه لو أراد ذلك.

قالت: وربما أردت أن أنصرف إليه، فأقول: يا بنى ارجع إلى أهلك، ثم أذكر ما يريد فأدعه.

قالت حفصة: فلما مات رزقنى الله عليه من الصبر ما شاء أن يرزق غير أنى كنت أجد غصة لا تذهب. قالت فبينا أنا ذات ليلة أقرأ سورة النحل إذ أتيت على هذه الآية: ﴿ وَلَا تَشْتَرُواْ بِعَهْدِ ٱللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا ۚ إِنَّمَا عِندَ ٱللَّهِ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٩٥﴾ مَا عِندَكُمْ يَنفَدُ ۖ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ بَاقٍ ۗ وَلَنَجْزِيَنَّ ٱلَّذِينَ صَبَرُوٓاْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴾[٢] قالت: فأعدتها فأذهب الله ما كنت أجد.

قال هشام: وكانت له لقحة[٣]. قالت حفصة: كان يبعث إلىَّ بحلْبة بالغداة فأقول: يا بُنى إنك لتعلم أنى لا أشربه، أنا صائمة.

فيقول: يا أم الهذيل إن أطيب اللبن ما بات فى ضروع الإبل اسقيه من شئت[٤].

(١) أى: بردًا.

(٢) سورة النحل: الآيتان: (٩٥، ٩٦).

(٣) اللقحة: هى الناقة الحلوب غزيرة اللبن.

(٤) صفة الصفوة (٤/ ٢٤٧).

بل هو خيرٌ لكم

﴿لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾[١]. بعضُ العباقرةِ شَقُّوا طريقهم بصمودٍ لإحساسِهم بنقصٍ عارضٍ،... فكثيرٌ من العلماءِ كانوا موالى، كعطاءٍ، وسعيدِ بن جُبيْرٍ، وقَتَادَةَ، والبخارى، والترمذى، وأبى حنيفة.

وكثيرٌ منْ أذكياءِ العالمِ وبحورِ الشريعةِ أصابهُم العمى، كابن عباسٍ، وقتادة، وابنِ أمِّ مكتوم، والأعمشِ، ويزيدِ بنِ هارون.

ومن العلماء المتأخرين: الشيخُ محمدُ بنُ إبراهيم آل الشيخ، والشيخُ عبدُاللهِ بنُ حميد، والشيخُ عبدُالعزيزِ بنُ بازٍ... وقرأتُ عن أذكياء ومخترعين وعباقرةٍ عَرَبٍ كان بهمْ عاهاتٌ، فهذا أعمى، وذاك أصمُّ وآخرُ أعرجُ، وثانٍ مُقْعَدٌ، ومع ذلك أثَّروا فى التاريخ، وأثَّروا فى حياةِ البشريةِ بالعلومِ والاختراعاتِ والكشوفِ. ﴿وَيَجْعَل لَّكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ﴾[٢].

ليستِ الشهادةُ العلميةُ الراقيةُ كلَّ شيءٍ،... لا تهتمَّ ولا تغتمَّ ولا تضِقْ ذَرْعًا لأنك لم تنل الشهادة الجامعية، أو الماجستير، أو الدكتوراه، فإنها ليستْ كل شيء، بإمكانِك أنْ تؤثِّرَ وأنْ تلمع وأنْ تقدّم للأمةِ خيرًا كثيرًا، ولوْ لمْ تكنْ صاحب شهادةٍ علميةٍ. كمْ منْ رجلٍ شهيرٍ خطيرٍ نافعٍ لا يحملُ شهادةً، إنما شقَّ طريقه بعصاميَّتِهِ وطموحِه وهمَّتِه وصمودِه.

نظرتُ فى عصرِنا الحاضرِ فرأيتُ كثيرًا من المؤثِّرين فى العلمِ الشرعى والدعوةِ والوعى والتربيةِ والفكرِ والأدبِ، لم يكنْ عندهمْ شهاداتٌ

(١) سورة النور: الآية: (١١).
(٢) سورة الحديد: الآية: (٢٨).

عالميةٌ، مثلُ الشيخ ابن بازٍ، والعقادِ، والطنطاوى، وأبى زهرة، والمودودى والندوى، وجمعٍ كثيرٍ.

ودونك علماء السلفِ، والعباقرة الذين مرُّوا فى القرونِ المفضَّلةِ.

نفسُ عصامٍ سوَّدتْ عِصاما وعلَّمتْهُ الكرَّ والإقداما

وعلى الضدِّ منْ ذلك آلافُ الدكاترةِ فى العالمِ طولًا وعرضًا، ﴿هَلْ تُحِسُّ مِنْهُم مِّنْ أَحَدٍ أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزًا﴾[1]. القناعةُ كَنْزٌ عظيمٌ.

وفى الحديثِ الصحيحِ: «**ارضَ بما قسم اللهُ لك تَكُنْ أغنى الناسِ**»[2].

ارض بأهلِك، بدخْلِك، بمرْكبِك، بأبنائِك، بوظيفتِك، تجدِ السعادة والطمأنينة.

وفى الحديثِ الصحيحِ: «**الغِنى غِنى النفسِ**»[3].

وليس بكثرةِ العرضِ ولا بالأموالِ ولا بالمنصبِ، لكن براحة النفسِ، ورضاها بما قَسَمَ الله.

وفى الحديثِ الصحيحِ: «**إنَّ الله يحبُّ العبد الغنى التقى الخفيَّ**»[4].

وحديثِ: «**اللهمَّ اجعلْ غناه فى قلبِهِ**».

قال أحدُهم: ركبتُ مع صاحبِ سيارةٍ من المطارِ، متوجّهًا إلى مدينةٍ من المدنِ، فرأيتُ هذا السائق مسرورًا جذِلًا، حامدًا للهِ وشاكرًا، وذاكرًا لمولاهُ، فسألته عن أهلِه فأخبرنى أنَّ عنده أسرتين، وأكثر منْ عشرةِ أبناءٍ،

---

(١) سورة مريم: الآية: (٩٨).

(٢) حسن: رواه الترمذى، وأحمد، وحسنه الألبانى فى صحيح الجامع (١٠٠).

(٣) متفق عليه: رواه البخارى (٦٠٨١)، ومسلم (١٠٥١).

(٤) سورة مريم: الآية: (٩٨).

ودخلُهُ في الشهرِ ثمانمائةِ ريالٍ فَحَسْبُ، وعنده غُرفٌ قديمةٌ يسكنُها هو وأهلُه، وهو مرتاح البالِ، لأنهُ راضٍ بما قَسَمَ اللهُ لهُ.

قال: فعجبتُ حينما قارنتُ بين هذا وبين أُناسٍ يملكونُ ملياراتٍ من الأموالِ والقصورِ والدورِ، وهمْ يعيشون ضنْكًا من المعيشةِ، فعرفتُ أن السعادة ليستْ في المالِ.

عرفتُ خَبَرَ تاجرٍ كبيرٍ، وثرى شهيرٍ عندهُ آلافُ الملايين وعشراتُ القصورِ والدورِ، وكانَ ضيِّق الخُلُقِ، شرس التعامل ثائر الطبع، كاسف البالِ، مات في غربةٍ عنْ أهلِه، لأنهُ لم يَرْضَ بما أعطاهُ اللهُ إياه، ﴿ ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ ﴿١٥﴾ كَلَّآ إِنَّهُۥ كَانَ لِءَايَـٰتِنَا عَنِيدًا ﴾ (١).

عَرفْتُ أُناسًا ما أصابهمُ الفقْرُ والكدرُ وضيقُ الصَّدْرِ إلا بسببِ بُعْدِهم عنِ اللهِ ﷻ، فتجدُ أحدهم كان غنيًّا ورزقُهُ واسعًا، وهو في عافيةٍ منْ ربِّه، وفي خيرٍ منْ مولاه، فأعرض عنْ طاعةِ اللهِ، وتهاون بالصلاةِ، واقترف كبائر الذنوبِ، فسلبَه ربُّه عافية بدنِه، وَسَعَةَ رِزْقِهِ، وابتلاهُ بالفقْرِ والهمِّ والغمِّ، فأصبح منْ نكدٍ إلى نكَدٍ، ومنْ بلاءٍ إلى بلاءٍ ﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا ﴾ (٢) ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِّعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَىٰ قَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ ﴾ (٣)، وقوله تعالى: ﴿ وَمَآ أَصَـٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُوا۟ عَن كَثِيرٍ ﴾ (٤)، ﴿ وَأَلَّوِ ٱسْتَقَـٰمُوا۟ عَلَى ٱلطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَـٰهُم مَّآءً غَدَقًا ﴾ (٥).

---

(١) سورة المدثر: الآيتان: (١٥-١٦).

(٢) سورة طه: الآية: (١٢٤).

(٣) سورة الأنفال: الآية: (٥٣).

(٤) سورة الشورى: الآية: (٣٠).

(٥) سورة الجن: الآية: (١٦).

ودِدتُ أنَّ عنـدى وصـفةً سـحريَّة ألقيهـا علـى همومـك وغمومِـك وأحزانِك، فإذا هى تلْقفُ ما يأفِكون، لكنْ مِنْ أين لي؟! ولكنْ سوف أخبرُك بوصفةٍ طبيَّةٍ منْ عيادةِ علماءِ الملَّةِ وروَّاد الشَّريعةِ، وهى: اعبُدِ الخالق، وارضَ بالرزقِ، وسلِّمْ بالقضاءِ، وازهدْ فى الدُّنيا، وقصِّرِ الأمل. انتهى.

عجبتُ لعالِم نفسانيٍّ شهيرٍ أمريكى، اسمُهُ (وليم جيمس)، هو أبو علِم النفسِ عندهم، يقولُ: إننا نحنُ البشرُ نفكِّرُ فيما لا نملكُ، ولا نشكرُ الله على ما نملكُ، وننظرُ إلى الجانبِ المأسوى المظلمِ فى حياتِنا، ولا ننظرُ إلى الجانب المشْرقِ فيها، ونتحسَّرُ على ما ينقصُنا، ولا نسعدُ بما عندنا، ﴿لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾ (١)، «وأعوذُ باللهِ منْ نفسٍ لا تَشْبَعُ» (٢).

وقال ﷺ: «**مَنْ كَانَتِ الآخِرَةُ هَمَّهُ جَعَلَ اللهُ غِنَاهُ فِى قَلْبِهِ وَجَمَعَ لَهُ شَمْلَهُ، وَأَتَتْهُ الدُّنْيَا وَهِى رَاغِمَةٌ، وَمَنْ كَانَتِ الدُّنْيَا هَمَّهُ جَعَلَ اللهُ فَقْرَهُ بَيْنَ عَيْنَيْهِ، وَفَرَّقَ عَلَيْهِ شَمْلَهُ، وَلَمْ يَأْتِهِ مِنَ الدُّنْيَا إِلَّا مَا قُدِّرَ لَهُ**» (٣).

---

(١) سورة إبراهيم: الآية: (٧).

(٢) لا تحزن (ص ٢٤٤-٢٤٨) بتصرف

(٣) صحيح: رواه الترمذى، وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (٦٥١٠).

الأيام دول

۞ قال تعالى: ﴿كُلَّ يَوۡمٍ هُوَ فِي شَأۡنٖ﴾[1] يشفى مريضًا ويُمرض صحيحًا، ويُغنى فقيرًا، ويُفقر غنيًا ويُعز ذليلًا، ويُذل عزيزًا .. وهكذا.

فالذكى هو الذى يُحسن إلى الناس ويتعامل معهم بكل أدب وتواضع ورحمة (ابتغاء مرضاة الله) فإذا مالت به الدنيا وجد الناس جميعًا حوله يقفون بجانبه .. وأما إذا تعامل الإنسان مع من حوله بكل كبر وغطرسة وقسوة فإن الأيام دول .. فقد يفقد ماله ومنصبه فى غمضة عين فلا يرى من الناس إلا الشماتة والبُغض ولن يرى واحدًا منهم يقف بجواره.

۞ ذُكر أنه كان فى إحدى القرى الريفية رجل غنى متسلط اشتهر باسم: «الباشا» كان يملك فدادين من المزارع.. كان متغطرسًا يمارس أصناف الإذلال على المزارعين الصغار.. دار الزمان دورته فأصاب أرضه ما أتلفها..

فأصبح فقيرًا بعد غنًى.. كسيرًا.. جاع أولاده وهو ليس عنده مصدر يتكسب منه.. ولا يعرف صنعة غير الزراعة.. لكن أرضه تالفة..

فخرج يبحث عن عمل.. أى عمل..

أقبل على مزرعة لأحد الفلاحين الضعفاء الذين ذاقوا من إذلاله قديمًا.. دخل عليه.. وقال بكل مذلة: هل أجد عندك عملًا.. أقطف الثمر.. أو أنقى الحبوب.. أو أقلم الأشجار.. أو..

فثار المزارع فى وجهه وقال: أنت تعمل عندي!! أنت المتكبر المتغطرس.. الحمد لله أن استجاب دعاءنا عليك وأذلك.. ثم طرده من بستانه..

---

(١) سورة الرحمن: الآية: (٢٩).

مضى يجر قدمى خيبته.. حتى دخل بستانًا آخر.. فإذا بفلاح له معه ذكريات أليمة.. فطرده كما طرده الأول..

مضى الباشا (!!) المسكين لا يلوى على شيء.. ولا يريد أن يرجع إلى أولاده خاليًا.. مَرَّ على مزرعة لفلاح ثالث.. فدخل ليجرب حظه معه..

رآه الفلاح فانبهر.. وقد ذاق أيضًا من إذلاله من قبل..

قال الباشا: أنا أبحث عن عمل.. أولادى جوعى..

فأراد الفلاح أن يُذله.. وأن ينتقم منه بأسلوب ذكي..

فقال له: أهلًا أيها الباشا!! نوَّرت بستاني!! مَن مثلى اليوم! الباشا الكبير يدخل أرضي!! أنت الباشا الكبير.. أنت الباشا الوجيه!! أنت.. وجعل يخدره بهذه العبارات.. حتى صار الباشا منومًا تنويمًا مغناطيسيًّا!!

ثم قال الفلاح: مرحبًا وأهلًا.. عندى عمل.. لكنى لا أدرى هل يناسبك أم لا؟

قال الباشا: وما هو؟

قال: اليوم سوف أحرث الأرض.. وعندى محراث يجره ثوران.. ثور أبيض وثور أسود.. والثور الأسود اليوم مريض ولا يستطيع أن يعمل.. والثور الأبيض لا يطيق جر الحراثة وحده.. فأريدك أن تقوم اليوم بوظيفة الثور الأسود.. فأنت قوى أيها الباشا.. أنت قائد.. أنت رئيس.. تسير فى الأمام دائمًا..

توجه الباشا بكل كبرياء إلى الحراثة.. ووقف بجانب الثور الأبيض.. أقبل المزارع إليه وبدأ بالثور الأبيض وربطه بالحبال ليجر المحراث..

ثم توجه إلى الباشا وهو يردد قائلًا: يا أحسن باشا فى العالم.. يا قوي..

يا بطل.. والباشا يتلفت فى زهو..

ثم ربط الحبال فى كتفى الباشا.. وركب هو على الحراثة معه السوط!!

وصاح: امشِ.. وضرب ظهر الثور فتحرك.. وتحرك الباشا يجر المحراث..

والفلاح يردد: جميل يا باشا.. ممتاز يا ملك..

ويضرب ظهر الثور.. ويصيح: أقوى يا باشا.. أحسن يا باشا!!

والباشا المسكين لم يتعود على ذلك.. لكنه كان يجر بكل قوته.. من الصباح حتى غابت الشمس.. وكأنه غائب العقل..

فلما انتهى.. فك الفلاح عنه الحبال.. وهو يقول: والله شغلك جميل يا باشا.. هذا أحسن يوم مَرَّ عليَّ يا باشا..

ثم ناوله بضعة جنيهات.. ومضى الباشا إلى بيته..

دخل على أولاده.. وقد تقرحت كتفاه.. وسالت الدماء من أسفل قدميه.. والعرق يغرق ثيابه.. و.. لكنه لا يزال منتشيًا مُخدَّرًا..

سأله أولاده: هاه.. هل وجدت عملًا؟!

فقال - بكل بفخر -: نعم.. أنا الباشا.. كيف لا أجد عملًا!

فقالوا: فماذا اشتغلت؟!

فقال: اشتغلت.. هاه!! اشتغلت!! وبدأ يصحو من تخديره..

ويدرك ما أصابه..

سكت قليلًا ثم قال: اشتغلت ثورًا!!![1].

---

(١) استمتع بحياتك (ص ٣٧٩-٣٨١).



بين المهاجرين والأنصار

۞ كيف يقعد قلب عن البذل والعطاء بعد ما أيقن بالجزاء؟! ولهذا فإن المهاجرين على ما نزل بهم من بلاء ونهكة الأعراض وبذل الدماء وهجرة الأوطان وقطع وشائج القربى فى سبيل الله أدُّوا ما عليهم تجاه الله ورسوله؛ طيبة بذلك نفوسهم، ثقة منهم بموعود ربهم، ولأنهم السابقون فى البذل والنصرة وبالتالى فى اليقين؛ فقد كافأ الله فقراءهم بكونهم أول من يدخل الجنة وذلك قبل الخلق أجمعين ليناموا فيها أربعين سنة!!

قال ﷺ: «**أول زمرة تدخل الجنة من أمتى فقراء المهاجرين؛ يأتون يوم القيامة إلى باب الجنة، ويستفتحون فيقول لهم الخزنة: أَوَ قد حُوسبتم؟ قالوا: بأى شيء نُحاسَب، وإنما كانت أسيافنا على عواتقنا فى سبيل الله حتى متنا على ذلك؟ فيُفتح لهم فيقيلون فيها أربعين عامًا قبل أن يدخلها الناس**»(١).

لكن لماذا فقراء المهاجرين بالذات؟! والجواب: لأنهم جمعوا إلى جانب تضحيات الهجرة تبعات الفقر وضغوطات الفاقة، فهم أعظم تضحية وأكثر بذلًا .... وتأمل فى الحديث السابق قوة حجتهم يوم القيامة فى مواجهة خزنة الجنة، وفخرهم المستحب وإعجابهم هناك بما قدموه هنا، مما تلمحه فى بشارة النبى ﷺ لهم وكأنه ينقل وقائع الأحداث مباشرة هناك من على أبواب الجنة!!

لكن هل يترك الأنصار إخوانهم المهاجرين يسبقونهم فى مضمار اليقين؟! كلا والله ... واسمعوا حين انطلق رسول الله ﷺ مع عمه العباس

(١) صحيح: رواه الحاكم والبيهقى فى شعب الإيمان عن ابن عمرو كما فى صحيح الجامع رقم (٩٦).

إلى السبعين من الأنصار عند العقبة تحت الشجرة، فقال قائلهم: سَلْ يا محمد لربك ما شئت، ثم سَلْ لنفسك بعد ذلك ما شئت، ثم أخبرنا ما لنا من الثواب على الله وعليكم إذا فعلنا ذلك. قال: «**أسألكم لربى أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئًا، وأسألكم لنفسى وأصحابى أو تؤوونا وتنصرونا وتمنعونا مما تمنعون منه أنفسكم**».

قالوا: فما لنا إذا فعلنا ذلك؟ ! قال: «**لكم الجنة**»[١].

وإن كنت تريد التأكد من قدر السلعة لأنك لم تعاينها قبل الشراء فاعلم أن (قدر السلعة يُعرف بقدر مشتريها، والثمن المبذول فيها، والمنادى عليها، فإذا كان المشترى عظيمًا، والثمن خطيرًا، والمنادى جليلًا، كانت السلعة نفيسة) [٢].

إنها الجنة واليقين بالجنة والشوق إلى الجنة، وهو الذى ألهب قلوب العاشقين ليقدموا ثمن المحبة ورسم الدخول ولو كان الروح، فهذا عمار ابن ياسر رضي الله عنه يوم اليمامة وهو واقف على صخرة؛ قد أشرف يصيح: «يا معشر المسلمين، أَمِن الجنة تفرون؟! أنا عمار بن ياسر، أَمِن الجنة تفرون؟! أنا عمار بن ياسر؛ هَلُمَّ إليَّ»، وكأن الموت مفتاح دخول الجنة أو أقصر الطرق إليها أو أسهل طريق.... واسمعه مرة أخرى يهتف: «الجنة تحت ظلال السيوف، والموت فى أطراف الأسنة، وقد فُتحت أبواب الجنة، وتزينت الحور العين، اليوم ألقى الأحبة محمدًا وصحبه» ثم حمل حتى قُتل[٣].

---

(١) البداية والنهاية (٣/ ١٦٤) بتصرف.

(٢) الفوائد (ص ٧٥).

(٣) الخبران فى كتاب حياة الصحابة (٢٩٢، ٢٩٣) بتصرف.

وسير الصحابة تمتلئ بهذه اللوحات الإيمانية الرفيعة التى يورث النظر إليها اليقين فى قلب المتأمل وذلك كلما أطال النظر وأعاده.

فأنس بن النضر ﷺ بلغ من يقينه بالجنة واقترابه منها بروحه أن ملكت عليه فكره، حتى شمَّ رائحتها يوم أُحد فلم يصبر عنها فقاتل حتى قُتل.

وسعد بن خيثمة ﷺ البار بأبيه يتوقف بِرُّه بأبيه عندما يتعلق الأمر بالجنة، فعندما يطلب منه أبوه أن يقعد عن القتال قائلًا: لابد لأحدنا أن يقيم؛ يقول: لو كانت غير الجنة لآثرتك بها، إنى لأرجو الشهادة فى وجهى هذا.

وحرام بن ملحان ﷺ يصيح فور أن يُقتل: فُزت ورب الكعبة!! وكأنه رأى الجنة على طرف السيف الذى قُتل به!!

وعمرو بن الجموح ﷺ يُصر على القتال حتى بعد أن عذره الله بعرجته طلبًا للنزهة فى أرجاء الجنة قائلًا: أحب أن أطأ بعرجتى الجنة.

وأبو الدرداء ﷺ يشتكى فيُذكره مرضه بالرحيل، والرحيل يدفع النفس إلى أن تفكر إلى أين، وحين يعوده أصحابه فى مرضه، ويظنونه مريضًا كأى مريض؛ يحاولون التهوين عليه والوقوف إلى جواره فيسألونه: ما تشتهي؟! فيقول: أشتهى الجنة!!

وهل دفعهم لهذا غير اليقين والشوق الذى قاد إليه اليقين؟! واسمعوا حال عاشق من أمثال ابن الجوزى حين باح بحبه، وأفهمنا بعض أسرار حماسة صحابة رسول الله ﷺ وشدة اندفاعهم نحو الجنة: «والله إنى لأتخيل دخول الجنة ودوام الإقامة فيها من غير مرضٍ ولا بُصاق ولا نوم ولا آفة تطرأ، بل صحة دائمة وأغراض متصلة لا يعترضها مُنغص، فى نعيم

متجدد فى كل لحظة، إلى زيادة لا تتناهى، فأطيش ويكاد الطبع يضيق عن تصديق ذلك، لو لا أن الشرع قد ضمنه، ومعلوم أن تلك المنازل إنما تكون على قدر الاجتهاد ها هنا، فواعجبًا من مُضيِّع لحظة فيها، فتسبيحه يغرس له فى الجنة نخلة أُكلها دائمٌ وظلها، فيا أيها الخائف من فوت ذلك شجِّع قلبك بالرجاء، ويا أيها المنزعج لذكر الموت: تلمَّح ما بعد مراره الشربة من العافية، فإنه من ساعة خروج الروح، لا بل قبل خروجها تنكشف المنازل لأصحابها(١).

وعلى حسب درجة اليقين تكون سرعة السير والانطلاق نحو الجنة، فمن ماشٍ، ومن مهرول، ومن راكضٍ، هكذا رآهم الزاهد الواعظ أبو زكريا يحيى بن معاذ حين لمحهم من بعيد فقال: «إنما ينبسطون إليه على قدر منازلهم لديه»(٢)(٣).

(١) صيد الخاطر (٣٣١).

(٢) حلية الأولياء (١٠/ ٥٣).

(٣) البحث عن اليقين (ص ٩٥- ٩٨).



نِعم الرب ربك

۞ جاء في مناقب عبد الله بن المبارك رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أنه كان يقاتل في جيش خراسان وحدث أن خرج لمبارزة مجوسي، فلما جاء وقت صلاة العصر استأذن ذلك المجوسي في هدنة قصيرة يؤمِّنه فيها على نفسه حتى يفرغ من الصلاة. وقال له: عاهدني على الأمان حتى أتمم صلاتي، فلما جاء الغروب وهو وقت الصلاة عند المجوسيين لأنهم يعبدون الشمس ويصلون لها وقت الشروق والغروب طلب المجوسي من عبد الله هدنة ليؤدي صلاته فعاهده على ألا يفتك به وقت الصلاة، ولكنه نظر إليه وهو ساجد ووسوس له الشيطان أن يقتله وبينما هو يُعد نفسه للوثوب عليه هتف به هتاف سماوي أن اتق الله يا عبد الله ﴿ وَأَوْفُوا۟ بِعَهْدِ ٱللَّهِ إِذَا عَٰهَدتُّمْ وَلَا تَنقُضُوا۟ ٱلْأَيْمَٰنَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ ٱللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا ﴾(١) فتراجع عنه وهو يردد هذه الآية وكان المجوسي قد فرغ من صلاته فسأله: لقد هممت بي سوءًا ثم عُدت دون أن تفعل شيئًا؟ فأخبره بما قاله الهاتف ﴿ وَأَوْفُوا۟ بِعَهْدِ ٱللَّهِ إِذَا عَٰهَدتُّمْ وَلَا تَنقُضُوا۟ ٱلْأَيْمَٰنَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا ﴾ فقال المجوسي نِعم الرب ربك يا عبد الله وإن ربًّا يعاتب حبيبه من أجل عدوه لهو رَبٌّ عظيم. ثم أسلم على يديه وحَسُن إسلامه. وكل هذا أيضًا ببركة الوفاء.

(١) سورة النحل: الآية: (٩١).

دعوة رحيمة

۞ لقد كان صلة بن أشيم رَحِمَهُ اللَّهُ يرفض الدعوة التى تقوم على الشدة والغلظة.

بل كان يرفع شعار البسمة والرحمة فى دعوته لكل من حوله.

۞ وتعالوا بنا لنتعايش مع موقفين من مواقف دعوته الرحيمة.

فقد كان فى كوكبة من أصحابه، يتحدثون فى أمر دينهم ويتسامرون، وبينما هم على هذه الحال مَرَّ بهم شاب ناضر الشباب رائع المحُيا، وقد أطال الشاب ثوبه حتى جعل يجره على الأرض إعجابًا بنفسه، وقد تبختر فى مشيته، فثار أصحابه على الشاب وأرادوا أن يؤذوه بألسنتهم، فقال لهم صِلةُ ابن أشيم العدوى: دعونى وإياه، أكفكم أمرهُ، ثم قال للشاب فى رفق وتودد: يا ابن أخى، إن لى عندك حاجة.

فتوقف الشاب على المسير وقال: وما هى يا عم؟

فقال: أن ترفع ثوبك، فإن ذلك أنقى لك ويحفظك مما تحمل الأرض، وأتقى لربك، وأقرب لسنة نبيك.

فخجل الفتى وقال: السمعُ والطاعةُ يا عم!! ثم بادر ورفع إزاره ومشى معتدلًا.

فنظر صِلةُ لأصحابه قائلًا: ما رأيكم؟! إن هذا أحسن وأجود مما كنتم تريدون، ولو أنكم ضاربتموه لضاربكم. وأبقى إزاره مرسلًا يمسحُ الأرض.

فتبسم أصحابه وشكروا له حُسن صنيعه، وجمال الحلم فيه(١).

---

(١) عصر التابعين / أ. عبد المنعم الهاشمى (ص: ٣٧٨ - ٣٧٩).

۞ أما الموقف الثانى:

فقد مرت به طائفةٌ من شباب البصرة وفتيانها، وقد امتلأت وجوههم حيوية ونشاطًا، وجرى فى عروقهم دم الشباب وأيفع كلٌّ منهم، وشَبَّ عن الطوق شامخًا، يلهو ويلعب، ويسرح ويمرح.

مرت هذه الكوكبةُ من فتيان البصرة لاهية لاعبة فحياهم بلطفٍ، وخاطبهم برفق، ثم أوقفهم وجعل يتحدث إليهم قائلًا: ما تقولون فى قوم أزمعوا وعزموا سفرًا لأمرٍ عظيم، غير أنهم كانوا فى النهار يحيدون عن الطريق ليلهوا ويلعبوا، وفى الليل يبيتون ليستريحوا، فمتى ترونهم يُنجزون رحلتهم وسفرهم ويبلغون غايتهم؟!

ثم انصرف إلى غايته ولم يكرر الحديث ولم ينتظر سماع الإجابة، بل ترك الفتية وذهب، وكلما لقيهم قال مقولته هذه.

فقام شابٌّ منهم وقال: والله ما قصد الشيخ بكلامه سوانا، فنحن بالنهار فى لهوٍ مستمر، وفى الليل فى نوم طويل، وانطلق إليه فاتَّبعه وصاحبه وسمع منه، ولم يفارقه حتى مات.



كُن كالهواء

۞ من الناس صنف كالهواء «يملأ» الفراغ من حولنا، و«ينتشر» بيننا موزعًا نسماته وبركاته على كل من يمر به، سجية فى النفس وطبعًا لا تَكَلُّفَ فيه وكما لا نستشعر أهمية الهواء حتى نفقده، وعندها يصيبنا الاختناق ونشعر بالألم فكذلك هذا النوع الفريد من البشر نحس أن أرواحنا أصابها لون من ألوان الموت بفقده، فلا يعود هناك ما نستنشقه من عبير كلماته، وعطر أفعاله،... ولا أدرى ما سبب عدم إحساسنا بقيمة هذا الجيل الذى يتوازن بهم الكون فلا يضطرب، ويرحم الله بهم عباده فلا ينزل بهم العذاب؟!

أهى النفس الجحودة التى لا تدرك النعمة إلا بعد فقدها، أم هو النسيان المغروس فى طبيعة البشر، أم هى أعباء الدنيا المتلاحقة تُلقى غشاوتها على الأبصار والأفئدة، أم هذه الثلاثة مجتمعة؟![1].

---

(١) يا صاحب الرسالة/ د. خالد أبو شادى (ص ١٥- ١٦).

اطرد الملَلَ من حياتِكَ

۞ إن مَنْ يعِشْ عمرَهُ على وتيرةٍ واحدة جديرٌ أن يصيبَهُ الملَلُ؛ لأن النفس ملولةٌ، فإنَّ الإنسانَ بطبعهِ يَمَلُّ الحالةَ الواحدةَ؛ ولذلكَ غايَرَ سبحانَهُ وتعالى بين الأزمنةِ والأمكنةِ، والمطعوماتِ والمشروباتِ، والمخلوقاتِ، ليلٌ ونهارٌ، وسهلٌ وجبَلٌ، وأبيضُ وأسودُ، وحارٌّ وباردٌ، وظلٌّ وحَرُور، وحُلْوٌ وحامضٌ، وقدْ ذكر اللهُ هذا التنوُّعَ والاختلافَ في كتابِهِ:

﴿يَخْرُجُ مِنْ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ﴾[(١)] ﴿صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ﴾[(٢)] ﴿مُتَشَابِهًا وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ﴾[(٣)] ﴿وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا﴾[(٤)] ﴿وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ﴾[(٥)].

وقد ملَّ بنو إسرائيل أجود الطعام؛ لأنهمْ أداموا أكْله: ﴿لَنْ نَصْبِرَ عَلَى طَعَامٍ وَاحِدٍ﴾[(٦)]... وكان المأمونُ يقرأُ مرةً جالسًا، ومرةً قائمًا، ومرةً وهو يمشي، ثم قال: النفسُ مَلولةٌ، ﴿الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِهِمْ﴾[(٧)].

ومن يتأمَّل العباداتِ، يَجِدْ التنوُّعَ والجدَّةَ... فأعمالٌ قلبيَّةٌ وقوليةٌ وعمليةٌ وماليةٌ ... صلاةٌ وزكاةٌ وصومٌ وحجٌّ وجهادٌ ...والصلاةُ قيامٌ

---

(١) سورة النحل: الآية: (٦٩).
(٢) سورة الرعد: الآية: (٤).
(٣) سورة الأنعام: الآية: (١٤١).
(٤) سورة فاطر: الآية: (٢٧).
(٥) سورة آل عمران: الآية: (١٤٠).
(٦) سورة البقرة: الآية: (٦١).
(٧) سورة آل عمران: الآية: (١٩١).

وركوعٌ وسجودٌ وجلوسٌ، فمنْ أراد الارتياح والنشاط ومواصلةَ العطاءِ فعليهِ بالتنويعِ فى عملِهِ، واطلاعِهِ وحياتِهِ اليوميَّةِ، فعندَ القراءةِ مثلًا يُنوِّع الفنونَ، ما بين قرآنٍ وتفسيرٍ وسيرةٍ وحديثٍ وفقهٍ وتاريخٍ وأدبٍ وثقافةٍ عامَّةٍ، وهكذا، يوزِّع وقته ما بين عبادةٍ وتناولِ مباحٍ، وزيارةٍ واستقبالِ ضيوفٍ، ورياضةٍ ونزهةٍ، فسوفَ يجدُ نفسَهُ متوثِّبةً مشرقةً؛ لأنها تحبُّ التنويعَ وتستملح الجديدَ.

له فى الندى والبأس يومان عاشهما ... وما منهما إلَّا أغرُّ محجَّلُ

فيومٌ يُغيثُ الناسَ مِنْ مُزْنِ كفِّهِ ... ويومٌ يَصبُّ الموتَ والجيشُ جحفلُ[1]

---

(١) لا تحزن/ د. عائض القرنى (ص ٧٨-٧٩).

رجل لا تحرقه النار!!!

❁ قال بعض الصالحين:

دخلت إلى «مصر» فوجدتُ حدَّادًا يُخرج الحديد بيده من النار ويقلّبه على السِّندال ولا يجد لذلك ألمًا، فقلتُ في نفسي: هذا عبد صالح لا تعدو عليه النار، فدنوتُ منه وسلّمت عليه فردّ عليَّ السلام، فقلتُ له: بالذى مَنَّ عليك بهذه الكرامة إلا ما دعوت لى، فبكى وقال: والله يا أخى ما أنا كما ظننت.

فقلتُ له: يا أخى إن هذا الذى تفعله لا يقدر عليه إلا الصالحون.

فقال: إن لهذا الأمر حديثًا عجيبًا.

فقلت له: إن رأيت أن تُعرفنى به فافعل.

قال: نعم، قال: كنت يومًا من الأيام جالسًا فى هذه الدكان، وكنت كثير التخليط، إذ وقفت عليَّ امرأة لم أرَ قطّ أحسن منها وجهًا، فقالت: يا أخى هل عندك شيء لله؟

فلما نظرت إليها فُتنتُ بها وقلتُ لها:

هل لك أن تمضى معى إلى البيت وأدفع ما يكفيك؟

فنظرت إليّ زمانًا طويلًا فذهبت وغابت عنىّ طويلًا ثم رجعت وقالت: يا أخى قد أحوجتنى الضرورة إلى ما ذكرت.

قال: فقفلت الدكان ومضيتُ إلى البيت، فقالت لى:

يا هذا إن لى أطفالًا وقد تركتهم على فاقة شديدة فإن رأيت أن تعطينى شيئًا أذهب به إليهم وأرجع إليك فافعل.

قال: فأخذتُ عليها العهود والمواثيق ودفعتُ لها بعضًا من الدراهم فمضت وغابت ساعة ثم رجعت فدخلتُ بها إلى البيت وأغلقت الباب فقالت: لِمَ فعلت هذا؟

فقلتُ لها: خوفًا من الناس!

فقالت: ولِمَ لا تخاف من رب الناس؟!

فقلتُ لها: إنه غفور رحيم.

ثم تقدمت إليها فوجدتها تضطرب كما تضطرب السعفة فى يوم ريح عاصف، ودموعُها تتحدّر على خدّيها فقلت لها:

مِمَّ اضطرابك وبكاؤك؟

فقالت: خوفًا من الله ﷻ.

ثم قالت لى: يا هذا إن أنت تركتنى لله دعوت الله لك ألا يعذّبك بالنار فى الدنيا والآخرة.

قال: فقمت وأعطيتها جميع ما عندى وقلت لها:

يا هذه قد تركتك خوفًا من الله ﷻ.

فلمّا فارقتنى غلبتنى عينى فنمت فرأيت امرأة لم أر قطّ أحسن منها وجهًا وعلى رأسها تاج من الياقوت الأحمر، فقالت لى: جزاك الله عنا خيرًا.

قلت لها: من أنت؟

قالت: أنا أمُّ الصِّبية التى أتتك وتركتها خوفًا من الله ﷻ لا أحرقك الله بالنار فى الدنيا ولا فى الآخرة.

ثم أفقتُ من نومى ومن ذلك الوقت لم تعدُ عليَّ النار وأرجو أن لا تعدو عليَّ فى الآخرة».

الحسنة بعشرة أمثالها

۞ حُكِي عن عبد الله بن المبارك رَحِمَهُ ٱللَّهُ أنه جاء إليه في بعض الأيام سائل ليسأله شيئًا من الطعام، فلم يجد عنده أى شيء سوى عشر بيضات فأمر جاريته بأن تعطيه إياها، فأعطته تسعًا وخبَّأت واحدة فلما كان وقت غروب الشمس، جاء رجل فدقَّ الباب وقال: خذوا منى هذه السلة، فخرج عليه عبد الله وأخذها منه، فرأى فيها بيضًا، فعدَّه فإذا هو تسعون بيضة، فقال لجاريته: أين البيضة الأخرى؟ كم أعطيتِ السائل؟ فقالت: أعطيته تسعًا، وتركت واحدة نفطر عليها، فقال لها: غرَّمتِنا عشرًا.

لقاء على حوض النبى ﷺ

۞ قال ﷺ: «**حوضى مسيرة شهر وزواياهُ سواء وماؤه أبيضُ من اللبن وريحه أطيب من المسك وكيزانه كنجوم السماء من يشرب منه فلا يظمأ أبدًا**»(١).

۞ لقد علمنا أن النبى ﷺ قال للأنصار: «**إنكم ستجدون بعدى أثرة فاصبروا حتى تلقونى على الحوض**»(٢).

۞ بل ها هو يعطى موعدًا لآخر لخادمه الأمين أنس بن مالك رضي الله عنه ليلقاه على الحوض.

عن أنس رضي الله عنه قال: سألت رسول الله ﷺ أن يشفع لى يوم القيامة. قال: «**أنا فاعل إن شاء الله**» قال: فأين أطلبك؟ قال: «**أول ما تطلبنى على الصراط**» قلت: فإن لم ألقك؟ قال: «**فاطلبنى عند الميزان**» قلت: فإن لم ألقك عند الميزان؟ قال: «**فاطلبنى عند الحوض فإنى لا أخطئ هذه الثلاث مواطن**»(٣).

۞ لقد بلغ اليقين فى قلب أنس مَبلغًا عظيمًا فأصبح وكأنه يرى نفسه واقفًا يوم القيامة فى أرض المحشر فيسأل النبى ﷺ عن المكان الذى سيقابله فيه وسط تلك الأمواج البشرية من لَدُن آدم عليه السلام إلى قيام الساعة.

فتعالوا بنا لنجتهد فى طاعة الله (جل وعلا) واتباع نبيه ﷺ عسى أن نلقاه على الحوض لنشرب من يده الشريفة شربة هنيئة مريئة لا نظمأ بعدها أبدًا.

---

(١) متفق عليه: رواه البخارى (٦٥٧٩)، ومسلم (٢٢٩٢).

(٢) متفق عليه: رواه البخارى (٢٣٧٦)، ومسلم (١٠٦١).

(٣) صحيح: رواه الترمذى عن أنس، وصححه الألبانى فى المشكاة (٥٥٩٥).

هكذا تكون الصلاة

۞ دخل عصام بن يوسف على حاتم الأصم، في مجلسه، فقال: يا حاتم تُحسن تصلي؟ قال: نعم. قال: كيف تصلي؟ قال حاتم الأصم: أقوم بالأمر، وأمشى بالخشية، وأدخل بالنية، وأُكبِّر بالعظمة، وأقرأ بالترتيل والتفكير، وأركع بالخشوع، وأسجد بالتواضع، وأجلس للتشهد بالتمام، وأُسلِّم بالنية، وأختمها بالإخلاص لله ﷻ، وأرجع على نفسى بالخوف، أخاف أن لا يقبل الله منى، وأحفظه بالجهد إلى الموت.

قال: تكلم فأنت تحسن تصلي.

۞ وقيل للحسن رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: كيف كنتم تُصلون على عهد رسول الله ﷺ؟ فقال: كنا نصلى وكأننا واقفين على الصراط وكأن الجنة عن اليمين والنار عن الشمال والكعبة من أمامنا وملك الموت من خلفنا ينتظر قبض أرواحنا بعد تلك الصلاة ونحن جميعًا بين يدى الله (جلَّ وعلا) فإذا صلينا لا ندرى هل قُبلت صلاتنا أم رُدَّت علينا.



واستعينوا بالصبر والصلاة

۞ **أيها الأخ الحبيب.. أيتها الأخت الفاضلة:** إننا على يقين من أن الدنيا لا تخلو أبدًا من الآلام والأحزان، وأنها دار ابتلاء وامتحان، ومن أجل ذلك فنحن نحتاج إلى صبر جميل ليس فيه ضجر ولا تسخُّط على قضاء الله (جل وعلا) فإن التحلِّي بالصبر من شيم الأفذاذ الذين يتلقون المكاره برحابة الصدر.

فمن الناس من ابتُلى بضيق الرزق فضاق صدره لذلك مع أنه يعلم يقينًا أن الدنيا بكل ما فيها من كنوزٍ وثروات لا تساوى جناح بعوضة عند رب الأرض والسماوات.

ومن الناس من ابتُلى فى صحته وعافيته فداهمته الأمراض حتى أصبح طريح الفراش... ولم يعلم أن الراحة والنعيم لن يكونا إلا فى جنة الرب الرحيم (جل وعلا).. فهناك تجد الصحة التى ليس معها مرض وتجد الشباب الذى لا يتسرب إليه العجز والشيخوخة وتجد النعيم الذى لا يخالطه بؤسٌ أبدًا.

عن أبى سعيد وأبى هريرة رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «إذا دخل أهل الجنة الجنة يُنادى مُنادٍ: إن لكم أن تحيوا فلا تموتوا أبدًا، وإن لكم أن تصحُّوا فلا تسقمُوا أبدًا، وإن لكم أن تشبُّوا فلا تهرموا أبدًا، وإن لكم أن تنعموا فلا تبأسوا أبدًا»(١).

وقال ﷺ: «إن الرجل من أهل الجنة ليُعطَى قوة مائة رجل فى الأكل والشرب

---

(١) صحيح: رواه مسلم (٢٨٣٧) كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها.

والشهوة والجماع حاجةُ أحدهم عرقٌ يفيض من جلده، فإذا بطنُه قد ضمر»(١).

ومن الناس من ابتُلى بغير ذلك من أنواع البلاء... ولذلك فنحن نحتاج جميعًا أن تترسخ فى نفوسنا عقيدة الإيمان بالقضاء والقدر.

أخى الحبيب: اصبر وما صبرك إلا بالله، اصبر صبر واثق بالفرج، عالم بحسن المصير، طالب للأجر، راغب فى تكفير السيئات، اصبر مهما ادلهمَّت الخطوب، وأظلمت أمامك الدروب، فإن النصر مع الصبر، وإن الفرج مع الكرب، وإن مع العسر يسرًا.

إن هذه العقيدة إذا رسخت فى نفسك وقرَّت فى ضميرك صارت البَلية عطية، والمحنة منحة، وكل الوقائع جوائز وأوسمة **«ومن يُرد الله به خيرًا يُصب منه»** فلا يصيبك قلق من مرض أو موت ابن، أو خسارة مالية، أو احتراق بيت، فإن البارى قد قدر والقضاء قد حَلَّ، والاختيار هكذا، والخيرة لله، والأجر حصل، والذنب كُفِّر(٢).

يا صاحب الهم إن الهم منفرجٌ — أبشر بخيرٍ فإن الفارج اللهُ
اليأس يقطع أحيانًا بصاحبه — لا تيأسن فإن الكافى اللهُ
إذا بُليت فثق بالله وارضَ به — فإن الذى يكشف البلوى هو اللهُ
الله يُحدث بعد العسر ميسرةً — لا تجزعن فإن الصانع اللهُ
والله ما لك غير الله من أحدٍ — فحسبُك الله فى كلٍ لك اللهُ

۞ هذه أم طلحة لما مات ابنها سَمَتْ فوق أحزانها حتى لم يبقَ فى

---

(١) صحيح: رواه الطبرانى فى الكبير، وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (١٦٢٧).

(٢) لا تحزن / للشيخ عائض القرنى (ص: ٢٥).

المصيبة معنى المصيبة، ولا مع النكبة حزن النكبة بل الأجر والثواب فحسب، فأنستها حلاوة أجرها مرارة ألمها وفاضت، حتى جعلتها تتزين لزوجها وكأنها عروس ليلة الزفاف، فأصاب منها ولما فرغ قالت له: يا أبا طلحة لو أن قومًا أعاروا عاريتهم أهل بيتٍ فطلبوا عاريتهم ألهم أن يمنعوهم؟ فقال: لا، قالت: فاحتسب ابنك، فغضب الزوج وشكاها إلى النبي ﷺ فوجده يقدم التهنئة له على صورة دعاء: «**اللهم بارك لهما**»، فأخلف الله عليهما ورزقهما ولدًا غيره.

۞ وهذا عمران بن حُصين كان صابرًا على البلاء ثلاثين سنة.

كان عظامًا ممتدة على سريرها، ولما دخل عليه أخوه مع الإمام الشعبى رأياه مُمددًا على سرير كأنما شُدَّ بالحبال، وما شُدَّ إلا بانتهاك أعصابه وذوبان لحمه ووهن عظامه، فبكى أخوه فقال عمران: لا تبكِ فإن أحبَّه إلى الله أحبَّه إليَّ.

۞ وهذا بشير الطبرى أغارت الروم على جواميس له نحوًا من أربعمائة جاموس، فلقى عبيده الذين كانت معهم الجواميس، فقالوا: يا مولانا ذهبت الجواميس، فقال: وأنتم أيضًا فاذهبوا معهم فأنتم أحرار لوجه الله، فقال له ابنه: يا أبتِ أفقرتنا، قال: اسكت يا بنى، إن الله اختبرنى فأحببت أن أزيده.

۞ وهذا ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا نُعيت له ابنته فاسترجع وقال: عورة سترها الله، ومؤونة كفاها الله، وأجر قد ساقه الله، ثم نزل فصلى ركعتين ثم قال: قد صنعنا ما أمر الله تعالى. قال تعالى: ﴿وَٱسۡتَعِينُواْ بِٱلصَّبۡرِ وَٱلصَّلَوٰةِۚ﴾[1][2].

---

(١) سورة البقرة: الآية: (٤٥).

(٢) صفقات رابحة (ص ١٧٧ - ١٧٨).

كان باراً بأمه فرأى الجنة فى منامه سبعين مرة

۞ كان أبو يزيد البسطامى رضي الله عنه من أبرِّ الناس بأمه ومن أكثرهم بها رحمة وحنانًا، وقد طال عمرها وكبر سنها ووهن عظمها وجلدها ولكنَّ بِرَّ ابنها وإشفاقه على كبرها أنساها مرارة ذلك وقسوته.

قال البسطامى رضي الله عنه: تقدم بأمى العمر وتمكن منها الضعف، وأثقلت كاهلها الشيخوخة فكنت أخدمها بنفسى، وذات ليلة من الليالى دعتنى لأنام معها وكنت أريد قيام الليل وِردًا ألزمت به نفسى، ولكننى أجبتها إلى رغبتها وآثرت طاعتها ورضاءها إلىَّ وضممتها إلى صدرى وجعلت إحدى يدى تحت رأسها واليد الأخرى أُمررها على ظهرها، وكنت أثناء ذلك أقرأ سورة الإخلاص حتى تخدَّعت يدى التى تحت رأسها وأصابها الخدل وتوقف الدم فى عروقها عن الجريان فلم أتألم لذلك وقلت فى نفسى إن اليد لى وحق الوالدة لله، فصبرت على ما أصابنى ولم أزل كذلك حتى طلع الفجر وقد قرأت سورة الإخلاص عشرة آلاف مرة، فلما طلع النهار جعلت أحرك يدى فلم أستطع وقد ظلت يدى مريضة زمنًا طويلًا وقد خفف علىَّ مرضها وجمودها دعاء أمى لى، فقد رفعت يديها إلى السماء عند طلوع الفجر وقالت: «اللهم إنى قد رضيت عن أبى يزيد فارضَ عنه» وأكبر ظنى أن الله قد استجاب دعاءها وحقق رجاءها فقد رأيت الجنة فى نومى زهاء سبعين مرة، وأنا أنتظر من الله المزيد.

كُن كالشمعة لمن حولك

۞ كنتُ جالسًا في الحرَمِ في شدَّةِ الحرّ، قبل صلاةِ الظهرِ بساعةٍ، فقام رجلٌ شيخٌ كبيرٌ، وأخذ يُباشِرُ على الناسِ بالماءِ الباردِ، فيأخذُ بيدهِ اليُمنى كوبًا، وفي اليُسرى كوبًا، ويسقيهمُ منْ ماءِ زمزم، فكلَّما شرب شاربٌ، عاد فأسقى جارهُ، حتى أسقى فِئامًا من الناسِ، وعَرَقُه يتصبَّبُ، والناسُ جُلوسٌ كلٌّ ينتظرُ دوره ليشرب منْ يدِ هذه الشيخِ الكبيرِ، فعجبتُ منْ جَلَدِهِ ومنْ صبرِهِ ومنْ حبِّه للخيرِ ومن إعطائِه هذا الماءَ للناسِ وهو يتبسَّمُ، وعلمتُ أنَّ الخير يسيرٌ على منْ يسَّره اللهُ عليه، وأنَّ فِعْلَ الجميلِ سَهْلٌ على منْ سهَّلهُ اللهُ عليه، وأنَّ للهِ ادِّخاراتٍ من الإحسانِ، يمنحُها منْ يشاءُ منْ عبادِهِ، وأنَّ اللهَ يُجري الفضائل ولو كانتْ قليلةً على يدِ أُناسٍ خيِّرين، يحبُّون الخيْر لعبادِ اللهِ، ويكرهون الشَّرَّ لهم.

أبو بكر يُعرِّضُ نفسه للخطرِ في الهجرةِ، حمايةً للرسولِ ﷺ.

وحاتمُ ينامُ جائعًا، ليشبع ضيوفه.

وأبو عُبيدة يسهرُ على راحةِ جيشِ المسلمين.

وعمرُ يطوفُ المدينة والناسُ نيامٌ... ويتلوى من الجوعِ عام الرَّمادة، ليُطعم الناس.

وأبو طلحة يتلقى السهام في أُحُدٍ، ليقي رسول اللهِ ﷺ.

وابنُ المباركِ يُباشِرُ على الناسِ بالطعامِ وهو صائمٌ.

مُثُلٌ كالنُّجُومِ بل هي أعلى ... ومَعَانٍ كالفَجْرِ في إشراقِهِ

﴿ وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ﴾[1][2].

(١) سورة الإنسان: الآية: (٨). (٢) لا تحزن (ص ٢٩٤-٢٩٥).

تصدَّق بأجمل المشاعر على الآخرين

۞ جُبل الإنسان على أن يشعر بمحبة الآخرين له ... فكل إنسان يشعر بالسعادة إذا أحسَّ أن كل من حوله يحبونه ويحبون الجلوس معه والقُرب منه لأنه بذلك يشعر بقيمته وقدره فى قلوب الآخرين.

۞ ولن تخسر أبدًا إذا تصدَّقت على إخوانك وجيرانك وأقاربك بأجمل مشاعر الحب، فتخبر كل واحدٍ منهم أنه من أحب الناس إلى قبلك فإن هذا يُسعدهم ويجعل قلوبهم مفتوحة وجاهزة لقبول الخير.

۞ فلو كنت طبيبًا فاحرص على أن تحفظ أسماء المرضى وأن تعرف أحوالهم فإذا اتصل بك مريض فرحِّب به واسأله عن صحته واطمئن على أولاده وأخبره بأنك سعيدٌ جدًّا باتصاله وأنك تسعد كثيرًا لرؤيته فبذلك تُدخل السعادة على قلبه وتُشعره بمكانته فى قلبك بل وتساعده على الشفاء بتلك السعادة التى أدخلتها على قلبه ... وهكذا فى كل المجالات.

۞ جرِّب أن ترسل رسالة لإخوانك فى الثلث الأخير من الليل وأخبرهم بأنك تدعو لهم فى تلك الساعة المباركة وانظر ماذا ستصنع تلك الرسالة فى قلوبهم ... هكذا فتصدَّق بحبك ومشاعرك الجميلة وأحاسيسك على كل الناس من حولك.





صنائع المعروف تقى مصارع السوء

۞ قال ﷺ: «صنائع المعروف تقى مصارع السوء وصدقة السر تُطفئ غضب الرب وصلة الرحم تزيد فى العمر»(١).

۞ واصطناع المعروف للناس يقى من مصارع السوء فى الدنيا.

لقول رسول الله ﷺ: «**عليكم باصطناع المعروف، فإنه يمنع مصارع السوء**»(٢).

۞ ولذلك ينبغى على كل مسلم أن يحرص على اصطناع المعروف ومواساة الناس من حوله ولو بالقليل فرُب عملٍ قليل تُكثره النية الصالحة فقد قال رسول الله ﷺ: «**لا تحقرن من المعروف شيئًا، ولو أن تلقى أخاك بوجهٍ طلق**»(٣).

كم بليّة غائبة فى رحم الغيب أجهضها معروف بذلته أو هَمٌّ فرَّجته أو حاجة قضيتها أو محنة أزحتها، ... واسمع إلى محمد ابن الحنفية حين يجزم بأن (صانع المعروف لا يقع، ولو وقع لا ينكسر) (٤).

بل يُقسم على بن أبى طالب رضي الله عنه فى كلمات تلمح فيها بريق الوحى وتشم فيها رائحة النبوة، فيقول: «والذى وسع سمعه الأصوات، ما من أحد

---

(١) حسن: رواه الطبرانى فى الكبير وحسنه فى صحيح الجامع (٣٧٩٧).

(٢) صحيح: رواه ابن أبى الدنيا فى قضاء الحوائج (ص ٢٥، رقم ٦)، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٤٠٥٢).

(٣) صحيح: رواه مسلم (٢٦٢٦) كتاب البر والصلة والآداب.

(٤) تنبيه المغترين ص (١٤٠).

أودع قلبًا سرورًا إلا خلق الله تعالى من ذلك السرور لطفًا، فإذا نزلت به نائبة جرى إليها كالماء فى انحداره حتى يطردها عنه كما تُطرَد غريبة الإبل»[(١)].

فإذا أعياك مرضك وحار الأطباء فى علاجك، وبدأ اليأس زحفه المريع نحو قلبك فتذكر هذا الدواء الناجح، وجربه كما جربه عبد الله بن المبارك مع أحد مرضاه فعوفى وشفي.

سأل رجل ابن المبارك فقال: يا أبا عبد الرحمن، قرحة خرجت من ركبتى من سبع سنين، وقد عالجت بأنواع العلاج، وسألت الأطباء فلم أنتفع به، قال: فاذهب فانظر موضعًا يحتاج الناس للماء فاحفر هناك بئرًا، فإننى أرجو أن ينبع هناك عين، ويمسك عنك الدم، ففعل فبرأ[(٢)].

۞ **وإن طلبت مثلًا من العصر الحديث فاسمع منا:**

يذكر رجل يُسمَّى ابن جدعان فيقول: خرجت فى فصل الربيع وإذا بى أرى إبلى سمانًا يكاد الربيع يفجر الحليب من ثديها فقلت: والله لأتصدقن بهذه الناقة وولدها لجارى فالله يقول: ﴿لَن تَنَالُواْ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَ﴾[(٣)]، وأحَبُّ حلالى هذه الناقة،... يقول: فأخذتها وابنها، وطرقت الباب على الجار وقلت: خذ هذه هدية منى لك، فرأيت الفرح فى وجهه، .... كان يرى ماذا يقول، جاءه منها خير عظيم.

---

(١) المستطرف فى كل فن مستظرف ص (١٢٥) شهاب الدين الأبشيهي.

(٢) صحيح: رواه البيهقى عن العلى بن الحسن بن شقيق كما فى صحيح الترغيب والترهيب رقم(٩٥٣).

(٣) سورة آل عمران: الآية: (٩٢).

فلما انتهى الربيع وجاء الصيف بجفافه وقحطه شددنا الرحال نبحث عن الماء فى الدخول – والدخول هى حفرة فى الأرض توصل إلى محابس مائية لها فتحات فوق الأرض – يقول: فدخلت فى هذا الدحل حتى أحضر الماء لنشرب – وأولاده الثلاثة خارج الدحل ينتظرون – فتاه تحت الأرض وانتظره أبناؤه يومًا ويومين وثلاثة حتى يئسوا، وكانوا – عياذًا بالله – ينتظرون هلاكه طمعًا فى تقسيم المال، فذهبوا إلى البيت وقسَّموا، وتذكروا أن أباهم قد أعطى ناقة لجارهم الفقير، فذهبوا إليه وقالوا له: أعد الناقة خيرًا لك، وخذ هذا الجمل مكانها وإلا سنسحبها عنوة ولن نعطيك شيئًا.

قال: أشتكيكم إلى أبيكم.

قال: اشتكِ إليه، فإنه قد مات.

قال: مات!! وكيف مات؟ ولِمَ لم أعلم بذلك؟

قالوا: دخل دحلًا فى الصحراء ولم يخرج.

قال: ناشدتكم الله اذهبوا بى إلى مكان هذا الدحل، ثم خذوا الناقة وافعلوا ما شئتم ولا أريد جملكم، فذهبوا به، فلما رأى المكان الذى دخل فيه صاحبه الوفى ذهب وأحضر حبلًا، وأشعل شمعة، ثم ربطه خارج الدحل ونزل يزحف ويشم رائحة الرطوبة تقترب، ويتلمس الأرض حتى وقعت يده على الرجل، فإذا هو يتنفس بعد أسبوع، فقام وجرَّه، وربط عينيه حتى لا تنبهر بضوء الشمس، ثم أخرجه معه خارج الدحل، وأطعمه وسقاه وحمله على ظهره، وجاء به إلى داره ودبَّت الحياة فى الرجل من جديد وأولاده لا يعلمون، فقال: أخبرنى بالله عليك، أسبوعًا كاملًا وأنت تحت الأرض ولم تمت؟ قال: سأحدثك حديثًا عجبًا، لما نزلت ضعت وتشعبت

بى الطرق، فقلت: آوى إلى الماء الذى وصلت إليه، وأخذت أشرب منه، ولكن الجوع لا يرحم فالماء لا يكفي.

يقول: وبعد ثلاثة أيام، وقد أخذ الجوع منى كل مأخذ، وبينما أنا مُستلقٍ على قفاى، قد أسلمت وفوضت أمرى إلى الله، وإذا بى أحس بدفء اللبن يتدفق على فمى، فاعتدلت فى جلستى، وإذا بإناءٍ فى الظلام (لا أراه) يقترب من فمى فأشرب حتى أُروى، ثم يذهب فأخذ يأتينى ثلاث مرات فى اليوم، ولكنه منذ يومين انقطع ما أدرى ما سبب انقطاعه؟ يقول: فقلت له: لو تعلم سبب انقطاعه لتعجبت ... ظن أولادك أنك مت، وجاءوا إلىَّ وسحبوا الناقة التى كان الله يسقيك منها، والمسلم فى ظل صدقته، ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مَخۡرَجٗا﴾(١)(٢).

۞ حُكى أن رجلًا جلس يومًا يأكل هو وزوجته وبين أيديهما دجاجة مشوية فوقف سائل ببابه فخرج إليه وانتهره وطرده.

ودارت الأيام وافتقر هذا الرجل وزالت نعمته حتى إنه طلق زوجته، وتزوجت من بعده برجل آخر فجلس يأكل معها فى بعض الأيام وبين أيديهما دجاجة مشوية وإذا بسائل يطرق الباب، فقال الرجل لزوجته: ادفعى إليه هذه الدجاجة، فخرجت بها إليه فإذا به زوجها الأول فأعطته الدجاجة ورجعت وهى تبكى إلى زوجها فسألها عن بكائها، فأخبرته أن السائل كان زوجها وذكرت له قصتها مع ذلك السائل الذى

---

(١) سورة الطلاق: الآية: (٢).

(٢) الجزاء من جنس العمل ص (٥١٩، ٥٢٠). د. سيد حسين العفانى.

انتهره زوجها الأول وطرده فقال لها زوجها: ومم تعجبين وأنا والله السائل الأول!

فتأمل معي - أخي الحبيب - كيف أن الرجل لما انتهر السائل وطرده حدث له ما حدث... ولو كان رد السائل بلطف ورحمة، أو أعطاه شيئًا يسيرًا فلربما كان الأمر على خلاف ذلك - والله أعلم.



رجلٌ لا يعيش لنفسه

۞ كان معاوية بن أبى سُفيان فى عِداد الكرماء الأسخياء وكان كثيرًا ما يعطى أهل المدينة باعتبارها مقرًّا لأبناء المهاجرين والأنصار وشيوخ الصحابة أموالًا طائلةً وكان يخصُّهم بمزيدٍ من العطاء لفضلهم ولسابقتهم فى الإسلام، وكان يبعث بالألوف من الدنانير إلى أمهات المؤمنين ويخص السيدة عائشة بنصيبٍ أوفر لعلمه بأن بيتها كعبة القاصدين وقبلة الرَّاجين، ومقر الفقراء والمساكين وملجأ الضعفاء والمستضعفين وكان يعرف لأبناء الصحابة وخاصة المهاجرين منهم قدرهم ومنزلتهم فكان يبسط لهم كفَّه بالجود والكرم ويمنحهم المزيد من السخاء ليحفظ عليهم ماء وجوههم فلا يسألون الناس، فلما حضرته الوفاة أوصى ولده يزيد بأهل المدينة ولا سيما المهاجرين والأنصار، فوفد عليه أهل العطاء الذين كانوا يأخذون من معاوية وسألوه حقهم، وكان من بين الذين وفدوا عليه سيدنا عبد الله بن جعفر فلما دخل على يزيد ليطلب منه عطاءه، وقال له: كم كان يعطيك أمير المؤمنين معاوية؟ فأجابه ابن جعفر، كان رَحِمَهُ اللهُ يعطينى عشرة آلاف دينار، فتهلَّل وجه يزيد وانبسطت أساريره، وقال لابن جعفر: لك ما كان يعطيك أمير المؤمنين، وقد زدناك لترحُّمك عليه عشرة آلاف أخرى، فسُرَّ ابن جعفر، وقال من شدة سروره وفرحه بتلك البشارة: فداك أبى وأمى يا أمير المؤمنين، فقال له يزيد: ولهذه عشرة آلاف ثالثة، فقال ابن جعفر: أما أنى لا أقول هذه الكلمة لأحدٍ بعدك: فزاده عشرة آلاف رابعة، فدُهش الحاضرون واعتبروا هذا تبذيرًا وإسرافًا وتعجبوا من أن يأخذ رجل واحد كل هذا العطاء، فلما عاتبوا يزيد على صنعه هذا قال لهم: والله ما أعطيت هذا المال

إلَّا لجميع أهل المدينة وسوف ترون،... فلما انصرف عبد الله بن جعفر راجعًا إلى المدينة بعث وراءه يزيد طائفة من المعترضين على عطائه ليتجسسوا عليه، وما كاد ابن جعفر يصل إلى منزله حتى ازدحمت ساحة بيته بالقاصدين والطالبين يسألونه العطاء، فلم تمضِ إلَّا ليلة واحدة، وقد فرغ كل هذا العطاء، وعاد القوم إلى يزيد فأخبروه بما رأوه من ابن جعفر، فالتفت إلى حاشيته وقال لهم: ألم أقل لكم أني ما أعطيت هذا المال إلا لأهل المدينة.



ذرية بعضها من بعض

۞ من أبرز الكرماء فى عهد النبى ﷺ سيدنا قيس بن سعد. وكان له مواقف فى الكرم جديرة بأن تُخلد ذكراه وهو لا يزال شابًّا ناشئًا تحت رعاية والده سيدنا سعد بن عبادة زعيم الخزرج وكبير الأنصار... حدَّثت كتب السيرة عن شىء من كرم قيس هذا قالوا: إنه كان فى غزوة من الغزوات، قَلَّ فيها طعام المسلمين ولم يجدوا من القوت ما يَسُدّ جوعهم أو يُقيم أودهم وكان والده سعد مشهورًا بين قبائل العرب بغناه وثرائه فعزَّ على قيس أن يرى المجاهدين فى سبيل الله جياعًا فأخذته النَّخوة وتوجَّه إلى قبيلة غنية قريبة من الموقع الذى كانوا يجاهدون فيه، واستدان على أبيه عشرين بعيرًا وما يقوم بها من الخبز والزيت والدقيق والكعك، فقالوا له: ومن تكون يا هذا حتى نعطيك كل هذه الأشياء. قال: أنا قيس بن سعد بن عبادة. فقالوا له: يكفينا أن تكون ابن سعد. وأعطوه ما شاء فأطعم الجنود كفايتهم حتى شبعوا فلما عادوا إلى المدينة أخبر والده سعدًا بما كان منه فقال أبوه: والله ما يسرنى أن لى بهذه المكرمة الدنيا وما فيها ووالله لا أدفع إليهم إلا أضعاف ما أخذت ثم قبَّل قيسًا بين عينيه وقال له: إنى لأرى فيك سماحة سعد ومروءته فتبسم رسول الله، وقال: لا أدرى أيكما أكرم الابن أم أبوه.

۞ وحدث أن مرض قيس هذا فى يوم من الأيام فلم يَعُدْه أحد فى بيته فتعجب من جفاء الناس له، فبكى وقال: أَوَ ما يزورنى أخٌ أو صديق فى هذه

الشدة، فقالوا له إن الناس يخجلون من زيارتك لكثرة ما لك عليهم من دَين، فقال: ويحكم يا قوم ألا تبًّا لما يحول بين الرجل وأخيه... وأمر مناديًا أن ينادى فى سِكك المدينة وشوارعها: كل دَين لقيس بن سعد على رجل من أهل المدينة فإنه قد أبرأه منه. قالوا: فتوارد الناس على بيته وازدحموا على بابه حتى كُسرت عتبة داره من شدة زحام الذين جاءوا لعيادته.

ولقد سُئل قيس هذا: هل رأيت فى الناس من هو أسخى منك؟ قال: نعم نزلنا على امرأة فى البادية فذبحت لنا شاة وأطعمتنا ولما جاء زوجها أخبرته بأن عندنا ضيفان فأسرع إلى ناقة فنحرها، وقال: شأنكم بها فأكلنا منها يومنا: فلما كان الغد نحر لنا ناقة أخرى فأكلنا منها يومنا وعاتبناه على نحر الثانية، وقلنا له: يا هذا. ما أكلنا الناقة التى نُحرت بالأمس. فقال: إنى لا أطعم ضيفانى إلى غريضًا (أى: طازجًا أو صابحًا) فمكثنا عنده سبعة أيام والمطر لا يكف انهماره وكأنما هو طوفان يغمر الأرض والرجل أيضًا لا يكف عن ذبح ناقة كل يوم فلما هدأت الظروف وتحسَّن الجو عزمنا على الرحيل ووضعنا ألف دينار فى بيته وكان غير موجود ساعة ترحالنا فشكرنا أهل بيته على حسن ضيافتهم، وقلنا لزوجته: اعتذرى له عن ضيق ذات اليد وأخبريه أننا من أهل المدينة وكان زوجها خارج المنزل يعمل فى الصيد بين شعاب الجبال فلما ارتفع النهار وعلتْ الشمس جاء إلى منزله وعلم بالمال الذى خلَّفناه فى بيته فوالله ما تخفف من ثيابه ولكنه ألوى عنان جواده وجعل يعدو خلفنا وينادى علينا بأعلى صوته: قفوا أيها الركب اللئام، فتخوفنا شره وتوقفنا عن السير حتى أدركنا فلما كنا منه بحيث سمع، قال والشر يتدفق من عينيه: أيها القوم أَوَ تعطونا ثمن قِرانا وإكرامنا لكم، خذوا

دنانيركم وإلا طعنتكم برمحى هذا وعلوت أعناقكم بسيفى.. فحاولت محاورته، فازداد نفورًا ولم تسكن ثائرته حتى أخذنا النقود التى تركناها له فكنت أعد هذا أسخى منى.

داووا مرضاكم بالصدقة

۞ على مدى عدة سنوات كان الزوج والزوجة فى خلاف مع بعضهما يتخلل ذلك صفاءٌ لعدة أسابيع ثم تتعكر الأمور.

وقد حملت المرأة وسقط جنينها ثلاث مرات.

وفى يوم كانا فيه متصافيين أخبر الزوج زوجته أنه رأى رجلًا شكا له حاله قائلًا: إنى أعمل طباخًا فى أحد المطاعم فباع الكفيل المطعم لشخص آخر نقلت كفالتى إليه وضايقنى أنه جعل صوت الغناء يرتفع فى أنحاء المطعم، فحاولت جاهدًا الرجوع إلى كفيلى الأول فلم أستطع، عندها سألت كفيلى الجديد نقل كفالتى مقابل خمسة آلاف ريال هى كل ما أملكه فوافق فأعطيته المبلغ الذى كنت جمعته لإحضار زوجتى وأنا الآن فى ضيق شديد وأمر عصيب فزوجتى تتصل دومًا تسأل: متى أحضرها؟ وأهلى يقولون: نحن مُحرجون من أهل زوجتك، فأريد هذا المبلغ على أن أسدده بأقساط شهرية.

فعندما سمعت الزوجة هذه القصة قالت لزوجها: سأعطيه المبلغ ولا أريد منه شيئًا سوى الدعاء فأخذ الزوج المبلغ وأعطاه الطباخ وأخبره بقول الزوجة، فجلس يبكى من الفرح ولم ينم تلك الليلة بل ظل يدعو للمرأة وزوجها وبفضل من الله - تعالى - حملت المرأة منذ ذلك الشهر وثبت حملها وحسنت حالهم وظهرت علامات الانشراح بينهم.

۞ بل ها هى قصة رجل كان يمتلك ثروة كبيرة وكان له ابن أُصيب بمرض خطير فسافر به إلى أوروبا وأمريكا للعلاج ولم يجد له علاجًا حتى

كان يقول: وددت أن الله يشفى ولدى من مرضه ولو فقدت مالى كله..

وفى يوم من الأيام كان الرجل يقرأ كتابًا عن الصبر وإذا به يقرأ حديث النبى ﷺ: «**داووا مرضاكم بالصدقة**»[1]، فخرج فى تلك اللحظة وأخذ معه مبلغًا من المال فوجد امرأة عجوزًا فقيرة فأعطاها المال وعاد إلى البيت وإذا به يجد المفاجأة التى تكاد أن تذهب بالعقول.. لقد وجد ابنه تبدو عليه علامات الصحة والعافية فسأله: ما الذى حدث يا بنى؟

فقال له ابنه: والله لا أدرى يا أبى؛ ولكنى فجأة أحسست بالعافية تدب فى جسدى.

أخذ الرجل ابنه وذهبا إلى أوروبا لإعادة الفحص مرة أخرى فكانت المفاجأة الثانية..

قال له الطبيب: ماذا صنعت لقد ذهب المرض كله من جسد ولدك، فأخبره الرجل أنه سمع حديث النبى ﷺ: «**داووا مرضاكم بالصدقة**» وأنه عمل بهذا الحديث فكان الذى حدث من شفاء هذا الولد..

وإذا بالمفاجأة الثالثة: فلقد أعلن الطبيب إسلامه أمام هذه الآية التى رآها فى هذا الشاب ومن صدق كلام النبى ﷺ.

۞ فيا مَن له مريض قد طال مرضه.. اذهب فتصدق عنه ولا تفعل ذلك على سبيل التجربة وإنما افعله على سبيل اليقين.



(١) حسن: رواه أبو الشيخ فى الثواب، وحسنه الألبانى فى صحيح الجامع (٣٣٥٨).

قصة آية

۞ ما قصة هذه الآية: ﴿لَن تَنَالُواْ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَ﴾، وما أثرها في القلوب الحية؟!

حين أدرك الصحابة رضي الله عنهم قيمة هذا الدواء الناجع؛ جرَّبوه واستعملوه، فكان الواحد منهم إذا ازداد حبه لشيء من ماله[١] بذله لله رجاء نيل البر، فعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: «كان أبو طلحة أكثر أنصارى بالمدينة مالًا من نخل، وكان أحب أمواله إليه بيرحاء، وكانت مستقبلة المسجد، وكان رسول الله ﷺ يدخلها ويشرب من ماءٍ فيها طيب، قال أنس: فلما أُنزلت هذه الآية: ﴿لَن تَنَالُواْ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَ﴾[٢] قام أبو طلحة إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله إن الله تبارك وتعالى يقول: ﴿لَن تَنَالُواْ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَ﴾، وإن أحب أموالى إلىَّ بيرحاء، وإنها صدقة لله، أرجو برها وذُخرها عند الله، فضعها يا رسول الله حيث أراك الله. قال: فقال رسول الله: «**بخٍ!! ذلك مال رابح ذلك مال رابح**»[٣].

ورأى زيد بن حارثة رضي الله عنه ما فعله أخوه فغار، ... وما أربح الغيرة في الطاعات، وما أحبها إلى رب السماوات ذلك أنه لما نزلت: ﴿لَن تَنَالُواْ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَ﴾ جاء زيد بن حارثة بفرسٍ له كان يحبها فقال: يا

---

(١) عن المفضل الضبى قال: «المال عند العرب الصامت والناطق، فالصامت: الذهب والفضة والجوهر، والناطق: البعير والبقرة والشاة، فإذا قلت عن حضرى: كثر ماله فالمراد الصامت، وإذا قلت عن بدوى: فالمراد الناطق». فتح البارى (٧/ ٤٩٩).

(٢) سورة آل عمران: الآية: (٩٢).

(٣) متفق عليه: رواه البخارى (١٤٦١) ومسلم (٩٩٨).

رسول الله هذه فى سبيل الله فحمل رسول الله ﷺ عليها أسامة بن زيد، فكأن زيدًا وجد فى نفسه فلما رأى ذلك منه النبى ﷺ قال: «**أما إن الله قد قبلها**»(١).

والمشاهد أن لهذه الآية سرًّا عجيبًا وتأثيرًا فريدًا وأثرًا عظيمًا لكل من كان له قلب حى ووعىٌ ذكي؛ لذا لما سمعها الصحابة باعوا أغلى ما يملكون فى سبيل نيل ما إليه يطمحون، لكن أين كان الصدِّيق من كل هذا؟! وهل كان غائبًا عن شهود هذا الخير مع أفضليته؟! وهل يترك غيره يسبقه دون أن ينافسه؟! كلا والله، فقد كان الإنفاق من أفضل ما يحب المرء علامة متعارفًا عليها بين أبناء هذا الجيل، وسجية تفيض بها كتب السير عنهم حتى ذكر عمر بن شبَّة فى أخبار المدينة أن دار أبى بكر التى أُذن له فى إبقاء الخوخة منها إلى المسجد كانت ملاصقة للمسجد ولم تزل بيد أبى بكر حتى احتاج إلى شيء يعطيه لبعض من وفد عليه، فباعها فاشترتها منه حفصة أم المؤمنين بأربعة آلاف درهم(٢)، ولسان حاله:

كأنك فى الكتاب وجدت أنَّ (لا) محرمة عليك فلا تحِلُّ
فما تدرى إذا أعطيت مالًا أيكثر فى سماحك أم يقِلُّ
إذا حضر الشتاء فأنت شمسٌ وإن حضر المصيف فأنت ظلُّ

وفارس آخر فى الميدان وهو أشد الناس شبهًا برسول الله ﷺ كما روت ذلك عنه عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا وهو عبد الله بن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا حيث لم يطق صبرًا وهو يقرأ هذه الآية فى صلاته، فائتمر بأمرها ونفذ على الفور ما أرادته الآية وهو داخل الصلاة!! ... فقد أخرج أحمد فى الزهد عن مجاهد قال: «كان ابن

(١) تفسير الطبرى (٣/ ٣٤٥).
(٢) فتح البارى (٧/ ١٤).

عمر قائمًا يصلى، فأتى على هذه الآية: ﴿لَن تَنَالُوا۟ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا۟ مِمَّا تُحِبُّونَ﴾، فأعتق جارية له وهو يصلى قد أراد أن يتزوجها»(١).

۞ وموقف آخر لكن هذه المرة خارج الصلاة وهو يقرأ نفس الآية العجيبة؛ وكان راكبًا يومًا على راحلة عظيمة، فأعجبته فأناخها وجعلها لله تعالى.

۞ وفى موقف ثالث اشترى سُكرًا وتصدق به، وكثيرًا ما كان يفعل، فقال له أصحابه: لو اشتريت لهم بثمنه طعامًا كان أنفع لهم من هذا .. فيقول: «إنى أعرف الذى تقولون، ولكن سمعت الله يقول: ﴿لَن تَنَالُوا۟ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا۟ مِمَّا تُحِبُّونَ﴾ وابن عمر يحب السكر»(٢).

۞ وفهم التابعون الدرس لأنهم تلاميذ نجباء، ولأن المعلم واحد، والكتاب الذى يُستقى منه خالد، فتسلَّموا الراية عن طريق الربيع بن خثيم الذى جاءه سائل يسأل، فخرج إليه فى ليلة باردة، فإذا هو كأنه مقرور (من القر وهو البرد)، فنزع بُرنسًا له، فكساه كان يزعم أنه من خزٍّ، فأعطاه إياه، ثم تلا الآية نفسها: ﴿لَن تَنَالُوا۟ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا۟ مِمَّا تُحِبُّونَ﴾(٣).

۞ ومن قبل الربيع كان خامس الخلفاء الراشدين عمر بن عبد العزيز، وكان لزوجته فاطمة بنت عبد الملك جارية بارعة الجمال وكان عمر راغبًا فيها، وكان قد طلبها منها مرارًا لم تُعطه إياها، فلما ولى الخلافة زيَّنتها وأرسلتها إليه، فقالت: قد وهبتكها يا أمير المؤمنين لتخدمك، فقال: من

(١) الزهد لأحمد (ص ١٩٤).
(٢) الدر المنثور (٢/ ٢٦٢).
(٣) الزهد لأحمد (ص ٣٣١).

أين ملَكتِها؟ قالت: جئت بها من بيت أبى عبد الملك، ففتش كيف تملكها فقيل: إنه كان على فلان العامل ديون فلما توفى أُخذت من تركته ففتش عن العامل وأحضر ورثته وأرضاهم جميعًا بإعطاء المال، ثم توجه إلى الجارية وكان يهواها هوى شديدًا فقال: «أنت حرة لوجه الله تعالى!!» (١).

۞ ولذا لم يكن غريبًا أن يعتبر سعد بن عبادة رضي الله عنه الصدقة أساس صلاح سائر الأعمال فيدعو قائلًا: اللهم ارزقنى مالًا أجود به، فإنه لا يُصلح الفعال إلا المال، ثم أنشد قائلًا:

أرى نفسى تتوق إلى فعالٍ ... فيقصر دون مبلغهن مالي
فلا نفسى تطاوعنى ببُخلٍ ... ولا مالى يُبلِّغنى فِعالي (٢)

وما هذا إلا لغيرته فى الخير وسعيه لينال ما نال إخوته من الفضل، وتسرى فى قلبه نفس اللذة لذة الانتصار على الهوى، ولذة اليقين بموعود الله، ولذة الإيثار الأخوية، ولذة السمو الأخروية، فلله درُّه من صحابى عالى الهمة وسامق العزم ... هتاف نفسه وحديث قلبه:

يا لهف نفسى على مالٍ أجود به ... على المُقلِّين من أهل المروءات
إن اعتذارى إلى من جاء يسألني ... ما ليس عندى لَمِن إحدى المصيبات (٣)

---

(١) تفسير أبى مسعود (٢/ ٥٨).
(٢) تنبيه المغترين (ص ١٣٨، ١٣٩).
(٣) جرعات الدواء (ص ١١٠ - ١١٣).

كُن فى الدنيا كالنَّحلة

۞ عَنْ سُفْيَانَ الثَّورِيِّ، قَالَ: جَاءَ رَاهِبٌ إِلَى رَاهِبٍ فَقَالَ: كَيْفَ رَأَيْتَ نَشَاطَكَ؟

قَالَ: مَا شَعَرْتُ أَنَّ أَحَدًا يَسْمَعُ بِذِكْرِ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ تَأْتِى عَلَيْهِ سَاعَةٌ مِنْ نَهَارٍ أَوْ لَيْلٍ لَا يُصَلِّى فِيهَا!

قَالَ: كَيْفَ ذِكْرُكَ لِلْمَوْتِ؟

قَالَ: مَا أَرْفَعُ رِجْلًا وَلَا أَضَعُ أُخْرَى إِلَّا رَأَيْتُ أَنِّى مَيِّتٌ، ثُمَّ قَالَ: إِنِّى لِأُصَلِّىَ فَأَبْكِىَ حَتَّى يَنْبُتَ الْعُشْبُ مِنْ دُمُوعِى.

قَالَ: إِنَّكَ إِنْ تَضْحَكْ وَأَنْتَ مُعْتَرِفٌ لِلَّهِ بِخَطِيئَتِكَ خَيْرٌ لَكَ مِنْ أَنْ تَبْكِىَ وَأَنْتَ مُدِلٌّ بِعَمَلِكَ، فَإِنَّ صَلَاةَ الْمُدِلِّ لَا تَصْعَدُ فَوْقَهُ.

قَالَ: أَوْصِنِى؟

قَالَ: ازْهَدْ فِى الدُّنْيَا، وَلَا تُنَازِعْ أَهْلَهَا، وَكُنْ فِيهَا كَالنَّحْلَةِ، إِنْ وَقَعَتْ عَلَى عُودٍ لَمْ تَكْسِرْهُ، وَإِنْ أَكَلَتْ أَكَلَتْ طَيِّبًا، وَإِنْ وَضَعَتْ وَضَعَتْ طَيِّبًا[1].

---

(١) الحلية (٧/ ٥٦).

من ترك شيئًا لله عوضه الله خيرًا منه

۞ لما عقر سليمان عليه السلام الخيل غضبًا لله إذ شغله ذلك عن ذكره عوَّضه الله عنه متن الريح وتسخير الشياطين.

لما ترك الصحابة ديارهم وأموالهم ابتغاء مرضاته عوَّضهم عنها أن ملَّكهم الدنيا بأسرها.

ولما احتمل يوسف الصدِّيق عليه السلام ضيق السجن شَكَر له ذلك بأن مكَّن له فى الأرض يتبوأ منها حيث يشاء.

لما تغيرت أفواه الصائمين له كان خلوف فم الصائم أطيب عنده فى الدنيا والآخرة من ريح المسك.

لما عطش أولياؤه فى صيامهم كان جزاؤهم دخولهم من باب الريان لا يدخله غيرهم.

لما بذل الشهداء أرواحهم فى سبيله كافأهم بالخلود فى نعيمه، ولما تركوا زوجاتهم فى الدنيا أبدل الله كل واحدٍ منهم باثنتين وسبعين زوجة من الحور العين.

لما بذل رُسله أعراضهم فيه لأعدائهم فنالوا منهم وسَبُّوهم عوَّضهم الله عن ذلك بأن صلى عليهم هو وملائكته[1].

۞ قال القاضى أبو بكر بن عبد الباقى بن محمد البزار الأنصارى المتوفى سنة (٥٣٥ هـ) ببغداد:

كنت مجاورًا بمكة – حرسها الله تعالى–، فأصابنى يومًا من الأيام جوع

(١) صفقات رابحة (ص ٢٠٩).

شديد لم أجد شيئًا أدفع به عنى الجوع، فوجدت كيسًا من أبريسم مشدودًا بشرابة من إبريسم أيضًا، فأخذته وجئت به إلى بيتى، فحللته فوجدت فيه عقدًا من لؤلؤ لم أر مثله.

فخرجت فإذا بشيخ ينادى عليه، ومعه خرقة فيها خمسمائة دينار، وهو يقول: هذا لمن يرد علينا الكيس الذى فيه اللؤلؤ، فقلت: أنا محتاج، وأنا جائع، فآخذ هذا الذهب فأنتفع به، وأرد عليه الكيس.

فقلت له: تعال إلىّ، فأخذته وجئت به إلى بيتى، فأعطانى علامة الكيس، وعلامة الشرابة، وعلامة اللؤلؤ وعدده، والخيط الذى هو مشدود به، فأخرجته ودفعته إليه، فسلم إلىَّ خمسمائة دينار، فما أخذتها، وقلت: يجب علىَّ أن أعيده إليك، ولا آخذ له جزاءً.

فقال لى: لا بد أن تأخذ وألحَّ علىَّ كثيرًا، فلم أقبل ذلك منه، فتركنى ومضى.

وأما ما كان منى، فإنى خرجت من مكة وركبت البحر، فانكسر المركب وغرق الناس، وهلكت أموالهم، وسَلِمت أنا على قطعة من المركب، فبقيت مدة فى البحر لا أدرى أين أذهب؟ فوصلت إلى جزيرة فيها قوم، فقعدت فى بعض المساجد، فسمعونى أقرأ، فلم يبق فى تلك الجزيرة أحد إلا جاء إلىَّ وقال: علمنى القرآن، فحصل لى من أولئك شىء كثير من المال.

ثم إنى رأيت فى ذلك المسجد أوراقًا من مصحف، فأخذتها أقرأ فيها، فقالوا لى: تُحسن تكتب؟

فقلت: نعم، فقالوا: علمنا الخط، فجاؤوا بأولادهم من الصبيان والشباب، فكنت أعلمهم، فحصل لى أيضًا من ذلك شىء كثير، فقالوا لى

بعد ذلك: عندنا صبية يتيمة، ولها شيء من الدنيا، نريد أن تتزوج بها، فامتنعت، فقالوا: لا بد، وألزمونى فأجبتهم إلى ذلك.

فلما زفوها إلىَّ، مددت عينى أنظر إليها، فوجدت ذلك العقد بعينه معلقًا فى عنقها، فما كان لى حينئذٍ شغل إلا النظر إليه.

فقالوا: يا شيخ، كسرت قلب هذه اليتيمة من نظرك إلى هذا العقد، ولم تنظر إليها، فقصصت عليهم قصة العقد، فصاحوا وصرخوا بالتهليل والتكبير، حتى بلغ إلى جميع أهل الجزيرة، فقلت: ما بكم؟

فقالوا: ذلك الشيخ الذى أخذ منك العقد أبو هذه الصبية، وكان يقول: ما وجدت فى الدنيا مسلمًا أتقى من هذا الرجل الذى ردَّ علىَّ هذا العقد.

وكان يدعو ويقول: اللهم اجمع بينى وبينه حتى أزوجه بابنتى.

والآن قد حصلت... قال: فبقيت معها مدة، ورُزقت منها بولدين، ثم إنها ماتت فورثت العقد أنا وولداى، ثم مات الولدان، فحصل العقد لى، فبعته بمائة ألف دينار، وهذا المال الذى ترونه معى من بقايا ذلك المال.



املأ قلبك باليقين

۞ قَالَ ابْنُ وَهْبٍ: كَانَ حَيْوَةُ يَأْخُذُ عَطَاءهُ فِي السَّنَةِ سِتِّيْنَ دِيْنَارًا، فَلَمْ يَطْلُعْ إِلَى مَنْزِلِهِ حَتَّى يَتَصَدَّقَ بِهَا، ثُمَّ يَجِيْءَ إِلَى مَنْزِلِهِ، فَيَجِدَهَا تَحْتَ فِرَاشِه. وَبلَغَ ذَلِكَ ابْنُ عَمٍّ لَهُ، فَأَخَذَ عَطَاءهُ، فَتَصَدَّقَ بِهِ كُلِّهِ، وَجَاءَ إِلَى تَحْتِ فِرَاشِه، فَلَمْ يَجِدْ شَيْئًا. فَشَكَا إِلَى حَيْوَةَ، فَقَالَ: أَنَا أَعْطَيْتُ رَبِّي بِيَقِيْنٍ، وَأَنْتَ أَعْطَيْتَه تَجرِبَةً[(١)].

۞ **وها هو الإمام البخاري** رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

لَمَّا رَحَلَ إِلَى الشَّامِ، وَكَتَبَ الحَدِيْثَ جَعَلَ كُتُبَهُ فِي صُنْدُوْقٍ، وَقَيَّدَهُ، وَرَكِبَ البَحْرَ، فَاضْطَرَبَتِ السَّفِيْنَةُ وَمَاجَتْ، فَأَلقَى الصُّنْدُوقَ فِي البَحْرِ، ثُمَّ سَكَنَتِ السَّفِيْنَةُ، فَلَمَّا خَرجَ مِنْهَا، أَقَامَ عَلَى السَّاحِلِ ثَلاَثًا يَدْعُو اللهَ، ثُمَّ سَجَدَ فِي اللَّيْلَةِ الثَّالِثَةِ، وَقَالَ: إِنْ كَانَ طَلَبِي ذَلِكَ لِوَجْهِكَ وَحُبِّ رَسُوْلِكَ، فَأَغِثْنِي بِرَدِّ ذَلِكَ الصندوق. فَرَفَعَ رَأْسَهُ، فَإِذَا بِالصُّنْدُوْقِ مُلْقىً عِنْدَهُ، فَقَدِمَ، وَأَقَامَ بُرْهَةً، ثُمَّ قَصَدُوهُ لِسَمَاعِ الحَدِيْثِ، فَامْتَنَعَ مِنْهُ.

قَالَ: فَرَأَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ فِي مَنَامِي، وَمَعَهُ عَلِيٌّ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: يَا عليُّ، مَنْ عَامَلَ اللهُ بِمَا عَامَلَكَ بِهِ عَلَى شَطِّ البَحْرِ؟! لاَ تَمْتَنِعْ مِنْ رِوَايَةِ أَحَادِيْثِي.

قَالَ: فَقُلْتُ: قَدْ تُبْتُ إِلَى اللهِ.

فَدعَا لِي، وَحَثَّنِي عَلَى الرِّوَايَةِ[(٢)].

---

(١) السير (٦/ ٤٠٤).

(٢) السير (١٤/ ٨٧).

وقليلٌ من عبادى الشكور

۞ إنَّ منْ لا يحمد الله على الماءِ الباردِ العذْبِ الزُّلالِ، لا يحمدُه على القصورِ الفخمةِ، والمراكبِ الفارِهةِ، والبساتينِ الغنَّاءِ.

وإنّ منْ لا يشكُر الله على الخبزِ الدافئِ، لا يشكرهُ على الموائدِ الشَّهيَّةِ والوجباتِ اللّذيذةِ، لأنَّ الكنُود الجَحُود يرى القليل والكثير سواءً.

وكثيرٌ منْ هؤلاء أعطى ربّه المواثيق الصارمة، على أنه متى أنعم عليه وحباهُ وأغدق عليه فسوف يشكُر ويُنفق ويتصدّق ﴿وَمِنْهُم مَّنْ عَـٰهَدَ ٱللَّهَ لَئِنْ ءَاتَىٰنَا مِن فَضْلِهِۦ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلصَّـٰلِحِينَ ﴿٧٥﴾ فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُم مِّن فَضْلِهِۦ بَخِلُوا۟ بِهِۦ وَتَوَلَّوا۟ وَّهُم مُّعْرِضُونَ﴾[1] .

ونحنُ نلاحظُ كلَّ يومٍ منْ هذا الصِّنفِ بشرًا كثيرًا، كاسفَ البالِ مُكدَّر الخاطرِ، خاوى الضميرِ، ناقمًا على ربِّه أنه ما أجْزل له العطيّة، ولا أتحفهُ برزقٍ واسعٍ بينما هو يرفُلُ فى صحَّةٍ وعافيةٍ وكفافٍ، ولم يشكُرْ وهو فى فراغٍ وفسحةٍ، فكيف لو شُغِل مثل هذا الجاحد بالكنوزِ والدُّورِ والقصورِ؟! إذنْ كان أكْثرَ شُرُدًا من ربِّه، وعقوقًا لمولاهُ وسيِّدِهِ.

حُنينٌ وتلك الدار نصب عيوننا فكيف إذا سرنا مع صحبنا شهرا

الحافى منّا يقول: سوف أشكرُ ربِّى إذا مَنحَنى حذاءً. وصاحبُ الحذاءِ يؤجِّل الشُّكْر حتى يحصُل على سيَّارةٍ فارهةٍ .. نأخُذ النعم نقْدًا، ونُعطى الشُّكْر نسيئةً، رغباتُنا على اللهِ ملحَّةٌ، وأوامرُ اللهِ عندنا بطيئةُ الامتثالِ[2].

---

(١) سورة التوبة: الآيتان: (٧٥-٧٦).

(٢) لا تحزن (ص ٣٩٥-٣٩٦).

شكر الجوارح

۞ قَالَ رَجُلٌ لِأَبِى حَازِمٍ: مَا شُكْرُ الْعَيْنَيْنِ يَا أَبَا حَازِمٍ؟

قَالَ: « إِنْ رَأَيْتَ بِهِمَا خَيْرًا أَعْلَنْتَهُ، وَإِنْ رَأَيْتَ بِهِمَا شَرًّا سَتَرْتَهُ ».

قَالَ: فَمَا شُكْرُ الْأُذُنَيْنِ؟

قَالَ: « إِنْ سَمِعْتَ بِهِمَا خَيْرًا وَعَيْتَهُ، وَإِنْ سَمِعْتَ بِهِمَا شَرًّا أَخْفَيْتَهُ ».

قَالَ: فَمَا شُكْرُ الْيَدَيْنِ؟

قَالَ: « لَا تَأْخُذْ بِهِمَا مَا لَيْسَ لَهُمَا، وَلَا تَمْنَعْ حَقًّا لِلَّهِ ﷻ هُوَ فِيهِمَا ».

قَالَ: فَمَا شُكْرُ الْبَطْنِ؟

قَالَ: « أَنْ يَكُونَ أَسْفَلَهُ طَعَامًا، وَأَعْلَاهُ عِلْمًا ».

قَالَ: مَا شُكْرُ الْفَرْجِ؟

قَالَ: « كَمَا قَالَ اللهُ ﷻ: ﴿ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ۝٦ فَمَنِ ٱبْتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْعَادُونَ ﴾[1] ».

قَالَ: فَمَا شُكْرُ الرِّجْلَيْنِ؟

قَالَ: « إِنْ رَأَيْتَ حَيًّا غَبَطْتَهُ اسْتَعْمَلْتَ بِهِمَا عَمَلَهُ، وَإِنْ رَأَيْتَ مَيِّتًا مَقَتَّهُ كَفَفْتَهُمَا عَنْ عَمَلِهِ، وَأَنْتَ شَاكِرٌ لِلَّهِ ﷻ، فَأَمَّا مَنْ شَكَرَ بِلِسَانِهِ وَلَمْ يَشْكُرْ بِجَمِيعِ أَعْضَائِهِ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ رَجُلٍ لَهُ كِسَاءٌ فَأَخَذَ بِطَرَفِهِ وَلَمْ يَلْبَسْهُ، فَلَمْ يَنْفَعْهُ ذَلِكَ مِنَ الْحَرِّ وَالْبَرْدِ وَالثَّلْجِ وَالْمَطَرِ[2] ».

---

(١) سورة المؤمنون: الآيتان: (٦-٧).

(٢) شُعب الإيمان (٤٥٦٤).

كيف أشكرك؟

❁ عَنِ الْمُغِيرَةِ بْنِ عقبة، قَالَ:

« قَالَ دَاوُدُ عليه السلام: يَا رَبِّ هَلْ بَاتَ أَحَدٌ مِنْ خَلْقِكَ اللَّيْلَةَ أَطْوَلَ ذِكْرًا لَكَ مِنِّي، فَأَوْحَى اللهُ إِلَيْهِ: نَعَمْ، الضُّفْدَعُ، وَأَنْزَلَ اللهُ عز وجل عَلَيْهِ ﴿ٱعۡمَلُوٓاْ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكۡرٗاۚ وَقَلِيلٞ مِّنۡ عِبَادِيَ ٱلشَّكُورُ﴾(١)، قَالَ: يَا رَبِّ، كَيْفَ أُطِيقُ شُكْرَكَ وَأَنْتَ الَّذِي تُنْعِمُ عَلَيَّ، ثُمَّ تَرْزُقُنِي عَلَى النِّعْمَةِ الشُّكْرَ، ثُمَّ تَزِيدُنِي فِي نِعْمَةٍ بَعْدَ نِعْمَةٍ، فَالنِّعْمَةُ مِنْكَ يَا رَبِّ، وَالشُّكْرُ مِنْكَ، وَكَيْفَ أُطِيقُ شُكْرَكَ؟، قَالَ: الْآنَ عَرَفْتَنِي يَا دَاوُدُ حَقَّ مَعْرِفَتِي(٢).

❁ وَعَنِ الْحَسَنِ، قَالَ: « قَالَ مُوسَى عليه السلام: يَا رَبِّ كَيْفَ يَسْتَطِيعُ آدَمُ عليه السلام أَنْ يُؤَدِّيَ شَكَرَ مَا صَنَعْتَهُ إِلَيْهِ؟ خَلَقْتَهُ بِيَدِكَ، وَنَفَخْتَ فِيهِ مِنْ رُوحِكَ، وَأَسْكَنْتَهُ جَنَّتَكَ، وَأَمَرْتَ الْمَلَائِكَةَ، فَسَجَدُوا لَهُ، فَقَالَ: يَا مُوسَى عَلِمَ أَنَّ ذَلِكَ مِنِّي فَحَمِدَنِي عَلَيْهِ، فَكَانَ ذَلِكَ شُكْرًا لِمَا صَنَعْتُهُ إِلَيْهِ »(٣).

❁ وَعَنْ أَبِي عِمْرَانَ الْجَوْنِيِّ، عَنْ أَبِي الْخُلْدِ قَالَ: « قَرَأْتُ فِي مَسْأَلَةِ دَاوُدَ النَّبِيِّ عليه السلام، أَنَّهُ قَالَ: أَيْ رَبِّ كَيْفَ لِي أَنْ أَشْكُرَكَ وَأَنَا لَا أَصِلُ إِلَى شُكْرِكَ إِلَّا بِنِعْمَتِكَ، قَالَ: فَأَتَاهُ الْوَحْيُ أَنْ يَا دَاوُدُ أَلَيْسَ تَعَلَّمُ أَنَّ الَّذِي بِكَ مِنَ النَّعَمِ مِنِّي؟، قَالَ: بَلَى يَا رَبِّ، قَالَ: فَإِنِّي أَرْضَى بِذَلِكَ مِنْكَ شُكْرًا »(٤).

---

(١) سورة سبأ: الآية: (١٣).

(٢) شعب الإيمان (٤٤١٣).

(٣) شعب الإيمان (٤٤٢٧).

(٤) شعب الإيمان (٤٤١٥).

انظر لنصف الكوب المملوء

❁ قَالَ غَسَّانُ بنُ المُفَضَّلِ الغَلاَبِيُّ:

حَدَّثَنِي بَعْضُ أَصْحَابِنَا، قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى يُونُسَ بنِ عُبَيْدٍ فَشَكَا إِلَيْهِ ضِيقًا مِنْ حَالِهِ وَمَعَاشِهِ وَاغتِمَامًا بِذَلِكَ فَقَالَ: أَيَسُرُّكَ بِبَصَرِكَ مائَةُ أَلْفٍ؟ قَالَ: لاَ .. قَالَ: فَبِسَمْعِكَ قَالَ: لاَ قَالَ: فَبِلِسَانِكَ قَالَ: لاَ قَالَ: فَبِعَقْلِكَ قَالَ: لاَ فِي خِلاَلٍ ... وَذَكَّرَه نِعَمَ اللهِ عَلَيْهِ ثُمَّ قَالَ يُونُسُ: أَرَى لَكَ مِئِيْنَ أُلُوفًا، وَأَنْتَ تَشكُو الحَاجَةَ؟!

فهذه موعظة بليغة فى التذكير بنعم الله تعالى الكثيرة، وتعديل ميزان التفكير عند المسلم، حيث إن الفكر يشطح نحو التمتع بأكبر قدر ممكن من متاع الدنيا، فيرى صاحب هذا الفكر أن إمكاناته تقل عن ذلك، فيُصاب بالغمِّ والهمِّ، وينسى نعم الله تعالى الكثيرة عليه، فإذا ذكرها رزقه الله (جلَّ وعلا) القناعة، وصرف فكره عن التطلع نحو التوسع فى متاع الدنيا إلى التزود بأعمال الآخرة[1].

---

(١) سير أعلام النبلاء (٦/ ٢٩٢)، والتاريخ الإسلامى (١٠/ ٣٩٦).

اقبل الحياة كما هي

طُبعت على كدرٍ وأنت تريدها   صفوًا من الآلام والأكدارِ

هذا حال الدنيا منغصة اللذات، كثيرة التبعات، جاهمة المُحيا، كثيرة التلوُّن، مُزجت بالكدر، وخُلطت بالنكد، وأنت منها فى كَبَد.

ولن تجد ولدًا أو زوجة، أو صديقًا، أو نبيلًا، ولا مسكنًا ولا وظيفة إلا وفيه ما يُكدِّر وعنده ما يسوء أحيانًا، فاطفئ حَرَّ شَرِّه ببرد خيره، لتنجو رأسًا برأس والجروح قِصاص.

أراد الله لهذه الدنيا أن تكون جامعة للضدين والنوعين والفريقين والرأيين، خير وشر، صلاح وفساد، سرور وحزن، ثم يصفو الخير كله والصلاح والسرور فى الجنة ويُجمع الشر كله والفساد والحزن فى النار.

وفى الحديث: «**الدنيا ملعونة ملعون ما فيها إلا ذكر الله وما والاه وعالمًا أو متعلمًا**»(١)، فَعِشْ واقعك ولا تسرح مع الخيال وتحلق فى عالم المثاليات، اقبل دنياك كما هى، وطوِّع نفسك لمعايشتها ومواطنتها، فسوف لا يصفو لك فيها صاحب ولا يكمل لك فيها أمر، لأن الصفو والكمال والتمام ليس من شأنها ولا من صفاتها.

لن تكمل لك زوجة وفى الحديث: «**لا يفرك مؤمن مؤمنة إنْ كَرِه منها خُلقًا رضى منها آخر**»(٢).

---

(١) صحيح: رواه الترمذى، وابن ماجه، وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (١٦٠٩).

(٢) صحيح: رواه مسلم (١٤٦٩).

فينبغي أن نُسدِّد ونُقارب، ونعفو ونصفح، ونأخذ ما تيسر، ونذر ما تعسر، ونغمض الطرف أحيانًا، ونسدد الخطى، ونتغافل عن أمور.

ومن لم يصانع في أمور كثيرة　　يضرس بأنياب ويوطأ بمنسمِ(١)

(١) حدائق ذات بهجة (ص ٢٢٣- ٢٢٤).

وعسى أن تكرهوا شيئًا وهو خيرٌ لكم

۞ قال تعالى: ﴿وَعَسَىٰٓ أَن تَكۡرَهُواْ شَيۡـًٔا وَهُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡۖ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّواْ شَيۡـًٔا وَهُوَ شَرّٞ لَّكُمۡۚ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ﴾(١).

۞ قال الإمام ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

في هذه الآية عدة حِكم وأسرار ومصالح للعبد:

فإن العبد إذا علم أن المكروه قد يأتى بالمحبوب، والمحبوب قد يأتى بالمكروه؛ لم يأمن أن توافيه المضرة من جانب المسرة، ولم ييأس أن تأتيه المسرة من جانب المضرة؛ لعدم علمه بالعواقب؛ فإن الله يعلم منها ما لا يعلمه العبد؛ وأوجب له ذلك أمورًا:

منها: أنه لا أنفع له من امتثال الأمر وإن شَقَّ عليه فى الابتداء؛ لأن عواقبه كلها خيرات ومسرات ولذات وأفراح، وإن كرهته نفسه؛ فهو خير لها وأنفع، وكذلك لا شيء أضر عليه من ارتكاب النهى، وإن هويته نفسه ومالت إليه؛ فإن عواقبه كلها آلام وأحزان وشرور ومصائب.

وخاصية العقل تحمل الألم اليسير لما يعقبه من اللذة العظيمة والخير الكثير، واجتناب اللذة اليسيرة لما يعقبها من الألم العظيم والشر الطويل. فنظر الجاهل لا يجاوز المبادئ إلى غاياتها، والعاقل الكيِّس دائمًا ينظر إلى الغايات من وراء ستور مبادئها، فيرى ما وراء تلك الستور من الغايات المحمودة والمذمومة، فيرى المناهى كطعامٍ لذيذ قد خُلط فيه سمٌّ قاتل؛ فكلما دعته لذته إلى تناوله؛ نهاه ما فيه من السم، ويرى الأوامر كدواءٍ كريه

(١) سورة البقرة: الآية: (٢١٦).

المذاق مُفضٍ إلى العافية والشفاء، وكلما نهاه كراهة مذاقه عن تناوله؛ أمره نفعه بالتناول.

ولكن هذا يحتاج إلى فضل علم تُدرَك به الغايات من مبادئها، وقوة صبر يُوطن به نفسه على تحمُّل مشقة الطريق لما يُؤمِّل عند الغاية؛ فإذا فقد اليقين والصبر؛ تعذَّر عليه ذلك، وإذا قوى يقينه وصبره؛ هان عليه كل مشقة يتحملها فى طلب الخير الدائم واللذة الدائمة.

ومن أسرار هذه الآية: أنها تقتضى من العبد: التفويض إلى من يعلم عواقب الأمور، والرضا بما يختاره له ويقضيه له؛ لما يرجو فيه من حسن العاقبة.

ومنها: أنه لا يقترح على ربه ولا يختار عليه ولا يسأله ما ليس له به علم؛ فلعلَّ مضرته وهلاكه فيه وهو لا يعلم، فلا يختار على ربه شيئًا، بل يسأله حُسن الاختيار له، وأن يُرضيه بما يختاره؛ فلا أنفع له من ذلك.

ومنها: أنه إذا فوَّض إلى ربه ورضى بما يختاره له؛ أمدَّه فيما يختاره له بالقوة عليه والعزيمة والصبر، وصرف عنه الآفات التى هى عُرضة اختيار العبد لنفسه، وأراه من حُسن عواقب اختياره له ما لم يكن ليصل إلى بعضه، بما يختاره هو لنفسه.

ومنها: أنه يُريحه من الأفكار المتعبة فى أنواع الاختيارات، ويُفرغ قلبه من التقديرات والتدبيرات التى يصعد منها فى عقبة وينزل فى أخرى، ومع هذا فلا خروج له عمَّا قُدر عليه؛ فلو رضى باختيار الله؛ أصابه القدر وهو محمودٌ مشكورٌ ملطوفٌ به فيه، وإلا جرى عليه القدر وهو مذموم غير ملطوف به فيه؛ لأنه مع اختياره لنفسه.

ومتى صَحَّ تفويضه ورضاه؛ اكتنفه فى المقدور العطف عليه واللطف به، فيصير بين عطفه ولُطفه؛ فعطفه يقيه ما يحذره، ولُطفه يُهون عليه ما قدَّره[1].

۞ وها هى قصة تحمل هذا المعنى الجميل:

كان هناك ملك عنده وزير مستقيم وحكيم وكان هذا الوزير يتوكل على الله فى جميع أموره إلى أن حدثت هذه الحادثة....

انقطع للملك فى يوم من الأيام أحد أصابع يده وخرج الدم من يده، وعندما رآه الوزير قال: لعله خير إن شاء الله، وعند ذلك غضب الملك على الوزير، وقال: أين الخير والدم يجرى من إصبعى؟...

وبعدها أمر الملك بسجن الوزير: وما كان من الوزير إلا أن قال كعادته لعله خير وذهب للسجن!!

وكعادته كان الملك فى كل يوم جمعة يذهب إلى النزهة... وفى آخر النزهة حطَّ رَحله قريبًا من غابة كبيرة وبعد استراحة قصيرة دخل الملك الغابة، وكانت المُفاجأة أن الغابة بها ناس يعبدون صنمًا وكان ذلك اليوم هو يوم عيد الصنم، وكانوا يبحثون عن قُربان يقدمونه للصنم... وصادف أنهم وجدوا الملك فلم يعرفوه وألقوا القبض عليه لكى يقدموه قُربانًا إلى آلهتهم... وقد رأوا إصبعه مقطوعًا وقالوا: هذا فيه عيب ولا يُستحسن أن نقدمه قربانًا وأطلقوا سراحه..!!

حينها تذكر الملك قول الوزير عند قطع إصبعه: لعله خير.

(١) الفوائد (ص ١٤٠-١٤١).

بعد ذلك رجع الملك من الرحلة وأطلق سراح الوزير من السجن وأخبره بالقصة التى جرت عليه فى الغابة... وقال له فعلًا كان قطع الأصبع خيرًا لى.. ولكن سوف أسألك سؤالًا واحدًا: وأنت ذاهب إلى السجن سمعتك تقول: لعله خير... وأين الخير وأنت ذاهب إلى السجن؟!!

قال الوزير: أنا وزيرك ودائمًا معك ولو لم أدخل السجن لكنت معك فى الغابة وبالتالى قبضوا علىَّ عَبَدَة الصنم وقدمونى قُربانًا لآلهتهم وأنا لا يوجد بى عيب... ولذلك دخولى السجن كان خيرًا لى!!

احمل هم الدعوة

قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾[1].

❁ **قال الإمام ابن القيم** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فالدعوة إلى الله تعالى هى وظيفة المُرسَلين وأتباعهم، وهم خلفاء الرسل فى أُممهم، والناس تَبَعٌ لهم، والله سبحانه قد أمر رسوله أن يُبلِّغ ما أُنزل إليه، وضمن له حفظه وعصمته من الناس. وهكذا المُبلغون عنه من أمته، لهم من حفظ الله وعصمته إياهم بحسب قيامهم بدينه وتبليغهم له،... وقد أَمر النبى ﷺ بالتبليغ عنه ولو آية، ودعا لمن بلَّغ عنه ولو حديثًا.. وتبليغ سُنته إلى الأمة أفضل من تبليغ السهام إلى نحور العدو، لأن ذلك التبليغ يفعله كثير من الناس، وأما تبليغ السنن فلا تقوم به إلا ورثة الأنبياء وخلفاؤهم فى أممهم.

ويكفى فى هذا قول النبى ﷺ لعلى ومعاذ أيضًا: «**لأن يهدى الله بك رجلاً واحدًا خير لك من حُمر النعم**»[2] وقوله ﷺ: «**من دعا إلى هدى فاتُّبع عليه، كان له مثُل أجر من اتبعه إلى عمله، إلى يوم القيامة**»[3].

«وإنما ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء، والله ذو الفضل العظيم»[4].

---

(١) سورة فصلت: الآية: (٣٣).

(٢) متفق عليه: رواه البخارى (٢٩٤٢) كتاب الجهاد والسير، ومسلم (٢٤٠٦) كتاب فضائل الصحابة.

(٣) صحيح: رواه مسلم (٢٦٧٤) كتاب العلم بلفظ: «**من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور مَن تبعه لا ينقص ذلك من أجورهم شيئًا ومن دعا إلى ضلالة كان عليه من الإثم مثل آثام مَن تبعه لا ينقص ذلك من آثامهم شيئًا**».

(٤) جلاء الأفهام (٢٤٩-٢٥٠).

۞ وكيف لا تحمل هم الدعوة وأنت ترى المنكرات تملأ الأرجاء حتى لو رآنا رسول الله ﷺ لأنكرنا.

وأنت تخرج للأسواق فلا ترى غير شبابٍ تائه يبحث عن فريسة تتعرض له وتتهادى بين يديه!!

وأنت تعيش فى أمة المليار ومع هذا لم تحصد فى ميادين الإنجاز سوى الأصفار!!

وأنت ترى التبرج يستشري والعري يسري وحجاب بناتنا يُذوى، وإن ارتدينه فمظهر لا جوهر وشخص بلا روح، فلا سلوك يدل عليه أو آداب تبشر به.

وأنت ترى أمة الأخلاق وريثة النبى ذى الخلق العظيم لا تعمل بأخلاق هذا النبى الكريم ليحمل الكافرون بضاعتنا بعد أن بعناها فى سوق الهجران.

وأنت ترى غزة الأبية تعانى ما لو مَرَّ بالحديد لذاب وبالوليد لشاب؟!

وقد علا صوت الباطل وخَفَتَ صوت الحق، وصار الأمر إلى ما قال شيخ الإسلام مصطفى صبري:

إذا قلتُ المحال رفعتُ صوتي وإن قلتُ اليقين أطلتُ همسي

والدعوة كل يوم تطلبك وتستصرخ نجدتك وترتقب عودتك.

ودينك الذى هو أغلى الأشياء أضحى وأمسى تحت القصف ولا ناصر أو مغيث؟![1].

---

(١) يا صاحب الرسالة (ص ٣١- ٣٢) بتصرف.

تبسَّم فى وجه أخيك

۞ إن البسمة الجميلة الصافية تفتح لك قلوب الناس من حولك.

- وحسبُنا أن نعلم أن النبى ﷺ أوصى بها وجعلها من الصدقات التى يؤجر عليه المسلم فقال ﷺ: «**تبسمك فى وجه أخيك لك صدقة**»(١).

- بل جعل النبى ﷺ ذلك من قبيل المعروف فقال ﷺ: «**لا تحقرن من المعروف شيئًا ولو أن تلقى أخاك بوجهٍ طلقٍ له**»(٢).

۞ ولذا فعليك أن تُكثر من التبسم.

فهذا هو هدى نبينا ﷺ، فعن عبد الله بن الحارث بن جزءٍ رضي الله عنه قال: «ما رأيت أحدًا أكثر تبسما من رسول الله ﷺ» (٣).

۞ واعلم أن ثمرات التبسم لا تقتصر على تكثير الحسنات وتكفير السيئات وكسب قلوب الناس بل إنه يبعث على السرور والانشراح ويجعلك تستمتع بمباهج الحياة.

قال الجاحظ فى مقدمة كتاب «البخلاء» شارحًا بعض فضائل التبسُّم: «وكيف لا يكون موقعُهُ من سرور النفس عظيمًا، ومن مصلحة الطباع كبيرًا، وهو شىء من أصل الطباع، ومن أساس التركيب؛ لأن الضحك أول خير ظهر من الصبى، وبه تطيب نفسه، وعليه ينبت شحمه، ويكثر دمه الذى هو علة سروره، ومادةُ قوته.

---

(١) صحيح: رواه الترمذى (١٩٥٦)، وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (٢٩٠٨).

(٢) صحيح: رواه مسلم (٢٦٢٦) كتاب البر والصلة والآداب.

(٣) صحيح: رواه الترمذى (٣٦٤١) كتاب المناقب، وأحمد (١٧٢٥١) مسند الشاميين، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح سنن الترمذى.

وقال أحمد أمين في كتابه «**فيض الخاطر**»: «ليس المبتسمون للحياة أسعد حالًا لأنفسهم فقط، بل هم - كذلك- أقدر على العمل، وأكثر احتمالًا للمسئولية، وأصلح لمواجهة الشدائد، ومعالجة الصعاب، والإتيان بعظائم الأمور التي تنفعهم، وتنفع الناس.

ولو خُيرت بين مالٍ كثير - أو منصب خطير - وبين نفسٍ راضية باسمة - لاخترت الثانية، فما المال مع العبوس؟!، وما المنصب مع انقباض النفس؟!، وما كل ما في الحياة إذا كان صاحبه ضيقًا حرجًا، كأنه عائد من جنازة حبيب؟! وما جمال الزوجة إذا عبست، وقلبت بيتها جحيمًا؟!، لخيرٌ منها - ألف مرةٍ - زوجة لم تبلغ مبلغها من الجمال، وجعلت بيتها جنةً!

ولا قيمة للبسمة الظاهرة إلا إذا كانت منبعثة مما يعترى طبيعة الإنسان من شذوذ، فالزهر باسم، والغابات باسمة، والبحار، والأنهار، والسماء، والنجوم، والطيور - كلها باسمة، وكان الإنسان بطبعه باسمًا، لولا ما يعرض له من طمع، وشرٍّ، وأنانية تجعله عابسًا، فكان بذلك نشازًا في نغمة الطبيعة المنسجمة».

وعن جابر بن سليم ﷺ **قال**: قال رسول الله ﷺ: «**لا تَسُبنَّ أحدًا، ولا تَحقرنَّ من المعروف شيئًا، ولو أن تكلم أخاك وأنت منبسط إليه وجهُك، إن ذلك من المعروف**»(١).

وعن أبي هريرة ﷺ **قال**: قال رسول الله ﷺ: «**إنَّكم لن تَسَعوا الناس بأموالكم، ولكن يسعهم منكم بسطُ الوجه، وحُسنُ الخُلُق**»(٢).

---

(١) صحيح: رواه أبو داود، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٧٣٠٩).

(٢) حسن: رواه أبو يعلى والبزار، وحسنه الألباني في صحيح الترغيب (٢٦٦١).

مفاتيح القلوب

۞ كل باب له مفتاح.. والمفتاح المناسب لفتح قلوب الناس هو معرفة طبائعهم.. حل مشاكل الناس.. الإصلاح بينهم.. الاستفادة منهم.. اتقاء شرورهم.. كل ذلك تصبح فيه بارعًا إذا عرفت طبائعهم..

افرض أن شابًّا وقع بينه وبين أبيه خلاف.. اشتد الخلاف حتى طرده أبوه من البيت.. حاول الابن العودة مرارًا لكن الأب كان عنيدًا مُصرًّا..

دخلت للإصلاح بينهما.. حدثت الأب بالنصوص الشرعية.. خوَّفته من إثم القطيعة..

لم يلتفت إليك.. كان مشحونًا غاضبًا جدًّا.. أردت أن تستعمل أساليب أخرى للإصلاح.. عرفت من طبيعة هذا الأب أنه عاطفى جدًّا..

جئت إليه وقلت: يا فلان.. أما ترحم ولدك.. يفترش الأرض.. ويلتحف السماء..!! أنت تأكل وتشرب.. والمسكين يبيت طاويًا ويصبح جائعًا..

أما تذكره إذا رفعت كسرة الخبز إلى فمك.. أما تذكر مشيه فى حَرِّ الشمس.. أما تذكر لما كنت تحمله صغيرًا.. وتضمه إلى صدرك.. وتشمه وتقبله..

أيُرضيك أن يستجدى الناس وأبوه حي!!.. تجد أن عاطفة الأب تهيج بهذه الكلام.. ويقترب أكثر من نقطة الالتقاء..

وإن كان أبوه بخيلًا محبًّا للمال..

قلت له: يا فلان انتبه لا تورط نفسك.. أرجع الولد تحت نظرك وتصرفك.. أخشى أن يسرق أو يعتدي.. فتُلزمك المحكمة بسداد ما أخذ.. وإصلاح ما خرب.. فأنت أبوه على كل حال..

انتبه.. تجد أن الأب البخيل سيبدأ يعيد موازينه من جديد..

وإن كان كلامك موجهًا إلى الابن.. وكان جشعًا محبًّا للمال..

قلت له: يا فلان.. لن ينفعك إلا أبوك.. غدًا ستحتاج أن تتزوج.. من يُسدد مهرك؟ لو تعطلت سيارتك من يُصلحها؟

لو مرضت.. من سيحاسب المستشفى؟

إخوانك يستفيدون كما شاؤوا.. مصروف.. هدايا.. وأنت جالس هكذا.. ما يضرك أن تُصلح ذلك كله بقبلة تطبعها على جبين أبيك.. أو كلمة أسف تهمس بها فى أذنه..

وكذلك لو دخلت للإصلاح بين زوجة وزوجها.. فعلت مثل ذلك.. وفتحت باب كل واحد منهما بالمفتاح المناسب..

ومثله لو أردت إجازة من مديرك فى العمل.. وعرفت أنه لا يلتفت إلى العواطف ولا الأمور الاجتماعية..وإنما عمل (وبس!)..

فقلت له: أحتاج إلى إجازة ثلاثة أيام أجدد فيها نشاطي.. وأستعيد حيويتي.. أشعر أن إنتاجيتى مع ضغط العمل تنحدر تدريجيًّا.. أعطنى فرصة لإراحة (رأسي) فقط ثلاثة أيام.. لأعود أنشط وأقدر..

وإن كان اجتماعيًّا.. تلحظ من خلال تعاملاته.. أنه حريص على الأسرة والعائلة..

قلت له: أريد إجازة لأرى والديَّ.. أولادي.. أشعر أنهم فى وادٍ وأنا فى وادٍ آخر.. إلى غير ذلك..

أتقن هذه المهارة.. وستسمع الناس غدًا يقولون: ما رأينا أبرع من فلانٍ فى القدرة على الإقناع..!![1].

(١) استمتع بحياتك (ص ١٣١-١٣٢).

اعلموا أن الله يُحيى الأرض بعد موتها

۞ نحن نعلم جميعًا أن قلوب العباد بين أُصبعين من أصابع الرحمن (جلَّ وعلا) يُقلبها كيف يشاء ... فمن كان يشكو مرضًا فى قلبه أو قسوة فى قلبه، أو حتى يشكو من موت قلبه فليعلم أنه لا حياة لقلبه إلا بأمر الله.

ولذا قال تعالى: ﴿اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾[1] أى: كما أنه سبحانه وتعالى يُحيى الأرض الميتة بالمطر فإنه وحده هو القادر على إحياء القلوب الموات.

والمعنى:

إذا كنت تعانى من الكآبة والحزن واليأس والجزع، فهل تملك قوى الأرض جميعًا أن تُغيِّر من ذلك مثقال ذرة؟!

۞ إذا حيزت لك الدنيا بحذافيرها وصارت تحت قدميك؛ لكن امتلأ قلبك كمدًا وغمًّا فهل تهنأ من دنياك بشيء؟!

۞ إذا غرق قلبك فى الشك والشبهات والزيغ والريب؛ فهل يملك نزع ذلك المرض من صدرك أحد من أهل الدنيا ما لم يشأ ربك؟!

۞ إذا رأيت نعيم الدنيا مُقبلًا على غيرك ومُعرضًا عنك فمددت عينيك حسدًا ولسانك حقدًا وقلبك غِلًّا، فهل يملك تطهيرك مما أنت فيه أحد غير الله؟!

۞ إذا أحب قلبك شهوة وأُشربها ومال إلى خطيئة وعشقها، فهل يملك أن يعدل قلبك المنكوس ويُحيى فطرتك السليمة أحد سوى خالقه؟!

---

(١) سورة الحديد: الآية (١٧).

۞ إذا كره قلبك طاعة واستثقلها ومَلَّ المداومة عليها حتى كاد ينقطع، فهل يملك أحدٌ أن يُحببك فيها ويُدنيك منها سوى الذى حبَّب إلينا الإيمان وزيَّنه فى قلوبنا؟!

هذا ما أدركه مطرف بن عبد الله حين انخلع من رؤية عمله واعترف بقمة عجزه وغاية ضعفه وردَّ الفضل كل الفضل إلى الله وحده حين قال: «لو أُخرج قلبى فجُعل فى يدى هذه فى اليسار وجيء بالخير فجُعل فى هذه اليمنى، ثم قُرِّبت من الأخرى ما استطعت أن أولج فى قلبى شيئًا حتى يكون الله عز وجل يضعه»(١)(٢).



(١) مدارج السالكين (٣/ ١٠٨).

(٢) بأى قلبٍ نلقاه/ د. خالد أبو شادى (ص ٣٠- ٣١).

فاقد الشيء لا يعطيه

۞ إن من عظمة هذا الدين العظيم أنه يأمرنا أن نعمل بما نعلم حتى نستفيد من هذا العلم ثم ننطلق بهذا العلم لننفع به الناس من حولنا.

قال تعالى: ﴿أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ ٱلْكِتَٰبَ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾[١]، وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿٢﴾ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُوا۟ مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾[٢].

وقال قتادة رَحِمَهُ اللَّهُ في تفسير قوله تعالى عن يعقوب عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿وَإِنَّهُۥ لَذُو عِلْمٍ لِّمَا عَلَّمْنَٰهُ﴾[٣]. أي: وإنه لذو عملٍ بما علمناه.

۞ ومن أجل ذلك ذمَّ النبي ﷺ من تعلَّم العلم ولم يعمل به فقال ﷺ: «يُجاءُ بالرجل يوم القيامة فيُلقى في النار، فتندلق أقتابه (أمعاؤه)، فيدور بها في النار، كما يدور الحمار برحاه، فيطيف به أهل النار، فيقولون: يا فلان! ما أصابك؟ ألم تكن تأمرنا بالمعروف وتنهانا عن المنكر؟ فيقول: بلى، قد كنتُ آمركم بالمعروف ولا آتيه، وأَنهاكم عن المنكر وآتيه»[٤].

۞ ولقد سمعت كثيرًا عن كتاب «فن التعامل مع الناس» للكاتب المشهور (دايل كارنيجي) والذي تُرجم كتابه لأكثر من (٥٩) لغة وانتشر انتشار النار في الهشيم وكان الكاتب ينصح بقراءة هذا الكتاب في كل شهر مرة لكي يتأثر به القارئ ويعمل بما فيه ... وبالفعل كان هناك من يداوم

(١) سورة البقرة: الآية: (٤٤).

(٢) سورة الصف: الآيتان: (٢- ٣).

(٣) سورة يوسف: الآية: (٦٨).

(٤) متفق عليه: رواه البخاري (٣٠٩٤)، ومسلم (٢٩٨٩).

على قراءته رغم أنه كتاب يدعو الناس إلى سعادة الدنيا فحسب دون أن يحضهم على أن يجعلوا تلك السعادة موصولة بسعادة الآخرة وذلك لأنه لم يُسلم ولم يعرف طريق النور ولم يذق حلاوة الإيمان.

وعلى الرغم من تأثُّر الكثير بقراءة هذا الكتاب إلا أن صاحبه ومؤلفه قتل نفسه ومات منتحرًا لأنه لم ينتفع هو بكتابه ولم يعرف أن السعادة كل السعادة فى إيمان العبد بربه (جلَّ وعلا) حتى وإن عاش فقيرًا محرومًا طوال حياته.

قال تعالى: ﴿ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾[1].

وقال تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِ ۗ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ ﴿٢٨﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ طُوبَىٰ لَهُمْ وَحُسْنُ مَـَٔابٍ ﴾[2].

(١) سورة النحل: الآية: (٩٧).

(٢) سورة الرعد: الآيتان: (٢٨- ٢٩).

ضَعْ الأُمور فى نِصابها

۞ لا تدوم الحياة على حالٍ واحدٍ أبدًا.

قال ابن مسعود رضي الله عنه: لكل فرحةٍ ترحة وما مُلئ بيتٌ فرحًا إلا مُلئ حُزنًا وترحًا.

۞ فكل إنسان تعتريه الأفراح والأحزان بل قد يحزن ويفرح فى ساعة واحدة لكن عليه أن يضع الأمور فى نِصابها.

فما كان يستحق حزن ساعة لا ينبغى أن نحزن عليه شهرًا كاملًا وما كان يستدعى الفرح ساعة لا ينبغى أن نتركه يمضى دون أن نفرح به ولا ينبغى أن ننشغل بفرحنا به عن أن نعمل لنستقطب أعمالًا أخرى تجلب لنا مائة فرحة وفرحة.

نعمة التسلية

۞ ومن أنفع ما للمصاب أن يطفئ نار مصيبته ببرد التأسّي بأهل المصائب.

قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: «لكل فرحة ترحة، وما مُلئ بيت فرحًا إلا مُلئ ترحًا».

قالت الخنساء رضي الله عنها، وهي تنعى أخاها (صخرًا) الذي مات في الجاهلية:

يُذكِّرني طلوع الشمس صخرًا ... وأذكره لكل غروب شمسِ
فلولا كثرةُ الباكين حولي ... على إخوانهم لقتلت نفسي
وما يبكين مثل أخي ولكن ... أُعزِّي النفس عنه بالتأسي

وهذا المعنى قد حرمه الله عز وجل أهل النار فإن المخلدين فيها يظن كل واحدٍ أنه لم يبقَ في النار سواه.. وذلك زيادة في تعذيبهم وتنكيلهم.

قال تعالى: ﴿ وَلَن يَنفَعَكُمُ ٱلْيَوْمَ إِذ ظَّلَمْتُمْ أَنَّكُمْ فِى ٱلْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ ﴾[1].

قال عمرُ: أصبحتُ وما لي مطلبٌ إلا التمتُّع بمواطنِ القضاءِ.

لترمي بيَ المنايا حيث شاءتْ ... فإنِّي في الشَّجَاعَة قَد رَبِيتُ

ومعنى ذلك: أنه مرتاحٌ لقضاءِ اللهِ وقدرِه، سواء كان فيما يحلو له أو فيما كان مُرًّا.

وقال بعضُهمْ: ما أبالي على أي الراحلتيْنِ ركبتُ، إنْ كان الفقرُ لهو

(١) سورة الزخرف: الآية: (٣٩).

الصبرُ، وإنْ كان الغنى لهو الشكرُ.

ومات لأبى ذؤيب الهذلى ثمانيةٌ من الأبناءِ بالطاعونِ فى عامٍ واحدٍ فماذا عسى أنْ يقول؟ إنه آمن وسلَّم وأذعن لقضاءِ ربهِ، وقال:

وتجلُّدى للشامتين أُريهُمُو أنى لريبِ الدهرِ لا أتضعضعُ
وإذا المنيةُ أنشبت أظفارها ألفيتَ كلَّ تميمةٍ لا تنفعُ

﴿ مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ﴾ (١).

وفقد ابنُ عباسٍ بصره فقال - مُعزِّيًا نفسه -:

إنْ يأخذِ اللهُ منْ عينى نورهما ففى فؤادى وقلبى منهما نورُ
قلبى ذكىٌّ وعقلى غيرُ ذى عِوجٍ وفى فمى صارمٌ كالسيفِ مشهورُ

وهو التسلِّى بما عنده منَ النِّعم الكثيرةِ إذا فقد القليل منها.

وبُترتْ رِجْلُ عروة بن الزبيرِ، ومات ابنُه فى يومٍ واحدٍ، فقال: اللهمَّ لكَ الحمْد، إنْ كنت أخذت فقدْ أعطيْت، وإنْ كنت ابتليْتَ فقدْ عافيت، منحتنى أربعة أعضاءٍ، وأخذت عضوًا واحدًا، ومنحتنى أربعة أبناءٍ وأخذت ابنًا واحدًا. ﴿ وَجَزَىٰهُم بِمَا صَبَرُواْ جَنَّةً وَحَرِيرًا ﴾ (٢)، ﴿ سَلَٰمٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ ﴾ (٣).

وقُتل عبدُاللهِ بنُ الصِّمَّةِ أخو دُريدٍ، فعزَّى دريدٌ نفسه بعد أن ذكر أنه دافع عنْ أخيهِ قدْر المستطاعِ، ولكنْ لا حيلة فى القضاءِ، مات أخوه عبدُالله فقال دريدٌ:

---

(١) سورة التغابن: الآية: (١١).

(٢) سورة الإنسان: الآية: (١٢).

(٣) سورة الرعد: الآية: (٢٤).

وطاعنتُ عنه الخيلَ حتى تبدَّدتْ وحتى علانى حالِكُ اللونِ أسودِ
طعانُ امرئٍ آسى أخاهُ بنفسهِ ويعلمُ أنَّ المرء غيرُ مخلَّدِ
وخفَّفتُ وجدى أننى لم أقلْ لهُ كذبتَ ولم أبخلْ بما ملكتْ يدِي

ويروى عنِ الشافعى - واعظًا ومعزِّيًا للمصابين -:

دعِ الأيام تفعلُ ما تشاءُ وطِبْ نفسًا إذا حكم القضاءُ
إذا نزل القضاءُ بأرضِ قومٍ فلا أرضٌ تقيهِ ولا سماءُ

وقال أبو العتاهيةِ:

كمْ مرةٍ حفَّتْ بك المكارِه خار لك اللهُ وأنت كارِهْ؟

كمْ مرةٍ خفنا من الموتِ فما مُتْنا؟!

كمْ مرةٍ ظننا أنَّها القاضيةُ وأنها النهايةُ، فإذا هى العودةُ الجديدةُ والقوةُ والاستمرارُ؟!

كم مرةٍ ضاقتْ بنا السُّبُلُ، وتقطَّعتْ بنا الحبالُ، وأظلمتْ فى وجوهِنا الآفاقُ، وإذا هو الفتحُ والنصرُ والخيرُ والبِشارةُ؟! ﴿قُلِ ٱللَّهُ يُنَجِّيكُم مِّنْهَا وَمِن كُلِّ كَرْبٍ﴾ (١).

كمْ مرةٍ أظلمتْ أمامنا دُنيانا، وضاقتْ علينا أنفسُنا والأرضُ بما رحُبتْ، فإذا هو الخيرُ العميمُ واليسرُ والتأييدُ؟! ﴿وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ﴾ (٢).

(١) سورة الأنعام: الآية: (٦٤).
(٢) سورة يونس: الآية: (١٠٧).

مَنْ عَلِم أنَّ الله غالبٌ على أمرِه، كيف يخافُ أمر غيرِه؟! مَنْ عَلِم أنَّ كلَّ شيءٍ دون اللهِ، فكيف يخوفونك بالذين منْ دونِه؟! منْ خاف الله كيف يخافُ منْ غيرِه، وهو يقولُ: ﴿فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ﴾[1].

معهُ سبحانهُ العزةُ، والعزةُ للهِ ولرسولِهِ وللمؤمنين.

معه الغَلَبَةُ ﴿وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ﴾[2]، ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ ٱلْأَشْهَٰدُ﴾[3].

ذكر ابنُ كثيرٍ في تفسيرِه أثرًا قدسيًّا: «**وعزتي وجلالي ما اعتصم بي عبدٌ، فكادتْ له السماواتُ والأرضُ، إلا جعلتُ له منْ بينِها فرجًا ومَخرجًا. وعزَّتي وجلالي ما اعتصم عبدي بغيري إلا أسخْتُ الأرض من تحتِ قدميْهِ**»[4].

(١) سورة آل عمران: الآية: (١٧٥).

(٢) سورة الصافات: الآية: (١٧٣).

(٣) سورة غافر: الآية: (٥١).

(٤) لا تحزن/ د. عائض القرني (ص ٢٠٣-٢٠٦).



اجعل لبيتك سقفًا

۞ **عن علقمة بن مرثد قال:** انتهى الزهد إلى ثمانية من التابعين منهم: أبو مسلم الخولانى، فإنه لم يكن يجالس أحدًا يتكلم فى شىء من أمر الدنيا إلا تحول عنه، فدخل ذات يوم المسجد، فنظر إلى نفر قد اجتمعوا فرجا أن يكونوا على ذكر الله تعالى، فجلس إليهم وإذا بعضهم يقول: قدم غلامى فأصاب كذا وكذا. وقال الآخر: جهزت غلامى.

فنظر إليهم وقال: سبحان الله أتدرون ما مثلى ومثلكم؟ كمثل رجل أصابه مطرٌ غزيرٌ وابل فالتفت فإذا هو بمصراعين عظيمين فقال: لو دخلت هذا البيت حتى يذهب هذا المطر، فدخل فإذا البيت لا سقف له، ... جلست إليكم وأنا أرجو أن تكونوا على ذكر وخير فإذا أنتم أصحاب دنيا [(١)].

---

(١) صفة الصفوة (٤/ ٣٨٤-٣٨٥).

خليك هادئ

۞ إنَّ الغضب يُغلق على الإنسان عقله ويجعله أُلعوبة فى يد الشيطان يحركها كيف يشاء ... فقد يُطلِّق امرأته بسبب الغضب وقد يخسر صاحبه بسبب الغضب بل قد يسيئ إلى أبويه بسبب الغضب ... وقد يفقد دينه بسبب الغضب.

ولذا كانت وصية النبى ﷺ للرجل الذى طلب منه الوصية فقال له: «**لا تغضب**»، فردَّد مرارًا، قال: «**لا تغضب**» (١)!

۞ ومن طرائف قصص الغضب أنى ذهبت يومًا لمدينة أملج (٣٠٠ كم جنوب جدة) لإلقاء محاضرة.

كان من بين الحاضرين شاب سريع الغضب ثائر الأعصاب جدًّا.

هذا الشَّاب سافر مرة بسيارته ولم يكن مستعجلًا فكان يمشى ببطء.. كان وراءه سيارة مسرعة تريده أن يفسح لها الطريق.. وهو يزداد بطئًا ويشير لهم بيده أن خففوا السرعة.

ضاق صاحب السيارة الأخرى بصاحبنا ذرعًا.. وتعدَّاه بسرعة وانحرف عليه بسيارته مؤدِّبًا.. ثم مضى.. ولم يُصَب أحدٌ منهما بضرر.

ثارت أعصاب صاحبنا – وهى تثور على أقل من ذلك بكثير – فزاد من سرعة سيارته.. وأخذ يصرخ ويزمجر.. ويشير لهم بأضواء السيارة مرارًا حتى توقفوا.. فألقى غُترته جانبًا.. وتناول قطعة حديد فى يده – هى فى الأصل مفك لفتح مسامير العجلات عَند الحاجة –.. ونزل من السيارة

(١) صحيح: رواه البخارى (٦١١٦).

متوجهًا إليهم،... والغضب بادٍ عليه وقطعة الحديد فى يده ...

فإذا بالسيارة المقابلة ينزل منها ثلاثة شباب قد ضاقت ملابسهم بعضلاتهم.. وتباعدت أيديهم عن جنوبهم من عرض أكتافهم.

أقبلوا يجرون بانفعال إلى صاحبنا.. وقد رأوه تهيأ للقتال!!

فلما رآهم انتفض.. وغصَّ بريقه.. وهم ينظرون إليه وإلى ما فى يده.

فلما لاحظ أنهم يُحِدُّون النظر إلى قطعة الحديد.. رفعها برفق وقال: عفوًا.. أردت أن أُنبهكم إلى أن هذه سقطت منكم.. فتناولها أحدهم بانفعال.. وولوا إلى سيارتهم.. وهو يشير بيده إليهم مُودعًا..!![1]

---

(١) استمتع بحياتك (ص ١٣٠) د. محمد العريفى.

من لم تستطع أن تكسبه لدعوتك فحيِّده

۞ طريق الدعوة محفوف بالمخاطر ومليء بالأشواك ... وهو فى نفس الوقت حقلٌ فسيح وأرضٌ خصبة تغرس فيها دعوتك لتجنى ثمارها فى الدنيا بهداية الناس والفوز بحبهم وفى الآخرة بأن تُحشَر فى الجنة مع سيد الدعاة وإمام النبيين محمد بن عبد الله ﷺ فى أعلى درجات الجنة.

۞ وفى طريق الدعوة ستجد أُناسًا يريدون تحطيم دعوتك أو على الأقل تعطيلها ... وبخاصة من الأقران الذين لا يريدون بدعوتهم وجه الله .... فعليك أن تكون حكيمًا فى التعامل مع هذا الصنف من الناس فلا تبادلهم الإساءة بل ادفع السيئة بالحسنة وتألَّف قلوبهم قدر استطاعتك فإن لم تستطع أن تفوز بمحبتهم فلا أقل من أن تجعلهم على الحياد فلا هم أعداء ولا هم أصدقاء.

۞ ومن أجل ذلك كانت هذه النصيحة الغالية: من لم تستطع أن تكسبه لدعوتك فحيِّده.





يا أنا!!

﴿ تـا لله لـن تجـد تلـك المـشاعر والأحاسيس الراقيـة إلا فى ظـل هـذا الدين العظيم الذى أنزل أخاك بمنزلة النفس.

قال تعالى: ﴿وَلَا تَلۡمِزُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ﴾[(١)].

قال ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ومجاهد، وسعيد بن جبير، وقتادة: «أى: لا يطعن بعضكم على بعض»[(٢)].

وقال الرازى: «جعلهم كأنفسهم»[(٣)].

﴿ وقال تعالى: ﴿وَلَا تُخۡرِجُونَ أَنفُسَكُم مِّن دِيَٰرِكُمۡ﴾[(٤)] أى: لا تُخرجوا إخوانكم من ديارهم.

﴿ ﴿ثُمَّ أَنتُمۡ هَٰٓؤُلَآءِ تَقۡتُلُونَ أَنفُسَكُمۡ﴾[(٥)].

أى: يقتل بعضُكم بعضكم.

﴿ وقال تعالى: ﴿ظَنَّ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتُ بِأَنفُسِهِمۡ خَيۡرٗا﴾[(٦)].

قال ابن عرفة: «أى بأهل الإيمان وأهل شريعتهم»[(٧)].

---

(١) سورة الحجرات: الآية: (١١).

(٢) تفسير ابن كثير.

(٣) «مفاتيح الغيب»، أو «التفسير الكبير» للرازى (١٤/ ٣٨٨).

(٤) سورة البقرة: الآية: (٨٤).

(٥) سورة البقرة: الآية: (٨٥).

(٦) سورة النور: الآية: (١٢).

(٧) «بصائر ذوى التمييز فى لطائف الكتاب العزيز» للفيروزأبادى (٥/ ٩٨) طبع المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية.

۞ وقال تعالى: ﴿فَإِذَا دَخَلْتُم بُيُوتًا فَسَلِّمُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ تَحِيَّةً مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ﴾[١].

قال سعيدُ بن جبير والحسن البصري وقتادة والزهري: يعني: «فيُسلِّم بعضُكم على بعض»[٢].

قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنفُسَكُم بِٱتِّخَاذِكُمُ ٱلْعِجْلَ فَتُوبُوٓا۟ إِلَىٰ بَارِئِكُمْ فَٱقْتُلُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ﴾[٣].

عن سعيد بن جُبير، عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال الله تعالى: «إن توبتَهم أن يقتلَ كلُّ رجلٍ منهم كلَّ مَن لقي – من ولد ووالد –، فيقتله بالسيف»[٤].

وقال ابن كثير: وذلك أن أهلَ الملة الواحدة بمنزلة النفس الواحدة، كما قال ﷺ: «مَثلُ المؤمنين في توادهم وتعاطفهم وتراحمهم كَمَثَلِ الجسد الواحد، إذا اشتكى منه عضوٌ تداعى له سائر الجسد بالحمى والسهر».

وقال السعدي الشيرازي:

قال لي المحبوبُ لما زُرته ... مَن ببابي؟ قلتُ بالباب أنا
قال لي: أخطأت تعريف الهوى ... حينما فرَّقت فيه بيننا
ومضى عامٌ فلما جئتُه ... أَطرُقُ الباب عليه موهنَا
قال لي؟ من أنتَ؟ قلت انظر فما ... ثَمَّ إلا أنت بالباب هنا
قال لي: أحسنت تعريف الهوى ... وعرفت الحب فادخل يا أنا[٥]

(١) سورة النور: الآية: (٦١).
(٢) «تفسير ابن كثير» (١٠/ ٢٧٧).
(٣) سورة البقرة: الآية: (٥٤).
(٤) تفسير ابن كثير (١/ ١٣٠).
(٥) «لا تحزن» د. عائض القرني (ص ٢٥٦).

فلا تذهب نفسك عليهم حسرات

۞ قد يُبتلى الإنسان فى حياته بأُناسٍ لابد له من معاشرتهم والاختلاط بهم ومداراتهم ... وقد يكون هؤلاء الناس على خطرٍ عظيم بوقوعهم فى الذنوب والمعاصى والمخالفات ... كأن يُبتلى بوالد لا يصلى أو ولدٍ عاقٍ أو أخٍ قاطع أو رئيس متسلط فيحاول إصلاحهم بالنصيحة الهادئة والكلمة الرقراقة ومع ذلك فإنه لا يجد من يستجيب له فيحزن لذلك ويغتم ويزداد همه ... فماذا يصنع ؟

۞ هل يسترسل الإنسان فى أحزانه ويقف واجمًا أمام هذا الصدود؟

والجواب: كلا بل عليه أن يأخذ بالأسباب ويدعوهم بكل رحمة وحنان ويُطيل النَّفَس فى دعوتهم إلى الله (جلَّ وعلا) فإن لم يستجيبوا فقد بذل ما أمره الله به، ولا يكلف الله نفسًا إلا وسعها وهنا يقال له: ﴿فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَٰتٍ﴾ و ﴿وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِى ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ ﴿١٢٧﴾ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ﴾.

العلم يرفع صاحبه دنيا ودينًا

۞ عن على بن الجعد قال: أخبرنى يعقوب بن إبراهيم بن يوسف القاضى قال: توفى أبى إبراهيم بن حبيب، وخلَّفنى صغيرًا فى حجر أمى، فأسلمتنى إلى قصَّار أخدمه فكنت أَدَع القصَّار وأَمُرُّ إلى حلقة أبى حنيفة، فأجلس وأستمع، وكانت أمى تجيء خلفى إلى الحلقة فتأخذ بيدى وتذهب بى إلى القصار وكان أبو حنيفة يعنى بى لما يرى من حضورى ويحرضنى على التعليم فلما كثر ذلك على أمى وطال عليها هربى قالت لأبى حنيفة: ما لهذا الصبى فسادٌ غيرك، هذا صبى يتيم، لا شيء له، وإنما أُطعمه من مغزلى، وآمل أن يكسب دانقًا يعود به على نفسه، فقال لها أبو حنيفة: مُرِّى يا رعناء، هذا هو ذا يتعلم أكل الفالوذج[1] بدهن الفستق... فانصرفت عنه، وقالت له: أنت شيخ قد خَرِفتَ وذهب عقلك. قال: ثم لزمته، فنفعنى الله بالعلم، ورفعنى حتى تقلدت القضاء، وكُنت أُجالس الرشيد، وآكل معه على مائدته، فلما كان فى بعض الأيام قُدِّم إلى هارون فالوذجة فقال لى هارون: يا يعقوب، كُلْ منها فليس فى كل يوم يُعمَل لنا مثلها، فقلت: وما هذه يا أمير المؤمنين؟ فقال: هذه فالوذجة بدهن الفستق، فضحكت. فقال: مم ضحكت؟ فقلت: خيرًا أبقى الله أمير المؤمنين ... قال: تخبرنى، وألحَّ علىَّ، فأخبرته بالقصة من أولها إلى آخرها، فعجب من ذلك، وقال لعمرى إن العلم لينفع ويرفع دُنيا ودينًا، وترحَّم على أبى حنيفة، وقال: كان ينظر بعين عقله ما لا يراه بعين رأسه[2].

(١) الفالوذج: حلواء تُعمل من الدقيق والماء والعسل، أو تُصنع من النشا والماء والسكر.

(٢) أخرجها الخطيب فى تاريخ بغداد (١٤/ ٢٤٤).

كُن كريمًا لتظفر بقلوب المحبين

۞ قال ﷺ: «ما من مسلم ينفقُ من كل مالٍ له زوجين فى سبيل الله، إلا استقبلته حَجَبةُ الجنة كلهم يدعوهُ إلى ما عنده»(١).

وقال ﷺ: «من أنفق نفقةً فى سبيل الله، كُتبت له سبعمائة ضعف»(٢).

۞ وعن عدى بن حاتم رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «اتقوا النار ولو بشِقِّ تمرة»(٣).

۞ وقال رسول الله ﷺ: «من تصدق بعدل تمرة من كسبٍ طيب، ولا يقبل الله إلا الطيب، فإن الله يقبلها بيمينه، ثم يربيها لصاحبها، كما يربى أحدكم فَلُوَّهُ حتى تكون مثل الجبل»(٤).

۞ وعن أبى هريرة رضي الله عنه أن النبى ﷺ قال: «ما من يوم يصبح العباد فيه إلا ملكان ينزلان، فيقول أحدهما: اللهم أعط منفقًا خلفًا، ويقول الآخر: اللهم أعط مُمسكًا تلفًا»(٥).

۞ عن عبد الرحمن بن يزيد بن جابر قال: حدثتنى مولاة أبى أمامة قالت: كان أبو أُمامة يحب الصدقة ويجمع لها، ولا يرد سائلًا ولو ببيضة، ولو بتمرة أو بشىء مما يؤكل. فأتاه سائل ذات يوم وقد أقفر من ذلك كله وما عنده إلا ثلاثة دنانير، فسأله فأعطاه دينارًا، ثم أتاه سائل فأعطاه دينارًا،

---

(١) صحيح: رواه أحمد، والنسائى، والحاكم وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (٥٧٧٤).

(٢) صحيح: رواه أحمد والترمذى، وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (٦١١٠).

(٣) متفق عليه: رواه البخارى (١٤١٣) كتاب الزكاة، ومسلم (١٠١٦) كتاب الزكاة.

(٤) متفق عليه: رواه البخارى (١٤١٠) كتاب الزكاة، ومسلم (١٠١٤) كتاب الزكاة.

(٥) متفق عليه: رواه البخارى (١٤٤٢) كتاب الزكاة، ومسلم (١٠١٠) كتاب الزكاة.

ثم أتاه سائل فأعطاه دينارًا. قالت: فغضبت وقلت: لم تترك لنا شيئًا.

قالت: فوضع رأسه للقائلة[1]. قالت: فلما نودى للظهر أيقظته فتوضأ ثم راح إلى مسجده. قالت: فرققت عليه وكان صائمًا، فاقترضت ما جعلت له عشاءً وسرجت له سراجًا، وجئت إلى فراشه لأُمهِّد له، فإذا بذهب فعددتها، فإذا ثلاثمائة دينار. قالت: قلت: ما صنع الذى صنع إلا ولقد وثق بما خلَّف. فأقبل بعد العشاء، فلما رأى المائدة والسراج تبسم، وقال: هذا خير من غيره. قالت: فقمت على رأسه حتى تعشَّى، فقلت: رحمك الله خلَّفت هذه النفقة فى سبيل مضيعة ولم تخبرنى فأرفعها؟ قال: وأىّ نفقة؟ ما خلفت شيئًا.

قالت: فرفعت الفراش فلما أن رآه فرح واشتد تعجُّبه. قالت: فقمت فقطعت زِنَّارى وأسلمت... قال ابن جابر: فأدركتها فى مسجد حمص وهى تُعلم النساء القرآن والسنن والفرائض وتفقههن فى الدين[2].

۞ قال الشاعر يمدح كريمًا:

كأنك فى الكتاب وجدت لاءً ... مُحرمة عليك فلا تَحِلُّ

إذا حضر الشتاء فأنت شمسٌ ... وإن حَلَّ المصيف فأنتَ ظِلُّ

وما تدرى إذا أنفقت مالًا ... أيكثر فى عطائك أم يَقِلُّ

جُزيت عن البرية كل خيرٍ ... فأنت الماجدُ البطلُ الأجَلُّ

بوجهك نستضيءُ إذا سَرينا ... جبينٌ فى الليالى مشمعِلُّ

(١) أى: نام وقت القيلولة.

(٢) صفة الصفوة (٤/ ٤٥٦).

وذِكـرُك فى المـسامع خيـرُ هـادٍ يُكــرَّرُ فى الجمــوع فــلا يُمَــلُّ
فــدتْكَ نفوســنا عــن كــل هــولٍ ويفــديك الحجــيجُ إذا أهلُّــوا

مراعاة مشاعر الناس وعواطفهم

۞ ما أعظم هذا الدين الذين لم يترك صغيرة ولا كبيرة من أمور الدنيا والآخرة إلا اعتنى بها غاية الاعتناء، ﴿مَّا فَرَّطْنَا فِي ٱلْكِتَٰبِ مِن شَيْءٍ﴾[1].

فالنبى ﷺ لم يهتم بالحلال والحرام والعبادات والمعاملات فحسب بل اهتم بأدق تفاصيل الأخلاقيات والذوقيات .... حتى إنه ﷺ يهتم بمراعاة مشاعر الناس من حوله.

۞ عن أبى سليمان مالك بن الحويرث رضي الله عنه قال: أتينا النبى ﷺ ونحن شببة متقاربون، فأقمنا عنده عشرين ليلة، فظن أنَّا اشتقنا إلى أهلنا، وسألنا عمَّن تركنا فى أهلنا، فأخبرناه وكان رقيقًا رحيمًا، فقال: «**ارجعوا إلى أهليكم فعلموهم ومُروهم، وصَلُّوا كما رأيتمونى أصلى، وإذا حضرت الصلاة فليؤذن لكم أحدكم، ثم ليؤمكم أكبركم**»[2].

۞ وعن سعيد بن العاص رضي الله عنه أن عائشة زوج النبى ﷺ وعثمان رضي الله عنه حدثاه: أن أبا بكر رضي الله عنه استأذن على رسول الله ﷺ وهو مضطجع على فراشه لابس مرط عائشة رضي الله عنها فأذن له وهو على تلك الحال، فقضى إليه حاجته، ثم انصرف، ثم استأذن عمر رضي الله عنه على رسول الله ﷺ وهو مضطجع على فراشه فأذن له، وهو على تلك الحال فقضى إليه حاجته، ثم انصرف ... قال عثمان: ثم استأذنت عليه، فجلس، وقال لعائشة: «**اجمعى عليك ثيابك**» فقضيت إليه حاجتي؛ ثم انصرفت، فقالت عائشة: يا رسول الله، ما لى لم أركَ فزعت لأبى بكر، وعمر رضي الله عنهما كما فزعت لعثمان؟.

(١) سورة الأنعام: الآية: (٣٨).

(٢) صحيح: رواه البخارى (٦٠٠٨).

قال رسول الله ﷺ: «إن عثمان رجل حيى، وإنى خشيت إن أذنت له على تلك الحال أن لا يبلغ إلىَّ فى حاجته»[١].

۞ عن مطرف بن عبد الله العامرى أنه قال لبعض إخوانه: يا أبا فلان إذا كان لك حاجة، فلا تكلمنى فيها، واكتبه فى رقعة، فإنى أكره أن أرى فى وجهك ذل السؤال[٢].

---

(١) صحيح: رواه مسلم (٢٤٠٢).

(٢) سير أعلام النبلاء الذهبى (٤/ ١٩٤).

إذا ظُلمت فلا تحزن فهناك يوم الفصل

۞ الظلم مرتعة وخيم وأصعب ما فى الحياة أن يجد الإنسان نفسه مظلومًا ولا يجد له ناصرًا ولا مُعينًا ... يكاد قلبه أن ينفطر من الحزن والألم ... بل وأشد من ذلك إذا انتكست الفطرة فرأى الناس هذا المظلوم ظالمًا والظالم مظلومًا.

ومع كل هذا ... لا تحزن فإن هناك يوم الفصل الذى يفصل فيه الحق بين الخلائق فالله هو الحكم العدل ... والشهود هم الملائكة ولن يفلت الظالم فى ذلك اليوم.

قال تعالى: ﴿ وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا ۖ وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ ﴾[1].

وقال تعالى: ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ غَٰفِلًا عَمَّا يَعْمَلُ ٱلظَّٰلِمُونَ ۚ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ ٱلْأَبْصَٰرُ ﴿٤٢﴾ مُهْطِعِينَ مُقْنِعِى رُءُوسِهِمْ لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ ۖ وَأَفْـِٔدَتُهُمْ هَوَآءٌ ﴾[2].

۞ نُقل عن «كانت» الفيلسوف الألمانى أنه قال: «إن مسرحية الحياة الدنيا لم تكتمل بعد، ولابد من مشهدٍ ثانٍ؛ لأننا نرى هنا ظالمًا ومظلومًا ولم نجد الإنصاف، وغالبًا ومغلوبًا ولم نجد الانتقام، فلابد إذن من عالم آخر يتم فيه العدل.

قال الشيخ على الطنطاوى مُعلقًا: وهذا الكلام اعتراف ضِمنى باليوم

---

(١) سورة الأنبياء: الآية: (٤٧).

(٢) سورة إبراهيم: الآيتان: (٤٢ - ٤٣).

الآخر والقيامة، من هذا الأجنبي.

إذا جـــار الـــوزير وكاتبـــاه وقاضى الأرض أجحف فى القضاءِ
فويـــلٌ ثـــم ويـــلٌ ثـــم ويـــلٌ لقاضى الأرض من قاضى السماءِ

﴿لَا ظُلْمَ ٱلْيَوْمَ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ﴾.

أفضل العبادة انتظار الفرج

۞ لأن فيه ثقة بالبارى، وحسن ظن بالخالق، وقوة رجاء بالحق، فانتظار الفرج انتصار على اليأس، ﴿إِنَّهُۥ لَا يَاْيْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾(١) وقهر للقنوط، ﴿وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِۦٓ إِلَّا ٱلضَّآلُّونَ﴾(٢) وفيه تصديق للخبر ﴿إِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا﴾(٣)، وتسليم للوعد، إن الفرج بعد الكرب، اطمئنان لسنة الله: ﴿سَيَجْعَلُ ٱللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا﴾(٤)، وتطلّع إلى لطفه ورحمته ﴿إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾(٥)، وركون إلى كفايته، ﴿فَسَيَكْفِيكَهُمُ ٱللَّهُ﴾(٦).

واعتماد على رعايته وولايته: ﴿ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾(٧).

انتظار الفرج: ترقُّب نظرة الرحمة من الرحمن، ونفحة اللطف من الديان، وغوث الملهوف من المنّان.

انتظار الفرج: الصبر حتى يكشف الربُّ الكُربَ ليس لها من دون الله كاشفة وحبس المضطر أنفاسه حتى يجيبه ربه: ﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ﴾(٨).

---

(١) سورة يوسف: الآية: (٨٧).

(٢) سورة الحجر: الآية: (٥٦).

(٣) سورة الشرح: الآية: (٦).

(٤) سورة الطلاق: الآية: (٧).

(٥) سورة الأعراف: الآية: (٥٦).

(٦) سورة البقرة: الآية: (١٣٧).

(٧) سورة البقرة: الآية: (٢٥٧).

(٨) سورة النمل: الآية: (٦٢).

انتظار الفرج: طلب المدد من الأحد، والصبر والجلد حتى يغيث الصمد. والفرج للجائع إطعامه من الذى يُطعِمُ ولا يُطعَم.

وفرج المريض شفاء من الشافى، ﴿وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ﴾[1].

وفرج الفقير غِنًى يستره، ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾[2]، وفرج المحبوس انطلاقه من حبسه، وخروجه من سجنه: ﴿وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ﴾[3].

وفرج الضال هدايته من الرحمن ترده إلى صوابه: ﴿وَمَن يَهْدِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِن مُّضِلٍّ﴾[4][5].

(١) سورة الشعراء: الآية: (٨٠).

(٢) سورة فاطر: الآية: (١٥).

(٣) سورة يوسف: الآية: (١٠٠).

(٤) سورة الزمر: الآية: (٣٧).

(٥) حدائق ذات بهجة (ص ٢٥٢- ٢٥٣).

أسلم بسبب حُسن الجوار

۞ حُكى عن مالك بن دينار أنه استأجر دارًا من يهودى فحوَّل اليهودى مستحمه فى الدار التى كان فيها إلى مكان كان على البيت الذى فيه مالك وإذا الجدار مُهدَّم تدخل النجاسة منه إلى بيت مالك فى محرابه يقصد بذلك أذاه، ومالك ينظف البيت كل ليلة ويكنسه ولم يقل شيئًا حتى أتى على ذلك مدة فعرف صبره فدخل عليه فقال: ما الذى صبَّرك على مقاساة هذه المشقة دون أن تخبرنى بذلك، فقال: قول نبينا ﷺ: «**ما زال جبريل يوصينى بالجار حتى ظننت أنه سيورثه**» قال فأسلم اليهودى وحَسُن إسلامه.

۞ ومن أجل ذلك أمرنا الحق جل وعلا وأمرنا النبى ﷺ بُحسن الجوار.

۞ **قال تعالى**: ﴿وَٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُواْ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا وَبِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْجَارِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْجَارِ ٱلْجُنُبِ وَٱلصَّاحِبِ بِٱلْجَنۢبِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ ۗ﴾[1].

۞ **وعن ابن عمر** رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا **قال**: قال رسول الله ﷺ: «**ما زال جبريلُ يوصينى بالجار حتى ظننتُ أنه سيُورثُهُ**»[2].

۞ **وعن عائشة** رَضِيَ اللهُ عَنْهَا **قالت**: قال رسول الله ﷺ: «**إنه مَن أُعطى حظه من الرفق، فقد أُعطى من خير الدنيا والآخرة،.. وصلةُ الرحم، وحُسنُ الخُلق، وحُسنُ الجوار، يُعمرن الديار، ويَزِدن فى الأعمار**»[3].

---

(١) سورة النساء: الآية: (٦٣).

(٢) متفق عليه: رواه البخارى (٦٠١٥) كتاب الأدب، ومسلم (٢٦٢٥) كتاب البر والصلة.

(٣) صحيح: رواه أحمد والبيهقى، وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (٣٧٦٧).

۞ وعن أبى شريح العدوى رضي الله عنه قال: سمعت أُذناى، وأبصرت عيناى حين تكلم النبى ﷺ فقال: «**من كان يؤمنُ بالله واليوم الآخر فليكرم جارهُ**»(١).

۞ **وعن عبد الله بن عمرو** رضي الله عنهما **قال**: قال رسول الله ﷺ: «**خيرُ الأصحاب عند الله خيرُهُم لصاحبه، وخيرُ الجيران عند الله خيرُهُم لجاره**»(٢).

۞ **قال الحسن البصرى**: ليس حسن الجوار كفُّ الأذى عن الجار، ولكن حسن الجوار: الصبر على الأذى من الجار(٣).

۞ باع أبو الجهم العدوى داره بمائة ألف درهم، ثم قال: فبكم تشترون جوار سعيد بن العاص؟ قالوا: وهل يُشترى جوارٌ قط؟! قال: رُدُّوا علىَّ دارى، ثُم خذوا مالكم، لا أدع جوار رجلٍ؛ إن قعدت، سأل عنى، وإن رآنى، رحَّب بى، وإن غبتُ، حفظنى، وإنٍ شهدت قرَّبنى، وإن سألته، قضى حاجتى، وإن لم أسأله بدأنى، وإن نابتنى جائحةٌ فرج عنى.

۞ فبلغ ذلك سعيد بن العاص، فبعث إليه بمائة ألف درهم(٤).

---

(١) صحيح: رواه البخارى (٦٠١٩).

(٢) صحيح: رواه أحمد والترمذى والحاكم، وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (٣٢٧٠).

(٣) تنبيه الغافلين، السمرقندى (١/ ١٥٣).

(٤) وفيات الأعيان، ابن خلكان (٢/ ٥٣٥).

قدِّم مالك بين يديك

۞ عن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: ما سُئل رسول الله ﷺ على الإسلام شيئًا إلا أعطاه، ولقد جاءه رجلٌ فأعطاه غنمًا بين جبلين، فرجع إلى قومه فقال: يا قومى أسلموا فإن محمدًا يعطى عطاءً لا يخشى الفاقة، وإن كان الرجل ليسلم ما يريد إلا الدنيا، فما يلبث إلا يسيرًا حتى يكون الإسلام أحبَّ إليه من الدنيا وما عليها(١).

۞ وعن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أنهم ذبحوا شاةً، فقال النبى ﷺ: «**ما بقى منها؟**»، قالت: ما بقى منها إلا كتفها، قال: «**بقى كلها غير كتفها**»(٢).

ومعناه: تصدَّقوا بها إلا كتفها، فقال: بقيت لنا فى الآخرة إلا كتفها.

۞ وعن سهل بن سعد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن امرأةً جاءت إلى رسول الله ﷺ ببُردة منسوجة، فقالت: نسجتها بيدى لأكسوكها، فأخذها النبى ﷺ محتاجًا إليها، فخرج إلينا وإنها لإزاره، فقال فلان اكسُنيها ما أحسنها، فقال: «نعم»، فجلس النبى ﷺ فى المجلس ثم رجع فطواها، ثم أرسل بها إليه: فقال له القوم: ما أحسنت، لبسها النبى ﷺ محتاجًا إليها، ثم سألته، وعلمت أنه لا يرد سائلاً، فقال: إنى والله ما سألته لألبسها، إنما سألته لتكون كفنى. قال سهل: فكانت كفنه(٣).

۞ **قال النبى ﷺ لأصحابه يومًا: «أيكم مال وارثه أحب إليه من ماله؟»**

---

(١) صحيح: رواه مسلم (٢٣١٢) كتاب الفضائل.

(٢) صحيح: رواه الترمذى (٢٤٧٠) كتاب صفة القيامة، والرقائق والورع، وصححه العلامة الألبانى فى السلسلة الصحيحة (٢٥٤٤).

(٣) صحيح: رواه البخارى (١٢٧٧) كتاب الجنائز

قالوا: يا رسول الله ما منا من أحد إلا وماله أحب إليه من مال وارثه، فقال ﷺ: «**فإن ماله ما قدَّم ومال وارثه ما أخَّر**»(١).

۞ قال ابن بطال: «فيه التحريض على تقديم ما يمكن تقديمه من المال في وجوه القربة والبر لينتفع به في الآخرة، فإن كل ما يُخلفه المورث يصير ملكًا للوارث، فإن عمل فيه بطاعة الله اختُص بثواب ذلك، وإن عمل فيه بمعصية الله فذاك أبعد لمالكه الأول من الانتفاع به إن سلم من تبعته»(٢).

۞ رحم الله أبا الفرج ابن الجوزي حين قرأ الحديث السابق فقال مُعلقًا وشارحًا ومُبينًا: «عقاب الوارث على مرقب الانتظار!! أفهمت أم أشرح لك؟ العقاب لا تعاني الصيد وإنما تكون على موضعٍ عالٍ، فأي طائر صاد طيرًا انقضَّت عليه، فإذا رآها هرب وترك الصيد»(٣).

۞ **ومعنى هذا الكلام**: أنك تجمع مالك فإن لم تنفقه على أهلك وفي الصدقات فإن مصيره إلى الورثة فأنت تجمع ليرثوا وتتعب ليرتاحوا وتترك ليتمتعوا ثم تُحاسَب أنت على كل ذلك.

۞ واسمع لتلك القصة ليرتفع اليقين في قلبك بقول الله ﷻ: ﴿وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُۥ وَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ﴾(٤).

كان هناك ثلاثة من الأصدقاء وهم: أحمد ومحمود وسلمان ... وكانوا يعيشون في قرية جميلة مليئة بالأشجار الجميلة... وكان سكان هذه القرية

(١) رواه البخاري (٦٤٤٢).

(٢) فتح الباري (٧/ ٢٦٥).

(٣) المدهش / لابن الجوزي (ص ٢٨٥).

(٤) سورة سبأ: الآية: (٣٩).

طيبين يحب بعضهم بعضًا حبًّا شديدًا.

وفى يوم من الأيام قالت زوجة أحمد له: يا زوجى الحبيب أنت تعلم أن العيد قد اقترب وليس عندنا ملابس جديدة لأولادنا فنريد مالاً لنشترى به ملابس أولادنا.

قال لها زوجها أحمد وقد امتلأ قلبه حزنًا وأسفًا: ليس معى مال لأشترى به ملابس جديدة لأولادنا لكن انتظرى فسوف أذهب لصديقى سلمان لأقترض منه بعض المال.

ذهب أحمد إلى صديقه سلمان وحكى له ما دار بينه وبين زوجته وأخبره أنه يريد أن يقترض منه بعض المال.

فرحب سلمان وفرح بذلك ودخل غرفته وأخرج له كيسًا فيه ألف درهم أخذ أحمد الكيس وهو فى قمة السعادة وشكر صديقه سلمان على حسن صنيعه وإحسانه... وفى الطريق قابل أحمد صديقه محمود فقال له: كيف حالك يا محمود؟

فقال له محمود وقد ظهر الحُزن على وجهه: الحمد لله بخير.

فقال له أحمد: أشعر أنك مهموم وحزين يا محمود.

قال له محمود: نعم يا صديقى... مشكلة وأحتاج لبعض المال.

فأخرج أحمد كيس النقود الذى أخذه من سلمان وأعطاه لمحمود وقال له: خذ يا صديقى هذا المال فأنا لا أريد أن أراك حزينًا.

- **وعاد أحمد إلى زوجته فقالت له**: هل أحضرت المال يا أحمد؟

فأخبرها أحمد بما حدث فابتسمت زوجته وقالت له: بارك الله فيك فأنا سعيدة لأنك فرجت همَّ أخيك المسلم.

وبعد ساعة سمع أحمد صوتًا يطرق على باب البيت فأسرع وفتح الباب فوجد صديقه سلمان فسلم عليه ورحب به وأدخله البيت، فقال له سلمان: أين المال الذى أخذته منى يا أحمد؟

فقال له أحمد: لقد أعطيته لصديقنا محمود لأنه كان فى حاجة إليه فضحك سلمان من أعماق قلبه.

فتعجب أحمد وقال له: لماذا تضحك يا سلمان؟!

قال له سلمان: لقد كنت فى أزمة شديدة فطلبت هذا المال من محمود فأعطانى هذا الكيس فجئت أنت وطلبت منى مالاً فأعطيتك الكيس مع شدة احتياجى له ثم أعطيته أنت لمحمود وفضلته على نفسك مع شدة احتياجك لهذا المال وإذا بمحمود يفضلنى على نفسه ويرسل المال بعدما أخذه منك فضحك أحمد وسلمان ... ثم قال له سلمان: هيا بنا نذهب إلى محمود ونقسم هذا المال بيننا جميعًا عسى أن يبارك الله لنا فى هذا المال.

وعلم حاكم القرية بقصة الأصدقاء الثلاثة: أحمد ومحمود وسلمان، فقال الحاكم لكبير الحراس: اذهب وأحضر هؤلاء الثلاثة.

فذهب كبير الحراس وأخبرهم بأن حاكم القرية يريدهم فخافوا وقالوا: نحن لم نفعل أى شىء فماذا يريد منا حاكم القرية؟

قال كبير الحراس: لا أدرى ولكنه يريدكم الآن.

ذهب الأصدقاء الثلاثة مع كبير الحراس إلى الحاكم وعندما وصلوا إلى القصر أمر الحاكم بإدخالهم على الفور.

قال لهم الحاكم: لقد علمت بما فعلتم وسعدت جدًّا لهذا الإيثار الذى كان بينكم ولذا سأقدم لكل واحد منكم مكافأة يبلغ قدرها عشرة آلاف

درهم جزاء على ما فعلتموه... بل وسأعطى زوجة أحمد أيضًا مكافأة لأنها لم تشعر بالحزن عندما أعطى المال لصديقه محمود.

ففرح الأصدقاء الثلاثة بهذه المكافأة... وفرحت زوجة أحمد أيضًا وعلموا أن هذا جزاء الإيثار ومحبة الآخرين.

«والله فى عون العبد ما كان العبد فى عون أخيه».



احرص على العبادة الخفية

۞ قبل عشر سنوات.. فى أيام ربيع.. وفى ليلة باردة كنت فى البر مع أصدقاء..

تعطلت إحدى السيارات.. فاضطررنا إلى المبيت فى العراء.. أذكر أنَّا أشعلنا نارًا تحلَّقنا حولها..

وما أجمل أحاديث الشتاء فى دفء النار..

طال مجلسنا فلاحظت أحد الإخوة انسلَّ من بيننا..

كان رجلًا صالحًا..

كانت له عبادات خفية.. كنت أراه يتوجه إلى صلاة الجمعة مبكرًا.. بل أحيانًا وباب الجامع لم يُفتح بعد.. !!

قام وأخذ إناءً من ماء.. ظننت أنه ذهب ليقضى حاجته..

أبطأ علينا..

فقمت أترقبه..

فرأيته بعيدًا عنا.. قد لَفَّ جسده برداءٍ من شدة البرد وهو ساجد على التراب.. فى ظلمة الليل.. وحده..

يتملق ربه ويتحبَّب إليه.. كان واضحًا أنه يحب الله تعالى.. وأحسب أن الله يحبه أيضًا..

أيقنت أن لهذه العبادة الخفية.. عِزًّا فى الدنيا قبل الآخرة..

مضت السنوات..

وأعرفه اليوم.. قد وضع الله له القبول فى الأرض.. له مشاركات فى

الدعوة.. وهداية الناس..

إذا مشى فى السوق أو المسجد.. رأيت الصغار قبل الكبار يتسابقون إليه.. مُصافحين.. ومُحبين..

كم يتمنى الكثيرون من تجار.. وأمراء.. ومشهورين.. أن ينالوا فى قلوب الناس من المحبة مثل ما نال.. ولكن هيهاات..

أأبيت سهران الدجى..وتبيته نومًا وتبغى بعد ذاك لحاقي؟

نعم.. ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَيَجۡعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحۡمَٰنُ وُدّٗا﴾[1].. أى: يجعل الله لهم محبة فى قلوب الخلق..

إذا أحبك الله جعل لك القبول فى الأرض..

قال ﷺ: إن الله إذا أحب عبدًا نادى جبريل.. فقال: إنى قد أحببت فلانًا فأحبَّه..

فيُحبه جبريل..

ثم ينادى فى أهل السماء: إن الله يحب فلانًا فأحبوه.. فيحبه أهل السماء..

قال: ثم يوضع له القبول فى الأرض..

فذلك قول الله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَيَجۡعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحۡمَٰنُ وُدّٗا﴾..

وإذا أبغض الله عبدًا.. نادى جبريل: إنى أُبغض فلانًا فأبغضه..

فيبغضه جبريل..

ثم ينادى فى أهل السماء: إن الله يبغض فلانًا فأبغضوه..

---

(١) سورة مريم: الآية: (٩٦).

فيبغضه أهل السماء.. ثم تُوضع له البغضاء فى الأرض»[١]..

آآآه.. ما أجمل أن تعيش على الأرض.. تأكل وتشرب.. وتنام.. والله ينادى باسمك فى السماء (إنى أحب فلانًا فأحبوه)..

قال الزبير بن العوام رضي الله عنه: من استطاع منكم أن يكون له خبيئة من عمل صالح فليفعل..

۞ والعبادة الخفية أنواع.. منها:

الحفاظ على صلاة الليل.. ولو ركعة واحدة وترًا كل ليلة.. تصليها بعد العشاء مباشرة.. أو قبل أن تنام.. أو قبل الفجر.. لتُكتب عند الله من قُوَّام الليل..

قال ﷺ: «**إن الله وتر يحب الوتر.. فأوتروا يا أهل القرآن..**» [٢].

ومنها:

السعى فى الإصلاح بين الناس.. بين الزملاء المتخاصمين..

بين الجيران.. بين الزوجين..

قال ﷺ: «**ألا أخبركم بأفضل من درجة الصلاة والصيام والصدقة؟**».

قالوا: بلى..

قال: «**إصلاح ذات البين.. فإنَّ فساد ذات البين هى الحالقة**» [٣].

---

(١) صحيح: رواه مسلم (٢٦٣٧).

(٢) حسن: رواه الترمذى، عن على، وابن ماجه، عن ابن مسعود، وحسنه الألبانى فى صحيح الجامع (١٨٣١).

(٣) صحيح: رواه أحمد، وأبو داود، والترمذى، وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (٢٥٩٥).

ومنها:

الإكثار من ذكر الله.. فإن مَن أحب شيئًا أكثر من ذكره..

وفى الحديث.. قال ﷺ: «**ألا أنبئكم بخير أعمالكم.. وأزكاها عند مليككم.. وأرفعها فى درجاتكم.. وخير لكم من إنفاق الذهب والورق (الفضة).. وخير لكم من أن تلقوا عدوكم فتضربوا أعناقهم ويضربوا أعناقكم..؟**

قالوا: بلى.. وما ذاك يا رسول الله؟

قال: ذكر الله عز وجل»(١)..

ومنها: صدقة السر.. فصدقة السر تُطفئ غضب الرب..

۞ كان أبو بكر رضي الله عنه إذا صلى الفجر خرج إلى الصحراء.. فاحتبس فيها شيئًا يسيرًا.. ثم عاد إلى المدينة..

فعجب عمر رضي الله عنه من خروجه.. فتبعه يومًا خُفية بعدما صلى الفجر.. فإذا أبو بكر يخرج من المدينة ويأتى على خيمة قديمة فى الصحراء.. فاختبأ له عمر خلف صخرة..

فلبث أبو بكر فى الخيمة شيئًا يسيرًا.. ثم خرج..

فخرج عمر من وراء صخرته ودخل الخيمة.. فإذا فيها امرأة ضعيفة عمياء.. وعندها صبية صغار..

فسألها عمر: من هذا الذى يأتيكم؟..

فقالت: لا أعرفه.. هذا رجل من المسلمين.. يأتينا كل صباح.. منذ كذا وكذا..

---

(١) صحيح: رواه أحمد، وأبو داود، والترمذى، وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (٢٦٢٩).

قال: فماذا يفعل؟

قالت: يكنس بيتنا ويعجن عجيننا.. ويحلب شاتنا.. ثم يخرج..

فخرج عمر وهو يقول: لقد أتعبت الخلفاء من بعدك يا أبا بكر.. لقد أتعبت الخلفاء من بعدك يا أبا بكر..

۞ ولم يكن عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ بعيدًا فى تعبُّده وإخلاصه عن أبى بكر..

فقد رآه طلحة بن عبيد الله خرج فى سواد الليل.. فدخل بيتًا ثم خرج منه ودخل بيتًا آخر.. فعجب طلحة.. ماذا يفعل عمر فى هذه البيوت!!

فلما أصبح طلحة ذهب إلى البيت الأول.. فإذا عجوز عمياء مُقعَدة.. فقال لها: ما بال هذا الرجل يأتيك؟

قالت: إنه يتعاهدنى منذ كذا وكذا.. يأتينى بما يُصلحنى ويُخرج عنى الأذى..

فخرج طلحة وهو يقول: ثكلتك أمك يا طلحة.. أعثرات عمر تتتبع؟

وخرج عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ مرة إلى ضواحى المدينة.. فإذا برجل عابر سبيل نازل وسط الطريق.. وقد نصب خيمة قديمة.. وقعد عند بابها.. مضطرب الحال..

فسأله عمر: من الرجل؟

قال: من أهل البادية.. جئت إلى أمير المؤمنين أصيب من فضله..

فسمع عمر أنين امرأة داخل الخيمة.. فسأله عنها؟

فقال الرجل: انطلق رحمك الله لحاجتك..

قال عمر: هذا من حاجتي..

فقال: امرأتى فى الطلق – يعنى تلد – وليس عندى مال ولا طعام ولا

أحد..

فرجع عمر إلى بيته سريعًا..

فقال لامرأته أم كلثوم بنت على بن أبى طالب رَضِيَ اللهُ عَنْهَا **وعن أبيها**: هل لك فى خير ساقه الله إليك؟

قالت: وما ذاك؟!

فأخبرها بخبر الرجل..

فحملت امرأته معها متاعًا.. وحمل هو جرابًا فيه طعام.. وقدرًا وحطبًا.. ومضى إلى الرجل..

ودخلت امرأة عمر على المرأة فى خيمتها.. وقعد هو عند الرجل..

فأشعل النار.. وأخذ ينفخ الحطب.. ويصنع الطعام.. والدخان يتخلل لحيته..

والرجل قاعد ينظر إليه.. فبينما هو على ذلك.. إذ صاحت امرأته من داخل الخيمة.. يا أمير المؤمنين.. بشِّر صاحبك بغلام..

فلما سمع الرجل.. كلمة «أمير المؤمنين».. فزع وقال: أنت الخليفة عمر بن الخطاب..

قال: نعم..

فاضطرب الرجل.. وجعل يتنحى عن عمر..

فقال له عمر: ابقَ مكانك..

ثم حمل عمر القِدر.. وقرَّبه إلى الخيمة وصاح بامرأته أم كلثوم.. أشبعيها.. فأكلت المرأة من الطعام..

ثم أخرجت باقى الطعام خارج الخيمة.. فقام عمر فأخذه فوضعه بين يدى الرجل.. وقال له: كُلْ.. فإنك قد سهرت من الليل..

ثم نادى عمر امرأته فخرجت إليه..

فقال للرجل: إذا كان من الغد.. فائتنا نأمر لك بما يُصلحك..

فرحم الله عمر.. تواضع.. وعبادة خفية.. والغاية كسب محبة الله..

۞ وكان على بن الحسين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.. يحمل جراب الخبز على ظهره بالليل.. فيتصدق بها.. ويقول: إن صدقة السر تُطفئ غضب الرب..

فلما مات وجدوا فى ظهره آثار سواد..

فقالوا: هذا ظهر حمّال.. وما علمناه اشتغل حمَّالًا..

فانقطع الطعام عن مائة بيت فى المدينة.. من بيوت الأرامل والأيتام.. كان يأتيهم طعامهم بالليل..

لا يدرون مَن يُحضره إليهم.. فعلموا أنه هو الذى كان يحمل الطعام إلى بيوتهم بالليل وينفق عليهم.

۞ وصام أحد السلف عشرين سنة.. يصوم يومًا ويفطر يومًا.. وأهله لا يدرون عنه..

كان له دكان يخرج إليه إذا طلعت الشمس ويأخذ معه فطوره وغداءه..

فإذا كان يوم صومه تصدق بالطعام..

وإذا كان يوم فطره أكله..

فإذا غربت الشمس.. رجع إلى أهله وتعشَّى معهم..

نعم.. كانوا يستشعرون العبودية لله فى جميع أحوالهم..[١].

---

(١) استمتع بحياتك (ص ٣١٥-٣٢٠).

عليك بالرفق واللين والصفح والعفو

۞ أسعدُ الناس حالًا وأشرحُهم صدْرًا، هو الذى يريدُ الآخرة، فلا يحسُدُ الناس على ما آتاهم اللهُ منْ فضْلِهِ، وإنما عنده رسالةٌ من الخيرِ ومُثُلٌ ساميةٌ من البرِّ والإحسانِ، يريدُ إيصال نفْعِه إلى الناسِ، فإنْ لم يستطع، كفَّ عنهم أذاه. وانظر إلى ابنِ عباسٍ بحرِ العلمِ وترجُمانِ القرآنِ، كيف استطاع بخُلُقه الجمِّ وسخاوةِ نفسِه وسعة مساراتِه الشريعةِ، أنْ يُحوِّل أعداءهُ منْ بنى أُميَّةَ وبنى مروان ومَنْ شايعهم إلى أصدقاء، فانتفع الناسُ بعلْمِه وفَهْمه، فملأ المجامع فِقهًا وذكرًا وتفسيرًا وخيْرًا... لقد نسى ابنُ عباسٍ أيام الجمَلِ وصِفِّين، وما قبلها وما بعدها، وانطلق يبنى ويُصلحُ، ويرتُقُ الفتْقَ، ويمسحُ الجراح، فأحبَّهُ الجميعُ، وأصبح - بحقٍّ حَبْرَ الأمةِ المحمديةِ. وهذا ابنُ الزبيرِ رضي الله عنه ، وهو مَنْ هو فى كرمِ أصلِهِ وشهامتِه وعبادتِه وسُموِّ قدرِه، فضَّل المُواجَهةَ مجتهدًا فى ذلك، فكان من النتائجِ أن شُغِلَ عن الرِّوايةِ، وخَسِر جمْعًا كثيرًا من المسلمين، ثمَّ حصلتِ الواقعةُ فضُرِبتِ الكعبةُ لأجل مُجاوَرَتِه فى الحرمِ، وذُبِح كثيرُ من الناسِ، وقُتِل هو ثمَّ صُلِب ﴿وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا ﴾[1]. وليس هذا تنقُّصًا للقومِ، ولا تطاوُلًا على مكانتِهم، وإنما هى دراسةٌ تاريخيَّة تجمعُ العِبَرَ والعِظاتِ ... إنَّ الرِّفق واللِّين والصَّفح والعفْو، صفاتٌ لا يجمعُها إلاَّ القِلَّةُ القليلةُ من البشرِ؛ لأنها تُكلِّفُ الإنسان هضْمَ نفْسِه، وكبْحَ طموحِه، وإلجامَ اندفاعِه وتطلُّعِه[2].

---

(١) سورة الأحزاب: الآية: (٣٨).

(٢) لا تحزن (ص ٣٩٠-٣٩١).

وهذا العتق الأصغر .. وبقى العتق الأكبر

۞ دخل السرى السقطى سوق النخاسين قال: فرأيت جارية يُنادَى عليها بالبراءة من العيوب، فاشتراها بعشرة دنانير، فلما انصرفتُ بها - أى: إلى المنزل- عرضت عليها الطعام، فقالت لى: والله يا سيدى ما رأيت أحدًا فى دارنا أكل نهارًا قط، قال: فخرجت، فلما كان العشاء أتيتها بطعام فأكلت منه قليلًا، ثم قالت: يا مولاى بقيت لك خدمة؟ قلت: لا، قالت: دعنى لخدمة مولاى الأكبر، قلت: إى وكرامة، فانصرفتْ إلى بيتٍ تصلى فيه، وصليت أنا العشاء الآخرة ورقدت، فلما مضى من الليل الثلث ضربت الباب علىَّ، فقلت لها: ماذا تريدين؟ قالت: يا مولاى أما لك حظ من الليل؟ قلت: لا، فمضت، فلما مضى النصف منه ضربت على الباب، وقالت: يا مولاى، قام المتهجدون إلى وِردهم، قلت: يا جارية.. أنا بالليل خشبة وبالنهار جَلَبة، فلما بقى من الليل الثلث الأخير: ضربت علىَّ الباب ضربًا عنيفًا، وقالت: أما دعاك الشوق إلى مناجاة الملك، قم لنفسك وخذ مكانًا فقد سبقك الخُدَّام، فهاج منى كلامها خاطرًا، وقمت فأسبغت الوضوء وركعت ركعات، ثم تحسست إليها فوجدتها ساجدة وهى تقول: بحبك لى إلا غفرت لى، فقلت لها: يا جارية ومن أين علمت أنه يحبك؟ قالت: لولا محبته ما أنامك وأقامنى، فقلت: اذهبى فأنت حرة لوجه الله العظيم، فدعتْ ثم خرجت وهى تقول: هذا العتق الأصغر بقى العتق الأكبر[١].

---

(١) الصلاة والتهجد لابن الخراط (ص ٣٩٢).

ما من دابة إلا هو آخذٌ بناصيتها

۞ إن الكون كله يشعر بطاعتك لله وهو كذلك يشعر بمعصيتك لله، ولذلك لما أطاع أصحاب الرسول ﷺ ربهم -جل وعلا- سخَّر الله لهم كل شيء حتى الوحوش. وها نحن نعيش مع قصة مولى رسول الله ﷺ (سفينة) مع الأسد لنعلم كيف يسخر الله الكون كله للمؤمن.

وخلاصة القصة أن (سفينة) مولى رسول الله ﷺ، قال: ركبت البحر فانكسرت بى سفينتى التى كنتُ فيها فركبت لوحًا من ألواحها، فطرحنى اللوح إلى أجمة[1] فيها الأسدُ، فدخلتُ فخرج إلىَّ الأسدُ، فأقبل إلىَّ فقلت: يا أبا الحارث! أنا مولى رسول الله ﷺ، فطأطأ رأسهُ وأقبل إلىَّ يدفعنى بمنكبيه، فأخرجنى من الأجمة، ووقفنى على الطريق ثم هَمْهَمْ، فظننتُ أنه يودعُنى فكان هذا آخر عهدى به[2].

۞ ومن أعجب ما قرأت عن حفظ الله لعبده المؤمن من الدواب المتوحشة ما حكاه الأستاذ محمود عبد الحليم رحمه الله حيث قال:

«فى أحد أيام هذه الفترة العصيبة نعق ناعق البوم بأن تُفتح الزنازين ويصطف المعتقلون وقوفًا بداخلها؛ لأن القائد (قائد السجن الحربى) سيمر، وفُتحت الزنازين وامتثلنا للأمر، وأخذ حمزة البسيونى ومعه كلبه الذى قد يبلغ ارتفاعه قامة الرجل والذى يعتبره حمزة البسيونى أشرس وسائل التعذيب حين يطلقه على معتقل لينهش لحمه، وهو يكاد لضخامته

(١) الأجمة: الشجر الملتف والجمع أجم مثل قصبةٍ وقصبٍ والآجام جمع الجمع والأجم بضمتين الحصن وجمعه آجام مثل عنقٍ وأعناقٍ.

(٢) رواه الحاكم والبيهقى وأبو يعلى والبزار بإسنادٍ صحيحٍ.

يكون فى قوة الأسد وبطشه، وفى حالتنا هذه بلغ الفجور بهذا الرجل حدًّا لا يُعبَّر عنه إلا بأنه تحدٍّ مباشر لذات الله سبحانه وتعالى؛ ذلك بأنه لم يكتفِ بحبسنا حبسًا انفراديًّا بغير جُرم ولا مبرر؛ بل إنه اختار أضعفنا جسمًا وأكبرنا سنًّا وأقربنا إلى الشيخوخة، وأمر أن يوضع معه فى الزنزانة كلبه المتوحش؛ وكان هذا الأخ هو الدكتور مصطفى عبد الله.

وكان معنى هذا الأمر الفاجر أن لا يصبح الصباح على الدكتور مصطفى إلا وقد فُتك به، ومُزِّق إربًا إربًا وما كنا نملك له ولا لأنفسنا شيئًا، وقضينا الليلة الأولى ونحن أقرب ما نكون من الله حيث كان التجرد كاملًا، ولم أكن فى تلك الليلة مشغولًا بنفسى، وإنما كنت مشغولًا بالدكتور مصطفى ذلك الشيخ الضعيف الذى حُكِم عليه بأن يعيش مع الكلب الكاسر فى زنزانة، وكان قلبى يهلع كلما تذكرت فى أثناء تلك الليلة كيف أتلقى فى الصباح حين يفتح الحارس الزنزانة ليُلقى إلىَّ بلقيمات الإفطار نبأ وفاة الدكتور مصطفى ممزقًا كل ممزق ... وأصبح الصباح وفتح الحارس باب زنزانتى فابتدرته سائلًا عما إذا كان فتح زنزانة الدكتور مصطفى فأجابنى بالإيجاب؛ وفهمت منه أنه ما زال على قيد الحياة، فتعجبت وقلت: لعل الكلب لا زال شبعانًا، ولكنه بعد انقضاء يوم وليلة لابد أنه سيجوع، وإذا جاء كلب كهذا دون أن يُقدَّم له طعام فلن يجد غذاءً له إلا لحم الإنسان الوحيد المحبوس معه.

وقضينا الليلة الثانية فى الحبس الانفرادى، وفى الصباح فُتح باب الزنزانة وجاء الحارس، وهممت أن أسأله عن الدكتور مصطفى ولكنه بادرنى بقوله: ألا تعرف ما حدث للدكتور مصطفى؟! قال: لقد كنا جميعًا نظن أن

يصرعه الكلب وينهش لحمه وعظمه؛ ولذا كان همى طول الليل أن أنظر إليه من ثقب الباب بين لحظة وأخرى،... قلت: فماذا رأيت؟

قال الحارس:

لقد رأيت عجبًا لعلك لا تعلم أن الباشا (قائد السجن الحربى هكذا كانوا يُلقبونه) كان قد أمر بأن لا نقدم طعامًا للكلب طوال الأسبوع... فلما أدخلت للدكتور طعام العشاء أمس ثم نظرت من ثقب الباب فرأيت الكلب جاثيًا أمام الباب ووجهه نحو الباب، لا يتحرك كأنه يحرس الزنزانة من داخلها ورأيت الدكتور يقدم الطعام للكلب والكلب لا يقربه، ويأكل الدكتور ويقدم للكلب بقية الطعام فيأكله الكلب، ويقدم له الماء فلا يمد فمه فى الجردل، وينتظر حتى يتوضأ الدكتور فيلحس الكلب الماء الذى وقع فى أثناء الوضوء على الأرض، ويمضى الدكتور يصلى والكلب جاثم أمام الباب يحرسه والدكتور حين يغلبه النوم فيضع جنبه أنظر فأرى الكلب فى حالة تحفز نحو الباب، كالحارس الذى يخشى أن يقتحم العدو الباب على صاحبه، وهو نائم وكنت أرى الدكتور فى بعض الأوقات يكلم الكلب كأنه إنسان، ويضع يده على ظهره فينيخ الكلب ويبسط أقدامه بجانب الدكتور كأنه ولده الصغير!!» [1].

---

(١) الإخوان المسلمون أحداث صنعت التاريخ بتصرف. محمود عبد الحليم.

الحب فى الله إكسير السعادة

۞ الحب هو روح الوجود، وإكسير القلوب، وصمام الأمن لبنى الإنسان.

إذا كان قانون الجاذبية يُمسك الأرض والكواكب والأفلاك أن تصطدم فتتساقط أو تحترق وتزول، فقانون الحب هو الذى يمسك العلاقات الإنسانية أن تتصادم فتحترق وتستحيل إلى دماء.

هذا هو الحب الذى عرف الناس قيمته فى القديم والحديث، وقالوا: لو ساد الحب ما احتاج الناس إلى العدل ولا إلى القانون.

۞ **وقديمًا قال شاعر كبير:**

«إن الحب يُحول المُرَّ حلوًا والتراب تبرًا، والكدر صفاءً، والألم شفاءً، والسجن روضة، والسقم نعمة، والقهر رحمة، وهو الذى يلين الحديد، ويذيب الحجر، ويبعث الميت، وينفخ فيه الحياة»

«إن هذا الحب هو الجناح الذى يطير به الإنسان المادى الثقيل فى الأجواء ويصل من الأرض إلى السماء ومن الثرى إلى الثريا»[(١)].

أجل ... إن المؤمن لا بد أن يحرص على صحبة المؤمنين الصادقين ولا بد أن يتعاهدوا من الآن على أن يشفعوا لبعضهم البعض فى هذا اليوم العصيب، وبذلك تكتمل معانى الأخوة فى الدنيا والآخرة.. ولذلك يقول الحق تبارك وتعالى: ﴿ ٱلْأَخِلَّآءُ يَوْمَئِذٍۭ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلْمُتَّقِينَ ﴾[(٢)].

---

(١) الإيمان والحياة (ص ١٦٧ – ١٦٨).

(٢) سورة الزخرف: الآية: (٦٧).

ولقد عظَّم الله تعالى المنة بإيقاع المحبة بين أهل الملة فقال تعالى: ﴿ وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ ۚ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَّا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾(١).

وليس هذا فحسب، بل إن المحبة من أجل الله توجب محبة الله للعبد.

إن الله تعالى يقول: «حُقَّت محبتى للمتحابين فىَّ، وحُقت محبتى للمتواصلين فىَّ وحُقت محبتى للمتناصحين فىَّ، وحُقت محبتى للمتزاورين فىَّ، وحُقت محبتى للمتباذلين فىَّ، المتحابون فىَّ على منابر من نور، يغبطهم بمكانهم النبيون والصدِّيقون والشهداء»(٢).

۞ بل يصبح من السبعة الذين يظلهم الله فى ظله.

فقد قال ﷺ: «سبعة يظلهم الله فى ظله يوم لا ظل إلا ظله: - وذكر منهم - ورجلان تحابا فى الله اجتمعا عليه وتفرقا عليه»(٣).

وقال ﷺ: «قال الله تعالى: حُقَّت محبتى على المتحابين أُظلهم فى ظل العرش يوم القيامة يوم لا ظل إلا ظلى»(٤).

۞ ولقد كانت تلك المحبة سببًا فى وجوب الجنة لرجل يحب أخاه من أجل الله ﷻ.

قال ﷺ: «إن رجلاً زار أخًا له فى الله فأرصد الله له ملكًا، فقال: أين تريد؟ قال: أريد أن أزور أخى فلانًا، فقال: لحاجة لك عنده؟ قال: لا. قال: لقرابة

---

(١) سورة الأنفال: الآية: (٦٣).

(٢) صحيح: رواه أحمد والطبرانى والحاكم، وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (٤٣٢١).

(٣) متفق عليه: رواه البخارى (٦٦٠) كتاب الأذان، ومسلم (١٠٣١) كتاب الزكاة.

(٤) صحيح: رواه ابن أبى الدنيا فى كتاب الإخوان، وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (٤٣٢٠).

بينك وبينه؟ قال: لا. قال: فبنعمة لك عنده؟ قال: لا. قال: فبِمَ؟ قال: أُحبه فى الله. قال: فإن الله أرسلنى إليك أخبرك بأنه يحبك لحبك إياه، وقد أوجب لك الجنة»(١).

۞ وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال النبيُّ ﷺ: «ثلاثة من كن فيه وجد بهن حلاوة الإيمان: من كان الله ورسوله أحب إليه مما سواهما ومن أحب عبدًا لا يحبه إلا لله ومن يكره أن يعود فى الكفر بعد أن أنقذه الله منه كما يكره أن يُلقَى فى النار»(٢).

---

(١) صحيح: رواه مسلم (٢٥٦٧) كتاب البر والصلة والآداب بنحوه.

(٢) متفق عليه: رواه البخارى (٢١) كتاب الإيمان، ومسلم (٤٣) كتاب الإيمان.

الحسنات والسيئات

۞ إن العبد إذا أقبل على طاعة ربه (جلَّ وعلا) فإن الله يفتح له أبواب الخيرات التى توصله إلى سعادة الدارين (الدنيا والآخرة) وإن العبد إذا وقع فى الذنوب والمعاصى ولم يتب فإن الله ﷻ يكله إلى نفسه ويحول بينه وبين أسباب السعادة فى الدنيا والآخرة.

۞ **قال الأستاذ محمد أحمد الراشد:** «فلو أسلف مسلم حسبنة فى المساء من صدقة، أو صلاة بوقتها، أو أمرٍ بمعروف، أو إغاثة لهفان، أو تفهيم علم، أو بذل شفاعة، أو ستر عرض، أو تخذيلٍ عن شر، أو خلافة غازٍ مجاهد، فماذا يحدث له فى الصباح؟

يستيقظ فإذا زوجه مبتسمة فى وجهه، وإذا أولاده يستيقظون مع أول نداء، على أتم نظافة، وكلٌّ قد كتب واجبه المدرسى وجمع كتبه، فإذا أفطر كان طعامه لذيذًا وتودعه زوجه بابتسامة أيضًا حتى إذا ركب سيارته - وهى دوابنا اليوم - وجدها سَلِسة تشتغل مع أول إدارة للمفتاح، ووجد الإشارات الضوئية خضراء تفتح له الطريق مُرحبة به، والسائق الذى أمامه يسير وفق الأصول بأدب وهدوء، حتى شرطى المرور يرفع له يده بالتحية.

فإذا دخل مكتبه الوظيفى: وجده نظيفًا، وجاءه من المراجعين أهل الرفق والأخلاق، فإذا رجع لم يجد ألذ من طعامه وهكذا سائر يومه!

ثم لو أسلف سيئة فى ليلة أخرى، من غيبة أو بُخل أو تقاعس عن نجدة، أو تأخير صلاة، أو تنابذ بالألقاب أو منع خير، أوَ أذى جار أو انتصار بالباطل لزوجه فى تعاملها مع زوج صاحبه، فماذا يحدث له؟

يستيقظ فإذا زوجه ذات عبوس وتأفُّف، ولا يدرى سببًا منه مباشرًا فى إغضابها، ثم من بعد قليل إذا بها تولول، ولربما فتش عن الفرد الضائع من

حذاء ابنه نصف ساعة، حتى يتأخر عن دوامه المدرسى ويكون طعامه مالحًا لا يكاد يسيغه وتُعذبه سيارته نصف ساعة أخرى كى تشتغل وتكون كالدابة الشَّموس، ويجد الإشارات الضوئية حمراء فى وجهه، ويُبتلى بسائق طائش عن يمينه، ثم يوقفه شرطى مرور كان قد تشاجر مع زوجه هو الآخر فيفرغ همومه فيه ويحرر له مخالفة هو منها بريء، وقد يُبتلى ثالثة فى مكتبه بمراجع فوضوى ملحاح يعكر عليه ويشكوه لدى الرئيس، ولربما يجد فى الآخر طعام غدائه دخانًا محضًا وتكون زوجه قد نسيت القدر على النار حتى احترق، ويظل سائر يومه قَلِقًا كئيبًا حتى أن أقل عقوبته أن توقظه رنة الهاتف وهو فى عز نوم القيلولة، فيزعجه.

وكلنا يمر بمثل هذه الأحوال، ولكن الأقل هم الذين يرجعون بذاكرتهم إلى ما أسلفوا من حسنات أو سيئات تكون سببًا لهذه الأحوال...والموفق هو الذى يسرع إلى بديهته هذا المعنى فيعلم موطن قدمه، فيزداد خيرًا وصعودًا، أو يحذر المنزلق، ويجد فى هذه المعاكسات الخفيفة اللطيفة تحذيرًا يمنعه من الاسترسال فى الغى وركوب الشهوات، بل هى إشارات تحذير ربانية توازى اللَّمم والصغائر تنبهه إلى وجوب فطم النفس عن هواها، وإلا عوقب بأكبر من ذلك، من تضييق رزق، وضياع تجارة، وجلاء بركة، ومرضٍ مُتعب، وتسلُّط ظالم، وطلاق، وقذف عرض، وفشل فى امتحان وسفاهة جار، وبما هو أكبر من ذلك ربما؛ ولهذا فإن هذه المعاكسات هى من تمام اللطف الربانى بمؤمن يفهمها ويستوجب موعظتها، من أجل أن لا يتمادى، بل قيل: هى مداعبة من الله للعبد، يذكره أنه معه وتحت رقابته ليستقيم»[(١)(٢)].

---

(١) صناعة الحياة (ص ٨، ٩) محمد أحمد الراشد.

(٢) بأى قلبٍ تلقاه (ص ٦٠- ٦١).

لا تُظاهر بالعداوة

۞ لا شك أن أى إنسانٍ كتب الله له النجاح فى حياته أو مهنته أو دعوته ورزقه القبول وحب الناس فإنه لن يُترك ليعيش سالمًا آمنًا، بل إن شياطين الإنس سيبذلون الغالى والنفيس من أجل إسقاطه وهدم دعوته والقضاء على نجاحه.

فماذا تصنع إن ابتُليت بمثل هذا؟

۞ أقول لك: إذا ابتُليت بمثل هذا فحاول أن تكسب أعداءك فإن لم تستطع فاحرص كل الحرص على ألا تُشعل نار العداوة وبخاصة مع أصحاب القلوب الحاقدة، واجعلهم على الحياد.

۞ واحفظ تلك الكلمات: عدوك إن لم تستطع أن تكسبه لصفك فاجعله على الحياد.

۞ **قال الإمام ابن الجوزى** رَحِمَهُ اللَّهُ:

مما أفادتنى تجارب الزمان أنه لا ينبغى لأحدٍ أن يظاهر بالعداوة أحدًا ما استطاع، فإنه ربما يحتاج إليه مهما كانت منزلته.

وإن الإنسان ربما لا يظن الحاجة إلى مثله يومًا ما كما يحتاج إلى عويد منبوذ لا يُلتفت إليه لكن كم من مُحتَقرٍ احتيج إليه. فإذا لم تقع الحاجة إلى ذلك الشخص فى جلب نفعٍ وقعت الحاجة فى دفع ضُرٍّ.

ولقد احتجت فى عمرى إلى ملاحظة أقوام ما خطر لى قط وقوع الحاجة إلى التلطُّف بهم.

واعلم أن المظاهرة بالعداوة قد تجلب أذى من حيث لا يعلم. لأن

المُظاهِرِ بالعداوة كشاهر السيف ينتظر مضربًا. وقد يلوح منه مضرب خفى، وإن اجتهد المتدرع فى ستر نفسه فيغتنمه ذلك العدو.

فينبغى لمن عاش فى الدنيا أن يجتهد فى ألا يظاهر بالعداوة أحدًا[1].

(١) صيد الخاطر (ص ٢٣٠).

واصبر على ما يقولون

۞ قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ (٩٧) فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُن مِّنَ ٱلسَّٰجِدِينَ (٩٨) وَٱعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ ٱلْيَقِينُ ﴾[١].

هذا هو العلاج عندما تشعر بضيق فى صدرك بسبب كلام الحاقدين والحاسدين ﴿ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُن مِّنَ ٱلسَّٰجِدِينَ (٩٨) وَٱعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ ٱلْيَقِينُ ﴾[٢].

وفى تلك الآيات سرٌّ عظيم .. فإنه إذا سُلِّط عليك حاقد أو حاسد (فسبح بحمد ربك) ولماذا؟

والجواب: لأن النبى ﷺ قال: «**من قال: سبحان الله وبحمده فى يومٍ مائة مرة حُطَّت خطاياه وإن كانت مثل زَبَد البحر**»[٣].

فقد يكون ذلك الحاقد قد تسلط عليك بسبب ذنوبك فإذا أكثرت من قول (سبحان الله وبحمده) غُفرت تلك الذنوب التى تسلط بسببها عليك.

۞ **ثم قال:** ﴿وَكُن مِّنَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴾ وذلك لتكون قريبًا من ربك فيحميك من كيد الأشرار فهو القائل سبحانه ﴿وَٱسْجُدْ وَٱقْتَرِب ﴾.

۞ **ثم قال:** ﴿ وَٱعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ ٱلْيَقِينُ ﴾ أى: واستمر على طاعتك وقربك من الله ﷻ حتى يأتيك الموت.

۞ نشرتْ الصحفُ العالميةُ خبرًا عن انتحارِ رئيسِ وزراءِ فرنسا فى

---

(١) سورة الحجر: الآيات: ٩٧- ٩٩.

(٢) سورة الحجر: الآيتين: ٩٨- ٩٩.

(٣) متفق عليه: رواه البخارى (٦٤٠٥)، ومسلم (٢٦٩١).

حُكمِ الرئيسِ ميتران، والسببُ فى ذلك أنَّ بعض الصحفِ الفرنسية شنَّتْ عليهِ غارةً من النقْدِ والشتْمِ والتَّجريحِ، فلمْ يجد هذا المسكينُ إيمانًا ولا سكينةً ولا استقرارًا يعودُ إليه، ولم يجد منْ يركنُ إليه، فبادر فأزْهَق رُوحَه.

إنَّ هذا الرجل المسكين الذى أقدم على الانتحارِ لم يهتدِ بالهدايةِ الرَّبّانيَّةِ المتمثَّلةِ فى قولِهِ سبحانه: ﴿وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ﴾(١) وقولِه سبحانه: ﴿لَن يَضُرُّوكُمْ إِلَّآ أَذًى﴾(٢) ، وقوله: ﴿وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَٱهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا﴾(٣)؛ لأنَّ الرجل فَقَدَ مفتاح الهدايةِ، وطريق السَّدادِ وسبيل الرَّشادِ: ﴿مَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَلَا هَادِىَ لَهُۥ﴾(٤).

إنَّ منْ وصايا الآخرين لكلِّ مُثْقلٍ بالهمِّ والحزنِ، أنْ يأمروه بالجلوسِ على ضفافِ النهرِ، ويستمتع بالموسيقى، ويلعب النَّرْد، ويتزلَّج على الثْلجِ.

لكنْ وصايا أهل الإسلام، وأهلَ العبوديَّةِ الحقَّةِ: جلسةٌ بين الأذانِ والإقامةِ فى روضةٍ منْ رياضِ الجنَّةِ، وهتافٌ بذِكرِ الواحد الأحدِ، وتسليمٌ بالقضاءِ والقدرِ، ورضًا بما قسم اللهُ، وتؤكُّلٌ على اللهِ (جلَّ وعلا)(٥).

---

(١) سورة النحل: الآية: (١٢٧).

(٢) سورة آل عمران: الآية: (١١١).

(٣) سورة المزمل: الآية: (١٠).

(٤) سورة الأعراف: الآية: (١٨٦).

(٥) لا تحزن (ص ٣٠١-٣٠٢).

هدية الله للمظلومين

۞ لا تحزن أيها المظلوم ولا تيأس فالله (جل وعلا) معك وسينصرك .. فإن لم تأخذ حقك في الدنيا؛ فسوف يضاعف لك الأجر في الآخرة وستأخذ من حسنات من ظلمك حتى ترضى.

۞ وحسبُك أنك تنتظر يومًا يجمع الله فيه الأولين والآخرين ... والحَكَم العدل هو الله (جل وعلا) ... والشهود الملائكة.

قال تعالى: ﴿ وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا ۖ وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ ﴾[1].

۞ وحسبُك أيها المظلوم أن تفوز يوم القيامة وتظفر بحسنات مَن ظلمك.

عَنْ أَبِى هُرَيرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «**أَتَدْرُونَ مَنِ الْمُفْلِسُ**»؟ قَالُوا: الْمُفْلِسُ فِينَا يا رَسُولَ اللهِ مَنْ لا دِرْهَمَ لَهُ وَلَا مَتَاعَ، قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**إِنَّ الْمُفْلِسَ مِنْ أُمَّتِى مَنْ يأْتِى يوْمَ القِيامَةِ بِصَلَاةٍ وَصِيام وَزَكَاةٍ، وَيأْتِى وَقَدْ شَتَمَ هَذَا، وَقَذَفَ هَذَا، وَأَكَلَ مَالَ هَذَا، وَسَفَكَ دَمَ هَذَا، وَضَرَبَ هَذَا فَيُعْطَى هَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ، وَهَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ، فَإِذَا فَنِيتْ حَسَنَاتُهُ قَبْلَ أَنْ يقْضِى مَا عَلَيهِ أُخِذَ مِنْ خَطَاياهُمْ فَطُرِحَتْ عَلَيهِ، ثُمَّ طُرِحَ فِى النَّارِ**»[2].

۞ فاعلم أنك الفائز لأنك مظلوم ولست ظالمًا وتأمل معى قول الفضيل بن عياض رَحِمَهُ اللهُ حين يقول: «إذا أراد الله أن يُتحف العبد سلط عليه

---

(١) سورة الأنبياء: الآية: (٤٧).

(٢) صحيح: رواه مسلم (٢٥٨١) كتاب البر والصلة والآداب.

من يظلمه»[١].

۞ إن الفضيل ينظر إلى الظلم على أنه هدية من الله ﷻ للمظلوم وذلك؛ لأن الله عافاه من أن يكون ظالمًا؛ ولأن الله سيحبه وسيحرم الظالم من حبه؛ ولأن الله سيهديه وسيحرم الظالم من هدايته؛ ولأن الله سيرحمه وسيطرد الظالم من رحمته؛ ولأن الله سيعطيه يوم القيامة حسنات ذلك الظالم فإن لم تكن كافية فسوف يأخذ من ذنوب المظلوم ويضعها على الظالم.... ويالها من هدية.

۞ وتأمل معى ما قاله محمود الوراق:

إنى وهبت لظالمى ظلمي ... وغفرتُ له ذلك على علمي
ورأيته أسدى إلىَّ يدًا ... فأبان منه بجهله حلمي
رجعت إساءته علىَّ له ... حُسنًا فعاد مُضاعف الجرمِ
وغدوتُ ذا أجر ومَحمدة ... وغدا بكسب الذَّم والإثمِ
فكأنما الإحسان كان له ... وأنا المسيء إليه فى الحكمِ
ما زال يظلمنى وأرحمه ... حتى بكيتُ له من الظلمِ[٢]

---

(١) الحلية (٨/ ١٠٤).

(٢) العقد الفريد (٢/ ٢٨٥).

نعمة النسيان

﴿عَفَا ٱللَّهُ عَمَّا سَلَفَ﴾ ﴿تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ﴾ ما مضى فات، ﴿لِّكَيْلَا تَأْسَوْاْ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ﴾ هذه حقائق ثابتة، وقوانين راسخة، توحى لك بالقناعة، أن ما مضى فلن يعود ولذلك يقول الغربيون: لا تطحن الطحين، ولا تجرب نشر النشارة،.... وهذا معناه النهى عن اجترار الماضى.

ولكاتب أمريكى يُدعَى: جون كاوبر بوز، كتاب بعنوان: فن نسيان البغيض، يرى أنك لن تشعر بالأمان المريح والطمأنينة والسعادة حتى تنسى كل ماضٍ بغيض قال أبو الطيب المتنبى:

لا أشرئب إلى ما لم يفت طمعًا ... ولا أبيت على ما فات حسرانا

ومن تهور فرعون وتهوكه بعثرته الماضى، يقول لموسى عليه السلام: ﴿فَمَا بَالُ ٱلْقُرُونِ ٱلْأُولَىٰ﴾.

فكان لسان الحال يقول: اخرس ولا تنطق ببنت شفة عن قرون سلفت، ولسان المقال ينادى: ﴿عِلْمُهَا عِندَ رَبِّى فِى كِتَٰبٍ لَّا يَضِلُّ رَبِّى وَلَا يَنسَى﴾.

يقول دايل كارنيجى: هناك وسيلة واحدة تمكننا من الاستفادة من الماضى، وذلك عن طريق تحليل تلك الأخطاء، والإفادة منها ونسيانها إن إعادة الماضى محاولة لردِّ النهر إلى مصبِّه، والميت إلى بيته، والطفل إلى بطن أمه، والحليب إلى الثدى، وهذا لن يكون أبدًا.

يقول الشاعر:

فلا تهلك على ما فات وجدًا ... ولا تفردك بالأسف الهموم

إن محاولة إصلاح أمر فرط ومضى مستحيل، وهذه المحاولة فى حد

ذاتها عجرفة ونكسة، أما استفادة العبرة، واستجلاء الحكمة من تلك التجربة المُرّة فأمرٌ مرغوبٌ فيه.

والنسيان نعمة لأنه مقبرة للمآسى، وحجاب عن الآلام، ودواء من الأوجاع، وعزاء وسلوان عن كل مفقود[1].

---

(١) حدائق ذات بهجة (ص ١٤٧- ١٤٩) بتصرف.



عاقبة الصبر

۞ إذا تأملتَ سيرة النبى ﷺ مع قومه، وصبره فى الله، واحتماله ما لم يحتمله نبى قبله، وتلوُّن الأحوال عليه، من سلمٍ وخوفٍ، وغِنًى وفقر، وأمن وإقامة فى وطنه، وظعن عنه وتركه فى الله، وقتل أحبابه وأوليائه بين يديه، وأذى الكفار له بسائر أنواع الأذى، من القول والفعل، والسحر والكذب والافتراء عليه والبهتان، وهو مع ذلك كله صابر على أمر الله، يدعو إلى الله.

فلم يُؤذَ نبى ما أُوذى، ولم يحتمل فى الله ما احتمله، ولم يُعطَ نبى ما أُعطيه. فرفع الله له ذكره، وقرن اسمه باسمه، وجعله سيد الناس كلّهم، وجعله أقرب الخلق إليه وسيلة، وأعظمهم عنده جاهًا، وأسمعهم عنده شفاعة. وكانت تلك المحن والابتلاءات عين كرامته، وهى مما زاده الله بها شرفًا وفضلاً، وساقه بها إلى أعلى المقامات.

وهذا حال ورثته من بعده، الأمثل فالأمثل، كلٌّ له نصيب من الجنة، يسوقه الله به إلى كماله، بحسب متابعته له.

وما لا نصيب له من ذلك فحظُّهُ من الدنيا، حظّ من خُلق لها وخُلِقَتْ له، وجعل خَلاقَهُ ونصيبه فيها. فهو يأكل منها رغدًا، ويتمتع فيها حتى يناله نصيبه من الكتاب.

يُمتَحن أولياء الله وهو فى دعةٍ، وخفض عيش... ويخافون وهو آمن. ويحزنون وهو فى أهله مسرور.

له شأن ولهم شأن، وهو فى وادٍ وهم فى وادٍ... همّه ما يقيم به جاهه،

ويسلم به ماله، وتُسمع به كلمته، لزم من ذلك ما لزم، ورضى مَنْ رضى، وسخط مَنْ سخط.

وهمُّهم إقامة دين الله، وإعلاء كلمته، وإعزاز أوليائه، وأن تكون الدعوة له وحده، فيكون هو وحده المعبود لا غير، ورسوله المطاع لا سواه.

فلله سبحانه مَنْ الحِكَم فى ابتلاء أنبيائه ورسله وعباده المؤمنين ما تتقاصر عقول العالمين عن معرفته.

وهل وصل مَنْ وصل إلى المقامات المحمودة، والنهايات الفاضلة إلا على جسر المحنة والابتلاء.

كذا المعالى إذا ما رُمتَ تُدركها فاعبر إليها على جسرٍ من التعب[1]

۞ **قال ابن الجوزى مبينًا عاقبة الصبر:** «صُبَّ فى القنديل ماءٌ ثُمَّ صُبَّ زيتٌ، فصعد الزيت على سطح الماء، فقال الماء: أنا الذى سقيت شجرتك فأين الأدب؟ لِمَ ترتفع عليَّ؟!.

قال الزيت: لأنك بينما كنت فى باطن الأرض تجرى على طريق السلامة، صبرتُ أنا على العصر وطحن الرحا، وبالصبر يرتفع القدر.

قال الماء: إلا أنى أنا الأصل.

قال الزيت: استر عيبك فإنك لو لامست شعلة المصباح انطفأ»[2].

۞ **وقال الإمام ابن القيم** رَحِمَهُ اللَّهُ:

يا مُخنث العزم! أين أنت؛ والطريق طريقٌ تعب فيه آدم، وناح لأجله

(١) مفتاح دار السعادة (١/ ٣٠١)

(٢) المدهش (ص ١٩٦) بتصرف.

نوحٌ، ورُمى فى النار الخليل، وأُضجع للذبح إسماعيل، وبيع يوسف بثمنٍ بخسٍ ولبث فى السجن بضع سنين، ونُشر بالمنشار زكريا، وذُبح السيد الحصور يحيى، وقاسى الضُّرَّ أيوب، وزاد على المقدار بكاء داود، وسار مع الوحش عيسى، وعالج الفقر وأنواع الأذى محمد ﷺ؛ تُزهى[1] أنت باللهو واللعب؟[2].

---

(١) أى: تتمتع وتترعرع فيهما.

(٢) الفوائد (ص ٤٠).

مَنْعُ الله عطاءٌ

۞ قال شيبان الراعى لسفيان الثورى: «يا سفيان عُدَّ منع الله إياك عطاء منه لك، فإنه لم يمنعك بُخلًا إنما منعك لُطفًا»(١).

حرق الخضر السفينة لكى تنجو، وقتل الغلام لكى ينقذ أبويه من طغيانه وكفره، وبنى الجدار لكى ينتفع الغلامان بكنزهما المدفون تحته عند الكبر.

۞ حدثنى من أثق فى صدقه، أن أحد أصحابه سُجن ظلمًا عام ١٩٦٥م، وكان ضابطًا فى الجيش، فلما حلَّت النكسة عام ١٩٦٧م أُبيدت فرقته بالكامل، فحمد الله الذى حفظه فى سجنه وحماه من موتٍ مُحقق.

وحدثنى أحد مشايخى، أن أخًا له أراد سفرًا وتأخر عن موعد الحافلة ففاته ركوبها، فتملكته الحسرة إذ كان على موعد هام يخشى فواته، ولما ركب الحافلة التى تليها وجد الحافلة الأولى غارقة فى النيل وقد هلك جميع ركابها ... ألسنة العامة تفيض بوقائع تؤكد هذا المعين، وإذا نظر المؤمن إلى مصائبه من هذه الزاوية عرف معنى قول الله تعالى: ﴿وَعَسَىٰٓ أَن تَكۡرَهُواْ شَيۡـٔٗا وَهُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡۖ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّواْ شَيۡـٔٗا وَهُوَ شَرّٞ لَّكُمۡۚ﴾(٢).

وإذا استقر هذا المعنى يقينًا فى القلب أورث التسليم الكامل والرضا التام بما قدَّره الله؛ لأن العبد جاهل كل الجهل بما ينفعه والرب عالم كل العلم بذلك.

---

(١) صيد الخاطر (٢٥٣).

(٢) سورة البقرة: الآية: ٤٠.

قال عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «ما أبالى على أى حالٍ أصبحت أعلى ما أحب أم على ما أكره؟ ذلك إنى لا أدرى الخير فيما أحب أو فيما أكره؟[1]».

لا تكـره المكـروه عنـد نزولـه   إن الحـوادثَ لـم تـزل متباينـة
كـم نعمـة لا يُـستهان بـشكرها   لله فى طـىِّ المكـارة كامنـة[2]

(١) رواه أحمد فى العقل (١/ ١٤٩) نقلًا عن رسالة المسترشدين.

(٢) صفقات رابحة (ص ١٨٠- ١٨١).

ما هكذا توردُ يا سعدُ الإبل

۞ طالعتُ كتابينِ شهيرينِ، لا أرى إلاَّ أنَّ فيهما سطوةً عارمةً على السعادةِ واليُسْرِ اللذيْنِ أتى بهما الشارعُ الحكيمُ.

فكتابُ «إحياء عِلوم الدينِ» للغزالى، دعوةٌ صارخةٌ للتجويعِ والعُرْيِ (والبهذلة)، والآصالِ والأغلالِ التى أتى رسولُنا ﷺ لوضْعِها عنِ العالمين. فهو يجمعُ من الأحاديثِ، المتردِّية والنطِيحة وما أكل السَّبُعُ، وغالبُها ضعيفةٌ أو موضوعةٌ، ثم يبنى عليها أُصُولًا يظنُّها منْ أعظمِ ما يُوصِّلُ العبدَ إلى ربِّه.

وقارنتُ بين إحياءِ علومِ الدين وبينِ الصحيحين للبخارى ومسلم، فبان البونُ وظهر الفرْقُ، فذاكَ عَنَتٌ ومشقَّةٌ وتكلُّفٌ، وهذه يُسْرٌ وسماحةٌ وسهولةٌ، فأدركتُ قول البارى: ﴿وَنُيَسِّرُكَ لِلْيُسْرَىٰ﴾[١].

والكتابُ الثانى: «قُوتُ القلوبِ» لأبى طالب المكّى، وهو طلبٌ مُلِحٌّ منه لترْكِ الحياة الدنيا والانزواء عنها، وتعطيل السَّعْى والكسْبِ، وهجْرِ الطَّيباتِ، والتَّسابُقِ فى طُرقِ الضَنْكِ والضَّنى والشِّدَّة.

والمؤلِّفان: أبو حامدٍ الغزالى، وأبو طالبٍ المكى، أرادا الخَيرَ، لكنْ كانت بضاعتُهما فى السُّنّةِ والحديثِ مُزْجاةً، فمنْ هنا وقع الخَلَلُ، ولابُدَّ للدليل أن يكون ماهرًا فى الطريق خِرِّيتًا فى معرفة المسالكِ ﴿وَلَٰكِن كُونُوا۟ رَبَّٰنِيِّـۧنَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ ٱلْكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ﴾[٢] .[٣].

---

(١) سورة الأعلى: الآية: (٨).

(٢) سورة آل عمران: الآية: (٧٩).

(٣) لا تحزن (ص ٣٩٢-٣٩٣).

كُن رفيقًا فى نُصحك للآخرين

۞ لا تخلو حياتنا من مواقف نحتاج فيها إلى تقديم توجيهات ونصائح للآخرين.. نقدمها إلى الولد.. الزوج.. الصديق.. الجار.. الأبوين..

تختلف نهايات النصائح.. باختلاف بداياتها..

أعنى إن كانت البداية بأسلوبٍ مناسب.. ومدخل لطيف.. انتهت كذلك.. وإن كانت بأسلوبٍ جاف.. ومدخل عنيف.. انتهت كذلك..

عندما ننصح الناس.. فنحن فى الواقع نتعامل مع قلوبهم.. لا أجسادهم.. لذلك تجد بعض الأبناء يتقبل من أمه النصح ولا يتقبل من أبيه.. أو العكس..

والطلاب يتقبلون من مدرس.. دون الآخر.. وأول البراعة فى النصيحة.. أن لا تُكثر منها وتدقق على كل صغير وكبير.. حتى لا يشعر الآخرون أنك مراقب لحركاتهم وسكناتهم.. فتُثقل عليهم..

ليس الغبى بسيدٍ فى قومه لكن سيد قومه المتغابي

وإن استطعت أن تقدم النصيحة على شكل اقتراح.. فافعل..

۞ مثال: قدمت زوجتك طعامك إليك.. وقد تعبت فى صُنعه وإعداده.. ولكنه مالح.. فلا تقل: أooooه.. ما هذا الطعام؟.. أعوذ بالله!!

وضعت علبة ملح كاملة!!

لا.. وإنما قل: لو قللتِ الملح فى الطعام لكان أحسن.. وكذلك لو رأيت ولدك متسخ الملابس.. فقدم النصيحة على شكل اقتراح.. لأن الناس لا يحبون تلقِّى الأوامر.. فقل: لو تغير ملابسك بثيابٍ أجمل..

ولو تأخر طالب عن مدرسته.. قل: لو ما تتأخر عن مدرستك مرة أخرى.. أفضل.. استعمل هذه الأساليب دائمًا: ما رأيك لو فعلت كذا..

أقترح عليك كذا وكذا..

فهذه الأساليب الرقيقة أحسن من قولك.. يا قليل الأدب..

كم مرة قلت لك.. أنت ما تفهم.. إلى متى أعلمك؟!!

اجعله يحتفظ بماء وجهه.. ويشعر بقيمته حتى وهو مخطئ..

أتدرى لماذا؟

لأن المقصود علاج أخطائه لا الانتقام منه أو إهانته..

يعنى يا جماعة.. بالعبارة الصريحة: لا أحد يحب أن يتلقى الأوامر..

۞ وانظر إلى المنهج النبوى فى ذلك..

أراد ﷺ يومًا أن يوجه عبد الله بن عمر للتعبُّد بصلاة الليل.. فما دعاه وقال: يا عبد الله قم الليل..

وإنما قدم النصيحة على شكل اقتراح.. وقال: «**نعم الرجل عبد الله لو كان يصلى من الليل**»[1]..

وفى رواية قال: «يا عبد الله لا تكن مثل فلان.. كان يقوم الليل فترك قيام الليل»[2]..

بل إن استطعت أن تُلفت نظره إلى الأخطاء من حيث لا يشعر فهو أولى..

---

(١) **متفق عليه**: رواه البخارى (١١٠٥)، ومسلم (٢٤٧٩).

(٢) **متفق عليه**: رواه البخارى (١١٠١)، ومسلم (١١٥٩).

۞ عطس رجل عند عبد الله بن المبارك.. فلم يقل الحمد لله..

فقال عبد الله: ماذا يقول العاطس إذا عطس؟

قال: الحمد لله..

فقال عبد الله: يرحمك الله ... وكان رسول الله ﷺ كذلك..

كان إذا انصرف من صلاة العصر.. دخل على نسائه واحدة واحدة.. فيدنو من إحداهن.. ويتحدث معها..

فدخل على زينب بنت جحش.. فوجد عندها عسلًا.. وكان ﷺ يحب العسل والحلواء.. فأخذ يأكل منه ويتحدث معها.. فاحتبس عندها أكثر ما كان يحتبس عند غيرها..

فغارت عائشة وحفصة.. وتواصتا مَن دخل عليها تقول له: أجد منك ريح مغافير.. وهو شراب حلو يشبه العسل.. ولكن له رائحة سيئة..

وكان ﷺ يشتد عليه أن يوجد منه الريح من بدنه أو فمه.. لأنه يناجي جبريل.. ويناجي الناس.. فلما دخل على حفصة.. سألته ماذا أكل؟

فقال: **شربت عسلًا عند زينب..**

فقالت: إني أجد منك ريح مغافير..

فقال: **لا بل شربت عسلًا.. ولن أعود له..**

ثم قام ودخل على عائشة.. فقالت له عائشة مثل ذلك[1]..

ومضت الأيام.. وكشف الله له القضية كلها..

وبعد أيام.. أسرَّ إلى حفصة رضي الله عنها حديثًا.. فأظهرته..

---

(١) متفق عليه: رواه البخاري (٥٢٦٧)، ومسلم (١٤٧٤).

فدخل عليها يومًا.. وعندها الشفاء بنت عبد الله.. وكانت صحابية تتعلم الطب.. وتعالج الناس..

فأراد ﷺ أن يلفت نظر حفصة إلى خطئها معه بأسلوب غير مباشر.. ليكون أرفق وأحسن.. فماذا فعل؟

فقال ﷺ للشفاء: ألا تعلمين هذه رقية النملة كما علمتيها الكتابة!! (١)

ورقية النملة كلام كانت نساء العرب تقوله.. يعلم كل من سمعه أنه كلام لا يضر ولا ينفع..

ورقية النملة التى كانت تعرف بينهن أن يقال: العروس تحتفل.. وتختضب وتكتحل.. وكل شيء تفتعل.. غير أن لا تعصى الرجل..

فأراد ﷺ بهذا المقال تأنيب حفصة والتأديب لها تعريضًا.. بأن تردد جملة: غير أن لا تعصى الرجل..

وما أجمل هذه الأساليب فى علاج أخطاء الآخرين ليبقى الود فى القلوب متينًا لا تهزه الأخطاء ولا تكدره كثرة النصائح..

۞ أحد السلف استلف منه رجل كتابًا.. فردَّه إليه بعد أيام وعليه آثار طعام.. كأنه حمل عليه خبزًا أو عنبًا.. فسكت صاحب الكتاب..

وبعد أيام جاءه صاحبه يستعير منه كتابًا آخر.. فأعطاه الكتاب فى طبق..!!

فقال الرجل: إنما أريد الكتاب.. فما بال الطبق؟!

فقال: الكتاب لتقرأ فيه.. والطبق لتحمل عليه طعامك!!

---

(١) صحيح: رواه أبو داود، والنسائى، وأحمد، وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (٢٦٥٠).

فأخذ الكتاب.. ومضى.. فقد وصلت الرسالة..

۞ وأذكر أن أحدهم كان يعود إلى بيته ليلًا.. وينزع ثوبه..

يعلقه على الشماعة.. وينام..

فتأتي زوجته.. وتفتح محفظة النقود.. ثم تأخذ الصرف الموجود.. من فئة الريال.. والخمسة..

فإذا استيقظ صباحًا وذهب إلى عمله.. واحتاج أن يحاسب في بقالة ونحوها.. لم يجد صرفًا..

فتحيَّر الرجل.. تُرى أين ذهب المال؟!

فراقبها.. حتى فهم القضية..

فرجع إلى بيته يومًا.. وقد جعل في جيبه ضفدعًا!

ونزع ثوبه كالعادة.. واضطجع كهيئة النائم.. وأخذ يُصدر صوتًا كأنه نائم.. وهو يراقب الثوب.. فأقبلت زوجته لتأخذ ما يتيسر.. كالعادة!!

أقبلت إلى الثوب تمشي رويدًا.. أدخلت يدها بهدووء.. فلمست الضفدع.. فتحرك فجأة.. فصرخت: آآآه.. يدي.. ففتح الزوج عينيه.. وقال: آآآه.. جيبي..

ليتنا نستعمل هذا الأسلوب.. مع جميع الناس[1].

---

(١) استمتع بحياتك (ص ٢٨٠-٢٨٣).

الراحمون يرحمهم الرحمن (جل وعلا)

۞ المؤمن إنسان ذو قلب رحيم؛ لأن مثله الأعلى أن يتخلق بأخلاق الله تعالى، وأن يكون له حظ من أسمائه الحُسنى.

ومن أوضح الأخلاق الإلهية «الرحمة» التى وسعت كل شيء، وشملت المؤمن والكافر، والبَر والفاجر، واستوعبت الدنيا والآخرة، وقد قرب الرسول لأصحابه هذا المعنى – على طريقته فى انتهاز الأحداث والمناسبات فرصًا لغرس المباديء والمعانى التى يريدها – حين قدموا عليه مرة بسبى وإذا امرأة تسعى، إذ وجدت صبيًا فى السبى، فأخذته فألزقته ببطنها فأرضعته فقال رسول الله ﷺ: «**أترون هذه المرأة طارحة ولدها فى النار؟**»، قالوا: لا وهى تقدر على ألا تطرحه قال: «**فالله أرحم بعباده من هذه بولدها**»(١).

۞ من أبرز أسماء الله الحسنى «الرحمن الرحيم» وهما أشهر الأسماء بعد لفظ الجلالة (الله).

وللإمام الغزالى كتاب سمَّاه «المقصد الأسنى فى شرح أسماء الله الحسنى» يشرح فيه الاسم الإلهى ثم يُعقِّب بما يمكن أن يكون حظ الإنسان من هذا الاسم، وبعد أن شرح معنى الاسمين «الرحمن الرحيم» قال: وحظ العبد من اسم الرحمن أن يرحم عباد الله الغافلين، فيصرفهم عن طريق الغفلة إلى الله بالوعظ والنُّصح بطريق اللطف دون العنف، وأن ينظر إلى العصاة بعين الرحمة، لا بعين الإيذاء، وأن يرى كل معصية تجرى فى

---

(١) متفق عليه: رواه البخارى (٥٩٩٩)، ومسلم (٢٧٥٤).

العالم كمعصية له فى نفسه، فلا يألو جهدًا، فى إزالتها بقدر وسعه، رحمة لذلك العاصى من أن يتعرض لسخط الله تعالى، أو يستحق البُعد عن جواره.

وحظ العبد من اسم (الرحيم) ألا يدع فاقة لمحتاج إلا ويسدُّها بقدر طاقته ولا يترك فقيرًا فى جواره أو فى بلده، إلا ويقوم بتعهده ودفع فقره، إما بماله أو جاهه، أو الشفاعة إلى غيره، فإن عجز عن جميع ذلك، فيعينه بالدعاء، وإظهار الحزن، رقة عليه وعطفًا، حتى كأنه مساهم له فى ضُرِّه وحاجته.

والمؤمن يعتقد أنه دائمًا فقير إلى رحمة الله تعالى، فبهذه الرحمة الإلهية يعيش فى الدنيا ويفوز فى الآخرة، ولكنه يُوقن أن رحمة الله لا تُنال إلا برحمة الناس «إنما يرحم الله من عباده الرُّحَماء»، و «من لا يَرحم لا يُرحم»، «ارحموا من فى الأرض يرحمكم من فى السماء».

ورحمة المؤمن لا تقتصر على إخوانه المؤمنين وإن كان دافع الإيمان المشترك يجعلهم أولَى الناس بها وإنما هو ينبوع يفيض بالرحمة على الناس جميعًا وقد قال رسول الإسلام لأصحابه: «**لن تُؤمنوا حتى ترحموا**» قالوا: يا رسول الله؛ كلنا رحيم. قال: «**إنه ليس برحمة أحدكم صاحبه ولكنها رحمة العامة**»[1] .... ومن صفات المؤمنين فى القرآن: ﴿وَتَوَاصَوْاْ بِٱلصَّبْرِ وَتَوَاصَوْاْ بِٱلْمَرْحَمَةِ﴾.

بل هى رحمة تتجاوز الإنسان الناطق إلى الحيوان الأعجم.

فالمؤمن يرحمه ويتقى الله فيه، ويعلم أنه مسئول أمام ربه عن هذه

(١) صحيح: رواه الطبرانى، وصححه الألبانى فى الصحيحة (١٦٧).

العجماوات، وقد أعلن النبى ﷺ لأصحابه أن الجنة فتحت أبوابها لبغىٍّ سقت كلبًا فغفر الله لها، وأن النار فتحت أبوابها لامرأة حبست هرة حتى ماتت، فلا هى أطعمتها، ولا هى تركتها تأكل من خشاش الأرض، فإذا كان هذا عقاب من حبس هرة بغير ذنب، فماذا يكون عقاب الذين يحبسون عشرات الألوف من بنى الإنسان بغير حق إلا أن يقولوا: ربنا الله؟!

وقال رجل: يا رسول الله؛ إنى لأرحم الشاة أن أذبحها، فقال: «**إن رحمتها رحمك الله**»(١).

ورأى عمر رجلًا يسحب شاة برجلها ليذبحها فقال له: «ويلك قُدها إلى الموت قَودًا جميلًا».

ويروى المؤرخون أن عمرو بن العاص فى فتح مصر نزلت حمامة بفسطاطه – خيمته – فاتخذت من أعلاه عشًا، وحين أراد عمرو الرحيل رآها، فلم يشأ أن يُهيجها بتقويضه، فتركه وتكاثر العمران من حوله فكانت مدينة الفسطاط.

ويروى ابن عبد الحكم فى سيرة الخليفة الراشد عمر بن عبد العزيز أنه نهى عن ركض الفرس إلا لحاجة. وأنه كتب إلى صاحب السكك: أن لا يحملوا أحدًا بلجامٍ ثقيل، ولا ينخس بمقرعة فى أسفلها حديدة.

وكتب إلى واليه بمصر: إنه بلغنى أن بمصر إبلًا نقَّالات يُحمل على البعير منها ألف رطل، فإذا أتاكَ كتابى هذا، فلا أعرفن أنه يُحمل على البعير أكثر من ستمائة رطل.

---

(١) صحيح: رواه الطبرانى فى الكبير، وأحمد، والحاكم، وصححه الألبانى فى الصحيحة (٢٦)، وصحيح الجامع (٧٠٥٥).

هذه الرحمة الدافقة الشاملة أثر من آثار الإيمان بالله واليوم الآخر، ذلك الإيمان الذى يرقق بنفحاته القلوب الغليظة، ويُلين الأفئدة القاسية.

أرأيت إلى عمر وقد كان معروفًا بالشدة والقسوة فى جاهليته كيف صنع الإيمان به ففجَّر ينابيع الرحمة والرقة فى قلبه .... لقد قالوا: إنه وأد بنتًا له فى الجاهلية، فلما وَلِىَ إمارة المؤمنين كان يرى نفسه مسئولًا أمام الله عن بغلة تعثر بأقصى البلدان.

ولقد غلبت هذه العقيدة وهذا الخُلُق على أعمال المسلمين الأولين، ووضحت آثارها فى سلوكهم حتى مع الأعداء المحاربين ... فنجد رسول الإسلام يغضب حين مَرَّ فى إحدى غزواته، فوجد امرأة مقتولة فقال: «**ما كانت هذه لتقاتل**»(١)، وينهى عن قتل النساء والشيوخ والصبيان، ومَن لا مشاركة له فى القتال.

ويسير أصحابه على نفس النهج أبرارًا رُحماء لا فُجارًا قُساة.

فهذا أبو بكر يودع جيش أسامة بن زيد ويوصيهم قائلًا: «لا تقتلوا امرأة ولا شيخًا ولا طفلًا ولا تعقروا نخلًا، ولا تقطعوا شجرة مثمرة، وستجدون رجالًا فرغوا أنفسهم فى الصوامع فدعوهم وما أفرغوا أنفسهم له». ويقول عمر: «اتقوا الله فى الفلاحين الذين لا ينصبون لكم الحرب».

ويُحمَل إلى أبى بكر رأس مقتول من كبراء الأعداء المحاربين فيستنكر هذا العمل، ويعلن سخطه عليه ويقول لمن جاءه بالرأس: لا يُحمل إلىَّ رأس بعد اليوم. فقيل له: إنهم يفعلون بنا ذلك. فقال: فاستنان (أى: اقتداء) بفارس والروم؟ إنما يكفى الكتاب والخبر.

---

(١) صحيح: رواه ابن ماجه، وصححه الألبانى فى التعليقات الحسان (٤٧٧١).

وهكذا كانت الحرب الإسلامية حربًا رحيمة رفيقة، لا يُراق فيها الدم إلا ما تدعو الضرورة القاهرة إليه،... وقد لاحظ ذلك الفيلسوف الفرنسى جوستاف لوبون فقال: ما عرف التاريخ فاتحًا أعدل ولا أرحم من العرب![1].

(١) الإيمان والحياة/ د. يوسف القرضاوى (ص ٢٨١- ٢٨٥).

عينان فى القلب

۞ قال شيخ أهل الشام خالد بن معدان: «ما من آدمى إلا وله أربع أعين: عينان فى رأسه يبصر بهما أمر الدنيا، وعينان فى قلبه يبصر بهما أمر الآخرة، فإذا أراد الله بعبده خيرًا فتح عينيه اللتين فى قلبه فأبصر بهما ما وعد بالغيب، فآمن الغيب بالغيب».

أين عينا قلبك؟ آه لو كان فى قلبك قنطار يقين .... مثقال يقين .... ذرة يقين لبلغت مقام الصالحين ولزاحمت فى الجنة المتقين، ولما شغلتك دنيا عن آخرة، ولما ألهتك غانية عن جارية؛ لأن عينى قلبك مفتوحتان ليس فيهما عمش أو قِصر نظر.

۞ عينا رأسك تُريانك المال الحرام نعيمًا، وترفًا، لكن عينى قلبك تريانك إياه جمرة من نار تحرق بها نفسك.

۞ عينا رأسك تُريانك الخلوة غيابًا عن الرقيب وفرصة للانفكاك من عيون البشر، لكن عينى قلبك تريانك الله عليك شهيدًا ولأعمالك رقيبًا فلا فارِق عندك بين سِرٍّ وجهرٍ أو باطن وظاهر.

۞ عينا رأسك تُريانك الجهاد فى سبيل الله قمة الهلاك، وإراقة للدم فى غير فائدة، وفراقًا للأهل والزوجة والأبناء دون مقابل، لكن عينى قلبك تريانك الجهاد فى سبيل الله ذروة سنام الإسلام وسبيل سُكنى الفردوس ومهر الحور العين.

۞ عينا رأسك تُريانك الفقر مفسدة وقلة المال تَهلُكة وشظف العيش غضبًا من الله، لكن عينى قلبك تُريانك إياه اختبار رضا وصيانة لك من مال

لا تؤدى حقه ولونًا من ألوان الجهاد.

۞ عينا رأسك تريانك الدنيا هى العليا والآخرة هى السُّفلى، لكن عينى قلبك تُريانك الدنيا ممرًّا لا مقرًّا، وسرابًا لا حقيقة، ومزرعة تبذر فيها بـذور خير تحصدها ثمارًا تتدلى من شجر الجنة إن شاء الله[1].

(١) البحث عن اليقين (ص ٢٠- ٢١).

إن الله جميلٌ يحب الجمال

۞ جَمِّل مظهرك، وأَحسِن لباسك، وتعاهَد خصال الفطرة فى جسمك وعليك بالسواك والطيب، والبس وسطًا جميلًا، ولا يغرك كلام دراوشة الصوفية فى لبسهم المرقعات، وترك أظفارهم طويلة، وشعورهم شعثة، وأجسامهم وسخة، فإنهم جهلة بالشرع الحنيف،... والإمام والقدوة، إنما هو محمد ﷺ، فقد كان يحب الطِّيب، ويكثر السواك، ويلبس الجميل، ويكثر الاغتسال، ويُرجِّل شعر رأسه، ويُخلل لحيته.

ولحسن المظهر، وجمال الرائحة أثر على بهجة النفس ونشاطها، وراحتها، وقد قال ﷺ: «**إن الله جميل يحب الجمال**»(١).

فالواجب أن تفعل ما يحبه الله ﷻ.

۞ الله جميل يحب الجمال، خلق حدائق ذات بهجة، وخلق النخل باسقات لها طلعٌ نضيد، يحب المظهر الجميل، والمَخبر الجميل، ولا يعترف بالدروشة، وتهميش الأناقة، والرسول ﷺ طيب الطَّلعة، جميل الصورة، زكى الرئحة، حى العواطف، وافر المشاعر، جاء يؤيد الفطرة، ويعلم الإنسان معنى الحياة، والله يكره البؤس والتباؤس،... وظن بعض الناس أن النُّسك لبس الثياب الممزقة، وبعثرة شعر اللحية، وهجر الطِّيب، والتجافى عن نظافة الجسم، والتماوت فى المشية، وتنكيس الرأس كما يفعل الرهبان، وهذا كله ما أنزل الله به من سلطان،... كان عمر رضي الله عنه، وهو من أفضل النُّساك، إذا مشى أسرع، وإذا قال أسمع وإذا ضرب أوجع.

---

(١) صحيح: رواه مسلم (٩١).

لابد أن يُقدَّم الإسلام في صورته الزاهية الجميلة،... طُهر للسريرة، حفظ للمزاج، صحة للجسم، قوة في العمل، سُمو في الهمة، الإسلام نقاء للقلب من الحقد والدغل، والشرك، والنفاق، وصفاء للمبدأ من الغي والانحراف، غسل ووضوء، وسواك وطيب، أكل للطيبات مع الشكر، ولباس للجميل مع التواضع، واستغلال الحياة بطريق الشرع، ... أما إطفاء إشراق النفس وقتل إرادتها، وإرغام الروح على المشقة، والعنت والتقزز من مباهج الحياة، فهو لغو، وغلو لا أصل له. ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾[1][2].

---

(١) سورة الحج: الآية: ٧٨.

(٢) حدائق ذات بهجة (ص ٢٠٤- ٢٠٥).

اهتم بالناس من حولك

۞ إن مما يجعل قلوب الناس قريبة منك أن تهتم بهم وبأحوالهم وتُشعرهم بهذا الاهتمام.

۞ لقد كان النبى ﷺ يهتم بكل أصحابه حتى إنه كان إذا غاب واحدٌ منهم كان يسأل: أين فلان بن فلان فيكون لهذا السؤال الخاص موقع عظيم فى قلب هذا الصحابى الجليل.

وكان ﷺ إذا كلَّمه أحد التفت إليه جميعًا،... أى التفت بوجهه وجسمه إليه ليستمع إليه ويُنصت.

وكان ﷺ إذا صافح أحدًا لم ينزع يده من يد المصافح حتى ينزع هذا الرجل يده أولًا.

۞ حتى إنه كان جرير بن عبد الله رَضِيَ اللهُ عَنْهُ يقول: والله ما رآنى رسول الله ﷺ إلا تبسَّم فى وجهى ... فكأن هذا الصحابى الجليل ظن أن النبى ﷺ يفعل هذا فى وجهه خاصة.

وهكذا كان النبى ﷺ يُشعر كل صحابى أنه يهتم به اهتمامًا خاصًا .... حتى إن عمرو بن العاص رَضِيَ اللهُ عَنْهُ لما أرسله النبى ﷺ فى سرية ذات السلاسل فانتصر وعاد بالغنائم فأحسَّ أن النبى لن يحب أحدًا مثله من كثرة ما يراه من حُسن معاملة النبى ﷺ له فذهب إلى النبى وسأله: مَن أحب الناس إلى قلبك يا رسول الله؟ قال ﷺ: «**عائشة!**»

قال عمرو: فمن الرجال؟ قال ﷺ: «**أبوها**».

قال عمرو: ثم مَن؟ قال ﷺ: «**عمر**».

قال عمرو: ثم مَن؟ قال ﷺ: «**ثم عثمان**».

قال عمرو: ثم مَن؟ قال ﷺ: «**ثم علي**».

۞ نعم لقد كان سيد الخلق ﷺ يراعى ذلك فى الناس يُشعر كل إنسان أن قضيته قضيته وهمه همه ... قام ﷺ على منبره يومًا يخطب الناس فدخل رجل من باب المسجد ونظر إلى رسول الله ﷺ ثم قال: يا رسول الله رجل يسأل عن دينه ما يدرى ما دينه؟ فالتفت ﷺ إليه فإذا رجل أعرابى قد لا يكون مُستعدًا أن ينتظر حتى تنتهى الخطبة ويتفرغ له النبى ﷺ ليحدثه عن دينه، وقد يخرج الرجل من المسجد ولا يعود إليه وقد بلغ الأمر عند الرجل أهمية عالية، لدرجة أنه يقطع الخطبة ليسأل عن أحكام الدين!! كان ﷺ يفكر من وجه نظر الآخر لا من وجهه نظره الشخصية فقط.

نزل من على منبره الشريف ودعا بكرسى فجلس أمام الرجل وجعل يُلقنه ويُفهمه أحكام الدين حتى فهم ثم قام من عنده ورجع إلى منبره وأكمل خطبته.

۞ وهكذا لابد أن نعلم أن الناس يحبون أن يشعروا بقيمتهم ... فما عليك إلا أن تهتم بكل من حولك ولو بكلمة طيبة أو بسمة حانية أو هدية بسيطة أو مجاملة رقيقة فإن هذا كله من أعظم أسباب تآلف القلوب.

فن التعامل مع الناس[1]

۞ تكون أقوى الناس قدرة على استعمال مهارات التعامل مع الآخرين عندما تتعامل مع كل أحد تعاملًا رائعًا يجعله يشعر أنه أحب الناس إليك.. فتتعامل مع أمك تعاملًا رائعًا مشبعًا بالتفاعل والأُنس والاحتفاء إلى درجة أنها تشعر أن هذا التعامل الراقى لم يلقه أحدٌ منك قبلها..

وقُل مثل ذلك عند تعاملك مع أبيك.. مع زوجتك.. أولادك.. زملائك.. بل قل مثله عند تعاملك مع من تلقاهم مرة واحدة.. كبائع فى دكان.. أو عامل فى محطة وقود..

كل هؤلاء تستطيع أن تجعلهم يُجمعون على أنك أحب الناس إليهم إذا أشعرتهم أنهم أحب الناس إليك.. وقد كان ﷺ قدوة فى ذلك..

إذ إن من تتبع سيرته.. وجد أنه كان يتعامل بمهارات أخلاقية راقية.. فيعامل كل أحد يلقاه بمهارات من احتفاء وتفاعل وبشاشة.. حتى يشعر ذلك الشخص أنه أحب الناس إليه.. وبالتالى يكون هو أيضًا ﷺ أحب الناس إليهم.. لأنه أشعرهم بمحبته..

بل كان عليه الصلاة والسلام يُنزل الناس منازلهم.. وقد يترك أشغاله لأجلهم.. لإشعارهم بمحبته لهم وقدرهم عنده..

لما توسَّع ﷺ بالفتوحات وبدأ ينتشر الإسلام.. جعل ﷺ يرسل الدعاة من عنده لدعوة القبائل إلى الإسلام.. وربما احتاج الأمر أن يرسل جيشًا.. وكان عدى ابن حاتم الطائي.. ملكًا ابن ملك.. أرسل النبى ﷺ جيشًا إلى قبيلة «طيء».. وكان عدى قد هرب من الحرب فلم يشهدها.. واحتمى

(١) استمتع بحياتك/ د. محمد العريفى.

بالروم فى الشام..

وصل جيش المسلمين إلى ديار طيء.. كانت هزيمة طيء سهلة.. فلا ملك يقود.. ولا جيش مُرتَّب.. وكان المسلمون فى حروبهم.. يُحسنون إلى الناس.. ويعطفون وهم فى قتال.. كان المقصود صد كيد قوم (عدى) عن المسلمين.. وإظهار قوة المسلمين لهم..

أسر المسلمون بعض قوم (عدى).. وكان من بينهم أخت لعدى بن حاتم.. مضوا بالأسرى إلى المدينة.. حيث رسول الله ﷺ.. وأخبروا النبى ﷺ بفرار عدى إلى الشام.. فعجب ﷺ من فراره!! كيف يفر من الدين؟ كيف يترك قومه؟

ولكن لم يكن إلى الوصول إلى عدى سبيل.. لم يَطُل المقام لعدى فى ديار الروم.. فاضطر للرجوع لديار العرب.. ثم لم يجد بُدًّا من أن يذهب إلى المدينة للقاء النبى ﷺ ومصالحته..أو التفاهم على شيء يرضيهما(١).

۞ يقول عدي وهو يحكي قصة ذهابه إلى المدينة:

ما رجل من العرب كان أشد كراهة لرسول الله ﷺ مني.. وكنت على دين النصرانية.. وكنت ملكًا فى قومى .... لما كان يصنع بي.

فلما سمعت برسول الله ﷺ كرهته كراهية شديدة.. فخرجت حتى قدمت الروم على قيصر..

قال: فكرهت مكانى ذلك..

فقلت: والله لو أتيت هذا الرجل.. فإن كان كاذبًا لم يضرني.. وإن كان صادقًا علمت.. فقدمت فأتيته..

---

(١) وقيل: إن أخته هى التى ذهبت إليه فى الشام وردّته إلى العرب.

فلما دخلت المدينة جعل الناس يقولون: هذا عدى بن حاتم.. هذا عدى ابن حاتم.. فمشيت حتى أتيت فدخلت على رسول الله ﷺ فى المسجد فقال لى: «**عدى ابن حاتم!**»

قلت: عدى بن حاتم..

فرح النبى ﷺ بمقدمه.. واحتفى به.. مع أن عديًّا محارب للمسلمين وفارٌ من الحرب.. ومُبغض للإسلام.. ولاجئٌ إلى النصارى..

ومع ذلك لقيه ﷺ بالبشاشة والبِشر.. وأخذ بيده يسوقه معه إلى بيته.. عدى وهو يمشى بجانب النبى ﷺ يرى أن الرأسين متساويان..!!

فمحمد ﷺ ملك على المدينة وما حولها.. وعدى ملك على جبال طيء وما حولها..

ومحمد ﷺ على دين سماوى «الإسلام».. وعدى على دين سماوى «النصرانية»..

ومحمد ﷺ عنده كتاب مُنزَّل «القرآن».. وعدى عنده كتاب مُنزَّل «الإنجيل»..

كان عدى يشعر أنه لا فرق بينهما إلا فى القوة والجيش..

فى أثناء الطريق وقعت ثلاثة مواقف:

بينما هما يمشيان إذا بامرأة قد وقفت فى وسط الطريق فجعلت تصيح: يا رسول الله.. لى إليك حاجة.. فانتزع النبى ﷺ يده مَن يد عدى ومضى إليها.. وجعل يستمع إلى حاجتها..

عدى بن حاتم.. الذى قد عرف الملوك والوزراء جعل ينظر إلى هذا المشهد.. ويقارن تعامل النبى ﷺ مع الناس بتعامل مَن رآهم من قبل من

الرؤساء والسادة.. فتأمل طويلًا ثم قال: والله ما هذه بأخلاق الملوك.. هذه أخلاق الأنبيااااااء..

وانتهت المرأة من حاجتها.. فعاد النبى ﷺ إلى عدي.. ومضيا يمشيان.. فبينما هما كذلك.. فإذا برجل يُقبل على النبى ﷺ..

فماذا قال الرجل؟

هل قال: يا رسول الله عندى أموال زائدة أبحث لها عن فقير؟! أم قال: حصدت أرضى وزاد عندى الثمر.. فماذا أفعل به؟

يا ليته قال شيئًا من ذلك.. لعل عديًا إذا سمعه يشعر بغنى المسلمين وكثرة أموالهم..

قال الرجل: يا رسول الله.. أشكو إليك الفاقة والفقر..

ما يكاد هذا الرجل يجد طعامًا يسد به جوعة أولاده.. ومَن حوله من المسلمين يعيشون على الكفاف ليس عندهم ما يساعدونه به..

قال الرجل هذه الكلمات وعدى يسمع.. فأجابه النبى ﷺ بكلمات ومضى.. فلما مشيا خطوات.. أقبل رجل آخر.. قال: يا رسول الله أشكو إليك قطع الطريق!!

يعنى أننا يا رسول الله لكثرة أعدائنا حولنا لا نأمن أن نخرج عن بنيان المدينة لكثرة من يعترضنا من كفار أو لصوص..

أجابه النبى ﷺ بكلمات ومضى.. جعل عدى يُقلِّب الأمر فى نفسه.. هو فى عِزٍّ وشرفٍ فى قومه.. وليس له أعداء يتربصون به..

فلماذا يدخل هذا الدين الذى أهله فى ضعف ومسكنة.. وفقر وحاجة..

وصلا إلى بيت النبى ﷺ.. فدخلا.. فإذا وسادة واحدة فدفعها النبى

ﷺ إلى عدى إكرامًا له.. وقال: «**خذ هذه فاجلس عليها**».. فدفعها عدى إليه قال: بل اجلس عليها أنت.. فقال ﷺ: «**بل أنت**».. حتى استقرت عند عدى فجلس عليها..

عندها.. بدأ النبى ﷺ يحطم الحواجز بين عدى والإسلام.. «**يا عدى أسلم.. تسلم.. أسلم تسلم.. أسلم تسلم**»..

قال عدى: إنى على دين..

فقال ﷺ: «**أنا أعلم بدينك منك**»..

قال: أنت أعلمُ بدينى مني؟

قال: «**نعم.. ألست من الركوسية**»..

والركوسية ديانة نصرانية مشرّبة بشيء من المجوسية.. فمن مهارته ﷺ فى الإقناع أنه لم يقل ألست نصرانيًا.. وإنما تجاوز هذه المعلومة إلى معلومة أدق منها فأخبره بمذهبه فى النصرانية تحديدًا..

كما لو لقيك شخص فى أحد بلاد أوروبا وقال لك: لماذا لا تتنصر؟

فقلت: إنى على دين..

فلم يقل لك: ألست مسلمًا.. ولم يقل: ألست سنيًّا.. وإنما قال: ألست شافعيًا.. أو حنبليًا.. عندها ستدرك أنه يعرف كل شيء عن دينك..

فهذا الذى فعله المعلم الأول ﷺ مع عدي.. قال: ألست من الركوسية..

فقال عدى: بلى..

فقال ﷺ: «**فإنك إذا غزوت مع قومك تأكل فيهم المرباع؟**»[1].

---

(١) المرباع: إذا غزت القبيلة قسم رئيسها الغنيمة أربعة أقسام فأخذ الربع له وحده، وهذا حرام فى دين النصرانية، جائز عند العرب.

قال: بلى..

فقال ﷺ: «فإن هذا لا يحل لك فى دينك..».

فتضعضع لها عدي.. وقال: نعم..

فقال ﷺ: «أما إنى أعلم الذى يمنعك من الإسلام..

أنك تقول: إنما اتبعه ضعفة الناس ومَن لا قوة لهم..

وقد رمتهم العرب..

يا عدي.. أتعرف الحيرة؟[1]».

قلت: لم أرها وقد سمعت بها..

قال: «فوالذى نفسى بيده ليتمن الله هذا الأمر حتى تخرج الظعينة (المرأة) من الحيرة حتى تطوف بالبيت فى غير جوار أحد»..

أى: سيقوى الإسلام إلى درجة أن المرأة المسلمة الحاجَّة تخرج من الحيرة حتى تصل إلى مكة ليس معها إلا محرم.. من غير أحد يحميها..

وتمر على مئات القبائل فلا يجرؤ أحد أن يعتدى عليها أو يسلبها مالها.. لأن المسلمين صارت لهم قوة وهيبة.. إلى درجة أن أحدًا لا يجرؤ على التعرض لمسلم خوفًا من انتصار المسلمين له..

فلما سمع عدى ذلك.. جعل يتصور المنظر فى ذهنه.. امرأة تخرج من العراق حتى تصل إلى مكة.. معنى ذلك أنها ستمر بشمال الجزيرة.. يعنى ستمر بجبال طيء.. ديار قومه..

فتعجب عدى وقال فى نفسه: فأين عنها ذُعّار طيء الذين سعروا البلاد!!

ثم قال ﷺ: «وليفتحن كنوز كسرى بن هرمز»..

(١) الحيرة: مدينة بالعراق.

قال: كنوز ابن هرمز؟

قال: **«نعم كسرى بن هرمز.. ولتنفقن أمواله فى سبيل الله»..**

قال ﷺ: **«ولئن طالت بك حياة لترين الرجل يخرج بملء كَفِّه من ذهب أو فضة يطلب مَن يقبله منه فلا يجد أحدًا يقبله منه»..**

يعنى: من كثرة المال يخرج الغنى يطوف بصدقته لا يجد فقيرًا يعطيه إياها.. ثم بدأ ﷺ يعظ عديًّا ويُذكره بالآخرة..

فقال: **«وليلقين الله أحدُكم يوم يلقاه ليس بينه وبينه ترجمان، فينظر عن يمينه فلا يرى إلا جهنم، وينظر عن شماله فلا يرى إلا جهنم»..**

سكت عدى متفكرًا..

ففاجأه ﷺ قائلًا: **«يا عدي.. فما يضرك أن تقول لا إله إلا الله؟.. أَوَ تعلم من إله أعظم من الله؟!»**.

قال عدى: فإنى حنيف مسلم.. أشهد أن لا إله إلا الله.. وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.. فتهلل وجه النبى ﷺ فرحًا مستبشرًا..

قال عدى بن حاتم: فهذه الظعينة تخرج من الحيرة تطوف بالبيت فى غير جوار.. ولقد كنت فيمن فتح كنوز كسرى.. والذى نفسى بيده لتكونن الثالثة لأن رسول الله ﷺ قد قالها.. [1].

فتأمل كيف كان هذا الأنس منه ﷺ لعدي.. وهذا الاحتفاء الذى قابله به.. حتى شعر به عدي.. تأمل كيف كان كل ذلك جاذبًا لعدى للدخول فى الإسلام.. فلو مارسنا هذا الحب مع الناس.. مهما كانوا.. لملكنا قلوبهم...

---

(١) رواه مسلم وأحمد..

احمل البشرى لكل من حولك

۞ ومن المعانى الجميلة التى ينبغى أن يحرص عليها كل مسلم: أن يحمل البشرى لكل من حوله من المسلمين من أجل أن تتآلف القلوب وتلتقى فى بوتقة الحب فى الله (جل وعلا).

۞ **فها هو الحبيب ﷺ يحمل البشرى لعشرة من الصحابة** رضي الله عنهم **ليبشرهم بالجنة.**

قال ﷺ: «أبو بكر فى الجنةِ، وعمر فى الجنةِ، وعثمانُ فى الجنةِ، وعليٌّ فى الجنةِ، وطلحةُ فى الجنةِ، والزبير فى الجنة، وعبد الرحمن بن عوف فى الجنة، وسعدُ بن أبى وقاص فى الجنةِ، وسعيدُ بن زيد فى الجنة، وأبو عبيدة بن الجراح فى الجنةِ»(١).

۞ **وها هو يبشر أربعة من الصحابة بأن الجنة تشتاق إليهم.**

قال ﷺ: «إن الجنة لتشتاق إلى ثلاثة: على وعمار وسلمان»(٢).

وفى رواية: «إن الجنة لتشتاق إلى ثلاثة: على وعمار وبلال»(٣).

فبمجموع الروايتين نجد أن الجنة اشتاقت إلى أربعة: على وعمار وبلال وسلمان رضي الله عنهم.

۞ **وها هو يبشر أم سعد بن معاذ بأن ابنها سعد اهتز عرش الرحمن لموته.**

۞ عن أسماء بنت يزيد بن سكن قالت: لما توفى سعد بن معاذ صاحت

---

(١) صحيح: رواه أحمد والترمذى والضياء وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (٥٠).

(٢) حسن: رواه الترمذى وحسنه الألبانى فى صحيح الجامع (١٥٩٨).

(٣) رواه الترمذى والحاكم (٣/ ١٣٧)، **وصححه ووافقه الذهبي.**

أمه فقال النبى ﷺ: «**ألا يرقا دمعك ويذهب حزنك بأن ابنك أول من ضحك الله له واهتز له العرش؟**»[1].

۞ وها هو يبشر عمر بن الخطاب وعثمان بن عفان رضي الله عنهما بالشهادة.

عن أبى هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ كان على حراء هو وأبو بكر وعمر وعثمان وعلى وطلحة والزبير فتحركت الصخرة فقال رسول الله ﷺ: «**اهدأ فما عليك إلا نبى أو صدِّيق أو شهيد**»[2].

وعن أبى موسى رضي الله عنه قال: «أن النبى ﷺ دخل حائطًا (بستانًا) وأمرنى بحفظ باب الحائط، فجاء رجلٌ يستأذنُ فقال: «**ائذن له وبشره بالجنة**» فإذا أبو بكر، ثم جاء آخر يستأذن فقال له: «**ائذن له وبشره بالجنة**» فإذا عمر، ثم جاء آخر يستأذنُ فسكت هنيهة ثم قال: «**ائذن له وبشرهُ بالجنة على بلوى ستصيبه**» فإذا عثمان بن عفان»[3].

۞ وها هو يبشر ابن مسعود رضي الله عنه بأن ساقيه أثقل فى الميزان يوم القيامة من جبل أُحد.

فعن ابن مسعود أنه كان يجتنى سواكًا من الأراك وكان دقيق الساقين، فجعلت الريح تفكؤهُ فضحك القوم منه، فقال رسول الله ﷺ: «**مم تضحكون؟**» قالوا: يا نبى الله من دقة ساقيه، فقال: «**والذى نفسى بيده لهما أثقل فى الميزان من أُحدٍ**[4]- أى من جبل أُحُدٍ».

(١) رواه الطبرانى والحاكم وصححه ووافقه الذهبي.

(٢) أخرجه مسلم (٢٤١٧) والترمذى (٣٦٩٦) وأحمد (٢/ ٤١٩).

(٣) أخرجه البخارى (٣٦٩٥)، ومسلم (٢٤٠٣)، والترمذى (٣٧١٠).

(٤) رواه أحمد (١/ ٤٢٠- ٤٢١)، والطبرانى فى الكبير (٩/ ٧٥) وهو صحيح بمجموع طُرقه.

۞ وها هو يبشر ثابت بن قيس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بأنه من أهل الجنة.

فعن أنس بن مالك أنه قال: لما نزلت هذه الآية ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَرْفَعُوٓاْ أَصْوَٰتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ ٱلنَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُواْ لَهُۥ بِٱلْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَٰلُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴾[1]... جلس ثابت بن قيس فى بيته وقال: «أنا من أهل النار» واحتبس عن النبى ﷺ فسأل النبى ﷺ سعد بن معاذ فقال: «**يا أبا عمرو ما شأن ثابت؟ أشتكى؟**» قال سعد: إنه لجارى وما علمت له بشكوى – مرض – قال: فأتاه سعد فذكر له قول رسول الله ﷺ فقال ثابت: أُنزلت هذه الآية ولقد علمتم أنى من أرفعكم صوتًا على رسول الله ﷺ فأنا من أهل النار. فذكر ذلك سعدٌ للنبى ﷺ فقال رسول الله ﷺ: «**بل هو من أهل الجنة**»[2].

۞ ومن ذلك ما فعله طلحة مع كعب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ... كعب بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ شيخ كبير.. نجلس إليه.. بعدما كبر سنه.. ورَقَّ عظمه.. وكفَّ بصره.. وهو يحكى ذكريات شبابه.. فى تخلُّفه عن غزوة تبوك..

وكانت آخر غزوة غزاها النبى ﷺ... عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَبْدِ اللهِ بْنِ كَعْبِ بْنِ مَالِكٍ، أَنَّ عَبْدَ اللهِ بْنَ كَعْبِ بْنِ مَالِكٍ، وَكَانَ، قَائِدَ كَعْبٍ مِنْ بَنِيهِ، حِينَ عَمِيَ، قَالَ: سَمِعْتُ كَعْبَ بْنَ مَالِكٍ، يُحَدِّثُ حِينَ تَخَلَّفَ عَنْ قِصَّةِ، تَبُوكَ، قَالَ كَعْبٌ: لَمْ أَتَخَلَّفْ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ فِي غَزْوَةٍ غَزَاهَا إِلَّا فِي غَزْوَةِ تَبُوكَ، غَيْرَ أَنِّي كُنْتُ تَخَلَّفْتُ فِي غَزْوَةِ بَدْرٍ، وَلَمْ يُعَاتِبْ أَحَدًا تَخَلَّفَ عَنْهَا، إِنَّمَا خَرَجَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يُرِيدُ عِيرَ قُرَيْشٍ، حَتَّى جَمَعَ اللهُ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ عَدُوِّهِمْ

---

(١) سورة الحجرات: الآية: (٢).

(٢) **صحيح**: رواه مسلم (١١٩).

عَلَى غَيْرِ مِيعَادٍ، وَلَقَدْ شَهِدْتُ مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ لَيْلَةَ العَقَبَةِ، حِينَ تَوَاثَقْنَا عَلَى الإِسْلاَمِ، وَمَا أُحِبُّ أَنَّ لِي بِهَا مَشْهَدَ بَدْرٍ، وَإِنْ كَانَتْ بَدْرٌ، أَذْكَرَ فِي النَّاسِ مِنْهَا، كَانَ مِنْ خَبَرِي: أَنِّي لَمْ أَكُنْ قَطُّ أَقْوَى وَلاَ أَيْسَرَ حِينَ تَخَلَّفْتُ عَنْهُ، فِي تِلْكَ الغَزَاةِ، وَاللهِ مَا اجْتَمَعَتْ عِنْدِي قَبْلَهُ رَاحِلَتَانِ قَطُّ، حَتَّى جَمَعْتُهُمَا فِي تِلْكَ الغَزْوَةِ، وَلَمْ يَكُنْ رَسُولُ اللهِ ﷺ يُرِيدُ غَزْوَةً إِلَّا وَرَّى بِغَيْرِهَا، حَتَّى كَانَتْ تِلْكَ الغَزْوَةُ، غَزَاهَا رَسُولُ اللهِ ﷺ فِي حَرٍّ شَدِيدٍ، وَاسْتَقْبَلَ سَفَرًا بَعِيدًا، وَمَفَازًا وَعَدُوًّا كَثِيرًا، فَجَلَّى لِلْمُسْلِمِينَ أَمْرَهُمْ لِيَتَأَهَّبُوا أُهْبَةَ غَزْوِهِمْ، فَأَخْبَرَهُمْ بِوَجْهِهِ الَّذِي يُرِيدُ، وَالمُسْلِمُونَ مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ كَثِيرٌ، وَلاَ يَجْمَعُهُمْ كِتَابٌ حَافِظٌ، يُرِيدُ الدِّيوَانَ، قَالَ كَعْبٌ: فَمَا رَجُلٌ يُرِيدُ أَنْ يَتَغَيَّبَ إِلَّا ظَنَّ أَنْ سَيَخْفَى لَهُ، مَا لَمْ يَنْزِلْ فِيهِ وَحْيُ اللهِ، وَغَزَا رَسُولُ اللهِ ﷺ تِلْكَ الغَزْوَةَ حِينَ طَابَتِ الثِّمَارُ وَالظِّلاَلُ، وَتَجَهَّزَ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَالمُسْلِمُونَ مَعَهُ، فَطَفِقْتُ أَغْدُو لِكَيْ أَتَجَهَّزَ مَعَهُمْ، فَأَرْجِعُ وَلَمْ أَقْضِ شَيْئًا، فَأَقُولُ فِي نَفْسِي: أَنَا قَادِرٌ عَلَيْهِ، فَلَمْ يَزَلْ يَتَمَادَى بِي حَتَّى اشْتَدَّ بِالنَّاسِ الجِدُّ، فَأَصْبَحَ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَالمُسْلِمُونَ مَعَهُ، وَلَمْ أَقْضِ مِنْ جَهَازِي شَيْئًا، فَقُلْتُ أَتَجَهَّزُ بَعْدَهُ بِيَوْمٍ أَوْ يَوْمَيْنِ، ثُمَّ أَلْحَقُهُمْ، فَغَدَوْتُ بَعْدَ أَنْ فَصَلُوا لِأَتَجَهَّزَ، فَرَجَعْتُ وَلَمْ أَقْضِ شَيْئًا، ثُمَّ غَدَوْتُ، ثُمَّ رَجَعْتُ وَلَمْ أَقْضِ شَيْئًا، فَلَمْ يَزَلْ بِي حَتَّى أَسْرَعُوا وَتَفَارَطَ الغَزْوُ، وَهَمَمْتُ أَنْ أَرْتَحِلَ فَأُدْرِكَهُمْ، وَلَيْتَنِي فَعَلْتُ، فَلَمْ يُقَدَّرْ لِي ذَلِكَ، فَكُنْتُ إِذَا خَرَجْتُ فِي النَّاسِ بَعْدَ خُرُوجِ رَسُولِ اللهِ ﷺ فَطُفْتُ فِيهِمْ، أَحْزَنَنِي أَنِّي لاَ أَرَى إِلَّا رَجُلًا مَغْمُوصًا عَلَيْهِ النِّفَاقُ، أَوْ رَجُلًا مِمَّنْ عَذَرَ اللهُ مِنَ الضُّعَفَاءِ، وَلَمْ يَذْكُرْنِي رَسُولُ اللهِ ﷺ حَتَّى بَلَغَ تَبُوكَ، فَقَالَ: وَهُوَ جَالِسٌ فِي القَوْمِ بِتَبُوكَ: «**مَا فَعَلَ كَعْبٌ**» فَقَالَ رَجُلٌ مِنْ بَنِي سَلِمَةَ: يَا رَسُولَ اللهِ، حَبَسَهُ بُرْدَاهُ، وَنَظَرُهُ فِي عِطْفِهِ، فَقَالَ مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ:

بِئْسَ مَا قُلْتَ، وَاللهِ يَا رَسُولَ اللهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ إِلَّا خَيْرًا، فَسَكَتَ رَسُولُ اللهِ ﷺ، قَالَ كَعْبُ بْنُ مَالِكٍ: فَلَمَّا بَلَغَنِي أَنَّهُ تَوَجَّهَ قَافِلًا حَضَرَنِي هَمِّي، وَطَفِقْتُ أَتَذَكَّرُ الكَذِبَ، وَأَقُولُ: بِمَاذَا أَخْرُجُ مِنْ سَخَطِهِ غَدًا، وَاسْتَعَنْتُ عَلَى ذَلِكَ بِكُلِّ ذِي رَأْيٍ مِنْ أَهْلِي، فَلَمَّا قِيلَ: إِنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَدْ أَظَلَّ قَادِمًا زَاحَ عَنِّي البَاطِلُ، وَعَرَفْتُ أَنِّي لَنْ أَخْرُجَ مِنْهُ أَبَدًا بِشَيْءٍ فِيهِ كَذِبٌ، فَأَجْمَعْتُ صِدْقَهُ، وَأَصْبَحَ رَسُولُ اللهِ ﷺ قَادِمًا، وَكَانَ إِذَا قَدِمَ مِنْ سَفَرٍ، بَدَأَ بِالْمَسْجِدِ، فَيَرْكَعُ فِيهِ رَكْعَتَيْنِ، ثُمَّ جَلَسَ لِلنَّاسِ، فَلَمَّا فَعَلَ ذَلِكَ جَاءَهُ المُخَلَّفُونَ، فَطَفِقُوا يَعْتَذِرُونَ إِلَيْهِ وَيَحْلِفُونَ لَهُ، وَكَانُوا بِضْعَةً وَثَمَانِينَ رَجُلًا، فَقَبِلَ مِنْهُمْ رَسُولُ اللهِ ﷺ عَلانِيَتَهُمْ، وَبَايَعَهُمْ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمْ، وَوَكَلَ سَرَائِرَهُمْ إِلَى اللهِ، فَجِئْتُهُ فَلَمَّا سَلَّمْتُ عَلَيْهِ تَبَسَّمَ تَبَسُّمَ المُغْضَبِ، ثُمَّ قَالَ: «تَعَالَ» فَجِئْتُ أَمْشِي حَتَّى جَلَسْتُ بَيْنَ يَدَيْهِ، فَقَالَ لِي: «**مَا خَلَّفَكَ، أَلَمْ تَكُنْ قَدْ ابْتَعْتَ ظَهْرَكَ**». فَقُلْتُ: بَلَى، إِنِّي وَاللهِ لَوْ جَلَسْتُ عِنْدَ غَيْرِكَ مِنْ أَهْلِ الدُّنْيَا، لَرَأَيْتُ أَنْ سَأَخْرُجُ مِنْ سَخَطِهِ بِعُذْرٍ، وَلَقَدْ أُعْطِيتُ جَدَلًا، وَلَكِنِّي وَاللهِ، لَقَدْ عَلِمْتُ لَئِنْ حَدَّثْتُكَ اليَوْمَ حَدِيثَ كَذِبٍ تَرْضَى بِهِ عَنِّي، لَيُوشِكَنَّ اللهُ أَنْ يُسْخِطَكَ عَلَيَّ، وَلَئِنْ حَدَّثْتُكَ حَدِيثَ صِدْقٍ، تَجِدُ عَلَيَّ فِيهِ، إِنِّي لَأَرْجُو فِيهِ عَفْوَ اللهِ، لاَ وَاللهِ، مَا كَانَ لِي مِنْ عُذْرٍ، وَاللهِ مَا كُنْتُ قَطُّ أَقْوَى، وَلاَ أَيْسَرَ مِنِّي حِينَ تَخَلَّفْتُ عَنْكَ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**أَمَّا هَذَا فَقَدْ صَدَقَ، فَقُمْ حَتَّى يَقْضِيَ اللهُ فِيكَ**». فَقُمْتُ، وَثَارَ رِجَالٌ مِنْ بَنِي سَلِمَةَ فَاتَّبَعُونِي، فَقَالُوا لِي: وَاللهِ مَا عَلِمْنَاكَ كُنْتَ أَذْنَبْتَ ذَنْبًا قَبْلَ هَذَا، وَلَقَدْ عَجَزْتَ أَنْ لاَ تَكُونَ اعْتَذَرْتَ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ بِمَا اعْتَذَرَ إِلَيْهِ المُتَخَلِّفُونَ، قَدْ كَانَ كَافِيَكَ ذَنْبَكَ اسْتِغْفَارُ رَسُولِ اللهِ ﷺ لَكَ، فَوَاللهِ مَا زَالُوا يُؤَنِّبُونِي حَتَّى أَرَدْتُ أَنْ أَرْجِعَ فَأُكَذِّبَ نَفْسِي، ثُمَّ قُلْتُ لَهُمْ: هَلْ لَقِيَ هَذَا مَعِي أَحَدٌ؟ قَالُوا: نَعَمْ، رَجُلاَنِ،

قَالاَ مِثْلَ مَا قُلْتَ، فَقِيلَ لَهُمَا مِثْلُ مَا قِيلَ لَكَ، فَقُلْتُ: مَنْ هُمَا؟ قَالُوا: مُرَارَةُ ابْنُ الرَّبِيعِ العَمْرِيُّ وَهِلاَلُ بْنُ أُمَيَّةَ الوَاقِفِيُّ، فَذَكَرُوا لِي رَجُلَيْنِ صَالِحَيْنِ، قَدْ شَهِدَا بَدْرًا، فِيهِمَا أُسْوَةٌ، فَمَضَيْتُ حِينَ ذَكَرُوهُمَا لِي، وَنَهَى رَسُولُ اللهِ ﷺ المُسْلِمِينَ عَنْ كَلاَمِنَا أَيُّهَا الثَّلاَثَةُ مِنْ بَيْنِ مَنْ تَخَلَّفَ عَنْهُ، فَاجْتَنَبَنَا النَّاسُ، وَتَغَيَّرُوا لَنَا حَتَّى تَنَكَّرَتْ فِي نَفْسِي الأَرْضُ فَمَا هِيَ الَّتِي أَعْرِفُ، فَلَبِثْنَا عَلَى ذَلِكَ خَمْسِينَ لَيْلَةً، فَأَمَّا صَاحِبَايَ فَاسْتَكَانَا وَقَعَدَا فِي بُيُوتِهِمَا يَبْكِيَانِ، وَأَمَّا أَنَا، فَكُنْتُ أَشَبَّ القَوْمِ وَأَجْلَدَهُمْ فَكُنْتُ أَخْرُجُ فَأَشْهَدُ الصَّلاَةَ مَعَ المُسْلِمِينَ، وَأَطُوفُ فِي الأَسْوَاقِ وَلاَ يُكَلِّمُنِي أَحَدٌ، وَآتِي رَسُولَ اللهِ ﷺ فَأُسَلِّمُ عَلَيْهِ وَهُوَ فِي مَجْلِسِهِ بَعْدَ الصَّلاَةِ، فَأَقُولُ فِي نَفْسِي: هَلْ حَرَّكَ شَفَتَيْهِ بِرَدِّ السَّلاَمِ عَلَيَّ أَمْ لاَ؟ ثُمَّ أُصَلِّي قَرِيبًا مِنْهُ، فَأُسَارِقُهُ النَّظَرَ، فَإِذَا أَقْبَلْتُ عَلَى صَلاَتِي أَقْبَلَ إِلَيَّ، وَإِذَا التَفَتُّ نَحْوَهُ أَعْرَضَ عَنِّي، حَتَّى إِذَا طَالَ عَلَيَّ ذَلِكَ مِنْ جَفْوَةِ النَّاسِ، مَشَيْتُ حَتَّى تَسَوَّرْتُ جِدَارَ حَائِطِ أَبِي قَتَادَةَ، وَهُوَ ابْنُ عَمِّي وَأَحَبُّ النَّاسِ إِلَيَّ، فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ، فَوَاللهِ مَا رَدَّ عَلَيَّ السَّلاَمَ، فَقُلْتُ: يَا أَبَا قَتَادَةَ، أَنْشُدُكَ بِاللهِ هَلْ تَعْلَمُنِي أُحِبُّ اللهَ وَرَسُولَهُ؟ فَسَكَتَ، فَعُدْتُ لَهُ فَنَشَدْتُهُ فَسَكَتَ، فَعُدْتُ لَهُ فَنَشَدْتُهُ، فَقَالَ: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، فَفَاضَتْ عَيْنَايَ، وَتَوَلَّيْتُ حَتَّى تَسَوَّرْتُ الجِدَارَ، قَالَ: فَبَيْنَا أَنَا أَمْشِي بِسُوقِ المَدِينَةِ، إِذَا نَبَطِيٌّ مِنْ أَنْبَاطِ أَهْلِ الشَّأْمِ، مِمَّنْ قَدِمَ بِالطَّعَامِ يَبِيعُهُ بِالْمَدِينَةِ، يَقُولُ: مَنْ يَدُلُّ عَلَى كَعْبِ بْنِ مَالِكٍ، فَطَفِقَ النَّاسُ يُشِيرُونَ لَهُ، حَتَّى إِذَا جَاءَنِي دَفَعَ إِلَيَّ كِتَابًا مِنْ مَلِكِ غَسَّانَ، فَإِذَا فِيهِ: أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّهُ قَدْ بَلَغَنِي أَنَّ صَاحِبَكَ قَدْ جَفَاكَ وَلَمْ يَجْعَلْكَ اللهُ بِدَارِ هَوَانٍ، وَلاَ مَضْيَعَةٍ، فَالحَقْ بِنَا نُوَاسِكَ، فَقُلْتُ لَمَّا قَرَأْتُهَا: وَهَذَا أَيْضًا مِنَ البَلاَءِ، فَتَيَمَّمْتُ بِهَا التَّنُّورَ فَسَجَرْتُهُ بِهَا، حَتَّى إِذَا مَضَتْ أَرْبَعُونَ لَيْلَةً مِنَ الخَمْسِينَ، إِذَا رَسُولُ رَسُولِ اللهِ ﷺ يَأْتِينِي، فَقَالَ: إِنَّ

رَسُولَ اللهِ ﷺ يَأْمُرُكَ أَنْ تَعْتَزِلَ امْرَأَتَكَ، فَقُلْتُ: أُطَلِّقُهَا؟ أَمْ مَاذَا أَفْعَلُ؟ قَالَ: لاَ، بَلِ اعْتَزِلْهَا وَلاَ تَقْرَبْهَا، وَأَرْسَلَ إِلَى صَاحِبَيَّ مِثْلَ ذَلِكَ، فَقُلْتُ لِامْرَأَتِي: الحَقِي بِأَهْلِكِ، فَتَكُونِي عِنْدَهُمْ، حَتَّى يَقْضِيَ اللهُ فِي هَذَا الأَمْرِ، قَالَ كَعْبٌ: فَجَاءَتِ امْرَأَةُ هِلاَلِ بْنِ أُمَيَّةَ رَسُولَ اللهِ ﷺ ، فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللهِ: إِنَّ هِلاَلَ ابْنَ أُمَيَّةَ شَيْخٌ ضَائِعٌ، لَيْسَ لَهُ خَادِمٌ، فَهَلْ تَكْرَهُ أَنْ أَخْدُمَهُ؟ قَالَ: «**لاَ، وَلَكِنْ لاَ يَقْرَبْكِ**». قَالَتْ: إِنَّهُ وَاللهِ مَا بِهِ حَرَكَةٌ إِلَى شَيْءٍ، وَاللهِ مَا زَالَ يَبْكِي مُنْذُ كَانَ مِنْ أَمْرِهِ، مَا كَانَ إِلَى يَوْمِهِ هَذَا، فَقَالَ لِي بَعْضُ أَهْلِي: لَوِ اسْتَأْذَنْتَ رَسُولَ اللهِ ﷺ فِي امْرَأَتِكَ كَمَا أَذِنَ لِامْرَأَةِ هِلاَلِ بْنِ أُمَيَّةَ أَنْ تَخْدُمَهُ؟ فَقُلْتُ: وَاللهِ لاَ أَسْتَأْذِنُ فِيهَا رَسُولَ اللهِ ﷺ ، وَمَا يُدْرِينِي مَا يَقُولُ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِذَا اسْتَأْذَنْتُهُ فِيهَا، وَأَنَا رَجُلٌ شَابٌّ؟ فَلَبِثْتُ بَعْدَ ذَلِكَ عَشْرَ لَيَالٍ، حَتَّى كَمَلَتْ لَنَا خَمْسُونَ لَيْلَةً مِنْ حِينَ نَهَى رَسُولُ اللهِ ﷺ عَنْ كَلاَمِنَا، فَلَمَّا صَلَّيْتُ صَلاَةَ الفَجْرِ صُبْحَ خَمْسِينَ لَيْلَةً، وَأَنَا عَلَى ظَهْرِ بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِنَا، فَبَيْنَا أَنَا جَالِسٌ عَلَى الحَالِ الَّتِي ذَكَرَ اللهُ، قَدْ ضَاقَتْ عَلَيَّ نَفْسِي، وَضَاقَتْ عَلَيَّ الأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ، سَمِعْتُ صَوْتَ صَارِخٍ، أَوْفَى عَلَى جَبَلِ سَلْعٍ بِأَعْلَى صَوْتِهِ: يَا كَعْبُ بْنَ مَالِكٍ أَبْشِرْ، قَالَ: فَخَرَرْتُ سَاجِدًا، وَعَرَفْتُ أَنْ قَدْ جَاءَ فَرَجٌ، وَآذَنَ رَسُولُ اللهِ ﷺ بِتَوْبَةِ اللهِ عَلَيْنَا حِينَ صَلَّى صَلاَةَ الفَجْرِ، فَذَهَبَ النَّاسُ يُبَشِّرُونَنَا، وَذَهَبَ قِبَلَ صَاحِبَيَّ مُبَشِّرُونَ، وَرَكَضَ إِلَيَّ رَجُلٌ فَرَسًا، وَسَعَى سَاعٍ مِنْ أَسْلَمَ، فَأَوْفَى عَلَى الجَبَلِ، وَكَانَ الصَّوْتُ أَسْرَعَ مِنَ الفَرَسِ، فَلَمَّا جَاءَنِي الَّذِي سَمِعْتُ صَوْتَهُ يُبَشِّرُنِي، نَزَعْتُ لَهُ ثَوْبَيَّ، فَكَسَوْتُهُ إِيَّاهُمَا، بِبُشْرَاهُ وَاللهِ مَا أَمْلِكُ غَيْرَهُمَا يَوْمَئِذٍ، وَاسْتَعَرْتُ ثَوْبَيْنِ فَلَبِسْتُهُمَا، وَانْطَلَقْتُ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ ، فَيَتَلَقَّانِي النَّاسُ فَوْجًا فَوْجًا، يُهَنُّونِي بِالتَّوْبَةِ، يَقُولُونَ: لِتَهْنِكَ تَوْبَةُ اللهِ عَلَيْكَ، قَالَ كَعْبٌ: حَتَّى دَخَلْتُ المَسْجِدَ، فَإِذَا رَسُولُ اللهِ ﷺ جَالِسٌ حَوْلَهُ النَّاسُ،

فَقَامَ إِلَيَّ طَلْحَةُ بْنُ عُبَيْدِ اللهِ يُهَرْوِلُ حَتَّى صَافَحَنِي وَهَنَّانِي، وَاللهِ مَا قَامَ إِلَيَّ رَجُلٌ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ غَيْرَهُ، وَلاَ أَنْسَاهَا لِطَلْحَةَ، قَالَ كَعْبٌ: فَلَمَّا سَلَّمْتُ عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ، قَالَ: رَسُولُ اللهِ ﷺ، وَهُوَ يَبْرُقُ وَجْهُهُ مِنَ السُّرُورِ: «**أَبْشِرْ بِخَيْرِ يَوْمٍ مَرَّ عَلَيْكَ مُنْذُ وَلَدَتْكَ أُمُّكَ**»، قَالَ: قُلْتُ: أَمِنْ عِنْدِكَ يَا رَسُولَ اللهِ، أَمْ مِنْ عِنْدِ اللهِ؟ قَالَ: «**لاَ، بَلْ مِنْ عِنْدِ اللهِ**». وَكَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِذَا سُرَّ اسْتَنَارَ وَجْهُهُ، حَتَّى كَأَنَّهُ قِطْعَةُ قَمَرٍ، وَكُنَّا نَعْرِفُ ذَلِكَ مِنْهُ، فَلَمَّا جَلَسْتُ بَيْنَ يَدَيْهِ قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنَّ مِنْ تَوْبَتِي أَنْ أَنْخَلِعَ مِنْ مَالِي صَدَقَةً إِلَى اللهِ وَإِلَى رَسُولِ اللهِ، قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**أَمْسِكْ عَلَيْكَ بَعْضَ مَالِكَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكَ**». قُلْتُ: فَإِنِّي أُمْسِكُ سَهْمِي الَّذِي بِخَيْبَرَ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنَّ اللهَ إِنَّمَا نَجَّانِي بِالصِّدْقِ، وَإِنَّ مِنْ تَوْبَتِي أَنْ لاَ أُحَدِّثَ إِلَّا صِدْقًا، مَا بَقِيتُ. فَوَاللهِ مَا أَعْلَمُ أَحَدًا مِنَ الْمُسْلِمِينَ أَبْلاَهُ اللهُ فِي صِدْقِ الْحَدِيثِ مُنْذُ ذَكَرْتُ ذَلِكَ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ، أَحْسَنَ مِمَّا أَبْلاَنِي، مَا تَعَمَّدْتُ مُنْذُ ذَكَرْتُ ذَلِكَ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ إِلَى يَوْمِي هَذَا كَذِبًا، وَإِنِّي لأَرْجُو أَنْ يَحْفَظَنِي اللهُ فِيمَا بَقِيتُ، وَأَنْزَلَ اللهُ عَلَى رَسُولِهِ ﷺ: ﴿لَّقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِيِّ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ﴾ إِلَى قَوْلِهِ: ﴿وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾[1] فَوَاللهِ مَا أَنْعَمَ اللهُ عَلَيَّ مِنْ نِعْمَةٍ قَطُّ بَعْدَ أَنْ هَدَانِي لِلْإِسْلاَمِ، أَعْظَمَ فِي نَفْسِي مِنْ صِدْقِي لِرَسُولِ اللهِ ﷺ، أَنْ لاَ أَكُونَ كَذَبْتُهُ، فَأَهْلِكَ كَمَا هَلَكَ الَّذِينَ كَذَبُوا، فَإِنَّ اللهَ قَالَ لِلَّذِينَ كَذَبُوا - حِينَ أَنْزَلَ الْوَحْيَ - شَرَّ مَا قَالَ لِأَحَدٍ، فَقَالَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿سَيَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ لَكُمْ إِذَا ٱنقَلَبْتُمْ﴾ إِلَى قَوْلِهِ: ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يَرْضَىٰ عَنِ ٱلْقَوْمِ ٱلْفَٰسِقِينَ﴾[2]، قَالَ كَعْبٌ: وَكُنَّا تَخَلَّفْنَا أَيُّهَا الثَّلاَثَةُ عَنْ أَمْرِ أُولَئِكَ الَّذِينَ قَبِلَ مِنْهُمْ

(١) سورة التوبة: الآيات: (١١٧-١١٩).

(٢) سورة التوبة: الآيتان: (٩٥-٩٦).

رَسُولُ اللهِ ﷺ حِينَ حَلَفُوا لَهُ، فَبَايَعَهُمْ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمْ، وَأَرْجَأَ رَسُولُ اللهِ ﷺ أَمْرَنَا حَتَّى قَضَى اللهُ فِيهِ، فَبِذَلِكَ قَالَ اللهُ: ﴿وَعَلَى ٱلثَّلَٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُواْ﴾(١). وَلَيْسَ الَّذِي ذَكَرَ اللهُ مِمَّا خُلِّفْنَا عَنِ الغَزْوِ، إِنَّمَا هُوَ تَخْلِيفُهُ إِيَّانَا، وَإِرْجَاؤُهُ أَمْرَنَا، عَمَّنْ حَلَفَ لَهُ وَاعْتَذَرَ إِلَيْهِ فَقَبِلَ مِنْهُ(٢).

۞ **والشاهد من هذه القصة..** أن طلحة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ لما رأى كعبًا قام إليه واعتنقه وهنأه.. فزادت محبة كعب له.. حتى كان يقول بعد موت طلحة.. وهو يحكى القصة بعدها بسنين: فوالله لا أنساها لطلحة.. وماذا فعل طلحة حتى يأسر قلب كعب؟ فعل مهارة رائدة.. اهتمَّ به.. شاركه فرحته.. فصار له عنده حظوة..

الاهتمام بالناس ومشاركتهم فى مشاعرهم يأسر قلوبهم (٣).

۞ **فاحرص أيها الأخ الحبيب أن تحمل البشرى لكل من حولك.**

فإذا سمعت بأنَّ زميلك فى المدرسة أو الجامعة قد نجح فاحرص على أن تكون أول من يحمل هذه البشرى له.

وإذا سمعت أنَّ زميلك قد تم اختياره فى الوظيفة التى كان يحلم بها فاحرص على أن تكون أول من يحمل هذه البشرى له.

۞ وهكذا ينبغى أن نحرص كل الحرص على حمل البشرى لكل من حولنا لنمتثل قول النبى ﷺ: «**أحب العمل إلى الله سرورٌ تُدخله على مسلم**»(٤).

---

(١) صحيح: رواه البخارى (٤٤١٨)، ومسلم (٢٧٦٩).

(٢) استمتع بحياتك/ د. محمد العريفى (ص ١٣٨-١٤٤).

(٣) استمتع بحياتك/ د. محمد العريفى (ص ١٣٨-١٤٤).

(٤) حسن: رواه الطبرانى فى الكبير، وحسنه الألبانى فى صحيح الجامع (١٧٦).

كُن موحداً

۞ إن التوحيد هو الحسنة التى يغفر الله بها كل سيئة، وإن الشرك هو السيئة التى يُحبط الله بها كل حسنة.

۞ فما أجمل أن يعيش المسلم موحدًا لله (جل وعلا) وأن يظل على التوحيد حتى آخر لحظة فى حياته ليفوز فى دُنياه وآخرته.

قال الله تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِى ٱلسَّمَآءِ ﴿٢٤﴾ تُؤْتِىٓ أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍۭ بِإِذْنِ رَبِّهَا ﴾ (١).

قال ابن عباس وغيره: الكلمة الطيبة هى: لا إله إلا الله.

۞ وعن أبى هريرة رضي الله عنه قال: قلت: يا رسول الله من أسعد الناس بشفاعتك يوم القيامة؟ قال رسول الله ﷺ: «لقد ظننتُ يا أبا هُريرة أن لا يسألنى عن هذا الحديث أحدٌ أول منك، لما رأيتُ من حرصك على الحديث: أسعدُ الناس بشفاعتى يوم القيامة من قال: لا إله إلا الله خالصًا من قلبه أو نفسه» (٢).

۞ وعن أبى هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ما قال عبدٌ: لا إله إلا الله مُخلصًا إلا فُتحت أبوابُ السماء حتى تُفضى إلى العرش ما اجتُنبت الكبائر» (٣).

وعن جابر رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ قال: «من لقى الله لا يشرك به شيئًا دخل الجنة، ومن لقيه يشرك به شيئًا دخل النار» (٤).

---

(١) سورة إبراهيم: الآيتان: (٢٤، ٢٥).

(٢) صحيح: رواه البخارى (٩٩) كتاب العلم.

(٣) حسن: رواه الترمذى، وحسنه الألبانى فى صحيح الجامع (٥٦٤٨).

(٤) صحيح: رواه مسلم (٩٣) كتاب الإيمان.

۞ وعن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إنى لأعلمُ كلمة لا يقُولُها عبدٌ حقًّا من قلبه فيمُوت على ذلك إلا حُرم على النار لا إله إلا الله»(١).

۞ قال الإمام ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ:

- التوحيد مفزع أعدائه وأوليائه:

فأما أعداؤه: فينجيهم من كُرب الدنيا وشدائدها؛ ﴿ فَإِذَا رَكِبُوا۟ فِى ٱلْفُلْكِ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ ﴾(٢).

وأما أولياؤه: فينجيهم من كُربات الدنيا والآخرة وشدائدهما، ولذلك فزع إليه يونس؛ فنجاه الله من تلك الظلمات، وفزع إليه أتباع الرسل؛ فنجوا به مما عُذب به المشركون فى الدنيا وما أُعد لهم فى الآخرة.

ولما فزع إليه فرعون عند معاينة الهلاك وإدراك الغرق؛ لم ينفعه؛ لأن الإيمان عند المعاينة لا يُقْبَلُ.

هذه سنة الله فى عباده، فما دُفِعت شدائد الدنيا بمثل التوحيد؛ ولذلك كان دعاء الكرب بالتوحيد(٣) ودعوة ذى النون(٤) التى ما دعا بها مكروب إلا

---

(١) رواه الحاكم (١/ ٧٢) وصححه.

(٢) سورة العنكبوت: الآية: (٦٥).

(٣) متفق عليه: أخرجه البخارى (٦٣٤٥) كتاب الدعوات، ومسلم (٢٧٣٠) كتاب الذكر والدعاء، وغيرهما من حديث ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، ولفظه: «أن نبى الله ﷺ كان يقول عند الكرب: «لا إله إلا الله العظيم الحليم، لا إله إلا الله رب العرش العظيم، لا إله إلا الله رب السماوات ورب الأرض ورب العرش الكريم».

(٤) صحيح: أخرجه الترمذى (٣٥٠٥)، وأحمد (١/ ١٧٠)، والحاكم (١/ ٥٠٥)، وأبو يعلى برقم (٧٧٢)، وغيرهم من حديث سعد بن أبى وقاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. وصححه الألبانى فى «المشكاة»، برقم (٢٢٩٢)، ولفظه: «دعوة ذى النون إذ دعا وهو فى بطن الحوت: لا إله إلا أنت سبحانك، إنى كنت من الظالمين، فإنه لم يدعُ بها رجل مسلم فى شيءٍ قط، إلا استجاب الله له».

فرج الله كربه بالتوحيد.

فلا يُلْقِى فى الكُرَب العظام إلا الشرك، ولا يُنجى منها إلا التوحيد، فهو مفزع الخليقة وملجؤها وحصنها وغياثها، وبالله التوفيق[1].

(١) الفوائد (ص ٥١).

كُن عالى الهمة

۞ لقد وُلد سلفنا الصالح وهم ينظرون إلى السماء .. فلم يرضوا فى الدنيا إلا بمعالى الآمال والأحلام والطاعات .. ولم يرضوا فى الآخرة إلا بالسعى لأعلى الدرجات فى الجنات.

۞ **قال ابن القيِّم (يرحمه الله):**

«فمَنْ عَلَتْ همَّتُهُ، وخَشَعَتْ نفسُه، اتَّصَف بكُلِّ خُلُقٍ جميلٍ، ومَنْ دَنَتْ هِمَّتُهُ، وطَغَتْ نفسُهُ، اتَّصَف بكُلِّ خُلُقٍ رذيلٍ»[1].

۞ **وقال أيضًا:**

« فالنفوس الشريفة لا ترضى من الأشياء إلا بأعلاها وأفضلها وأحمدها عاقبة، والنفوس الدنيئة تحوم حول الدناءات وتقع عليها كما يقع الذباب على الأقذار. فالنفوس الشريفة العليَّة لا ترضى بالظلم ولا بالفواحش ولا بالسرقة والخيانة؛ لأنها أكبر من ذلك وأجلّ، والنفوس المهينة الحقيرة الخسيسة بالضد من ذلك[2].

۞ **بل ومن درر ابن القيم (يرحمه الله) قوله:**

الْهِمَّةُ الْعَالِيَةُ عَلَى الْهِمَمِ: كَالطَّائِرِ الْعَالِي عَلَى الطُّيُورِ. لَا يَرْضَى بِمَسَاقِطِهِمْ، وَلَا تَصِلُ إِلَيْهِ الْآفَاتُ الَّتِى تَصِلُ إِلَيْهِمْ، فَإِنَّ الْهِمَّةَ كُلَّمَا عَلَتْ بَعُدَتْ عَنْ وُصُولِ الْآفَاتِ إِلَيْهَا. وَكُلَّمَا نَزَلَتْ قَصَدَتْهَا الْآفَاتُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ، فَإِنَّ الْآفَاتِ قَوَاطِعُ وَجَوَاذِبُ، وَهِى لَا تَعْلُو إِلَى الْمَكَانِ الْعَالِى

---

(١) الفوائد (ص ٢١١).

(٢) الفوائد (ص ٢٦٦).

فَتَجْتَذِبُ مِنْهُ، وَإِنَّمَا تَجْتَذِبُ مِنَ الْمَكَانِ السَّافِلِ، فَعُلُوُّ هِمَّةِ الْمَرْءِ: عُنْوَانُ فَلَاحِهِ، وَسُفُولُ هِمَّتِهِ: عُنْوَانُ حِرْمَانِهِ[1].

قُلْتُ للصَّقرِ وهو فى الجوِّ عالي ... اهبطِ الأرضَ؛ فالهواءُ جَديبُ
قال لى الصَّقرُ فى جناحى وعزمي ... وعنان السماء[2] مرعى خصيب[3]
وَمَنْ تكُنِ العَليَاءُ هِمَّةَ نفسِهِ ... فكُلُّ الذى يَلْقَاهُ فيها مُحبَّبُ[4]

وقال أبو الطَّيبِ:

عَلَى قَدرِ أهلِ العَزْمِ تَأتى العَزَائمُ[5] ... وتَأتى علَى قَدْرِ الكِرَامِ المَكَارِمُ
وتَكْبُرُ فِى عَينِ الصَّغيرِ صِغَارُها ... وتصْغُرُ فِى عينِ العظيمِ العَظَائِمُ[6]

وعن الحسين بن على رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «إنَّ اللهَ يُحِبُّ مَعالِى الأُمُورِ وأشرَافَهَا، ويكْرَهُ سَفسَافَهَا»[7].

فالبدار البدار، فقد أفناك الليل والنهار.

الطريق الذى طوله ميل، يُقطع بخطوة، وسبقت السلحفاة الذئب، لأنها واصلت على بطء مشيتها، وهو رَكَن إلى سرعة مشيه، فوقف يلمح ظبيًا.

---

(١) «مدارج السالكين» (٣/ ١٧١-١٧٢).
(٢) «عنَان السَّماء»: هو السَّحاب.
(٣) «ديوان المثانى» لعبد الوهَّاب عَزَّام (ص ٣٥).
(٤) «جواهر الأدب» (ص ٥٢٨).
(٥) «العزائم»: جمع عزيمةٍ، وهى الإرادة.
(٦) «ديوان أبى الطَّيِّبِ» (٣/ ٣٧٨-٣٧٩).
(٧) رواه الطبرانى فى الكبير (١٣/ ١٣١)، وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (١٧٤٣)، والصحيحة (١٣٧٨).

وإنما أَثَّر الحبل فى الحجر لأنه داوم، وإنما تخدَّد الجبل من الماء لأنه استمر، ومن ثبت نبت.

فيا عاقلًا فَهِمَ الخطاب، لا تراوح مكانك، الطير قد غدا من وَكَناته، يطلب رزقه، والضبُّ قد انسلَّ من جُحره يبحث عن قوته، وأنت ماذا تنتظر؟!

قُم إلى ميدان العمل، اطرد الفراغ، سابق عجلة الزمن، زاحم الجادِّين.

وسِرْ مُسرعًا فالموت خلفك وهيهات ما منه ملاذ ومهربُ

من السنن نمو الشجرة، وتفتُّق الزهرة، وجريان المجرة، فأقبح بإنسان سميع بصير، قعدت به نفسه الأمَّارة، فلا هو فى عمل الدنيا ولا فى عمل الآخرة، وثقل نعاسه، فصار ليله كنهاره.

الناس فى أشكالهم وصورهم ولحومهم ودمائهم سواء، وإنما اختلفوا فى الهمم، فأصبح الواحد منهم يُعد بألوفٍ من الناس.

خُيِّر النبى ﷺ بين الدنيا والآخرة، فاختار الآخرة، ونادى: «**بل الرفيق الأعلى**». وأرشدنا إلى طلب الفردوس الأعلى، وسأله أبو بكر الصديق: هل يُدعى أحد من أبواب الجنة الثمانية؟ قال: «**نعم، وأرجو أن تكون منهم**»، وما ذلك إلا لعلو همته، لأنه كان من المصلين الصائمين الذاكرين المنفقين.

وكان عمر لا ينام من الليل إلا قليلًا، ويقول: لو نمت النهار كله ضاعت رعيتى ولو نمت الليل كله ضاعت نفسي.

واشترى عثمان نفسه من الله مرات كثيرة.

وعُرِضَت الدنيا لعلى فرفضها، واكتفى بخبز الشعير، وقميصٍ بالٍ.

وحَجَّ مسروق فما نام إلا ساجدًا.

وكان سعيد بن المسيب يأتى المسجد قبل الأذان، وما فاتته تكبيرة الإحرام ستين سنة.

ومن العلماء من وزَّع ليله أثلاثًا، ثُلثًا لنومه، وثلثًا لتهجُّده، وثلثًا لمذاكرة العلم ... وألَّف ابن عقيل الحنبلى فى أوقات فراغه كتاب: الفنون فى ثمانمائة مجلد، وقرأ المزنى رسالة الشافعى خمسمائة مرة.

ومنهم من كرر صحيح البخارى عشرات المرات.

وكان النووى لا ينام إلا ضرورة، ... وعطاء بن أبى رباح طلب العلم فى المسجد الحرام، ونومه فيه ثلاثين سنة.

وسافر جابر بن عبد الله رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا من المدينة إلى عريش مصر شهرًا كاملًا فى طلب حديثٍ واحد.

فلله در الهمم ما أعظمها وما أجلُّها.

الأسد لا يأكل الجيف، فأذعنت له البهائم،.... والخنزير يأكل القاذورات والنتن فحُرِّم لحمه.

وكلب الصيد المُعلَّم أُبيح صيده، وحُرم صيد الجاهل.

قالوا لحاتم: لماذا أتلفت مالك؟ قال: طلبًا للذكر الحسن.

وقيل لعنترة: كيف غلبت الرجال؟ قال: بصبر ساعة.

إذا طلعَ الفجر بان الربح من الخُسران، من قام فتهجد أصبح نشيطًا طيب النفس عامر القلب، موفور الأجر، ومن نامَ الليل كله أصبح خبيث

النفس كسلان مبخوس الثواب، ظاهر الحسرة، ... فما أكثر نوم الكسالى، وما عاد عليهم بصحة فى الأبدان، ولا بخير فى الأديان.

صلِّ أو سبِّح أو طالع أو تفكر أو افعل خيرًا، فقد أصبحتْ شمس العمر على رؤوس سعف النخل، وليس فى القبر فرصة للعمل، لا مسجد للصلاة، ولا مكتبة للقراءة ﴿ وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ ﴾[1][2].

---

(١) سورة سبأ: الآية: ٥٤.

(٢) حدائق ذات بهجة/ د. عائض القرنى (ص ٨- ١١).

اختيار الله أفضل

۞ ينبغى لمن وقع فى شدة، ثم دعا أن لا يختلج فى قلبه أمر من تأخير الإجابة أو عدمها.

لأن الذى عليه أن يدعو، والمدعو مالكٌ حكيم، فإن لم يُجب، فعل ما يشاء فى ملكه، وإن أخَّر، فَعَل بمقتضى حكمته.

فالمعترض عليه فى سِرِّه خارجٌ عن صفة عبدٍ، ... ثم ليعلم أن اختيار الله ﷻ له خير من اختياره لنفسه.

وفى الأثر: «أن رجلًا كان يسأل الله ﷻ أن يرزقه الجهاد، فهتف به هاتف: إنك إن غزوت، أُسرت، وإن أُسرت، تنصَّرت».

فإذا سلَّم العبد تحكيمًا لحكمته وحُكمه، وأيقن أن الكل ملكه، طاب قلبه، ... قُضيت حاجته، أو لم تُقضَ[١].

قال ﷺ: «**ما من مسلم يدعو بدعوة ليس فيها إثم ولا قطيعة رحم إلا أعطاه الله بها إحدى ثلاث: إما أن تُعجَّل له دعوته، وإما أن يدخرها له فى الآخرة، وإما أن يصرف عنه من السوء مثلها**»، قالوا: إذًا نكثر؟ قال: «**الله أكثر**»[٢].

فمن رحمة الله تعالى بعبده وهو الرحيم أن العبد يدعوه بحاجة من الدنيا، فإذا لم يؤته إياها عوَّضه خيرًا منها:

۞ فإما أن يصرف عنه بذلك مصيبة.

---

(١) صيد الخاطر (ص ١٧١).

(٢) صحيح: رواه الترمذى، وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (٥٦٣٧، ٥٧١٤).

- أو يدخرها له فى الآخرة.
- أو يصرف عنه من السوء مثل ما طلب من الخير.

فإذا رأى يوم القيامة أن ما أُجيب فيه قد ذهب، وما لم يُجَب فيه قد بقى ثوابه، قال: ليتك لم تُجب لى دعوة قط.



وثيابك فطهِّر

۞ لقد جاء الأمر الرباني جازمًا للنبي ﷺ: ﴿وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ﴾(١).

قال ابن القيم: «وجمهور المفسرين من السلف ومَن بعدهم على أن المراد بالثياب هاهنا القلب، والمراد بالطهارة إصلاح الأعمال والأخلاق»(٢).

فطهارة القلب شرطٌ لدخول الجنة .. ومن أجل ذلك ذَمَّ الله ﷻ أصحاب القلوب الخبيثة فقال:

﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَمۡ يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمۡۚ لَهُمۡ فِي ٱلدُّنۡيَا خِزۡيٞۖ وَلَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٞ﴾(٣).

والآية دليل دامغٌ على أن من لم يطهِّر قلبه فلا بد أن يناله الخزى فى الدنيا والعذاب فى الآخرة، ولهذا حرَّم الله سبحانه الجنة على من كان فى قلبه مثقال ذرة من كِبر ... قال ﷺ: «**لا يدخل الجنة من كان فى قلبه مثقال ذرة من كبر**»(٤).

ولا يدخلها أحد إلا بعد كمال طيبه وطُهره؛ لأنها دار الطيبين؛ ولذا يُقال

---

(١) سورة المدثر: الآية: (٤).

(٢) إغاثة اللهفان (ص ٦٧).

(٣) سورة المائدة: الآية: (٤١).

(٤) **صحيح**: رواه مسلم (٩١) عن ابن مسعود، ... وقد أبان ابن قدامة سر اختصاص الكبر بجعله حجابًا عن الجنة، فقال: «وإنما صار حجابًا دون الجنة؛ لأنه يحول بين العبد وبين أخلاق المؤمنين؛ لأن صاحبه لا يقدر أن يحب للمؤمنين ما يحب لنفسه، فلا يقدر على التواضع، ولا على ترك الحقد والحسد والغضب، ولا على كظم الغيظ وقبول النُّصح، ولا يسلم من الازدراء بالناس واغتيابهم، فما من خُلقٍ ذميم إلا وهو مضطر إليه».

لهم وهم على مشارف الجنة: ﴿ فَٱدۡخُلُوهَا خَٰلِدِينَ ﴾(١).

ويُبشَّرون عند موتهم دون غيرهم على لسان الملائكة الكرام: ﴿ ٱلَّذِينَ تَتَوَفَّىٰهُمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ طَيِّبِينَ يَقُولُونَ سَلَٰمٌ عَلَيۡكُمُ ٱدۡخُلُواْ ٱلۡجَنَّةَ بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ﴾(٢).

۞ **قال الإمام ابن القيم**: «فالجنة لا يدخلها خبيث، ولا من فيه شيء من الخبث. فمن تطهر فى الدنيا ولقى الله طاهرًا من نجاساته دخلها بغير مُعوِّق، ومن لم يتطهر فى الدنيا فإن كانت نجاسته عينية، كالكافر، لم يدخلها بحال. وإن كانت نجاسته كسبية عارضة دخلها بعد ما يتطهر فى النار من تلك النجاسة، ثم يخرج منها، حتى إن أهل الإيمان إذا جازوا الصراط حُبسوا على قنطرة بين الجنة والنار، فيُهَذَّبون ويُنقَّون من بقايا بقيت عليهم، قصرت بهم عن الجنة، ولم توجب لهم دخول النار، حتى إذا هُذِّبوا ونُقُّوا أُذن لهم فى دخول الجنة»(٣).

---

(١) سورة الزمر: الآية: (٧٣).

(٢) سورة النحل: الآية: (٣٢).

(٣) إغاثة اللهفان (ص ٧١).

تحلَّى بأدب الخلاف

۞ ذُكر أن الشافعى رَحِمَهُ ٱللَّهُ تناظر يومًا مع أحد العلماء حول مسألة فقهية عويصة.. فاختلفا.. وطال الحوار..

حتى علتْ أصواتهما.. ولم يستطع أحدهما أن يقنع صاحبه..

وكأن الرجل تغير وغضب.. ووجد فى نفسه..

فلما انتهى المجلس وتوجَّها للخروج.. التفت الشافعى إلى صاحبه.. وأخذ بيده وقال: ألا يصح أن نختلف ونبقى إخوانًا..

۞ وجلس بعض علماء الحديث يومًا.. عند الخليفة.. فتكلم رجل فى المجلس بحديث..

فاستغرب العالم منه.. وقال: ما هذا الحديث!! من أين جئت به؟ تكذب على رسول الله ﷺ؟

فقال الرجل: بل هذا حديث.. ثابت..

قال العالم: لا.. هذا حديث لم نسمع به.. ولم نحفظه..

وكان فى المجلس وزير عاقل.. فالتفت إلى العالم وقال بهدوء: يا شيخ.. هل حفظت جميع أحاديث النبى ﷺ..؟

قال: لا..

قال: فهل حفظت نصفها؟

قال: ربما..

فقال: فاعتبر هذا الحديث من النصف الذى لم تحفظه..

وانتهت المشكلة..

كان الفضيل بن عياض وعبد الله بن المبارك صاحبين لا يفترقان.. وكانا عالمين زاهدين..

مضت الأيام فخرج عبد الله بن المبارك للقتال والرباط فى الثغور.. وبقى الفضيل بن عياض فى الحرم يصلى ويتعبد..

وفى يومٍ رَقَّ فيه القلب.. وأُسبلت الدمعة.. كان الفضيل جالسًا يتعبد فى الحرم.. فاشتاق لصاحبه ابن المبارك وتذكر اجتماعهما فى مجالس الذكر.. فكتب الفضيل إلى ابن المبارك كتابًا يدعوه فيه إلى المجيء والتعبُّد فى الحرم.. والاشتغال بالذكر وقراءة القرآن..

فلما قرأ ابن المبارك الكتاب.. أخذ رقعة وكتب إلى الفضيل:

يا عابد الحرمين لو أبصرتنا ... لعلمت أنك فى العبادة تلعبُ
من كان يخضب خده بدموعه ... فنحورنا بدمائنا تتخضبُ
أو كان يتعب خيله فى باطل ... فخيولنا يوم الصبيحة تتعبُ
ريحُ العبير لكم ونحن عبيرنا ... رهج السنابك والغبار الأطيبُ
ولقد أتانا من مقال نبينا ... قولٌ صحيحٌ صادق لا يكذبُ
لا يستوى وغبار خيل الله في ... أنف امرئٍ ودخان نار تلهبُ
هذا كتاب الله ينطق بيننا ... ليس الشهيد بميتٍ لا يكذبُ

ثم قال:

إن من عباده من فتح الله له فى الصيام.. فيصوم ما لا يصومه غيره..

ومنهم من فتح له فى قراءة القرآن..

ومنهم من فتح له فى طلب العلم..

ومنهم من فتح له فى الجهاد..

ومنهم من فتح له فى قيام الليل..

وليس ما أنت عليه بأفضل مما أنا عليه..

وما أنا عليه.. ليس بأفضل مما أنت عليه..

وكلانا على خير.. وهكذا انتهى الخلاف بينهما بهدوء.. هكذا ببساطة كلانا على خير.. ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخْتَارُ﴾[1]..

۞ وهكذا كان منهج الصحابة..

اجتمع الكفار وتألبوا لحرب المسلمين فى المدينة.. وجاؤوا فى جيش لم تشهد العرب مثله كثرة وعتادًا..

فحفر المسلمون خندقًا لم يستطع الكفار أن يتجاوزوه لدخول المدينة..

فعسكر الكفار وراء الخندق..

وكان فى المدينة قبيلة بنى قريظة.. وهم يهود يتربصون بالمؤمنين.. فأقبلوا إلى الكفار يمدونهم.. ويعيثون فى المدينة فسادًا ونهبًا.. وقد انشغل المسلمون عنهم بالرباط عند الخندق..

ومضت الأيام عصيبة.. حتى أرسل الله على الكفار ريحًا وجنودًا من عنده فتمزق جيشهم..

وانقلبوا خائبين.. يجرون أذيال هزيمتهم فى ظلمة الليل..

---

(١) سورة القصص: الآية: (٦٨).

فلما أصبح رسول الله ﷺ.. انصرف عن الخندق راجعًا إلى المدينة.. ووضع المسلمون السلاح.. ورجعوا إلى بيوتهم.. ودخل رسول الله ﷺ بيته.. ووضع السلاح واغتسل..

فلما كانت الظهر.. جاءه جبريل.. فنادى رسول الله ﷺ.. من خارج البيت.. فقام رسول الله ﷺ فزعًا..

فقال له جبريل عليه السلام: «أَوقد وضعت السلاح يا رسول الله؟».

قال: «نعم».

قال جبريل: «ما وضعت الملائكة السلاح بعد.. وما رجعت الآن إلا من طلب القوم.. طلبناهم حتى بلغنا حمراء الأسد».. -يعنى قريشًا لما فارقوا المدينة راجعين إلى مكة.. -سارت الملائكة وراءهم تطردهم لتبعدهم عن المدينة..

ثم قال جبريل: «إن الله يأمرك بالمسير إلى بنى قريظة.. فإنى عامد إليهم فمُزلزل بهم»..

فأمر رسول الله ﷺ مؤذنًا فأذَّن فى الناس:

«مَن كان سامعًا مطيعًا.. فلا يُصلين العصر إلا فى بنى قريظة»..

فتسابق الناس إلى سلاحهم.. وسمعوا وأطاعوا.. ومضوا إلى ديار بنى قريظة.. فدخل عليهم وقت العصر وهم فى الطريق..

فقال بعضهم: لا نصلى العصر إلا فى بنى قريظة..

وقال بعضهم: بل نصلى لم يُرد منا ذلك.. يعنى إنما أراد الإسراع إليهم..

فصلوا العصر وأكملوا مسيرهم.. وأخّرها الآخرون.. حتى وصلوا بنى

قريظة.. فصلوها..

فذُكر ذلك للنبي ﷺ فلم يُعنف واحدًا من الفريقين..

ثم حاصر النبي ﷺ بني قريظة.. حتى نصره الله عليهم..

فتأمل كيف كانوا يختلفون وهم إخوان لا يؤدي خلافهم إلى فساد النفوس أو الشقاق والخصومات..

صدقني.. إذا تعاملت مع الناس بهذه الأريحية والهدوء.. وسعة الأفق.. أحبَّك الناس.. ودخلت قلوبهم.. وأحبك قبل ذلك الله (جل وعلا).. فالخلاف شرّ..[1].

---

(١) استمتع بحياتك (ص ٢٥٧-٢٦٠).



النِّعَمُ ثلاثة

۞ النعم ثلاثة:

نعمة حاصلة يعلم بها العبد.

ونعمة مُنتَظَرة يرجوها.

ونعمة هو فيها لا يشعر بها.

فإذا أراد الله إتمام نعمته على عبده؛ عرَّفه نعمته الحاضرة وأعطاه من شكره قيدًا يقيدها به حتى لا تشرد، فإنها تشرد بالمعصية، وتُقيَّد بالشكر، ووفقه لعمل يستجلب به النعمة المُنتَظرة، وبصَّره بالطرق التى تسدها وتقطع طريقها، ووفقه لاجتنابها، وإذا بها قد وافت إليه على أتم الوجوه. وعرَّفه النعم التى هو فيها ولا يشعر بها.

ويُحكَى أن أعرابيًّا دخل على الرشيد، فقال: يا أمير المؤمنين! ثبَّت الله عليك النعم التى أنت فيها بإدامة شكرها، وحقق لك النعم التى ترجوها بحسن الظن به ودوام طاعته، وعرَّفك النعم التى أنت فيها ولا تعرفها لتشكرها، فأعجبه ذلك منه وقال: ما أحسن تقسيمه[1].

(١) الفوائد/ للإمام ابن القيم (ص ٣٤٨).

الإيمان بالآخرة لا يُعطل الدنيا

۞ يزعم بعض الناس أو يظنون أن الإيمان بالآخرة، والإقبال عليها يعطل العمل للدنيا والكفاح من أجل ترقيتها، فإن الدنيا والآخرة ككفتى الميزان لا ترجح إحداهما إلا بمقدار ما تحمل الأخرى، وكالمشرق والمغرب إذا اقتربتَ من أحدهما ابتعدتَ من الآخر ... وكالضرتين إذا أرضيت إحداهما أسخطت الأخرى!! وهكذا فكل إقبال على الآخرة يقابله إعراض عن الدنيا.

وهذا الكلام صحيح إذا نظرنا إلى القلوب والأهداف والنيات.

فمن جعل الدنيا غايته ونيته وهمه ابتعد عن الآخرة بقدر ما تعلق قلبه بالدنيا والعكس بالعكس أى أن المطلوب من المؤمن فى الدنيا أن يعمل ويجهد ويكافح ويُبنى ويُعمر ويُشيد على أن تكون الآخرة نيته وغايته وأمله.

المؤمن يتخذ الدنيا مزرعة للآخرة، والمزرعة تحتاج إلى عمل وسعى، ولكن الثمرة إنما تُقطَف كاملة فى الآخرة وإن أدرك بعضها فى الدنيا: ﴿قُلْ هِىَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ﴾(١) ذلك هو المؤمن: يُسخِّر الدنيا لنفسه ولا يُسخِّر نفسه للدنيا ... المؤمن لا يتخذ الدنيا ربًّا فتتخذه الدنيا عبدًا.

ولكنه بعد ذلك عضو عامل فى جسم الأمة، ودم يجرى فى عروقها، يمدها بالقوة والحركة والنماء فهو إذا زرع أحسن، وإذا صنع أتقن، وإذا

(١) سورة الأعراف: الآية: ٣٢.

تاجر برع، وهو فى كل جانب من جوانب الحياة حاذقٌ مجيد.

قد كان أصحاب النبى ﷺ زُرَّاعًا وتُجَّارًا وصُنَّاعًا متقنين، ولم يقعد بهم إيمانهم بالآخرة عن العمل للدنيا ... كيف وقد قال رسولهم: «إِنْ قَامَتِ السَّاعَةُ وَفِي يَدِ أَحَدِكُمْ فَسِيلَةٌ فَإِنِ اسْتَطَاعَ أَنْ لا تَقُومَ حَتَّى يَغْرِسَهَا فَلْيَغْرِسْهَا»(١).

ولماذا يغرسها والساعة ستقوم، ولا أمل فى انتفاع أحد من الخلق بها؟ إنه تكريم العمل لذات العمل، ولو لم يكن من ورائه نفع وانتفاع(٢).

---

(١) صحيح: رواه البخارى فى الأدب المفرد، وأحمد، وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (١٤٢٤).

(٢) الإيمان والحياة / د. يوسف القرضاوى (ص ٣٠٣- ٣٠٤).

الدنيا أمير مَن طلبها وخادم مَن تركها

۞ قال يحيى بن معاذ الرازى: «الدنيا خزانة الله فما الذى يُبغَض منها، وكل شيء من حجر أو مدر أو شجر يُسبح الله فيها ... قال الله تعالى: ﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ﴾ وقال الله تعالى: ﴿ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ﴾، فالمجيب له بالطاعة لا يستحق أن يكون بغيضًا فى قلوب المؤمنين»[1].

فليس المطلوب منك سَبّ الدنيا أو الهرب منها بل الواجب عليك: تحقيق الزهد، والزهد فى أبسط صوره ومعانيه أن تحوز الدنيا فى يدك لا فى قلبك، وأن تملكها لا أن تملكك، وأن تضحى بها فى سبيل آخرتك لا أن تبيع الآخرة من أجلها، وأن تطلب الآخرة بالدنيا لا أن تطلب الدنيا بالآخرة، وأن تفرغ قلبك مما خلت منه يدك، ... ويبشرك عندها بحسن العاقبة الدنيوية والأخروية يحيى بن معاذ فيقول: «الدنيا أمير من طلبها وخادم من تركها، الدنيا طالبة ومطلوبة، فمن طلبها رفضته، ومن رفضها طلبته، الدنيا قنطرة الآخرة فاعبروها ولا تُعمروها، ليس من العقل بنيان القصور على الجسور، ومَن طلّق الدنيا فالآخرة زوجته، فالدنيا مُطلقة الأكياس لا تنقضى عدتها أبدًا، فخلِّ الدنيا ولا تذكرها واذكر الآخرة ولا تنسها، وخذ من الدنيا ما يبلغك الآخرة، ولا تأخذ من الدنيا ما يمنعك الآخرة»[2].

---

(١) حلية الأولياء: (١٠/ ٦٤).

(٢) حلية الأولياء: (١٠/ ٥٣، ٥٤).

ومما يُعين قلبك على التشبُّع بالزهد المقارنة العابرة بين الدنيا والآخرة كمًّا وكيفًا ... فالدنيا أيام قلائل معدومة فى مواجهة خلود لا آخر له والدنيا نعيمها متنغص، إن أضحكت اليوم أبكت غدًا وإن سرَّت تبع سرورها الردى، وإن حلَّت فيهم النعم جميعًا نزلت فيها النقم سريعًا إن أخصبت أجدبت، وإن جمعت فرقت، وإن ضمَّت شتتت وإن زادت أبادت، وإن أسفرت أدبرت، وإن راقت أراقت، وإن عمَّت بنوالها غمَّت بوبالها، وإن جادت بوصالها جاءت بفصالها، غزيرة الآفات، كثيرة الحسرات، قليلة الصفا، عديمة الوفا، ومن لم يتبصر فى أمرها اليوم عَضَّ يديه غدًا، وبكى مع الدمع دمًا، بل وحتى مَن مَلَك أقصى نعيمها أتظنونه قد استراح؟! كلا والله....

أرى من الدنيا لمن هى فى يديه ... عذابًا كلما كَثُرت لديه
تهين لها المكرمين لها بذُلٍّ ... وتُكرم كل من هانت لديه

وأين كل هذا من الآخرة ونعيم الآخرة ولذة الآخرة وخلود الآخرة؟!

وبعد الإحاطة بالزهد علمًا تنزل إلى ساحة الجد عملًا، وممارسة يومية ومشقة نفسية، والنفس على ما عودتها نشأت وكيف ما ربيتها نمتْ وترعرعت؛ ولذا لما قيل هذا المعنى شعرًا على لسان أبى ذؤيب الهذلي:

والنفس راغبة إذا رغَّبتها ... وإذا تُرَدُّ إلى قليل تقنع

قال الأصمعى: «هذا أبدع بيت قالته العرب»[1][2].

(١) العقد الفريد (٣/ ٢١٠).
(٢) بأى قلبٍ نلقاه (١٢٣- ١٢٥).

اعرف قدر نفسك

۞ كثير من الناس يظن أن هذه الكلمة لا تُقال إلا لمن يتطاول إلى منزلة أرفع من منزلته، أو يدَّعى فضيلة ليس منها ولا هى منه؛ فيقولون له: اعرف قدر نفسك، أو رحم الله امرءًا عرف قدر نفسه.

وكثير من الناس يركن إلى هذا الخاطر؛ فإذا أُسند إليه عمل وهو قادر عليه، تنصَّل منه، وربما قال: رحم الله امرءًا عرف قدر نفسه.

والحقيقة أن هذه الكلمة وأمثالها تُقال فيمن يرفع نفسه فوق قدرها، وتقال كذلك فيمن يُنزلها دون منزلتها؛ فالذى يرفع نفسه فوق قدرها إنما يُرهقها، والذى يُنزل نفسه أقل من قدرها يضيع إمكاناتها سُدى.

وأما الذى يَقْدُر نفسه حق قدرها فإنه يضعها فى مكانها دون إرهاق لطاقتها ودون إهدار لمميزاتها؛ فلا يقتصر على تذكُّر جوانب الضعف فيها؛ لأن ذلك يقود إلى المبالغة فى احتقارها، وبالتالى تُحجم ولا تقدم.

بل يتذكر مع ذلك جوانب القوة والإبداع فيها؛ حتى تنبعث إلى الإقدام على ما يليق بها ... والعاقل السوى الذى ينظر الأمور كما هى – هو ذاك الذى يسير على حد الاعتدال؛ فلا يُغَرُّ بما أُوتى من ذكاء، وعلم، وقوة؛ فيزعم لنفسه كل فضيلة، ويتطاول بغروره إلى كل منزلة.

ولا يركن فى الوقت نفسه إلى جوانب الضعف فيه؛ فيقوده ذلك إلى المبالغة فى احتقار نفسه، وازدراء إمكاناته؛ ومواهبه؛ فيقعد عن كل فضيلة، ويعيش فى هذه الحياة وكأنه هملٌ مضاعٌ، أو لقًى مزدري.

ولم أرَ فى عيوب الناس شيئًا كنقص القادرين على التمام(1)

(1) خواطر/ د. محمد إبراهيم الحمد (ص ١١٨ – ١١٩).

ذاك هو عُمرك

۞ اعلم - أخي الحبيب - أن الناس في هذا العالم على سفر أول منازلهم المهد وآخرها اللحد، والوطن هو الجنة أو النار، والعمر مسافة السفر، فسنين العمر مراحله، وشهوره فراسخه، وأيامه أمياله، وأنفاسه خطواته، وطاعته بضاعته، وأوقاته رؤوس أمواله، وشهواته وأغراضه قُطَّاع طريقه، وربحه الفوز بلقاء الله تعالى في دار السلام مع المُلك الكَبير والنعيم المقيم، وخُسرانه البُعد عن الله مع الأنكال والأغلال، والعذاب الأليم في دركات الجحيم، فالغافل في نَفَسٍ من أنفاسه حتى ينقضي في غير طاعة تُقربه إلى الله زُلفى، مُتعرض في يوم التغابن لغبينة وحسرة ما لها منتهى، ولهذا الخطر العظيم والخَطب الهائل، شمَّر الموفقون عن ساق الجد، وودعوا بالكلية ملاذ النفس، واغتنموا بقايا العمر»[1].

أذان المرء حين الطفل يأتي ... وتأخير الصلاة إلى المماتِ

دليلٌ أن محياه يسيرٌ ... كما بين الأذان إلى الصلاةِ

۞ فكل لحظة تفعل فيها طاعة أو تبذل فيها خيرًا لدينك أو وطنك فهي من عمرك الحقيقي وكل لحظة ترتكب فيها معصية أو ترتكب فيها مخالفة تعود بالضرر على دينك ووطنك فإنها ليست من عمرك.

۞ **وهو ما قال به ابن القيم:**

«فما كان من وقته لله وبالله فهو حياته وعمره، وغير ذلك ليس محسوبًا في حياته وإن عاش عيش البهائم،... فإذا قطع وقته في الغفلة والسهو

(١) إحياء علوم الدين (١/ ٣٩١).

والأماني الباطلة وكان خير ما قطعه به النوم والبطالة، فموت هذا خيرٌ له من حياته، وإذا كان العبد وهو فى الصلاة ليس له من صلاته إلا ما عقل منها فليس له من عمره إلا ما كان فيه بالله ولله»[1].

(١) الجواب الكافى (ص ١٠٩).

حاجة الناس إلى رسول الله ﷺ

۞ لقد كان الكون كله فى جاهلية وشر ... وشاء الله ﷻ أن يبعث حبيبه محمدًا ﷺ لينقل الكون كله من أدران الشرك والكفران إلى أنوار التوحيد والإيمان فجاء ليملأ القلب إيمانًا والعقل حكمة والنفس يقينًا والكون عدلًا والدنيا رحمة والأيام سلامًا والليالى أمنًا، واستطاع بإذن الله أن يُحول هذا المجتمع الجاهلى إلى دولة تدين لله (جل وعلا) وأن يصنع رجالًا كان الواحد منهم يساوى أمة بأكملها.

۞ **ولذا قال صاحب الظلال** رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

ولقد انتصر محمد بن عبد الله ﷺ، يوم أن صاغ من فكرة الإسلام شخوصًا وحوَّل إيمانهم بالإسلام عملًا، وطبع من المصحف عشراتٍ من النسخ ثم مئات وألوفًا ولكنه لم يطبعها بالمداد على صحائف الورق، إنما طبعها بالنور على صحائف من القلوب، وأطلقها تعامل الناس وتأخذ منهم وتعطى، وتقول بالفعل والعمل ما هو الإسلام الذى جاء به محمد بن عبد الله ﷺ من عند الله.

۞ فهو الحبيب المصطفى ﷺ الذى اصطفاه الله لنفسه وصنعه وربَّاه على عينه ليربى به الأمم والأجيال عبر العصور والأزمان.

وهو خاتم الرسل وذروة الصلاح الذى وصلَ السماء بالأرض، والدنيا بالآخرة.

۞ إنه بسيطٌ فى عظمته، سهلٌ فى هيبته، لا تراه إلا وتحبه، ولا تخالطه إلا وترتاح له، حُجته القرآن، وقبلته الكعبة، ودينه الحنيفية، ومنهجه

الوسط، ودعوته التوحيد،... أتى ليضع الآصار والأغلال وبُعث ليحطم الأوثان والأصنام، وأُرسل للعالمين رحمة، صاح فى أذن الدنيا، فتهاوت على صوته أعمدة البغى، وانهارت بكلماته أبنية الظلم، عاش الفقر فتحلَّى بالصبر، وتذرَّع بالتحمُّل، فبيَّن بسيرته ضآلة الدنيا وحقارتها وعاش الغِنى فشكر المُنعم، وواسى الخلق وعلَّم البرية فصول الجود، وملاحم البذل(١).

۞ قال الإمام ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ:

لما كمَّل الرسول ﷺ مقام الافتقار إلى الله سبحانه أحوجَ(٢) الخلائقَ كلَّهم إليه فى الدنيا والآخرة:

أما حاجتهم إليه فى الدنيا؛ فأشد من حاجتهم إلى الطعام والشراب والنَّفَس الذى به حياة أبدانهم.

وأما حاجتهم إليه فى الآخرة؛ فإنهم يستشفعون بالرسل إلى الله حتى يُريحهم من ضيق مقامهم، فكلُّهم يتأخر عن الشفاعة فيشفع هو لهم، وهو الذى يستفتح لهم باب الجنة(٣).



(١) حدائق ذات بهجة (ص: ١٤)/ للشيخ عائض القرني.

(٢) أى: جعلهم الله سبحانه فى حاجة إلى نبيه ﷺ؛ الحاجة الدنيوية لبيان الأحكام الشرعية، والحاجة الأخروية للشفاعة النبوية.

(٣) الفوائد (ص ٨٧).

فضل العالم العامل

۞ ما أجمل أن نطلب العلم من أجل أن نعبد الله على علمٍ ومن أجل أن ندعو الكون كله برحمةٍ ورفقٍ وتواضعٍ إلى دين الله (جلَّ وعلا).

ولابُدّ أن نعلم يقينًا أن مَن تعلَّم العلم ولم ينتفع به فلن يستطيع أن ينفع غيره؛ لأنَّ فاقد الشيء لا يُعطيه.

۞ ومن أجل ذلك فقد ذَمَّ الحقّ (جلَّ وعلا) الذين يعلمون ولا يعملون بما يعلمون.

قال الله تعالى: ﴿أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ ٱلْكِتَٰبَ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾(١).

وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ۝٢ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُوا۟ مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾(٢).

وقال تعالى إخبارًا عن شُعيبٍ ﷺ: ﴿وَمَآ أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَىٰ مَآ أَنْهَىٰكُمْ عَنْهُ ۚ﴾(٣).

وعن أَبي زيدٍ أُسامة بْنِ زيد بن حَارِثَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: سَمِعْتُ رسولَ الله ﷺ يَقُولُ: **«يُؤْتَى بالرَّجُلِ يَوْمَ الْقِيامةِ فَيُلْقَى فِى النَّار، فَتَنْدلِقُ أَقْتَابُ بَطْنِهِ، فيَدُورُ بِهَا كَمَا يَدُورُ الحِمَارُ فِى الرَّحا، فَيجْتَمِعُ إِلَيْهِ أَهْلُ النَّار فَيَقُولُونَ: يَا فُلانُ مَالَكَ؟ أَلَمْ تَكُن تَأْمُرُ بالمَعْرُوفِ وَتَنْهَى عَنِ المُنْكَرِ؟ فَيَقُولُ: بَلَى، كُنْتُ آمُرُ بالمَعْرُوفِ وَلاَ**

(١) سورة البقرة: الآية: (٤٤).

(٢) سورة الصف: الآيتان: (٢-٣).

(٣) سورة هود: الآية: (٨٨).

آتِيه، وَأَنْهَى عَنِ الْمُنْكَرِ وَآتِيه»(١).

۞ قال الإمام ابن الجوزى رَحِمَهُ اللَّهُ:

لقيت مشايخ، أحوالهم مختلفة، يتفاوتون فى مقاديرهم فى العلم، وكان أنفعهم لى فى صحبته العامل منهم بعلمه، وإن كان غيره أعلم منه.

ولقيت جماعةً من علماء الحديث يحفظون ويعرفون، ولكنهم كانوا يتسامحون بغيبة يُخرجونها مَخرج جرحٍ وتعديل، ويأخذون على قراءة الحديث أُجرة، ويُسرعون بالجواب، لئلا ينكسر الجاه، وإن وقع خطأ.

ولقيت عبد الوهاب الأنماطى، فكان على قانون السلف، لم تسمع فى مجلسه غيبة، ولا كان يطلب أجرًا على سماع الحديث، وكنت إذا قرأت عليه أحاديث الرقائق، بكى، واتصل بكاؤه، فكان -وأنا صغير السن حينئذ- يعمل بكاؤه فى قلبى، ويبنى قواعد، وكان على سمت المشايخ الذين سمعنا أوصافهم فى النقل.

ولقيت الشيخ أبا منصور الجَوَالِيقِى، فكان كثير الصمت، شديد التحرى فيما يقول، مُتقنًا، مُحققًا، وربما سُئل المسألة الظاهرة، التى يبادر بجوابها بعض غلمانه، فيتوقف فيها حتى يتيقن، وكان كثير الصوم والصمت، فانتفعتُ برؤية هذين الرجلين أكثر من انتفاعى بغيرهما ففهمت من هذه الحالة أن الدليل بالفعل أرشد من الدليل بالقول.

ورأيت مشايخ كانت لهم خلوات فى انبساط ومزاح، فراحوا عن

---

(١) صحيح: رواه البخارى (٣٢٦٧) كتاب بدء الخلق، ومسلم (٢٩٨٩) كتاب الزهد.

قوله: «تَنْدَلِقُ» هو بالدال المهملة، ومعناه تخرج. و«الأَقْتَابُ»: الأمعاء، واحدُها قِتْبٌ.

القلوب، وبدد تفريطهم ما جمعوا من العلم، فقلَّ الانتفاع بهم فى حياتهم، ونُسوا بعد مماتهم، فلا يكاد أحد يلتفت إلى مصنفاتهم.

فالله الله فى العمل بالعلم، فإنه الأصل الأكبر. والمسكين كل المسكين من ضاع عمره فى علم لم يعمل به، ففاتته لذات الدنيا وخيرات الآخرة، فقَدِم مُفلسًا، على قوة الحجة عليه[1].

---

(١) صيد الخاطر (ص ١٥٦-١٥٨).

من حُسن إسلام المرء تَرْكُه ما لا يعنيه

۞ ما أجمل هذه العبارة وأنت تسمعها من الفم الزكى الطاهر.. فم رسول الله ﷺ ... صحيح.. كم هم ثُقلاء أولئك الذين يُزعجونك بالتدخل فيما لا يعنيهم.. يشغلك إذا رأى ساعتك.. بكم اشتريتها..

فتقول: جاءتنى هدية..

فيقول: هدية!! ممن؟

فتجيب: من أحد الأصدقاء..

فيقول: صديقك فى الجامعة.. أم فى الحارة.. أم أين؟!

فتقول: والله..آآآ.. صديقى فى الجامعة..

فيقول: طيب.. ما المناسبة؟!

فتقول: آآآ.. يعني.. مناسبة أيام الجامعة..

فيقول: مناسبة إيش؟!! نجاح.. أم كنتم فى رحلة.. أو يمكن.. أأ..

ويستمر فى استجوابه لك على قضية تافهة..!! بالله عليك! ألا تحدثك نفسك أن تصرخ به: لاااا تتدخل فيما لا يعنيييييك!!.. وقد يزداد الأمر سوءًا لو أحرجك بالسؤال فى مجلسٍ عام فيُسبب لك إحراجًا..

۞ أذكر أنى كنت فى مجلس مع عدد من الزملاء.. بعد صلاة المغرب.. رَنَّ هاتف أحدهم.. كان جالسًا بجانبي.. أجاب: نعم؟

زوجته: ألو.. وينك يا حمار؟! كان صوتها عاليًا لدرجة أنى سمعت حوارهما..

قال: بخير.. الله يسلمك !!!.. - يبدو أنه كان قد وعدها أن يذهب بها

بعد المغرب لبيت أهلها وانشغل بنا -.. غضبت الزوجة وقالت: الله لايسلمك.. أنت مبسوط أنك مع أصحابك وأنا أنتظر.. والله إنك ثور !!..

قال: الله يرضى عليكِ.. سأمرُّ عليك بعد العشاء..

لاحظتُ أن كلامه لا يتوافق مع كلامها.. فأدركت أنه يفعل ذلك لكيلا يُحرج نفسه.. انتهت مكالمته..

جعلت ألتفت إلى الحاضرين وأتخيل أو واحدًا منهم سأله: مَن كلَّمك؟ وماذا يريد منك؟ ولماذا تغير وجهك بعد المكالمة..؟!! لكن الله رَحِمَه لأن أحدًا لم يتدخل فيما لا يعنيه..

۞ **ومثله لو زرت مريضًا.. فسألته عن مرضه.. فأجابك بكلمات عامة:** الحمد لله.. شيء بسيط.. مرض صغير وانتهى.. أو نحوها من العبارات التى لا تحمل جوابًا صريحًا..

فلا تُحرجه بالتدقيق عليه: عفوًا.. يعنى ما هو المرض بالضبط؟ وضح أكثر..!! ماذا تعني..!! ونحو ذلك..

عجبًا!! ما الداعى لإحراجه..؟

من حُسن إسلام المرء تَرْكُه ما لا يعنيه.. يعني.. تنتظر أن يقول لك: أنا مريض بالبواسير.. أو مصاب بجرح في.. أو..

ما دام أنه أجاب إجابة عامة فلا داعى للتطويل معه.. ولا أعنى بهذا عدم سؤال المريض عن مرضه؟ إنما أعنى عدم التدقيق فى الأسئلة..

ومثله.. الذى ينادى طالبًا أمام الناس فى مجلسٍ عام.. ويسأله بصوت عالٍ: هاه يا أحمد.. نجحت؟.. فيقول: نعم..

فيسأله: كم نسبتك؟ كم ترتيبك فى الفصل؟

إن كنت صادقًا فى اهتمامك به فاسأله على انفرادٍ بينك وبينه.. ثم لا داعى للتدقيق.. كم نسبتك.. لماذا لم تذاكر.. لماذا لم تُقبل فى الجامعة.. إن كنت مستعدًّا لإعانته فقف معه جانبًا وحدثه بما تريد.. أما نشر غسيله أمام الناس.. فلا..

قال ﷺ: **«من حُسن إسلام المرء تَرْكُه ما لا يعنيه»**[(١)][(٢)]..

(١) صحيح: رواه الترمذى، وابن ماجه، وأحمد، وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (٥٩١١).

(٢) استمتع بحياتك / د. محمد العريفى.

أَقْبِل على ربك

۞ **من أعجب الأشياء:** أن تعرفه ثم لا تحبه، وأن تسمع داعِيَهُ ثم تتأخر عن الإجابة، وأن تعرف قدر الربح فى معاملته ثم تعامل غيره، وأن تعرف قدر غضبه ثم تتعرض له، وأن تذوق ألم الوحشة فى معصيته ثم لا تطلب الأُنس بطاعته، وأن تذوق عصرة القلب عند الخوض فى غير حديثه والحديث عنه ثم لا تشتاق إلى انشراح الصدر بذكره ومناجاته، وأن تذوق العذاب عند تعلُّق القلب بغيره ولا تهرب منه إلى نعيم الإقبال عليه والإنابة إليه!!

وأعجب من هذا: علمُك أنك لا بُدَّ لك منه، وأنك أحوج شيء إليه، وأنت عنه مُعرِض، وفيما يبعدك عنه راغب!![1].



(١) الفوائد/ للإمام ابن القيم (ص ٤٤).

الاجتماع بين المؤمنين قوة

۞ إن الاجتماع والأُلفة بين المؤمنين قوة، وإن التفرُّق والتشتت ضعف، فإن الإنسان قليل بنفسه كثير بإخوانه.

وما المرء إلا بإخوانه كما تقبض الكف بالمعصمِ
ولا خير فى اليد مقطوعة ولا خير فى الساعد الأجذمِ

يقول عمر رضي الله عنه: «ما أُعطى عبدٌ بعد الإسلام خيرٌ من أخٍ صالح يُذكره بالله، فإذا رأى أحدكم من أخيه ودًّا فليتمسك به».

تمسك به مسك البخيل بماله وعض عليه بالنواجذ تغنم

ويقول الحسن عليه رحمة الله: «إخواننا أحب إلينا من أهلنا وأولادنا، لأن أهلنا يذكروننا بالدنيا وإخواننا يذكروننا بالآخرة، ويعينوننا على الشدائد فى العاجلة».

إن يختلف نَسَبٌ يؤلِّف بيننا دينٌ أقمناه مقام الوالدِ
أو يختلف ماءُ الوصالِ فماؤنا عَذْبٌ تحدَّر من غمامٍ واحدٍ

يقول عمر رضي الله عنه: «والله لولا أن أجلس مع إخوةٍ لى ينتقون أطايب القول، كما يُلتقط أطايب الثمر لأحببت أن ألحق بالله الآن».

وها هى جماعة من النمل تصادف بعيرًا فيقول بعضها: تفرقن عنه لا يحطمنكن بِخُفِّه، فقالت حكيمة منهن: اجتمعن عليه تقتلنه.

تأبى الرماح إذا اجتمعن تكسُّرًا وإذا انفردن تكسرت آحادًا

بنيان واحد... جسدٌ واحد... أمة واحدة.

لو كبَّرت في جموع الصين مئذنة   سمعت في الغرب تهليل المصلين

﴿ وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ وَٱذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا ﴾(١)(٢).

(١) سورة آل عمران: الآية: (١٠٣).

(٢) هكذا علمتني الحياة/ د. علي القرني (ص ٦٧ – ٦٨).

وكذلك جعلناكم أمة وسطًا

۞ فليس هناك أجمل من الوسطية فى كل شيء ... فالتشدد يقود صاحبه إلى التفريط والضياع لأنه يتنافى مع فطرة الإنسان المعتدلة التى ترشد صاحبها إلى التمسك بدينه وفى نفس الوقت لا تُنسيه دُنياه.

ولذا قال ﷺ: «.... **ولن يُشاد الدين أحدٌ إلا غلبه فسددوا وقاربوا**»(١).

وقال ﷺ: «**أحب الأعمال إلى الله أدومها وإن قلَّ**»(٢).

۞ ومن أجل ذلك نقول: لا ينبغى للإنسان أن يُحمِّل بدنه ما لا يطيق فإن البدن كالراحلة إن لم يرفق بها صاحبها لم تصل به حيث يريد.

وهذه الخدعة أراد الشيطان أن يوقع فيها عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما فدخل عليه من أبواب عبادات ثلاثة: باب الصيام وباب القيام وباب القرآن، وتأمل كيف انتهت قصته بتمنِّى الاعتدال والتوسط الذى أرشده إليه فى البداية النبى ﷺ، حيث قال عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما.

قال لى ﷺ: «**يا عبد الله، ألم أُخبَر أنك تصوم النهار وتقوم الليل**»، فقلتُ: بلى يا رسول الله قال: «**فلا تفعل، صُم وأفطر، وقم ونَم، فإن لجسدك عليك حقًّا، وإن لعينك عليك حقًّا وإن لزوجك عليك حقًّا، وإن لزورك عليك حقًّا، وإن بحسبك أن تصوم كل شهر ثلاثة أيام، فإن لك بكل حسنة عشر أمثالها، فإن ذلك صيام الدهر كله**»، [قال عبد الله بن عمرو عن نفسه]: فشدَّدتُ فشُدِّد عليَّ؛ قلت: يا رسول الله إنى أجد قوة، قال: «**فصم صيام نبى الله داود**

(١) صحيح: رواه البخارى (٣٩).

(٢) متفق عليه: رواه البخارى (٦٤٦٤)، ومسلم (٧٨٣).

عليه السلام **ولا تزد عليه**»، قلت: وما كان صيام نبى الله داود عليه السلام؟ قال: «**نصف الدهر**» فكان عبد الله يقول بعدما كبر: يا ليتنى قبلت رخصة النبى ﷺ»[1].

هذا فى شأن الصيام، أما فى شأن القيام فقد دخل الشيطان على الصالح العابد عبد الله بن عمرو بن العاص مرة ثانية فزيَّن له الإفراط فى العبادة ليوقعه بعد ذلك فى أن يتمنَّى أن لو كان قَبِل رخصة النبي ﷺ ولم يُفرط فى القيام.

لذا حذر النبى ﷺ الصحابى عبد الله بن عمر رضي الله عنهما من الانقطاع عن قيام الليل، فقال: «**يا عبد الله، لا تكن مثل فلان، كان يقوم الليل، فترك قيام الليل**»[2].

أما فى شأن قراءة القرآن فلنا عودة مع نفس الصحابى عبد الله بن عمرو الذى عاوده الشيطان مرة ثالثة ليحاول أن يُحمِّله ما لا يطيق ليورثه الانقطاع بعد الانتظام... قال عبد الله بن عمرو: قال لى رسول الله ﷺ: «**اقرأ القرآن فى شهر**» قلت: إنى أجد قوة، حتى قال: «**فاقرأه فى سبعة، ولا تزد على ذلك**»[3].

المداومة على قليل الدواء تورث الشفاء، وتناوُل عظيم الجرعة منه ثم الانقطاع لا يُحدث الأثر المرجو، بل يحقق مبتغى الشيطان وهو انقطاعك وعدم دوامك؛... لذا كان من أسهل ما يوصل عدوك إلى هدفه: الغلو وتحميل نفسك فوق طاقتها والغفلة عن سنة التدرُّج، وتفاصيل خطة الشيطان وبين ثناياها: إفراط فى بداية الطريق يورث التفريط آخره، وهو ما يسميه

---

(١) متفق عليه: رواه البخارى (١٩٧٥)، ومسلم (١١٥٩).

(٢) متفق عليه: رواه البخارى (١١٥٢)، ومسلم (١١٥٩).

(٣) صحيح: رواه البخارى (٥٠٥٤).

الأطباء اليوم بظاهرة الانتكاسة، فبعد أن يتناول المريض الدواء زمنًا وتبدو عليه أمارات الشفاء؛ يرتكس وينتكس من جَرَّاء ما شدد على نفسه فى الأول.

وهو ما حذر منه من قديم الزمن الحسن البصرى حين قال: «إن هذا الدين دينٌ واصب، وإنه من لا يصبر عليه يدعه وإن الحق ثقيل، وإن الإنسان ضعيف وكان يقال ليأخذ أحدكم من العمل ما يطيق فإنه لا يدرى ما قدر أجله، وإن العبد إذا ركب بنفسه العنف وكلف نفسه ما لا يطيق أوشك أن يترك ذلك كله حتى لعله لا يقيم الفريضة وإذا ركب نفسه التيسير والتخفيف وكلف نفسه ما تطيق كان أكيس وكان يُقال: شر السير الحقحقة»[1].

وهذا الكمين سقط ويسقط فيه الكثيرون ممن كانت بداياتهم صادقة مخلصة لكنهم لم ينتبهوا لهذا الفخ فوقعوا فيه،... ومنهم من أخبرنا بقصته الأستاذ فتحى يكن فى كتابه: «المتساقطون على طريق الدعوة»، حيث قال حفظه الله: «أذكر أن أحد الإخوة أقسم ليحفظن القرآن عن ظهر قلب خلال فصل الصيف، ولقد اجتهد فى ذلك، ولكنه لم يتمكن فسخط على نفسه سخطًا شديدًا وصمم لينتقمن منها أبشع انتقام فما كان منه إلا أن حرم نفسه من كل ما أحل الله له،.... بدأ بصيام متتابع لا يفطر إلا لمامًا وبقيام متتابع لا ينام إلا سهوًا، ثم انقطع عن دراسته وباع كتبه وأثاث غرفته، ولقد انتهى به الأمر بعد ذلك إلى مستشفى للأمراض العصبية، وإلى غيبته عن الدعوة بالكلية، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم»[2].

---

(١) الزهد لابن المبارك (١/ ٤٦٨) بتصريف يسير، والحقحقة: شدة السير وأتعبه للظهر.

(٢) المتساقطون على طريق الدعوة (ص ٨٦، ٨٧).

فأصبح كالبازى المُنتَّف ريشه يرى حسراتٍ كلما طار طائرُ
وقد كان دهرًا فى الرياض مُنعَّمًا على كل ما يهوى من الصيد قادرُ
إلى أن أصابته من الدهر نكبة إذا هو مقصوص الجناحين حاسرُ[1]

---

(١) بأى قلبٍ نلقاه (ص ١٥٢ - ١٥٤).

لا تستسلم

۞ قد تمر بك لحظات ضعف فيُخيَّل إليك أن قواك قد خارت وأنه لم يعد بك قدرة على المجاهدة والصبر ومواصلة العمل؛ فلا تستسلم لهذا الخاطر؛ فإن للنفوس إقبالًا وإدبارًا، فلعل ذلك الإدبار يعقب إقبالًا.

وقد تشعر أحيانًا بإحباط وقلة ثقة، وشعور بالنقص، وأنك لا تصلح لشيء من الأعمال فلا تستسلم لهذا الشعور، واستحضر بأن الإخفاق ليس عارًا إذا بذلت جهدك بإخلاص، وتذكرت أن المرء لا يُعَدُّ مخفقًا حتى يتقبل الهزيمة، ويتخلى عن المحاولة فحاول مرة بعد مرة وأعِدْ الكَرَّة بعد الكَرَّة، وستصل إلى مبتغاك بإذن الله.

وقد يعتريك شعور بالزهو والإعجاب، فتشعر بأنك نسيج وحدك، وقريع دهرك؛ فلا تحتاج إلى ناصح أو مشير.

فإذا مر بك ذلك الخاطر فلا تستسلم له، ولا تركن إلى ما أُوتيت من ذكاء، وعلم، وانظر إلى ما فيك من نقص وضعف حتى تتعادل كفتا الميزان لديك.

وقد تهجم عليك الهموم، وتتوالى عليك الغموم، فيُخيَّل إليك أنها ستُلازمك طول عمرك، فتظن أن أيامك المقبلة سود لا بياض فيها؛ فلا تستسلم لهذا الخاطر، ولا تحسبن الشر لا خير بعده، أو أنه ضربة لازب لا تزول؛ فإن مع العسر يسرًا، إن مع العسر يسرًا.

وقد تتحرى الصواب، وتحرص كل الحرص على ألا تخطئ فى حق أحد، ثم لا تلبث أن تقع فى الهفوة والهفوة؛ فلا تظنن أن ذلك يبعدك عن

الكمال، والسعى إليه ... فمن الذى تُرضَى جميعُ سجاياه؟

وقد تقع فى الذنب إثر الذنب، فيُلقى الشيطان فى روعك أن الخير منك بعيد، وأنك ممن كُتبت عليه الشقاوة؛ فلا تستسلم لهذا الإلقاء الشيطانى، واستحضر بأن كل ابن آدم خطَّاء، وخير الخطائين التوابون، و ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ إِذَا مَسَّهُمۡ طَـٰٓئِفٌ مِّنَ ٱلشَّيۡطَـٰنِ تَذَكَّرُواْ فَإِذَا هُم مُّبۡصِرُونَ ﴾.

وبذلك تنقشع عنك غياهب اليأس[1].

---

(١) خواطر (ص ١٩٢- ١٩٣).

عبادة السر أعظم

۞ قال الإمام ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ:

لا يجتمع الإخلاص فى القلب ومحبة المدح والثناء والطمع فيما عند الناس إلا كما يجتمع الماء والنار، والضب والحوت ... فإذا حدَّثتك نفسك بطلب الإخلاص؛ فأقبِل على الطمع أولًا؛ فاذبحه بسكين اليأس، وأقبِل على المدح والثناء فازهد فيهما زهد عشاق الدنيا فى الآخرة؛ فإذا استقام لك ذبح الطمع والزهد فى الثناء والمدح؛ سَهُل عليك الإخلاص.

فإن قلت: وما الذى يُسهِّل علىَّ ذبح الطمع والزهد فى الثناء والمدح؟

قلت: أما ذبح الطمع؛ فيُسهله عليك علمُك يقينًا أنه ليس من شيء يُطمَع فيه إلا وبيد الله وحده خزائنه؛ لا يملكها غيره، ولا يؤتى العبد منها شيئًا سواه.

وأما الزهد فى الثناء والمدح؛ فيُسهله عليك علمُك أنه ليس أحدٌ ينفع مدحه ويَزين، ويضر ذَمُّه ويَشين إلا الله وحده(١).

قال ﷺ: «**من استطَاع مِنكُم أن يَكونَ له خِبءٌ من عملٍ صالحٍ فليفعل**»(٢) ولذا فإنَّه لابُدَّ لكلِ عبدٍ صالحٍ:

أن يكون له عبادة سرية مع الله لا يعلم بها أحد سواه، إنه داء فوق الدواء، وضمانٌ للشفاء، وتكثيرٌ للحسنات، ودليل الإخلاص ونقاء النيات، وقد حثنا الله ورسوله عليه فى كل عبادة:

۞ ففى الذكر: «**ورجلٌ ذَكَر الله خاليًا ففاضت عيناه**» وقول ربنا فى

(١) الفوائد/ للإمام ابن القيم (ص ١٥٣).

(٢) صحيح: رواه الضياء، وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (٦٠١٨).

الحديث القدسى: «**عبدى إذا ذكرتنى خاليًا ذكرتك خاليًا، وإن ذكرتنى فى ملإٍ ذكرتك فى ملإٍ خير منهم وأكبر**»(١).

۞ **وفى الصدقة**: «**ورجل تصدق بصدقة حتى لا تعلم شماله ما أنفقت يمينه**». عن محمد بن واسع قال: «لقد أدركت رجالًا كان الرجل يكون رأسه مع رأس امرأته على وسادة واحدة قد بَلَّ ما تحت خده من دموعه لا تشعر به امرأته، ولقد أدركت رجالًا يقوم أحدهم فى الصف فتسيل دموعه على خده ولا يشعر به الذى إلى جانبه».

۞ **وفى الدعاء قول ربنا**: ﴿ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً﴾(٢)... قال عقبة ابن عبد الغافر: «دعوة فى السر أفضل من سبعين فى العلانية، وإذا عمل العبد فى العلانية عملًا حسنًا وعمل فى السر مثله قال الله لملائكته: هذا عبدى حقًّا»(٣).

۞ **وفى الصوم**: قال عيسى ابن مريم عليه السلام: «إذا كان يوم يصوم أحدكم؛ فليدهن لحيته، ويمسح شفتيه، وليخرج إلى الناس حتى كأنه ليس بصائم»(٤).

۞ **وفى الصلاة**: «**صلاة الرجل تطوعًا حيث لا يراه الناس تعدل صلاته على أعين الناس خمسًا وعشرين**»(٥).

وقال: «**تطوع الرجل فى بيته يزيد على تطوعه عند الناس، كفضل صلاة الرجل فى جماعة على صلاته وحده**»(٦)(٧).

---

(١) **صحيح**: رواه البيهقى عن ابن عباس وصححه الألبانى فى صحيح الجامع رقم (٤٣٢٤).
(٢) سورة الأعراف: الآية: (٥٥).
(٣) حلية الأولياء (٢/ ٢٦١).
(٤) شعب الإيمان (٥/ ٣٥١).
(٥) **صحيح**: رواه ابن عدى عن صهيب وصححه الألبانى فى صحيح الجامع رقم (٣٨٢١).
(٦) **صحيح**: رواه ابن أبى شيبة عن رجل وصححه الألبانى فى صحيح الجامع رقم (٢٩٥٣).
(٧) جرعات الدواء (ص ٣٤- ٣٥).



الخلوة سلاح ذو حدين

ومن لوازم عبادة السر وجود الخلوة، فالمطلوب منك كى تضاعف أثر دوائك أن تُخفيه وذلك فى خلوة من الناس، فإن قضيت خلوتك فى معصية الله؛ فقد حوَّلت الدواء إلى وباء، وجعلت من العسل علقمًا.

أخى: سمكة قوية بين يدى صياد ضعيف، ماذا تتوقع؟! تهرب السمكة وتخطف معها الشبكة!!

والمعنى: الخلوة باب من أبواب الخير؛ لكنها مع الضعيف ثغرة يتسلل منها شيطانه إلى قلبه، فيقلب المكسب إلى أعظم خسارة.

قال وهب بن منبه رَحِمَهُ اللَّهُ:

«ولا تظن أن العلانية هى أنجح من السريرة، فإنَّ مثل العلانية مع السريرة، كمثل ورق الشجر مع عرقها، العلانية ورقها، والسريرة عرقها، إن نُخِر العرق هلكت الشجرة كلها، ورقها وعودها، وإن صلحت صلحت الشجرة كلها، ثمرها وورقها، فلا يزال ما ظهر من الشجرة فى خير ما كان عرقها مستخفيًا، لا يُرى منه شيء، ... كذلك الدين لا يزال صالحًا ما كان له سريرة صالحة، يصدق الله بها علانيته، فإنَّ العلانية تنفع مع السريرة الصالحة، كما ينفع عرق الشجرة صلاح فرعها، وإن كانت حياتها من قبل عرقها، فإنَّ فرعها زينتها وجمالها، وإن كانت السريرة هى ملاك الدين، فإنَّ العلانية معها تزيِّن الدين وتُجمِّله، إذا عملها مؤمن لا يريد بها إلا رضاء ربه عَزَّ وَجَلَّ»(١).

(١) الحلية (٤/ ٧٠).

اعتصم بـ (لا حول ولا قوة إلا بالله)

۞ إن من أعظم أسباب السعادة أن يعتصم العبد بـ (لا حول ولا قوة إلا بالله) وأن ينخلع من حوله وقوته إلى حول الله وقوته وأن يعلم يقينًا أنه لا يدور شيء فى هذا الكون إلا بحول الله وقوته.

۞ قال تعالى: ﴿ وَكَانَ عَرْشُهُۥ عَلَى ٱلْمَآءِ ﴾ فلما أمر الله الملائكة أن يحملوا العرش فلم يستطيعوا مع أن الملائكة الثمانية (حملة العرش) لا يخطر وصفهم على قلب بشر.

قال ﷺ: **«أُذن لى أن أُحدِّث عن ملك من حملة العرش، رجلاه فى الأرض السُّفلى، وعلى قرنه العرش، وبين شحمة أذنيه وعاتقه خفقان الطير سبعمائة عام، يقول ذلك الملك سبحانك حيث كنت»**[1].

ومع ذلك لم يستطيعوا حمل العرش فقالوا: ربنا إنَّا لا نستطيع حمل العرش. فقال تعالى: قولوا: لا حول ولا قوة إلا بالله فسيُحمل العرش بحولى وقوتى ... فلما قالوها حملوا العرش.

۞ فلا حول ولا قوة إلا بالله كنزٌ من كنوز الجنة؟

عن أبى موسى الأشعرى رَضِيَ اللهُ عَنْهُ **قال:** قال لى رسول الله ﷺ: **«ألا أدلك على كنز من كنوز الجنة؟»** فقلت: بلى، فقال: **«لا حول ولا قوة إلا بالله»**[2].

وعن النبى ﷺ أنه قال: «ألا أُعلمك، أفلا أدلك على كلمة من كنز الجنة

(١) صحيح: رواه الطبرانى فى الأوسط وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (٨٥٣).

(٢) صحيح: رواه البخارى (٣٩٦٨).

من تحت العرش؟ لا حول ولا قوة إلا بالله يقول: أسلم عبدى واستسلم»[1].

۞ ومن أجل ذلك جعل الله لنا دعاء الاستخارة الذى ينخلع فيه العبد من حوله وقوته إلى حول الله وقوته.

۞ **قال جابرُ بنُ عبد الله** رضي الله عنهما: كان رسُولُ الله ﷺ يُعلمُنا الاستخارة فى الأمُور كلها كما يُعلمُنا السُّورة من القُرآن، يقُولُ: «**إذا هَمَّ أحدُكُم بالأمر فليركع ركعتين من غير الفريضة ثُم ليقُل: اللهُم إنى أستخيرُك بعلمك، وأستقدرُك بقُدرتك، وأسألك من فضلك العظيم، فإنك تقدرُ ولا أقدرُ، وتعلمُ ولا أعلم، وأنت علاَّمُ الغيُوب، اللهُم إن كُنت تعلم أن هذا الأمر - ويُسمى حاجتهُ - خيرٌ لى فى دينى ومعاشى وعاقبة أمرى فاقدرهُ لى ويسِّرهُ لى ثُم بارك لى فيه، وإن كُنت تعلم أن هذا الأمر شَرٌّ لى فى دينى ومعاشى وعاقبة أمرى فاصرفهُ عنى واصرفنى عنهُ واقدر لى الخير حيثُ كان ثُم أرضنى به**».

وما ندم من استخار الخالق، وشاور المخلُوقين المؤمنين وتثبَّت فى أمره، فقد قال سبحانه: ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ﴾[2][3][4].

---

(١) صحيح: رواه الحاكم، وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (٢٦١٤).

(٢) سورة آل عمران: الآية: (١٥٩).

(٣) صحيح: رواه البخارى (٦٣٨٢).

(٤) الاستخارة: هى طلب خير الأمرين لمن احتاج إلى أحدهما.

همّ: أى عزم لأن الخاطر لا يثبت.

أستقدرك: أى اجعل لى على ذلك قدرة.

معاشى: حياتى.

عاقبة أمرى: أى يوم القيامة.

أرضنى: اجعل نفسى تسكن وترضى بذلك.

۞ **قال الإمام ابن تيمية:** بـ«لا حول ولا قوة إلا بالله» تُحمَل الأثقال، وتُكابَد الأهوال، ويُنال شريف الأحوال.

فالزمها أيها العبد! فإنها كنز من كنوز الجنة، وهي من بنود السعادة ومن مسارات الراحة وانشراح الصدر.

إنما الإعاقة إعاقة القلب

۞ الحياة الدنيا دار ابتلاء وامتحانٍ وتمحيصٍ .. يصبح الرجل غنيًّا ويُمسى فقيرًا .. يصبح وزيرًا ويُمسى بلا عمل ... ويصبح صحيحًا ويُمسى مريضًا ... وقد يحدث العكس.

۞ فمن الناس من فَقَد نعمة السمع أو البصر أو أُصيب بالشلل أو غير ذلك - أسأل الله أن يشفى مرضى المسلمين - ومع ذلك لم تُوقفه إعاقته عن السير فى طريق النجاح والبذل والعطاء .. فكم من الأئمة الأعلام كان كفيفًا وكم من الأعلام كان مصابًا بالشلل ولم يعقه ذلك عن أن يكون إمامًا.

۞ فالإعاقة الحقيقية ليست إعاقة السمع والبصر واليد والرجل وإنما هى إعاقة القلب الذى يحول بين صاحبه وبين النجاح.

۞ كان هناك رجل اسمه (أبو عبد الله) يحكى عنه أحد الدعاة ويقول:

لم يكن أبو عبد الله يختلف كثيرًا عن بقية أصدقائي.. لكنه — والله يشهد — من أحرصهم على الخير.. له عدة نشاطات دعوية من أبرزها ما يقوم به أثناء عمله.. فهو يعمل مترجمًا فى معهد الصم البكم..

اتصل بى يومًا وقال:

ما رأيك أن أُحضر إلى مسجدك اثنين من منسوبى معهد الصم لإلقاء كلمة على المصلين..

تعجبت!! وقلت: صُمٌّ يُلقون كلمة على ناطقين؟

قال: نعم.. وليكن مجيئنا يوم الأحد..

انتظرت يوم الأحد بفارغ الصبر..

وجاء الموعد.. وقفت عند باب المسجد أنتظر.. فإذا بأبى عبد الله يُقبل بسيارته.. وقف قريبًا من الباب.. نزل ومعه رجلان..

أحدهما كان يمشى بجانبه.. والثانى قد أمسكه أبو عبد الله يقوده بيده..

نظرت إلى الأول فإذا هو أصم أبكم.. لا يسمع ولا يتكلم.. لكنه يرى..

والثانى أصم.. أبكم.. أعمى.. لا يسمع ولا يتكلم ولا يرى..

مددت يدى وصافحت أبا عبد الله.. كان الذى عن يمينه – وعلمت بعدها أن اسمه أحمد – ينظر إلىَّ مبتسمًا.. فمددت يدى إليه مصافحًا..

فقال لى أبو عبد الله – وأشار إلى الأعمى –: سلِّم أيضًا على فايز..

قلت: السلام عليكم.. فايز..

فقال أبو عبد الله: أمسك يده.. هو لا يسمعك ولا يراك..

جعلت يدى فى يده.. فشدَّنى وهزَّ يدي..

دخل الجميع المسجد..

وبعد الصلاة جلس أبو عبد الله على الكرسى وعن يمينه أحمد.. وعن يساره فايز..

كان الناس ينظرون مندهشين.. لم يتعودوا أن يجلس على كرسى المحاضرات أصم..

التفت أبو عبد الله إلى أحمد وأشار إليه.. فبدأ أحمد يشير بيديه.. والناس ينظرون.. لم يفهموا شيئًا.. فأشرت إلى أبى عبد الله.. ليترجم لنا.. فإشارات أحمد لا يفهمها إلا الصم.. أو من كان متعلمًا للغة الصم فاقترب إلى مُكبر الصوت وقال:

أحمد يحكى لكم قصة هدايته.. ويقول لكم.. وُلدت أصم.. ونشأت فى جدة.. وكان أهلى يُهملونني.. لا يلتفتون إليَّ.. كنت أرى الناس يذهبون إلى المسجد.. ولا أدرى لماذا؟! أرى أبى أحيانًا يفرش سجادته ويركع ويسجد.. ولا أدرى ماذا يفعل؟..

وإذا سألت أهلى عن شيء.. احتقرونى ولم يجيبوني..

ثم سكت أبو عبد الله والتفت إلى أحمد وأشار له.. فواصل أحمد حديثه.. وأخذ يشير بيديه.. ثم تغير وجهه.. وكأنه تأثر..

خفض أبو عبد الله رأسه.. ثم بكى أحمد.. وأجهش بالبكاء.. تأثر كثير من الناس.. لا يدرون لماذا يبكي؟..

واصل حديثه وإشاراته بتأثُّر.. ثم توقف..

فقال أبو عبد الله: أحمد يحكى لكم الآن فترة التحول فى حياته.. وكيف أنه عرف الله والصلاة بسبب شخص فى الشارع عطف عليه وعلَّمه.. وكيف أنه لما بدأ يصلى شعر بقدر قربه من الله..

وتخيل الأجر العظيم لبلائه.. وكيف أنه ذاق حلاوة الإيمان..

ومضى أبو عبد الله يحكى لنا بقية قصة أحمد..

كان أكثر الناس مشدودًا متأثرًا..

لكنى كنت منشغلًا!!

أنظر إلى أحمد تارة.. وإلى فايز تارة أخرى..

وأقول فى نفسي.. ها هو أحمد يرى ويعرف لغة الإشارة.. وأبو عبد الله يتفاهم معه بالإشارة..

ترى كيف سيتفاهم مع فايز.. وهو لا يرى ولا يسمع ولا يتكلم.. !!

انتهى أحمد من كلمته.. ومضى يمسح بقايا دموعه..

التفت أبو عبد الله إلى فايز..

قلت في نفسي: هه؟؟ ماذا سيفعل؟!!

ضرب أبو عبد الله بأصبعه على ركبة فايز.. فانطلق فايز كالسهم.. وألقى كلمة مؤثرة.. تدرى كيف ألقاها؟ بالكلام؟ كلا.. فهو أبكم.. لا يتكلم..

بالإشارة؟ كلا.. فهو أعمى.. لم يتعلم لغة الإشارة..

ألقى الكلمة بـ (اللمس).. نعم باللمس..

يجعل أبو عبد الله (المترجم) يده بين يدى فايز.. فيلمسه فايز لمسات معينة.. يفهم منها المترجم مراده.. ثم يمضى يحكى لنا ما فهمه من فايز.. وقد يستغرق ذلك ربع ساعة..

وفايز ساكن هادئ لا يدرى هل انتهى المترجم أم لا.. لأنه لا يسمع ولا يرى..

فإذا انتهى المترجم من كلامه.. ضرب ركبة فايز.. فيمد فايز يديه.. فيضع المترجم يده بين يديه.. ثم يلمسه فايز لمسات أُخر..

ظل الناس يتنقلون بأعينهم بين فايز والمترجم..

بين عجب تارة.. وإعجابٍ أخرى.. وجعل فايز يحث الناس على التوبة..

كان أحيانًا يمسك أذنيه..

وأحيانًا لسانه.. وأحيانًا يضع كفيه على عينيه.. لم نفهم ما يريد حتى ترجم لنا أبو عبد الله.. فإذا هو يأمر الناس بحفظ الأسماع والأبصار عن الحرام..

كنت أنظر إلى الناس..

فأرى بعضهم يتمتم: سبحان الله..

وبعضهم يهمس إلى الذى بجانبه.. وبعضهم يتابع بشغف..

وبعضهم يبكي..

أما أنا فقد ذهبت بعيدًا... أخذت أقارن بين قدراته وقدراتهم.. ثم أقارن بين خدمته للدين وخدمتهم..

الهم الذى يحمله رجلٌ أعمى أصم أبكم.. لعله يعدل الهم الذى يحمله هؤلاء جميعًا..

والناس ألفٌ منهم كواحد ... وواحدٌ كالألف إن أمر عنا

رجل محدود القدرات.. لكنه يحترق فى سبيل خدمة هذا الدين..

يشعر أنه جندى من جنود الإسلام.. مسؤول عن كل عاصٍ ومقصر..

كان يحرك يديه بحُرقة.. وكأنه يقول: يا تارك الصلاة إلى متى..؟ يا مطلق البصر فى الحرام إلى متى..؟ يا واقعًا فى الفواحش؟ يا آكلًا للحرام؟ بل يا واقعًا فى الشرك؟

كلكم إلى متى؟!

أما يكفى حرب الأعداء لديننا.. فتحاربونه أنتم أيضًا!!

كان المسكين يتلون وجهه ويعتصر ليستطيع إخراج ما فى صدره.. تأثر الناس كثيرًا.. لم ألتفت إليهم.. لكنى سمعت بكاءً وتسبيحات..

انتهى فايز من كلمته.. وقام..

يمسك أبو عبد الله بيده.. تزاحم الناس عليه يُسلِّمون..

كنت أراه يسلم على الناس.. وأحس أنه يشعر أن الناس عنده سواسية.. يُسلّم على الجميع.. لا يفرق بين ملك ومملوك.. ورئيس ومرؤوس.. وأمير ومأمور..

يُسلِّم عليه الأغنياء والفقراء.. والعامة والوجهاء.. والجميع عنده سواء.. كنت أقول فى نفسى ليت بعض النفعيين مثلك يا فايز..

أخذ أبو عبد الله بيد فايز.. ومضى به خارجًا من المسجد..

أخذت أمشى بجانبهما.. وهما متوجهان للسيارة.. والمترجم وفايز يتمازحان فى سعادة غامرة.. آآآه ما أحقر الدنيا..

كم من أحدٍ لم يُصَبْ بربع مصابك يا فايز ولم يستطع أن ينتصر على الضيق والحزن..

أين أصحاب الأمراض المزمنة.. فشل كلوي.. شلل.. جلطات.. سكري.. إعاقات.. لماذا لا يستمتعون بحياتهم.. ويتكيفون مع واقعهم..؟

ما أجمل أن يبتلى الله عبده ثم ينظر إلى قلبه فيراه شاكرًا راضيًا محتسبًا..

مرت الأيام.. ولا تزال صورة فايز مرسومة أمام ناظري..

فإذا كان فايز نجح فى حياته.. وكسب محبة الناس.. وهو أعمى أبكم أصمّ.. فما بالك بمن أعطاه الله لسانًا ناطقًا.. وبصرًا نافذًا.. وسمعًا واعيًا؟!

فاستعمل لسانك فى كسب الناس.. والتحبُّب إليهم..[١].

(١) استمتع بحياتك (ص ٣٥٧-٣٦١).

إنما الأعمال بالخواتيم

۞ قال الإمام ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يا مغرورًا بالأماني! لُعِنَ إبليس وأُهْبط من منزل العز بترك سجدة واحدة أُمر بها، وأُخرج آدم من الجنة بلقمة تناولها، وحجب القاتل عنها بعد أن رآها عيانًا بملء كَفٍّ من دمٍ، وأمر بقتل الزانى أشنع القتلات بإيلاج قدر الأنملة فيما لا يحل، وأمر بإيساع الظهر سياطًا بكلمة قذف أو بقطرة من مُسكرٍ، وأبان عضوًا من أعضائك بثلاثة دراهم؟! فلا تأمنه أن يحبسك فى النار بمعصية واحدة من معاصيه. ﴿وَلَا يَخَافُ عُقْبَٰهَا﴾[1].

ودخلت امرأةٌ النار فى هرة[2]، وإن الرجل ليتكلم بالكلمة لا يلقى لها بالًا يهوى بها فى النار أبعد ما بين المشرق والمغرب[3].

«إِنَّ الرَّجُلَ لَيَعْمَلُ عَمَلَ أَهْلِ الجَنَّةِ، فِيمَا يَبْدُو لِلنَّاسِ، وَهُوَ مِنْ أَهْلِ النَّارِ، وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَعْمَلُ عَمَلَ أَهْلِ النَّارِ، فِيمَا يَبْدُو لِلنَّاسِ، وَهُوَ مِنْ أَهْلِ الجَنَّةِ»[4][5].

۞ وكان لهذا الحديث قصة عجيبة.

عَنْ سَهْل بْنِ سَعْدٍ السَّاعِدِى رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ الْتَقَى هُوَ وَالْمُشْرِكُونَ، فَاقْتَتَلُوا، فَلَمَّا مَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِلَى عَسْكَرِهِ، وَمَالَ الآخَرُونَ

(١) سورة الشمس: الآية: (١٥).

(٢) متفق عليه: رواه البخارى (٢٣٦٥) كتاب المساقاة، ومسلم (٢٢٤٢) كتاب السلام.

(٣) متفق عليه: رواه البخارى (٦٤٧٧) كتاب الرقائق، ومسلم (٢٩٨٨) كتاب الزهد والرقائق.

(٤) متفق عليه: رواه البخارى (٦٤٩٣) كتاب الرقاق، ومسلم (١١٢) كتاب الإيمان.

(٥) الفوائد (ص ٦٢).

إِلَى عَسْكَرِهِمْ، وَفِى أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ ﷺ رَجُلٌ لَا يَدَعُ لَهُمْ شَاذَّةً إِلَّا اتَّبَعَهَا يَضْرِبُهَا بِسَيْفِهِ، فَقَالُوا: مَا أَجْزَأَ مِنَّا الْيَوْمَ أَحَدٌ كَمَا أَجْزَأَ فُلَانٌ ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**أَمَا إِنَّهُ مِنْ أَهْلِ النَّارِ**»، فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الْقَوْمِ: أَنَا صَاحِبُهُ أَبَدًا، قَالَ: فَخَرَجَ مَعَهُ، كُلَّمَا وَقَفَ وَقَفَ مَعَهُ، وَإِذَا أَسْرَعَ أَسْرَعَ مَعَهُ، قَالَ: فَجُرِحَ الرَّجُلُ جُرْحًا شَدِيدًا، فَاسْتَعْجَلَ الْمَوْتَ، فَوَضَعَ نَصْلَ سَيْفِهِ بِالْأَرْضِ وَذُبَابَهُ بَيْنَ ثَدْيَيْهِ، ثُمَّ تَحَامَلَ عَلَى سَيْفِهِ، فَقَتَلَ نَفْسَهُ، فَخَرَجَ الرَّجُلُ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ ، فَقَالَ: أَشْهَدُ أَنَّكَ رَسُولُ اللهِ، قَالَ: «**وَمَا ذَاكَ؟**» قَالَ: الرَّجُلُ الَّذِى ذَكَرْتَ آنِفًا: «**أَنَّهُ مِنْ أَهْلِ النَّارِ**»، فَأَعْظَمَ النَّاسُ ذَلِكَ، فَقُلْتُ: أَنَا لَكُمْ بِهِ، فَخَرَجْتُ فِى طَلَبِهِ حَتَّى جُرِحَ جُرْحًا شَدِيدًا، فَاسْتَعْجَلَ الْمَوْتَ فَوَضَعَ نَصْلَ سَيْفِهِ بِالْأَرْضِ وَذُبَابَهُ بَيْنَ ثَدْيَيْهِ، ثُمَّ تَحَامَلَ عَلَيْهِ فَقَتَلَ نَفْسَهُ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ عِنْدَ ذَلِكَ: «**إِنَّ الرَّجُلَ لَيَعْمَلُ عَمَلَ أَهْلِ الْجَنَّةِ فِيمَا يَبْدُو لِلنَّاسِ، وَهُوَ مِنْ أَهْلِ النَّارِ، وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَعْمَلُ عَمَلَ أَهْلِ النَّارِ فِيمَا يَبْدُو لِلنَّاسِ، وَهُوَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ**»[١].

---

(١) **متفق عليه**: رواه البخارى (٦٤٩٣) كتاب الرقاق، ومسلم (١١٢) كتاب الإيمان.

أيها المحزون .. لا تحزن

۞ إن كنت تعلم أنك أخذتَ على الدهر عهدًا أن يكونَ لك كما تريد فى جميع شؤونك وأطوارك وألا يعطيك ولا يمنعك إلا كما تحب وتشتهى، فجديرٌ بك أن تُطلق لنفسك فى سبيل الحزن عنانها كلما فاتك مأربٌ أو استعصى عليك مطلب.

وإن كنت تعلم أخلاق الأيام فى أَخْذِها وردِّها وعطائها ومنعها، وأنها لا تنام عن منحةٍ تمنحها، حتى تكرَّ عليها راجعة فتستردها وأن هذه سنتها وتلك خلّتها فى جميع أبناء آدم، سواء فى ذلك ساكن القصر وساكن الكوخ، ومن يطأ بنعله هام الجوزاء ومن ينام على بساط الغبراء ... فخفِّض من حزنك، وكفكِف من دمعك فما أنت بأول غرض أصابه سهم الزمان. وما مصابك بأول بدعة طريفة فى جريدة المصائب والأحزان.

أنت حزين لأن نجمًا زاهرًا من الأمل كان يتراءى لك فى سماء حياتك فيملأ عينيك نورًا، وقلبك سرورًا، وما هى إلا كرةُ الطرف أن افتقدته فما وجدته ولو أنك أجملتَ فى أملك لما غلوتَ فى حزنك، ولو أنت أمعنت نظرك فيما تراءى لك، لرأيت برقًا خاطفًا ما تظنه نجمًا زاهرًا، وهنالك لا يبهرك طلوعه، فلا يفجعك أُفوله.

أسعد الناس فى هذه الحياة من إذا وافته النعمة تَنكَّر لها، ونظر إليها نظرة المتسريب بها، وترقَّب فى كل ساعة زوالها وفناءها، فإن بقيت فى يده فذاك، وإلا فقد أعدَّ لفراقها عُدَّته من قبل.

لولا السرور في ساعة الميلاد ما كان البكاء في ساعة الموت، ولولا الوثوق بدوام الغِنى ما كان الجزعُ من الفقر، ولولا فرحة التلاق، ما كانت ترحة الفراق[١][٢].

(١) النظرات للمنفلوطي (١/ ٦٢، ٦٣).

(٢) لا تحزن وكن مطمئنًا (ص ٢٠٦ - ٢٠٧).

أطول الناس أعناقًا يوم القيامة

۞ عن معاوية رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**المؤذنون أطول الناس أعناقًا يوم القيامة**»(١).

وعن عبد الله بن عبد الرحمن بن أبى صعصعة أن أبا سعيد الخدرى رضي الله عنه قال له: إنى أراك تحب الغنم والبادية فإذا كنت فى غنمك أو باديتك فأذَّنت للصلاة فارفع صوتك بالنداء فإنه «لا يسمع مدى صوت المؤذن جنٌّ ولا إنس ولا شىء إلا شهد له يوم القيامة» قال أبو سعيد: سمعته من رسول الله ﷺ(٢).

وقال رسول الله ﷺ: «**المؤذنُ يُغفرُ له مدَّ صوته، وأجرهُ مثلُ أجر من صلى معهُ**»(٣).

۞ وها أنا أُقرب لك تلك الصورة الجميلة أيها المؤذن ... فإنك إذا أذَّنت لصلاة العشاء وصلى معك ١٢٠ من المؤمنين والمؤمنات فكأنك قمت الليل شهرين كاملين؛ لأن من صلى العشاء فى جماعة فكأنما قام نصف الليل، وأنت أيها المؤذن الذى دللت هؤلاء المصلين على هذا الخير بأذانك.

وإذا أذَّنت لصلاة الفجر وصلى معك ١٢٠ من المؤمنين والمؤمنات فكأنك قمت الليل أربعة أشهر؛ لأن من صلى الفجر فى جماعة فكأنما قام

---

(١) صحيح: رواه مسلم (٣٨٧) كتاب الصلاة.

(٢) صحيح: رواه البخارى (٦٠٩) كتاب الأذان.

(٣) صحيح: رواه الطبرانى فى الكبير، وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (٦٦٤٣).

الليل كله فما ظنك إذا أذنت وصلى خلفك خمسة آلاف أو عشرة آلاف.

۞ ومن أجل ذلك تنافس أصحاب النبى ﷺ على الأذان كما فعل الصحابة يوم القادسية بعد أن أُصيب المؤذن فتشاحَّ الناس فى الأذان، فاختصموا إلى سعد بن أبى وقاص رضي الله عنه فأقرع بينهم، مما دفع الإمام البخارى إلى أن يورد ذلك فى صحيحه (باب الاستهام فى الأذان، ويذكر أن أقوامًا اختلفوا فى الأذان فأقرع بينهم سعد).

عن أبى هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**لو يعلم الناس ما فى النداء والصف الأول ثم لم يجدوا إلا أن يستهموا عليه لاستهموا**[١] **عليه، ولو يعلمون ما فى التهجير**[٢] **لاستبقوا إليه، ولو يعلمون ما فى العتمة والصبح لأتوهما ولو حبوًا**»[٣].

۞ **وعن عبد لله بن عمرو** رضي الله عنهما: أن رجلًا قال: يا رسول الله إن المؤذنين يفضلوننا. فقال رسول الله ﷺ: «**قل كما يقولون، فإذا انتهيت فسَلْ؛ تُعطَه**»[٤].

۞ **وتأمل معى ما قاله الإمام حسن البنا** رحمه الله:

«وكنت أجد سعادة كبيرة وارتياحًا غريبًا حين أوقظ المؤذنين لأذان

(١) الاستهام: الاقتراع. قوله: «لاستهموا» يعنى: لاقترعوا؛ لأن كلاً من الناس إذا علم تحقق ما فى الأذان من عظيم الأجر وجزيل الثواب أحب أن يختص بالأذان، وغيره أيضًا يحب ذلك، فوجبت القرعة لقطع المنازعة بينهم والاختلاف، ولكنهم لا يعلمون ما فيه من الثواب. انظر المتجر الرابح فى ثواب العمل الصالح ص: (٤٠) للإمام شرف الدين الدمياطى.

(٢) والتهجير: التبكير إلى الصلاة.

(٣) متفق عليه: رواه البخارى (٦١٥) كتاب الأذان، ومسلم (٤٣٧) كتاب الصلاة.

(٤) حسن صحيح: رواه أبو داود والنسائى وحسنه الألبانى فى صحيح الترغيب والترهيب (٢٥٦).

الصبح ثم أقف بعد ذلك فى هذه اللحظة السحرية الساحرة على نهر النيل، وأُصغى إلى الأذان ينطلق من حناجرهم فى وقتٍ واحد؛ إذ كانت المساجد على مسافات متقاربة فى القرية، ويخطر فى بالى أننى سأكون سببًا ليقظة هذا العدد من المصلين وأن لى مثل ثوابهم»[1].

(١) مذكرات الدعوة والداعية (ص ٣٦) الإمام حسن البنا.

النور التام يوم القيامة

❁ **قال النبى ﷺ: «بشِّر المشائين فى الظُّلَم إلى المساجد بالنور التام يوم القيامة»**[(١)].

والنور على قدر الظُّلمة، فمن كَثُرَ سَيره فى ظلام الليل على الصلاة عَظُمَ نوره وعَمَّ ضياؤه يوم القيامة، والمؤمن يعلم أن مقاساة الظلمة هنا هى ثمن النور هناك، وأن سيره فى ظلمة الليل إلى المساجد إنما يدخر الأنوار له ليوم تضيء فيه الصراط فيعبره إلى الجنة.

وليست أنوار المؤمنين يوم القيامة على درجة واحدة من الشدة والقوة، بل تتفاوت بتفاوت الإيمان،.... قال رسول الله ﷺ «**فيُعطَون نورهم على قدر أعمالهم فمنهم من يُعطَى نوره مثل الجبل بين يديه، ومنهم من يُعطَى نوره فوق ذلك، ومنهم من يُعطَى نوره مثل النخلة بيمينه، ومنهم من يُعطَى نوره دون ذلك بيمينه، حتى يكون آخر مَن يُعطَى نوره على إبهام قدمه يضيء مرة ويطفيء مرة**»[(٢)][(٣)].

---

(١) صحيح: رواه أبو داود والترمذى وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (٢٨٢٣).

(٢) صحيح: رواه الحاكم عن ابن مسعود، وأورده الألبانى فى شرح الطحاوية ص (٤٦٩).

(٣) صفقات رابحة (ص ٤٧ – ٤٨).

صغار الأمور وكبارها

۞ **أخرج ابن عساكر عن الشعبي قال:** «دُهاة العرب أربعة: معاوية، وعمرو ابن العاص، والمغيرة بن شعبة، وزياد، فأما معاوية فللحلم والأناة، وأما عمرو فللمعضلات، وأما المغيرة فللمبادهات، وأما زياد فللكبيرة والصغيرة».

وقال الأصمعي: «كان معاوية رضي الله عنه يقول: أنا للأناة، وعمرو للبديهة، وزياد للصغار والكبار، والمغيرة للأمر العظيم».

وجاء في كتب السير والأدب أن عبد الله بن قاسم بن طولون كاتب العباس بن أحمد بن طولون قال: «بعث إليَّ أحمد بن طولون بعد أن مضى من الليل نصفُه فوافيته وأنا منه خائفٌ مذعور.

ودخل الحاجب بين يدي وأنا في أثره، حتى أدخلني إلى بيت مظلم، فقال لي: سلِّم على الأمير! فسلمت، فقال لي ابن طولون من داخل البيت وهو في الظلام: لأي شيء يصلح هذا البيت؟ قلت: للفكر، قال: ولِمَ؟ قلت: لأنه ليس فيه شيءٌ يشغل الطرف بالنظر فيه. قال: أحسنت! امض إلى ابني العباس، فقل له: يقول لك الأمير اغدُ عليَّ، وامنعه من أن يأكل شيئًا من الطعام إلى أن يجيئني؛ فيأكل معي، فقلت: السمع والطاعة.

وكان العباس قليل الصبر على الجوع؛ فرام شيئًا يسيرًا قبل ذهابه إلى أبيه؛ فمنعته؛ فركب إليه، وجلس بين يديه، وأطال أحمد بن طولون عمدًا، حتى علم أن العباس قد اشتد جوعه، وأُحضرت مائدة ليس عليها إلا البوارد من البقول المطبوخة؛ فانهمك العباس في أكلها؛ لشدة جوعه، حتى

شبع من ذلك الطعام، وأبوه متوقف عن الانبساط فى الأكل، فلما علم أنه قد امتلأ من ذلك الطعام أمرهم بنقل المائدة، وأحضر كل لون طيب من الدجاج، والبط والجدى، والخروف؛ فانبسط أبوه فى جميع ذلك فأكل، وأقبل يضع بين يدى ابنه منه؛ فلا يمكنه الأكل؛ لِشبَعه.

قال له أبوه: إننى أردت تأديبك فى يومك هذا بما امتحنتك به.

لا تُلقِ بهمتك على صغار الأمور بأن تُسهِّل على نفسك تناول يسيرها؛ فيمنعك ذلك من كبارها، ولا تشتغل بما يقل قدرُه؛ فلا يكون فيك فضل لما يعظم قدره». اهـ.

فما مضى ذكره من الأخبار إنما هو نزرٌ يسير مما ورد من هذا المعنى فى كتب السير والتراجم.

وهذه الأخبار تشير إلى معانٍ عظيمة قد تغيب عن بال كثير من الناس؛ فتجد من يشغله أتفه سبب؛ فيغلق عليه ذهنه، ويأخذ بمجامع قلبه.

وقد يكون ذلك الإنسان عظيمًا، أو مؤهلًا للعظمة، ثم تراه يشغل نفسه بأمورٍ صغيرة فتأخذ بلُبِّه، وتشغل وقته، وتستنفد طاقته، وتقطعه عن مصالح كثيرة كبيرة،... كحال بعض التجار على سبيل المثال حيث تراه يشغل نفسه بأمور، صغيرة فى ميدان تجارته فتنال نيلها من أعصابه وجهده ووقته.

ولو أنه وكل تلك الأمور الصغيرة إلى غيره ممن هم تحت يده، لكان خيرًا له، وأزكى لتجارته.

وقل مثل ذلك فى شأن من يتولى ولاية؛ حيث ترى بعضهم يهلك نفسه فى أمورٍ صغيرة، فإذا دهمته عظام الأمور لم يعد فيه بقيةٌ من جهدٍ لمواجهتها.

وترى فى الناس من هو خلاف ذلك؛ فتجده لا يأبه للأمور اليسيرة، واللفتات الحانية، والجوانب الإنسانية التى ترفع من قدره، وتكمل عظمته، وتنهض بمروءته.

وترى مَن هذه حاله يعتذر لنفسه بأنه مشغول بأمور عظيمة كبيرة؛ لذا تراه لا يأبه بمحادثة الصغير، وملاحظة الغريب والتواضع للمسكين.

والذى تقتضيه الحكمة أن يفرغ المرء نفسه لكبار الأمور، ولا ينسى مع ذلك أن يقوم بصغارها، من غير أن يعطيها أكبر من حجمها.

وهكذا كان حال النبى ﷺ حيث كان يقوم بالمصالح العُليا، ويعنى بشؤون الأمة، وبتبليغ الدعوة، والجهاد فى سبيل الله وما جرى مجرى ذلك من الأعمال الجليلة.

ومع ذلك تراه يلاطف الصغير، ويجيب الدعوة، ويمازح أصحابه، ويكون فى مهنة أهله؛ فقد أعطى كل ذى حَقٍّ حقه، وجعل لكل مقام ما يناسبه دون وكسٍ ولا شطط.

ولم يكن أحدٌ يلهيه عن أحدٍ   كأنه والدٌ والناسُ أطفالُ

ومن أعجب من رأيت فى هذا العصر ممن يمثل هذا المعنى، ويسير على هذا النمط سماحة شيخنا الإمام الشيخ عبد العزيز بن عبد الله ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ .

وهذا سرٌّ من أسرار عظمته وألمعيته ولطائف سيرته وأسباب تميزه وحلوله فى سواد العيون، وسويداء القلوب؛ ففى الوقت الذى يقوم فيه بجلائل الأعمال، من مراسلات لكبار المسؤولين، ومناصحة لرؤساء الدول، واستقبال للوفود من أعلى المستويات، وقيام بالدروس والفتوى،

والردود على الأسئلة المتتابعة، ورئاسة الاجتماعات فى الرابطة أو الهيئة أو غيرهما، ونحو ذلك من الأعمال التى يترتب عليها المصالح العامة للأمة، لا تراه يهمل دقائق الأمور، وصغارها؛ بحجة اشتغاله بما هو أهم، بل تراه يسمع سؤال المرأة ويستقبل الفقير المسكين، ويجيب عما يورد عليه عبر الهاتف ولو كان يسيرًا، بل تراه يداعب قائد سيارته، والعاملين معه، ويسألهم عن أحوالهم، وأحوال ذويهم، بل لا يغفل عن الثناء على طباخ المنزل على الوجبات التى يعدها، ولا ينسى مداعبة الصغار، والقيام بحقوق الأهل، وهكذا كانت حاله مع الناس؛ فكل يعطيه حقه، ويُنزله منزلته.

و﴿ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ﴾ ﴿وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾[1].

---

(١) خواطر (ص ١٨٤- ١٨٧).

أفضل الذكر

۞ يا من تريد السعادة الحقيقية عليك بذكر الله (جل وعلا) أما سمعت قول الله (جل وعلا): ﴿أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ﴾[1].

وقال تعالى: ﴿فَٱذْكُرُونِىٓ أَذْكُرْكُمْ﴾[2].

وقال تعالى: ﴿وَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾[3].

وقال تعالى: ﴿وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾[4].

۞ **وعن أبى موسى الأشعرى رضي الله عنه، عن النبى ﷺ، قال: «مثل الذى يذكر ربه والذى لا يذكره، مثل الحى والميت»[5].**

ورواه مسلم فقال: «مثل البيت الذى يُذكر الله فيه، والبيت الذى لا يُذكر الله فيه، مثل الحى والميت»[6].

۞ **وعن عبد الله بن بسر رضي الله عنه أن رجلًا قال: يا رسول الله، إن شرائع الإسلام قد كثرت علىَّ، فأخبرنى بشىء أتشبث به قال: «لايزال لسانك رطبًا من ذكر الله»[7].**

---

(١) سورة الرعد: الآية: (٢٨).

(٢) سورة البقرة: الآية: (١٥٢).

(٣) سورة الجمعة: الآية: (١٠).

(٤) سورة الأحزاب: الآية: (٣٥).

(٥) صحيح: رواه البخارى (٦٤٠٧) كتاب الدعوات، ومسلم (٧٧٩) كتاب صلاة المسافرين.

(٦) صحيح: رواه مسلم (٧٧٩) كتاب صلاة المسافرين وقصرها.

(٧) صحيح: رواه الترمذى (٣٣٧٥) كتاب الدعوات، وابن ماجه (٣٧٩٣) كتاب الأدب، من حديث عبد الله بن بسر رضي الله عنه، وصححه الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٧٧٠٠).

۞ وعن جابر رضي الله عنه، عن النبى ﷺ قال: «من قال: سبحان الله العظيم وبحمده، غُرست له نخلة فى الجنة»(١).

۞ وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لقيت إبراهيم ﷺ ليلة أُسرى بى فقال: يا محمد أقرئ أمتك منى السلام، وأخبرهم أن الجنة طيبة التربة، عذبة الماء، وأنها قيعان وأن غراسها: سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر»(٢).

۞ وعن أبى الدرداء رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ألا أنبئكم بخير أعمالكم، وأزكاها عند مليككم، وأرفعها فى درجاتكم، وخير لكم من إنفاق الذهب والفضة، وخير لكم من أن تلقوا عدوكم، فتضربوا أعناقهم، ويضربوا أعناقكم؟» قالوا: بلى، قال: «ذكر الله تعالى»(٣).

۞ قال الإمام ابن القيم رحمه الله:

من الذاكرين من يبتدئ بذكر اللسان وإن كان على غفلة، ثم لا يزال فيه حتى يحضر قلبه فيتواطأ على الذكر.

ومنهم من لا يرى ذلك ولا يبتدئ على غفلة بل يسكن حتى يحضر قلبه فيشرع فى الذكر بقلبه، فإذا قوى استتبع لسانه فتواطآ جميعًا.

فالأول ينتقل الذكر من لسانه إلى قلبه، والثانى ينتقل من قلبه إلى

(١) صحيح: رواه الترمذى (٣٤٦٤، ٣٤٦٥) كتاب الدعوات، من حديث جابر بن عبدالله رضي الله عنهما، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى السلسلة الصحيحة (٦٤).

(٢) حسن: رواه الترمذى (٣٤٦٢) كتاب الدعوات، من حديث ابن مسعود رضي الله عنه، وحسنه العلامة الألبانى رحمه الله فى السلسلة الصحيحة (١٠٥).

(٣) صحيح: رواه الترمذى (٣٣٧٧) كتاب الدعوات، وابن ماجه (٣٧٩٠) كتاب الأدب، وأحمد (٢١١٩٥)، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٢٦٢٩).

لسانه، من غير أن يخلو قلبه منه، بل يسكن أولًا حتى يحس بظهور الناطق فيه، فإذا أحسَّ بذلك نطق قلبه ثم انتقل النُّطق القلبى إلى الذكر اللسانى، ثم يستغرق فى ذلك حتى يجد كل شىء منه ذاكرًا، ... وأفضلُ الذكرِ وأنفعُهُ ما واطأ فيه القلب اللسان، وكان من الأذكار النبوية، وشهد الذاكرُ معانِيَهُ ومقاصدَه[1].

(١) الفوائد (ص ١٩٦).

البلاء موكّلٌ بالمنطق

۞ اللسان تُرجمانٌ للجَنان، والكلمات إفشاءٌ للنيات، وأهل الإيمان يحرصون على مواقع اللفظ، ونتائج اللسان ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا﴾[1] ولهم كلمات شرعية يفزعون إليها وقت الحاجة.

فإن وقعت كارثة وحلَّت مصيبة وجثمت نكبة قالوا: إنا لله وإنا إليه راجعون وإن خُوِّفوا بمخوف وأُزعجوا بنبأ نادوا: حسبنا الله ونعم الوكيل، وإن عجزوا عن حمل، وضعفوا عن عمل هتفوا: لا حول ولا قوة إلا بالله.

وأهل الشك والنفاق لهم كلمات سخيفة سخف مشاعرهم، متهالكة تهالك مبادئهم، منها قولهم: ﴿لَّوۡ كَانُواْ عِندَنَا مَا مَاتُواْ وَمَا قُتِلُواْ﴾[2].

وقولهم: ﴿لَوۡ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُواْۗ﴾[3]، وقولهم: ﴿مَّا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ إِلَّا غُرُورٗا﴾[4] إلى آخر تلك القائمة اللاغية من التهريج الضال.

وسلامة المنطق من سداد الرأي، وحسن اللفظ من كمال العقل، واصطفاء الكلام من نور البصيرة.

لما طلب أبناء يعقوب عليه السلام منه السماح بيوسف ليصحبهم خاف عليه منهم، وإلا فما أجدر التوكل على الله، وأجلّ الاعتماد عليه؛ وهو عند يعقوب، لكن حب الولد... فقال لهم: ﴿وَأَخَافُ أَن يَأۡكُلَهُ ٱلذِّئۡبُ﴾[5]، ففتح

(١) سورة الأحزاب: الآية: ٧٠.

(٢) سورة آل عمران: الآية: ١٥٦.

(٣) سورة آل عمران: الآية: ١٦٨.

(٤) سورة الأحزاب: الآية: ١٢.

(٥) سورة يوسف: الآية: ١٣.

لهم عُذرًا، وسَنَّ لهم حيلة، فجاؤوا وقالوا: ﴿أَكَلَهُ ٱلذِّئْبُ﴾، ويوسف عليه السلام لما دُعِي للمنكر ﴿قَالَ رَبِّ ٱلسِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِيٓ إِلَيْهِ﴾[1].

قال بعض أهل العلم: بل العفو والعافية أحب من السجن.

فسُجن يوسف، وفي غياهب السجن، وكربة الحبس، قال لصاحبه الخارج من السجن: ﴿ٱذْكُرْنِي عِندَ رَبِّكَ﴾[2] أي عند الملك ... والله عز وجل أقرب مذكور، فكان الجواب: ﴿فَلَبِثَ فِي ٱلسِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ﴾[3].

وفرعون العاتي نادى: ﴿وَهَٰذِهِ ٱلْأَنْهَٰرُ تَجْرِي مِن تَحْتِيٓ﴾[4] فكان الجزاء أن أجراها الله من فوق رأسه غريقًا مدحورًا.

وأحد المنافقين المَرَدة أنطقه نفاقه فقال: ﴿ٱئْذَن لِّي وَلَا تَفْتِنِّيٓ﴾[5].

فأتى الإذن: ﴿أَلَا فِي ٱلْفِتْنَةِ سَقَطُوا۟﴾[6].

فالبلاء مُوكَّلٌ بالمنطق،... الحيطة في اللفظة واجبة وجوب الحذر في الفعل، والاهتمام بالحديث لازم لزوم الاعتناء بالعمل؛ لأن القلوب قدور تغلي مغاريفها الألسنة.

وفي كتاب بزرجمهر: أن صيادًا بحث عن حمامة في غابة، فلما يئس وهَمَّ بالانصراف، صاحت وقالت: ليس هناك حمامة... فصادها.

---

(١) سورة يوسف: الآية: ٣٣.

(٢) سورة يوسف: الآية: ٤٢.

(٣) سورة يوسف: الآية: ٤٢.

(٤) سورة الزخرف: الآية: ٥١.

(٥) سورة التوبة: الآية: ٤٩.

(٦) سورة التوبة: الآية: ٤٩.

وكثير من الرؤوس ما سقطت من على كواهلها إلا بكلمات.

وكم من دماغٍ أُطيح به؛ لأن صاحبه قال جملة غير مفيدة، وكم من عُنقٍ بُتر لأن لسان صاحبه لحن لحنًا فاحشًا لا يُصلحه الخليل ولا سيبويه.

وهل يَكُب الناس فى النار إلا حصائد ألسنتهم: ﴿مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾[1] واللسان ظالم يستحق الحبس قبل الذنب[2].

---

(١) سورة ق: الآية: ١٨.

(٢) حدائق ذات بهجة (ص ٨٥- ٨٧) بتصرف.

فلينظر أحدكم من يخالل

۞ إن المسلم يتأثر بصاحبه تأثُّرًا عجيبًا... ولذلك أمرنا النبي ﷺ ألا نصاحب إلا أهل الإيمان والتقوى ليأخذوا بأيدينا إلى طاعة الله ومرضاته.

وقد وضح النبي ﷺ ذلك بقوله: «**الرجل على دين خليله فلينظر أحدكم من يخالل**»[(١)] - أي: من يصاحب-.

۞ ومن هنا فإنه لابد أن نحرص على صُحبة أهل الصلاح والتقوى الذين يُصلون ويقرأون القرآن ويحبون الله ورسوله ﷺ ويتحلون بالأخلاق الحسنة ويحرصون على طاعة الله (جل وعلا).

ولابد أن نحرص على ألا يدخل بيوتنا إلا الأتقياء حتى نأمن على أنفسنا من الحقد والحسد وإفشاء الأسرار.

ولذا قال النبي ﷺ: «لا تصاحب إلا مؤمنًا ولا يأكل طعامك إلا تقي»[(٢)].

۞ **قال الإمام ابن الجوزى** رَحِمَهُ اللَّهُ:

رأيت نفسي تأنس بخُلطاء نُسميهم أصدقاء، فبحثت بالتجارب عنهم؛ فإذا أكثرهم حُسَّاد على النعم، وأعداء، لا يسترون زلةً، ولا يعرفون لجليسٍ حقًّا، ولا يواسون من مالهم صديقًا. فتأملت الأمر؛ فإذا الحق سبحانه يغار على قلب المؤمن أن يجعل له شيئًا يأنس به، فهو يُكدِّر عليه الدنيا وأهلها، ليكون أُنسه به.

---

(١) صحيح: رواه أبو داود (٤٨٣٢) كتاب الأدب، والترمذي (٢٣٧٨) كتاب الزهد، وصححه العلامة الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ في صحيح الجامع (٣٥٤٥).

(٢) حسن: رواه أبو داود والترمذي وحسنه الألباني في صحيح الجامع (٧٣٤١).

فينبغي أن يعد الخلق كلهم معارف، ليس فيهم صديق، بل تحسبهم أعداءً، ... ولا تُظهر سرك لمخلوقٍ منهم، ولا تُعدَّن مَن يصلح لشدة لا ولدًا ولا أخًا ولا صديقًا؛ بل عاملهم بالظاهر، ولا تخالطهم إلا حالة الضرورة بالتوقِّي لحظة، ثم انفر عنهم.

وأقبِل على شأنك، متوكلًا على خالقك؛ فإنه لا يجلب الخير سواه، ولا يصرف السوء إلا إياه. فليكن جليسك وأنيسك، وموضع توكلك وشكواك، فإن ضعف بصرك، فاستغث به، وإن قَلَّ يقينك، فسله القوة، وإياك أن تميل إلى غيره؛ فإنه غيور، وأن تشكو من أقداره، فربما غضب ولم يعتب.

أوحى الله ﷻ إلى يوسف عليه السلام: مَن خلَّصك من الجُب؟ مَن فعل؟ من فعل؟ قال: أنت. قال: فلِمَ ذكرت غيري؟ فلأطيلن حبسك! أو كما قال.

هذا؛ وإنما تعرض يوسف عليه السلام بسببٍ مباح: ﴿ٱذۡكُرۡنِي عِندَ رَبِّكَ﴾[1][2].



(١) سورة يوسف: الآية: (٤٢).

(٢) صيد الخاطر (ص ٤٥٣).

تصدَّق على العُصاة ليستغنوا عن الحرام

۞ قد يكون هناك إنسان يفعل المعصية؛ لأنه لم يجد من يمد له يد العون لينتشله من الظروف القاسية التى يعيش فيها ... وليس معنى ذلك أن كل مَن كان فى ظروفٍ ماديةٍ قاسيةٍ له العذر فى أن يعصى الله .. كلا .. ولكنى أقصد أن هناك إنسان قد يكون ضحية لتلك الظروف فإذا أعطيناه من زكاتنا وصدقاتنا تغير حاله وأصبح إنسانًا صالحًا.

۞ من أجل ذلك أقول لك: لا تجعل معصية الإنسان حائلًا بينه وبين صدقتك .. فقد يستقيم حاله بسببها...

- لكن إياك أن تعطى إنسانًا يستعين بذلك المال على معصية الله.

۞ وتأمل معى ذلك الحديث لتعرف أنَّ الإنسان قد يتغير حاله بسبب تلك الصدقة.

۞ عَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِى ﷺ قَالَ: «قَالَ رَجُلٌ لأَتَصَدَّقَنَّ اللَّيْلَةَ بِصَدَقَةٍ، فَخَرَجَ بِصَدَقَتِهِ فَوَضَعَهَا فِى يَدِ زَانِيَةٍ، فَأَصْبَحُوا يَتَحَدَّثُونَ تُصُدِّقَ اللَّيْلَةَ عَلَى زَانِيَةٍ، قَالَ: اللهُمَّ، لَكَ الْحَمْدُ عَلَى زَانِيَةٍ، لأَتَصَدَّقَنَّ بِصَدَقَةٍ، فَخَرَجَ بِصَدَقَتِهِ فَوَضَعَهَا فِى يَدِ غَنِى، فَأَصْبَحُوا يَتَحَدَّثُونَ: تُصُدِّقَ عَلَى غَنِى، قَالَ: اللهُمَّ، لَكَ الْحَمْدُ عَلَى غَنِى، لأَتَصَدَّقَنَّ بِصَدَقَةٍ، فَخَرَجَ بِصَدَقَتِهِ فَوَضَعَهَا فِى يَدِ سَارِقٍ، فَأَصْبَحُوا يَتَحَدَّثُونَ: تُصُدِّقَ عَلَى سَارِقٍ، فَقَالَ: اللهُمَّ، لَكَ الْحَمْدُ عَلَى زَانِيَةٍ، وَعَلَى غَنِى، وَعَلَى سَارِقٍ، فَأُتِى فَقِيلَ لَهُ: أَمَّا صَدَقَتُكَ فَقَدْ قُبِلَتْ، أَمَّا الزَّانِيَةُ فَلَعَلَّهَا تَسْتَعِفُّ بِهَا عَنْ زِنَاهَا، وَلَعَلَّ الْغَنِى يَعْتَبِرُ فَيُنْفِقُ مِمَّا أَعْطَاهُ اللهُ، وَلَعَلَّ السَّارِقَ يَسْتَعِفُّ بِهَا عَنْ سَرِقَتِهِ»(١).

---

(١) صحيح: رواه مسلم (١٠٢٢).

الدعاء للعُصاة والكافرين بالهداية

۞ لا بُدَّ أن نتعامل مع العُصاة بكل رفقٍ ورحمة ... فبدلًا من أن ندعو عليهم فلماذا لا ندعو لهم بالهداية.. وبدلًا من أن نتكبر عليهم فلماذا لا نتواضع معهم عسى الله أن يشرح قلوبهم للطاعة.

ولابُدَّ أن نتذكر دائمًا (ونحن ندعو هؤلاء العُصاة) قول الله ﷻ: ﴿كَذَٰلِكَ كُنتُم مِّن قَبْلُ فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْكُمْ فَتَبَيَّنُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾(١).

۞ عن أَبى هُرَيرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَدِمَ طُفَيْلُ بْنُ عَمْرٍو الدَّوْسِى وَأَصْحَابُهُ، عَلَى النَّبِى ﷺ ، فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنَّ دَوْسًا عَصَتْ وَأَبَتْ، فَادْعُ اللهَ عَلَيْهَا، فَقِيلَ: هَلَكَتْ دَوْسٌ، قَالَ: «**اللَّهُمَّ اهْدِ دَوْسًا وَأْتِ بِهِمْ**»(٢).

۞ وَعَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ، إِنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ أُتِى بِرَجُلٍ قَدْ شَرِبَ، فَقَالَ: «**اضْرِبُوهُ**»، قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: فَمِنَّا الضَّارِبُ بِيَدِهِ، وَالضَّارِبُ بِنَعْلِهِ، وَالضَّارِبُ بِثَوْبِهِ، فَلَمَّا انْصَرَفَ، قَالَ بَعْضُ الْقَوْمِ: أَخْزَاكَ اللهُ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**لا تَقُولُوا هَكَذَا، لا تُعِينُوا عَلَيْهِ الشَّيْطَانَ، ولَكِنْ قَولُوا: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لَهُ، اللَّهُمَّ ارْحَمْهُ**»(٣).

---

(١) سورة النساء: الآية: (٩٤).

(٢) صحيح: رواه البخارى (٢٩٣٧).

(٣) صحيح: رواه أبو داود، وصححه الألبانى فى المشكاة (٣٦٢١).

لا تبحث عن المشاكل

۞ أظنه لو أجرى تحليلًا فى مستشفى بدائى لاكتشف فى جسمه عشرة أنواع من الأمراض.. أهونها الضغط والسكر!!

كان المسكين يُعذب نفسه كثيرًا؛ لأنه يطالب الناس بالمثالية التامة..

دائمًا تجده متضايقًا من زوجته.. كسرت الصحن الجديد..

نسيت كنس الصالة.. أحرقت ثوبى الجديد بالمكواة..

وأولاده.. خالد إلى الآن لم يحفظ جدول الضرب..

وسعد.. لم يظفر بتقدير ممتاز.. وسارة.. وهند..

هذا حاله فى بيته.. أما بين زملائه.. فأعظم من ذلك بكثير.. يقول فى نفسه:

أبو عبد الله قصدنى لما ذكر قصة البخيل..!

والبارحة أبو أحمد يعنينى لما تكلم عن السيارات القديمة.. نعم يقصد سيارتي.. نعم.. كان ينظر إليَّ.. إلى آخر مواقف وتفكيرات هذا الرجل المسكين..

قديمًا قالوا فى المثل: إن أطاعك الزمان وإلا أطعه..

۞ أذكر أن أعرابيًّا – من أصدقائى – كان يردد مثلًا حفظه من جَدِّه.. كان يسمعنى إياه كثيراً إذا بدأت أتفلسف عليه ببعض المعلومات..

فكان يُخرج زفيرًا طويييلًا من صدره ثم يقول: يااااشيخ.. اليد اللى ما تقدر تلويها صافحها..!!

وإذا تفكرت فى هذا وجدته صحيحًا.. فنحن إذا لم نُعود أنفسنا على

التسامح وتمشية الأمور.. أو بمعنى آخر التغابي.. وعدم الإغراق في التفسيرات والظنون.. وإلا فسوف نتعب كثيرًا..

ليس الغبي بسيدٍ في قومه لكن سيد قومه المتغابي

۞ أقبل شاب نضر إلى شيخه يلتمس منه أن يساعده في اختيار زوجة تكون رفيقة دربه حتى الممات..

فقال الشيخ: ما هي الصفات التي ترغب وجودها في زوجتك؟

فقال: منظرها جميل.. وقوامها طويل.. وشعرها حرير.. ورائحتها عبير.. لذيذة الطعام.. عذبة الكلام.. إن نظرت إليها سرَّتني.. وإن غبت عنها حفظتني.. لا تخالف لي أمرًا.. ولا أخشى منها شرًّا.. لها دين يرفعها.. وحكمة تنفعها!!

وراح يسرد من صفات الكمال المتفرقة في النساء ويجمعها في امرأة واحدة..

فلما أكثر على الشيخ.. قال له: يا ولدي.. عندي طلبك..

قال: أين؟

قال: في الجنة بإذن الله.. أما في الدنيا فعوِّد نفسك التسامح..

۞ نعم في الدنيا عوِّد نفسك التسامح.. لا تعذب نفسك بالبحث عن مشاكل لإثارتها.. والنقاش حولها.. فيومًا تصرخ في وجه جليس: أنت تقصدني بكلامك؟

ويومًا في وجه ولدك: أنت تريد أن تُحزنني بكسلك؟

ويومًا في وجه زوجتك: أنت تتعمدين إهمال بيتك؟...

وقد كان منهج النبي ﷺ.. التسامح عمومًا.. فكان يستمتع بحياته..

كان يدخل ﷺ على أهله أحيانًا.. فى الضحى.. وهو جائع فيسألهم: «هل عندكم من شيء.. عندكم طعام؟».

فيقولون: لا..

فيقول ﷺ: «إنى إذًا صائم»[١]..

ولم يكن يصنع لأجل ذلك مشاكل.. ما كان يقول: لِمَ لم تصنعوا طعامًا.. لِمَ لم تخبرونى لأشتري... إنى إذًا صائم.. وانتهى الأمر..

وكان فى تعامله مع الناس.. يتعامل بكل سماحة..

۞ كلثوم بن الحصين.. كان من خيار الصحابة.. قال: غزوت مع رسول الله ﷺ غزوة تبوك.. فسرت ذات ليلة معه ونحن بوادى «الأخضر».. وذكر كلثوم القصة وفيها أنهم أطالوا المشي.. فجعل يغلبه النعاس.. وجعلت ناقته تقترب من ناقة النبى ﷺ.. ويستيقظ فجأة.. فيبعدها.. خوفًا من أن يصيب رحل ناقته رجل النبى ﷺ..

حتى غلبته عينه فى بعض الطريق.. فزاحمت راحلته راحلة النبى ﷺ.. وضرب رحلُه رجلَ النبى ﷺ.. فآلمه.. فقال النبى ﷺ مِن حَرِّ ما يجد: «حِسّ».

فاستيقظ كلثوم.. فاضطرب وقال: يا رسول الله.. استغفر لي..

فقال ﷺ بكل سماحة: «سِرْ.. سِرْ..».

نعم: سِرْ.. ولم يعمل قضية.. لماذا تضايقني؟ الطريق واسع! ما الذى جاء بك بجانبي؟! لا.. لم يتعب نفسه.. ضربة رجل.. وانتهت..

كان هذا أسلوبه ﷺ دائمًا..

---

(١) صحيح: رواه مسلم (١١٥٤).

۞ جلس يومًا بين أصحابه.. فأقبلت إليه امرأة ببُردة.. قطعة قماش..

فقالت: يا رسول الله.. إنى نسجت هذه بيدي.. أكسوكها.. فأخذها النبى ﷺ.. وكان مُحتاجًا إليها.. وقام ودخل بيته.. فلبسها.. ثم خرج إلى أصحابه وهى إزاره..

فقال رجل من القوم: يا رسول الله.. اكسُنيها..

فقال ﷺ: «نعم»..

ورجع ﷺ.. فورًا إلى بيته فخلعها وطواها.. ولبس إزارًا قديمًا.. ثم أرسل بها إلى الرجل.. فقال الناس للرجل: ما أحسنت.. سألته إياها وقد علمت أنه لا يرد سائلًا؟!

فقال الرجل: والله ما سألته.. إلا لتكون كفنى يوم أموت.. فلما مات الرجل.. كفَّنه أهله فيها[1].. ما أجمل احتواء الناس بهذه التعاملات..

۞ قام ﷺ يومًا يؤم أصحابه فى صلاة العشاء.. فدخل المسجد طفلان.. الحسن والحسين.. ابنا فاطمة رضي الله عنهما..

فأقبلا إلى جدهما رسول الله ﷺ.. وهو يصلي.. فكان إذا سجد.. وثب الحسن والحسين على ظهره..

فإذا أراد ﷺ أن يرفع رأسه.. تناولهما بيديه من خلفه تناولًا رفيقًا.. ووضعهما عن ظهره.. فجلسا جانبًا..

فإذا عاد لسجوده.. عادا فوثبا على ظهره.. حتى قضى ﷺ صلاته.. فأخذهما بكل رفق.. وأقعدهما على فخذيه..

فقام أبو هريرة ﷺ.. فقال: يا رسول الله.. أردُّهما..؟ يعنى أُعيدهما

(١) صحيح: رواه البخارى (١٩٨٧).

لأمهما..؟ فلم يعجل ﷺ عليهما..

ثم لبث قليلا.. فبرقت برقة من السماء.. فقال لهما ﷺ: «**الحقا بأمكما.. فقاما فدخلا على أُمهما**[(١)]»..

۞ وفي يومٍ آخرٍ.. خرج النبي ﷺ.. على أصحابه في إحدى صلاتي الظهر أو العصر.. وهو حامل الحسن أو الحسين..

فتقدم إلى موضع صلاته.. فوضعه.. ثم كبَّر مصليًا بالناس.. فسجد رسول الله ﷺ سجدة.. أطالها.. حتى خشى عليه أصحابه أن يكون قد أصابه شيء..

ثم رفع من سجوده.. وبعد انتهاء الصلاة.. سأله أصحابه.. قالوا: يا رسول الله.. لقد سجدت في صلاتك هذه سجدة ما كنت تسجدها..!! أشيء أُمرت به؟ أو كان يُوحَى إليك؟

فقال ﷺ: «**كل ذلك لم يكن.. ولكن ابني ارتحلني فكرهت أن أعجله.. حتى يقضي حاجته**»[(٢)]..

۞ ودخل ﷺ يومًا على أم هانئ بنت أبي طالب رضي الله عنها.. وكان جائعًا..

فقال: «**هل عندكِ من طعام نأكله؟**».

فقالت: ليس عندي إلا كسر يابسة.. وإني لأستحي أن أقدمها إليك..

فقال: «**هَلُمِّي بهن**»..

فأتته بهن.. فكسرهن في ماء.. وجاءت بملح فذرته عليه.. فجعل ﷺ.

(١) صحيح: رواه أحمد، وصححه الألباني في الصحيحة (٣٣٢٥).

(٢) صحيح: رواه النسائي، وأحمد، وصححه الألباني في صفة الصلاة (١٤٨).

يأكل هذا الخبز مخلوطًا بالماء.. فالتفت إلى أم هانئ وقال: «هل من إدام؟».

فقالت: ما عندى يا رسول الله إلا شيء من «خلّ»..

فقال: «هَلُمِّيه».. فجاءته به.. فصبَّه على طعامه.. فأكل منه.. ثم حمد الله عز وجل.. ثم قال: «نِعم الإدام الخل»[١]..

نعم.. كان يعيش حياته كما هي.. يتقبل الأمور بحسب ما هى عليه..

۞ وفى رحلة الحج.. خرج ﷺ مع أصحابه.. فنزلوا منزلًا.. فذهب النبى ﷺ فقضى حاجته.. ثم جاء إلى حوض ماء فتوضأ منه.. ثم قام ﷺ يصلي..

جاء جابر بن عبد الله رضي الله عنه.. فوقف عن يسار رسول الله ﷺ.. وكبّر مصليًا معه.. فأخذ النبى ﷺ بيده.. فأداره بهدوء حتى أقامه عن يمينه..

ومضيا فى صلاتهما..

فجاء جبار بن صخر رضي الله عنه.. فتوضأ.. ثم أقبل فقام عن يسار رسول الله ﷺ.. فأخذ ﷺ بأيديهما جميعًا.. - بكل هدوء - فدفعهما حتى أقامهما خلفه[٢]..

۞ وفى يوم كان ﷺ جالسًا.. فأقبلت إليه أم قيس بنت محصن بابنٍ لها حديث الولادة.. ليُحنكه ويدعو له..

فأخذه ﷺ فجعله فى حجره.. فلم يلبث الصغير أن بال فى حجر النبى ﷺ.. وبلل ثيابه بالبول..

---

(١) رواه الطبرانى فى الأوسط، وأصله فى الصحيحين.

(٢) رواه مسلم (٣٠١٠).

فلم يَزِد النبى ﷺ على أن دعا بماء فنضحه على أثر البول[1].. وانتهى الأمر..

لم يغضب.. ولم يعبس.. فلماذا نُعذب نحن أنفسنا ونصنع من الحبة قُبة.. ليس شرطًا أن يكون كل ما يقع حولك مرضيًا لك ١٠٠٪..

وإن تجد عيبًا فسدَّ الخللا جَلَّ مَن لا عيب فيه وعلا

بعض الناس يحرق أعصابه.. ويُكبر القضايا.. وبعض الآباء والأمهات كذلك.. وربما بعض المدرسين والمدرسات كذلك..

ولا تفتش عن الأخطاء الخفية.. وكن سمحًا فى قبول أعذار الآخرين.. خاصة من يعتذرون إليك حفاظًا على محبتهم معك.. لا لأجل مصالح شخصية..

اقبل معاذير من يأتيك معتذرًا إن برَّ عندك فيما قال أو فجرا
فقد أطاعك مَن يرضيك ظاهره وقد أجلَّك من يعصيك مُستترا

وانظر إلى رسول الله ﷺ.. وقد رقى منبره يومًا.. وخطب بأصحابه فرفع صوته حتى أسمع النساء العواتق فى خدورها داخل بيوتهن..!! تُرى ماذا قال؟!

قال ﷺ: **«يا معشر من آمن بلسانه ولم يدخل الإيمان إلى قلبه: لا تغتابوا المسلمين.. ولا تتبعوا عوراتهم.. فإنه من يتبع عورة أخيه.. يتبع الله عورته.. ومن يتبع الله عورته.. يفضحه ولو فى جوف بيته»**[2]..

(١) رواه مسلم (٢٨٧).

(٢) صحيح: رواه الترمذى، وأبو داود، وأحمد، وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (٧٩٨٥).

نعم لا تتصيد الأخطاء.. ولا تتبع العورات.. كن سمحًا..

كان ﷺ حريصًا على عدم إثارة المشكلات أصلًا..

فى مجلس هادئ مع بعض أصحابه.. صَفَتْ فيه النفوس.. واطمأنت القلوب.. قال ﷺ لأصحابه: «**ألا لا يُبلغنى أحدٌ منكم عن أحدٍ من أصحابى شيئًا.. فإنى أُحب أن أخرج إليكم وأنا سليم الصدر**»[1][2].

(١) أخرجه أبو داود والترمذى وأحمد، وضعفه الألبانى فى ضعيف الجامع (٦٣٢٢).

(٢) استمتع بحياتك (ص ٢١٦-٢٢١)

من كان آخر كلامه (لا إله إلا الله)

❁ قال الله تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِى ٱلسَّمَآءِ ﴿٢٤﴾ تُؤْتِىٓ أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍۭ بِإِذْنِ رَبِّهَا ۗ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴾(١).

عن أبى هريرة رضي الله عنه أنه قال: قيل: يا رسول الله! من أسعد الناس بشفاعتك يوم القيامة؟ قال رسول الله ﷺ: «**لقد ظننت يا أبا هريرة أن لا يسألنى عن هذا الحديث أحدٌ أول منك لما رأيت من حرصك على الحديث.. أسعد الناس بشفاعتى يوم القيامة من قال: لا إله إلا الله خالصًا من قلبه - أو - نفسه**»(٢).

وقال ﷺ: «**ما قال عبدٌ لا إله إلا اللهُ قطُّ مخلصًا، إلا فُتحتُ لهُ أبوابُ السماء، حتى تُفضى إلى العرش، ما اجتَنَب الكبائر**»(٣).

وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «**ألا أخبركم بوصية نوحٍ ابنه؟**». قالوا: بلى. قال: «**أوصى نوحُ ابنه، فقال لابنه: يا بنى! إنى أوصيك باثنتين، وأنهاك عن اثنتين، أوصيك بقول: (لا إله إلا الله)؛ فإنها لو وُضعت فى كفة، ووضعت السموات والأرض فى كفة، لرجحت بهن، ولو كانت حلقةً لقصمتهُن حتى تَخلص إلى الله**» فذكر الحديث(٤).

❁ وقد أخبر النبى ﷺ عن فضل من كان آخر كلامه (لا إله إلا الله):

---

(١) سورة إبراهيم: الآيتان: (٢٤-٢٥).

(٢) صحيح: رواه البخارى (٩٩) كتاب العلم.

(٣) حسن: رواه الترمذى، وحسنه الألبانى فى صحيح الجامع (٥٦٤٨).

(٤) صحيح لغيره: رواه البزار، وصححه الألبانى فى صحيح الترغيب (١٥٣٠).

قال ﷺ: «مَنْ كانَ آخر كَلامِه لا إلَه إلّا الله، دَخلَ الجنَّة»(١).

۞ قال الإمام ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ:

لشهادة «لا إله إلا الله» عند الموت تأثير عظيم فى تكفير السيئات وإحباطها؛ لأنها شهادة من عبدٍ؛ موقن بها؛ عارفٍ بمضمونها؛ قد ماتت منه الشهوات، ولانت نفسُه المتمردة، وانقادت بعد إبائها واستعصائها، وأقبلت بعد إعراضها، وذلَّت بعد عزها، وخرج حرصها على الدنيا وفضولها، واستخذت بين يدى ربها وفاطرها ومولاها الحق أذل ما كانت له، وأرجى ما كانت لعفوه ومغفرته ورحمته، وتجرَّد منها التوحيد بانقطاع أسباب الشرك وتحقُّق بُطلانه، فزالت منها تلك المنازعات التى كانت مشغولة بها، واجتمع هَمُّها على من أيقنت بالقدوم عليه والمصير إليه، فوجَّه العبد وجهه بكليته إليه، وأقبل بقلبه وروحه وهَمِّه عليه، فاستسلم له وحده ظاهرًا وباطنًا، واستوى سرُّه وعلانيته، فقال: «لا إله إلا الله» مخلصًا؛ من قلبه، وقد تخلّص قلبُهُ من التعلُّقِ بغيره والالتفات إلى ما سواه.

قد خرجت الدنيا كلها من قلبه، وشارف القدومَ على ربه، وخمدت نيرانُ شهواته، وامتلأ قلبه من الآخرة، فصارت نُصْبَ عينيه، وصارت الدنيا وراء ظهره، فكانت تلك الشهادة الخالصة خاتمة عمله، فطهرته من ذنوبه، وأدخلته على ربه؛ لأنه لقى ربه بشهادةٍ صادقة خالصة، وافق ظاهرُها باطنَهَا وسرُّها علانِيَتَهَا.

فلو حصلت له الشهادة على هذا الوجه فى أيام الصحة؛ لاستوحش من الدنيا وأهلها، وفَرَّ إلى الله من الناس، وأَنِس به دون ما سواه، لكنه شهد بها

(١) صحيح :رواه أحمد، وأبو داود، والحاكم، وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (٦٤٧٩).

بقلبٍ مشحونٍ بالشهوات وحب الحياة وأسبابها، ونفسٍ مملوءةٍ بطلب الحظوظ والالتفات إلى غير الله؛ فلو تجردت كتجرُّدِها عند الموت؛ لكان لها نبأٌ آخر وعيشٌ آخر سوى عيشها البهيمي. والله المستعان.

ماذا يملك مِنْ أمره مَنْ ناصيته بيد الله، ونفسُه بيده، وقلبه بين أصبعين من أصابعه يقلبه كيف يشاء[1]، وحياته بيده، وموته بيده، وسعادته بيده، وشقاوته بيده، وحركاته وسكناته، وأقواله وأفعاله بإذنه ومشيئته، فلا يتحرك إلا بإذنه، ولا يفعل إلا بمشيئته.

إن وَكَله إلى نفسه؛ وَكَله إلى عجزٍ وضيعة وتفريط وذنب وخطيئة، وإن وكله إلى غيره؛ وكله إلى من لا يملك له ضرًّا ولا نفعًا ولا موتًا ولا حياةً ولا نشورًا، وإن تخلى عنه؛ استولى عليه عدُوُّه، وجعله أسيرًا له. فهو لا غنى له عنه طرفة عين، بل هو مضطر إليه على مدى الأنفاس في كل ذرة من ذراته باطنًا وظاهرًا،... فاقته تامة إليه.

ومع ذلك؛ فهو متخلف عنه، مُعرِضٌ عنه، يتبغض إليه بمعصيته، مع شدة الضرورة إليه من كل وجه، قد صار لذكره نَسيًّا، واتخذه وراءه ظِهريًّا، هذا؛ وإليه مرجعه وبين يديه موقفه؟![2].



(١) صحيح: أخرجه مسلم (٢٦٥٤) كتاب القدر.

(٢) الفوائد (ص٥٤-٥٥).

لا تَعِبْ أحدًا

۞ علمتنى الحياة فى ظل العقيدة ألا أعيب أحدًا ما استطعت إلى ذلك سبيلًا وأن أشتغل بإصلاح عيوبى، وإنها لكبيرة جِدُّ كبيرة،... أما يستحى من يعيب الناس وهو مَعيبْ.

مَن ذا الذى تُرجى سجاياه كلها ... كفى بالمرء أن تُعَدَّ معايبه

من ذا الذى ما ساء قط ... ومن له الحُسنى فقط

تريد مُبرأً لا عيب فيه ... وهل نارٌ تفوح بلا دخان

ها هو عمر بن عبد العزيز عليه رحمة الله ورضوانه يختار جُلساءه اختيارًا ويشترط عليهم شروطًا فكان من شروطه أن لا تغتابوا ولا تعيبوا أحدًا فى مجلسى حتى تنصرفوا.

السهل أهون مسلكًا ... فدع الطرق الأوعرَ

واحفظ لسانك تسترح ... فلقد كفى ما قد جرى

وهذا ابن سيرين عليه رحمة الله كان إذا ذُكر فى مجلسه رجل بسيئة بادر فذكره بأحسن ما يعلم من أمره، فيذُبّ عن عِرضه فيذُبّ الله ﷻ عن عرضه... سمع يومًا أحد جُلسائه يَسُب الحجَّاج بعد وفاته، فأقبل مُغضَبًا، وقال: صهٍ يا ابن أخى، فلقد مضى الحجاج إلى ربه، وإنك حين تَقْدُم على الله ستجد أن أحقر ذنب ارتبكته فى الدنيا أشد على نفسك من أعظم ذنب اجترحه الحجاج، ولكلٍّ منكما يومئذٍ شأنٌ يغنيه، واعلم يا ابن أخى أن الله ﷻ، سوف يقتص من الحجاج لمن ظلمهم كما سيقتص للحجاج ممن ظلموه، فلا تشغلن نفسك بعد اليوم بعيب أحد ولا تتبع عثرات أحد.

من طلب أخًا بلا عيب صار بلا أخ.

ألا فانظر لإخوانك بعين الرضا	فعين الرضا عن كل عيب كليلة
ولكن عين السخط تبدى المساويا

وكيف ترى فى عين صاحبك القذى	ويخفى قذى عينيك وهو عظيم

* بعض الناس غير منصفين، يرون القذاة فى أعين غيرهم ولا يرون الجذع فى أعينهم فحالهم كقول القائل:

إن يسمعوا سُبة طاروا بها فرحًا	وما يسمعوا من صالحٍ دفنوا
صُمٌّ إذا سمعوا خيرًا ذُكرت به	وإن ذُكرت بسوءٍ عندهم أذنوا
إن يعلموا الخير أخفوه وإن علموا	شرًّا أذاعوا وإن لم يعلموا كذبوا

طوبى لمن شغلته عيوبه عن عيوب غيره، وكان حاله:

لنفسى أبكى لست أبكى لغيرها	لنفسى عن نفسى من الناس شاغلُ

والكيِّس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت، والعاجز من أتبع نفسه هواها وتمنَّى على الله الأماني(١).

(١) هكذا علمتنى الحياة (ص ٧٤- ٧٥).

ثمانى خطوات باليمين

۞وهى الخطوات التى تمشى بها قدمك نحو الخير، وما أكثر سُبل الخير التى تستطيع أن تسلكها قدمك.

۞ **فهى تمشى** فى حاجة مسلم واقعة تحت إغراء الثواب فى قول رسول الله ﷺ: «**ومن مشى مع أخيه المسلم فى حاجته حتى يُثبتها له أثبت الله تعالى قدمه يوم تَزِلُّ الأقدام**»(١)، فلما حرك قدمه فى قضاء حاجة هذا العاجز جازاه الله بمثلها وهو ثباتها على الصراط يوم تزل الأقدام،... وقد حذر بعض السلف من التأخُّر عن هذا الفضل وهددوا بأن (من امتنع أن يمشى مع أخيه خطوات فى حاجته أمشاه الله تعالى أكثر منها فى غير طاعته)(٢).

۞ **أو تمشى:** فى عيادة مسلم لتجد الله عنده فتسأله ما تشاء وتنال منه الكرامة والثواب وتنهمر عليك من الرحمات فوق ما يخطر ببالك.

قال ﷺ: «**إذا عاد الرجل أخاه المسلم مشى فى خِرافة الجنة حتى يجلس، فإذا جلس غمرته الرحمة، فإن كان غُدوة صلى عليه سبعون ألف ملك حتى يُمسى، وإن كان عشيًّا صلى عليه سبعون ألف ملك حتى يصبح**»(٣).

۞ **أو تمشى:** فى أعقاب جنازة لتخشع وتتعظ... قال ﷺ: «**من تبع جنازة حتى يصلى عليها كان له من الأجر قيراط، ومن مشى مع الجنازة حتى تُدفَن كان له من الأجر قيراطان، والقيراط مثل أُحد**»(٤).

---

(١) حسن: رواه الطبرانى وابن أبى الدنيا عن ابن عمر وحسنه الالبانى فى صحيح الجامع (١٧٦).

(٢) إغاثة اللهفان (٢/ ١٩٥).

(٣) صحيح: رواه أحمد والبيهقى وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (٦٨٢).

(٤) صحيح: رواه أحمد والنسائى عن البراء ومسلم وابن ماجة عن ثوبان.

۞ **أو تمشى:** إلى مسجد ويا حبذا لو كان بعيدًا لتكثر الخُطى وتتتابع.... واحدة تَحُط خطيئة والأخرى ترفع درجة لتجد كل ذنوبك قد نُسفت مع أول خطوة تطأ بها عتبة بيت الله ... قال ﷺ: «**من توضأ للصلاة فأسبغ الوضوء، ثم مشى إلى الصلاة المكتوبة فصلاها مع الناس غفر الله له ذنوبه**»(١)، وكلما زادت المسافات تكاثرت الحسنات: «**أعظمُ الناس أجرًا فى الصلاة أبعدهم إليها ممشى**»(٢).

هذا فى صلاة الفرض، فماذا عن النافلة؟! اسمع واطرب:

قال ﷺ: «**من مشى إلى صلاة مكتوبة فى الجماعة فهى كحجة، ومن مشى إلى صلاة تطوع فهى كعمرة نافلة**»(٣).

۞ **أو تمشى:** المشية الأسبوعية المباركة التى تضاعف أجرك فوق الخيال، وهى مشيك إلى صلاة الجمعة، والخطوة منها بعبادة سنة!! قال ﷺ: «**من غسَّل يوم الجمعة واغتسل ثم بكَّر وابتكر ومشى ولم يركب، ودنا من الإمام، واستمع وأنصت ولم يلغُ؛ كان له بكل خطوة يخطوها من بيته إلى المسجد عمل سنة أجر صيامها وقيامها**»(٤).

۞ **أو تمشى:** فى زيارة أخ لك فى الله لتأنس به وتتواصى معه بالحق والصبر طامعًا فى جائزة هذا الحديث: «**زار رجلٌ أخًا له فى قرية فأرصد الله له ملكًا على مدرجته فقال: أين تريد؟ قال: أخًا لى فى هذه القرية فقال: هل له**

(١) صحيح: رواه ومسلم (٢٣٢).

(٢) صحيح: رواه البخارى (٦٢٣)، ومسلم (٦٦٢).

(٣) حسن: رواه الطبرانى فى الكبير وأحمد وحسنه الألبانى فى صحيح الجامع (٦٥٥٦).

(٤) صحيح: رواه أحمد وابن حبان والأربعة وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (٦٤٠٥).

عليك من نعمة تَربُّها؟ قال: لا إلا أنى أحبه فى الله. قال: فإنى رسول الله إليك أن الله أحبك كما أحببته»[١].

۞ **أو تمشى:** فى دعوة الخلق وهداية الناس حتى تكلَّ قدماك ويَبلى حذاؤك!! واسمع تفتيش أستاذنا الراشد على كتيبة الدعاة فى ابتداء سيرهم فى طريق الدعوة، ... فقال حفظه الله: «وقد كنت فى الأيام الخوالى أُلاطف إخوانى فأُفتِّش على أحذيتهم! ليس على نظافتها وصبغها ورونقها كالتفتيش العسكرى، بل على استهلاكها وتقطعها والغبار الذى عليها، وأقلبها فأرى النعل، فمن كان أسفل حذاؤه مهترئًا تالفًا فهو الناجح، وأقول له: شاهدك معك: حذاؤك يشهد لك أنك تعمل وتغدو فى مصالح الدعوة وتروح وتطبق قاعدة: ﴿ وَجَآءَ مِنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَىٰ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱتَّبِعُواْ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴾[٢]، وبكثرة حركتك تَلِف حذاؤك فأنت المجتاز المرضى عندي»[٣].

۞ **أو تمشى:** لترتقى ذروة سنام الإسلام جهادًا فى سبيل الله...قال ﷺ: **«ما اغبرَّت قدما عبدٍ فى سبيل الله إلا حرم الله عليه النار»**[٤]. وعندما صدَّق الناس

---

(١) صحيح: رواه مسلم (٢٥٦٧)، والبخارى فى الأدب المفرد (٣٥٠)، قال الغزالى: زيارة الإخوان فى الله من جواهر عبادة الله وفيها الزلفة الكريمة إلى الله مع ما فيه من ضروب الفوائد وصلاح القلب لكن بشرطين: أحدهما: أن لا يخرج إلى الإكثار والإفراط. والثانى: أن يحفظ حق ذلك بالتجنب عن الرياء والتزين وقول اللغو والغيبة ونحو ذلك. فيض القدير (٤/ ٦١).

(٢) سورة يس: الآية: ٢٠.

(٣) صناعة الحياة.

(٤) صحيح: رواه أبو داود، والترمذى، والنسائى، وابن ماجه، وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (٥٥٤٣).

هذا الحديث وترجموه إلى فِعالٍ رأينا إيثار التعب على الراحة واختيار التلذُّذ بالمشقة والمنافسة فى سكب العرق؛ لأن فيه وداع النار وفراق اللهب إلى الأبد ... قال أبو المصبح المقرائى: «بينما نحن نسير بأرض الروم فى طائفة عليها مالك بن عبد الله الخثعمى، إذ مر مالك بجابر بن عبد الله وهو يمشى يقود بغلًا له فقال له مالك: أى أبا عبد الله!! اركب فقد حملك الله، فقال جابر: أصلح دابتى وأستغنى عن قومى وسمعت رسول الله ﷺ يقول: «**من اغبرَّت قدماه فى سبيل الله حرمه الله على النار**»، فأعجب مالكًا قوله، فسار حتى إذا كان حيث يسمعه الصوت ناداه بأعلى صوته: يا أبا عبد الله!! اركب فقد حملك الله، فعرف جابر الذى أراد برفع صوته، وقال: أصلح دابتى وأستغنى عن قومى وسمعت رسول الله ﷺ يقول: «**من اغبرَّت قدماه فى سبيل الله حرمه الله على النار**»، فوثب الناس عن دوابهم، فما رأينا يومًا أكثر ماشيًا منه»(١).

ولذا حرص رسول الله ﷺ على عدم التأخُّر عن هذا الخير والمبادرة إليه بنفسه، وهو أن يُعَفِّر قدمه الشريف فى تراب المعركة رافضًا أن ينوب عنه فى هذا الشرف أحد ... فعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: كنا يوم بدر كل ثلاثة على بعير كان أبو لبابة وعلىّ زميلى رسول الله ﷺ، فكانت عقبة رسول الله فقالا: نحن نمشى عنك، فقال: «**ما أنتما بأقوى منى ولا أنا بأغنى عن الأجر منكما**»(٢).

وفوات هذا الخير وضياع هذا المشى المبارك هو وحده الذى أبكى

(١) صحيح: رواه ابن حبان بترتيب ابن بلبان (١٠/ ٤٣٦) قال: شعيب الأرناؤوط: حديث صحيح، وصححه الألبانى فى التعليقات الحسان (٤٥٨٥).

(٢) صحيح: رواه ابن حبان، والحاكم، وأحمد، وصححه الألبانى فى الصحيحة (٢٢٥٧).

يونس بن عبيد عند موته؛ لأن الحياة تدب فى قلبه، فقد نظر رَحِمَهُ اللَّهُ إلى قدميه عند موته فبكى، فقيل له: ما يبكيك يا أبا عبد الله؟! قال: «قدماى لم تغبَّرا فى سبيل الله عَزَّوَجَلَّ»[١].

۞ **أو تجرى:** بقدميك تتدرب بهذا على الجهاد وجولات الكرِّ والفرِّ ولو كان هذا التدريب بلعب الكرة أو سباق الخيل بشرط أن تصاحبك نية صالحة كما كان يفعل نور الدين محمود زنكى رَحِمَهُ اللَّهُ.

قال ابن الأثير: «وكان رَحِمَهُ اللَّهُ لا يفعل فعلًا إلا بنية حسنة، وكان بالجزيرة رجل من الصالحين كثير العبادة والورع شديد الانقطاع عن الناس، وكان نور الدين يُكاتبه ويراسله ويرجع إلى قوله ويعتقد فيه اعتقادًا حسنًا فبلغه أن نور الدين يُدمن اللعب بالكرة فكتب إليه يقول: ما كنتُ أظنك تلهو وتلعب وتُعذب الخيل لغير فائدة دينية، فكتب إليه نور الدين بخط يده يقول: والله ما يحملنى على اللعب بالكرة اللهو والبطر، إنما نحن فى ثغر العدو قريب منا، وبينما نحن جلوس إذ يقع صوت؛ فنركب فى الطلب ولا يمكننا أيضًا ملازمة الجهاد ليلًا ونهارًا شتاءً وصيفًا؛ إذ لابد من الراحة للجند، ومتى تركنا الخيل على مرابطها صارت جمامًا لا قدرة لها على إدمان السير فى الطلب، ولا معرفة لها أيضًا بسرعة الانعطاف فى الكرِّ والفرِّ فى المعركة، فنحن نركبها ونروضها بهذا اللعب، فيذهب جمامها، وتتعود سرعة الانعطاف والطاعة لراكبها فى الحرب، فهذا والله الذى بعثنى على اللعب بالكرة»[٢][٣].

---

(١) صفة الصفوة (٣/ ٣٠٤).

(٢) الروضتين فى أخبار الدولتين (ص ٣٥).

(٣) بأى قلبٍ نلقاه (ص ٢١٢- ٢١٥).

قدرك الحقيقى عند الله

۞ لو تأملت أكثر الناس لوجدت أن فى داخل كثير منهم شعورًا بالهضم، وأنهم قد نِيل منهم، ولم يُعرَف قدرهم، وأنهم يستحقون أكثر مما هم فيه من المكانة. والناس فى ذلك ما بين مُقلٍّ ومُستكثر وقَلَّ مَن يَسلم من ذاك الداء.

ولعل من أسباب ذلك الخاطر أن بعض الناس يبالغ فى تقدير ذاته ومواهبه؛ فيتوهم أن غيره يسيء إليه حين لا يعطيه ما يستحقه من الإجلال والتقدير؛ لتلك المواهب الفذة النادرة التى قد لا يوجد لها مثيل بزعمه.

ولكن إذا أدرك الإنسان أن ذلك الظن ليس فى محله، وأن الناس قد لا تعنيهم مواهبه وقدراته .... وإن كانت تستحق الإشادة والتقدير خَفَّ عليه ما يجده فى نفسه بل ربما زال ذلك بالكلية.

وإذا تكامل عقل المرء وطمحت نفسه إلى المعالى لم يَعُد يبالى بأن يُعرَف قدره أو لم يُعرَف؛ لعلمه بأن جمال الشيء فيه لا فيما يُقال عنه أيًّا كان القائلون ... بل إن العاقل المتواضع يشعر دائمًا بأنه أُعطى فوق قدره، ولو كان فى الحقيقة يستحق أكثر مما أُعطي.

وإذا أراد الإنسان الراحة من ذلك؛ فليتعامل مع مَن لا يخفى عليه السر وأخفى ومن لا يضيع لديه عمل عامل، ومن يحفظ للإنسان مثاقيل الذر.

فإذا استحضر هذا المعنى هان عليه ما يقال فيه، وانتظر ذلك الجزاء من الشكور الحليم الذى يضاعف أجر المحسنين ويتجاوز عن تقصير المقصرين(١).

---

(١) خواطر (ص ١٩١).

الأخلاق المحمودة والأخلاق المذمومة

۞ ما أجمل أن يتخلق المسلم بأخلاق الرسول ﷺ.. فهو الأسوة والقدوة....قال تعالى: ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴾(١).

قال ﷺ: «أكمل المؤمنين إيمانًا أحسنهم خُلُقًا..»(٢).

وقال ﷺ: «إن المؤمن ليُدرك بحُسن الخُلق درجة الصائم القائم»(٣).

۞ وسُئل رسول الله ﷺ عن أكثر ما يُدخل الناس الجنة؟

قال: «تقوى الله وحسن الخلق»(٤).

وقال ﷺ: «ما من شىء أثقل فى ميزان العبد المؤمن يوم القيامة من حُسن الخُلق»(٥).

وقال ﷺ: «إن من أحبكم إلىَّ وأقربكم منى مجلسًا يوم القيامة أحاسنكم أخلاقًا»(٦).

وقال ﷺ: «أنا زعيمٌ ببيتٍ فى ربض الجنة لمن ترك المراء وإن كان مُحقًّا،

---

(١) سورة الأحزاب: الآية: (٢١).

(٢) صحيح: رواه أبو داود، وأحمد، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (١٢٣٠).

(٣) صحيح: رواه أبو داود، وابن حبان والحاكم، وصححه العلامة الألبانى فى صحيح الترغيب (٢٦٤٣).

(٤) حسن: رواه الترمذى، وابن حبان، والبيهقى، وحسنه العلامة الألبانى فى صحيح الترغيب (٢٦٤٢).

(٥) صحيح: رواه أحمد وأبو داود، وصححه العلامة الألبانى فى صحيح الجامع (٥٧٢١).

(٦) حسن: رواه الترمذى، وحسنه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٢٢٠١).

وببيت في وسط الجنة لمن ترك الكذب وإن كان مازحًا، وببيتٍ في أعلى الجنة لمن حَسُن خُلقه»(١).

۞ وها هو الإمام ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ يتكلم عن أصول الأخلاق المحمودة والأخلاق المذمومة فيقول:

أصل الأخلاق المذمومة كلها: الكبر والمهانة والدناءة.

وأصل الأخلاق المحمودة كلها: الخشوع وعلو الهمة.

فالفخر والبطر والأَشَر والعُجب والحسد والبغي والخُيلاء والظلم والقسوة والتجبُّر والإعراض وإباء قبول النصيحة والاستئثار وطلب العلو وحب الجاه والرئاسة، وأن يُحمَد بما لم يفعل وأمثال ذلك؛ كلها ناشئة من الكبر.

وأما الكذب والخسة والخيانة والرياء والمكر والخديعة والطمع والفزع والجُبن والبخل والعجز والكسل والذل لغير الله واستبدال الذى هو أدنى بالذى هو خير... ونحو ذلك؛ فإنها من المهانة والدناءة وصغر النفس.

وأما الأخلاق الفاضلة؛ كالصبر والشجاعة والعدل والمروءة والعفة والصيانة والجود والحلم والعفو والصفح والاحتمال والإيثار وعزة النفس عن الدناءات والتواضع والقناعة والصدق والإخلاص والمكافأة على الإحسان بمثله أو أفضل والتغافل عن زلَّات الناس وترك الاشتغال بما لا يعنيه وسلامة القلب من تلك الأخلاق المذمومة... ونحو ذلك؛ فكلها ناشئة عن الخشوع وعلو الهمة .... والله -سبحانه- أخبر عن الأرض بأنها تكون خاشعة، ثم ينزل عليها الماء، فتهتز وتربو وتأخذ زينتها وبهجتها؛

(١) حسن: رواه أبو داود، والضياء وحسنه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (١٤٦٤).

فكذلك المخلوق منها إذا أصابه حظه من التوفيق.

وأما النار؛ فطبعها العلو والإفساد، ثم تخمد فتصير أحقر شيء وأذله، وكذلك المخلوق منها؛ فهي دائمًا بين العلو إذا هاجت واضطربت، وبين الخسة والدناءة إذا خمدت وسكنت.

والأخلاق المذمومة تابعة للنار والمخلوق منها.

والأخلاق الفاضلة تابعة للأرض والمخلوق منها؛ فمن عَلَتْ همته وخشعت نفسه؛ اتصف بكل خُلقٍ جميل، ومن دَنَتْ همته وطغت نفسه؛ اتصف بكل خُلقٍ رذيل(١).



(١) الفوائد (ص ١٤٧-١٤٨).

كُن من أهل الأنوار

۞ قال تعالى: ﴿يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ يَسْعَى نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِم بُشْرَاكُمُ الْيَوْمَ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾(١).

وها هم أهل الأنوار الذين أخبر عنهم الحبيب ﷺ فقال: «**من شاب شيبة فى الإسلام كانت له نورًا يوم القيامة**»(٢).

وقال ﷺ: «**لا تنتفوا الشيب ما من مسلمٍ يشيب شيبة فى الإسلام إلا كانت له نورًا يوم القيامة**»(٣).

۞ وقال ﷺ: «**بشِّر المشَّائين فى الظُّلَم إلى المساجد بالنور التام يوم القيامة**»(٤).

۞ فكلما ازداد العبد طاعة لله (جلَّ وعلا) كلما ازداد نوره ... ويظهر ذلك النور عندما يصعد على الصراط يوم القيامة فينطفئ نور المنافقين وتظهر أنوار المؤمنين.

۞ فى حديثٍ عجيب دار بين شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله وبين أحد البطائحية يقولُ هذا البطائحى لابنِ تيمية: ما لكم يا ابن تيمية إذا جئنا إليكم - يعنى أهل السنةِ - بارتْ كرامتُنا وبَطُلتْ، وإذا ذهبْنا إلى التتِر المغولِ الكفارِ ظهرتْ كرامتُنا؟ قال ابنُ تيمية: أتدرى ما مَثلُنا ومَثلُكُم ومَثَلُ التتارِ؟

---

(١) سورة الحديد: الآية: (١٢).

(٢) صحيح: رواه أحمد والترمذى عن كعب بن مرة وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (٦٣٠٧).

(٣) صحيح: رواه أبو داود عن ابن عمر وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (٧٤٦٣).

(٤) صحيح: رواه أبو داود والترمذى عن بريدة وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (٢٨٢٣).

أما نحنُ فخيولٌ بيضٌ، وأنتم بُلْقٌ، والتترُ سُودٌ، فالأبلقُ إذا دخل بين السودِ أصبح أبيض، وإذا خالط البيض أصبح أسودًا، فأنتمْ عندكمْ بقيةٌ منْ نورٍ، إذا دخلتمْ مع أهلِ الكفرِ ظَهَرَ هذا النورُ وإذا أتيتُم إلينا ونحنُ أهل النورِ الأعظمِ والسنة، ظَهر ظلامُكم وسوادُكم، فهذا مثلكُم ومثلُنا ومثلُ التتارِ.
﴿ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱبْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِى رَحْمَةِ ٱللَّهِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴾[1] [2].

---

(١) سورة آل عمران: الآية: (١٠٧).

(٢) لا تحزن (ص ٢٥٢-٢٥٣).

صلاح القلب بالرقائق

* قال الإمام ابن الجوزى رحمه الله:

رأيت الاشتغال بالفقه وسماع الحديث لا يكاد يكفى فى صلاح القلب؛ إلا أن يُمزج بالرقائق، والنظر فى سير السلف الصالحين.

فأما مجرد العلم بالحلال والحرام، فليس له كبير عمل فى رقة القلب؛ وإنما ترق القلوب بذكر رقائق الأحاديث، وأخبار السلف الصالحين؛ لأنهم تناولوا مقصود النقل، وخرجوا عن صور الأفعال المأمور بها إلى ذوق معانيها والمراد بها... وما أخبرتك بهذا إلا بعد معالجة وذوق، لأنى وجدت جمهور المحدثين وطلاب الحديث هِمة أحدهم فى الحديث العالى، وتكثير الأجزاء، وجمهور الفقهاء فى علوم الجدل، وما يغالب به الخصم. وكيف يرق القلب مع هذه الأشياء؟!

وقد كان جماعة من السلف يقصدون العبد الصالح للنظر إلى سَمته وهَدْيِه لا لاقتباس علمه، وذلك أن ثمرة علمه هديه وسمته.

فافهم هذا، وامزج طلب الفقه والحديث بمطالعة سير السلف والزُّهاد فى الدنيا، ليكون سببًا لرقة قلبك.

وقد جمعت لكل واحد من مشاهير الأخيار كتابًا فيه أخباره وآدابه، فجمعت كتابًا فى أخبار الحسن، وكتابًا فى أخبار سفيان الثورى، وإبراهيم ابن أدهم، وبِشر الحافى، وأحمد بن حنبل، ومعروف، وغيرهم من العلماء والزهاد. والله الموفق للمقصود.

ولا يصلح العمل مع قلة العلم، فهما فى ضرب المثل كسائق وقائد،

والنفس بينهما حرون[1]، ومع جد السائق والقائد ينقطع المنزل، ونعوذ بالله من الفتور[2].



(١) حرون: أي: غير مُنقادة.

(٢) صيد الخاطر (ص ٢٢٨-٢٢٩).

مشاركة الناس فى السراء والضراء

۞ فقد كان النبى ﷺ يجوع كما يجوع أصحابه بل دخل معهم شِعب أبى طالب ثلاث سنوات حتى أكل معهم ورق الشجر وكان يربط على بطنه حجرًا من الجوع مثلهم، بل ونزل معهم الخندق ليحفر معهم ﷺ وكان يشاركهم فى السراء والضراء لا يتميز عنهم بشيء من حُطام الدنيا ﷺ.

۞ عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: كنا فى غزوة بدر كل ثلاثة منا على بعير، كان عليٌّ رضي الله عنه وأبو لبابة رضي الله عنه زميلى رسول الله ﷺ فإذا كان عقبة النبى ﷺ قالا: اركب يا رسول الله، حتى نمشى عنك فيقول: «**ما أنتما بأقوى على المشى منى، وما أنا بأغنى عن الأجر منكما**»[1].

(١) رواه ابن حبان فى صحيحه، والحاكم فى المستدرك انظر: السلسلة الصحيحة (٥/ ٣٢٦)، (٢٢٥٧).

الهدوء الجذَّاب

۞ مهارات جذب الناس وكسب قلوبهم متنوعة.. بعضها يكون بفعل الشيء.. وبعضها يكون بتركه.. فالابتسامة تجذبهم.. كما أن ترك العبوس يجذبهم..

والأحاديث الجميلة والنكات واللطائف تجذب الناس.. كما أن الاستماع إليهم والتفاعل مع أحاديثهم.. يجذبهم..

فما رأيك أن أتكلم معك هنا عن: الهدوووء الجذاب!!

نعم.. بعض الناس لا يتكلم كثيرًا.. ولا تكاد تسمع صوته فى المجالس والتجمعات.. بل لو راقبته فى جلسة أو نزهة.. لرأيته لا يتحرك منه إلا رأسه وعيناه.. وقد يتحرك فمه أحيانًا.. لكن بالتبسُّم.. لا بالكلام!! ومع ذلك يحبه الناس.. ويأنسون بمجالسته.. تدرى لماذا؟!

لأنه يمارس الهدوووء الجذاااب..

فن الاستماع له مهارات متعددة.. بل حدثنى أحد المهتمين أنه حضر أكثر من خمس عشرة دورة تدريبية فى مهارات الاستماع..!!

قارن بين اثنين: رجل إذا تكلمت بين يديه بقصة وقعت لك.. قاطعك فى أولها وقال: وأنا أيضًا وقع لى شيء مشابه..

فتقول: له اصبر حتى أكمل.. فيسكت قليلًا..

فإذا انسجمت فى قصتك.. قاطعك قائلًا: صحيح.. صحيح.. نفس القصة التى وقعت لى وهو أننى ذات مرة ذهبت.....

فتقول له: أخى انتظر..

فيسكت.. ثم ما يصبر فيقاطعك قائلًا: عجِّل.. عجِّل..

هذا الأول..

الثاني.. كان وأنت تتحدث معه أو معهم.. يتلفت يمينًا ويسارًا.. وقد يُخرج جهاز هاتفه من جيبه.. ويكتب رسالة أو يقرأ شيئًا من الرسائل.. أو من يدرى لعله يلعب بالألعاب الإلكترونية الموجودة فيه!!

أما الثالث.. فيملك مهارات الاستماع.. تجد أنك تتحدث وقد ركَّز عينيه برفق ينظر إليك.. وتشعر بمتابعته.. فهو تارة يهز رأسه موافقًا.. وتارة يتبسم.. وتارة يضم شفتيه متعجبًا.. وربما ردَّد: عجيب.. سبحان الله..

أى هؤلاء ستكون راغبًا دائمًا فى مجالسته.. وتفرح بزيارته.. وتنبلج أساريرك فى الحديث معه..؟ لا أشك أنه الأخير..

إذًا ... جذب قلوب الناس.. لا يكون فقط بإسماعهم ما يحبون.. بل وبالاستماع منهم لما يحبون!!

الاستماع إلى الناس فن ومهارة.. بعض الناس ينسى أن الله جعل له لسانًا واحدًا وأذنين.. ليستمع أكثر مما يتكلم.. وأظنه لو استطاع لقلب المعادلة فجعل لنفسه أذنًا ولسانين.. من شدة محبته للحديث..

فعوِّد نفسك على الإنصات لكلام الآخرين.. حتى لو كان لك على الكلام ملاحظة.. فلا تستعجل..... فى أوائل بعثة النبى ﷺ.. كان عدد المسلمين قليلًا.. وكان الكفار يكذبونه ويُنفرون الناس عنه.. ويشيعون أنه ﷺ كاهن وكذاب.. وربما أشاعوا أنه مجنون أو ساحر..

فى يوم من الأيام قَدِم إلى مكة رجل اسمه: ضماد.. وهو حكيم له علم بالطب والعلاج.. يعالج المجنون والمسحور..

فلما خالط الناس سمع سفهاء الكفار يقولون عن رسول اللهﷺ: جاء المجنون.. رأينا المجنون..

فقال ضماد: أين هذا الرجل؟ لعل الله أن يشفيه على يدي؟

فدلَّه الناس على رسول اللهﷺ..

فلما لقيه ضماد.. وتأمل فى وجه رسول اللهﷺ.. فإذا وجهٌ مشرق.. لكن ضمادًا صرّح بما جاء لأجله وقال: يا محمد.. إنى أرقى من هذه الرياح.. وإن الله يشفى على يدى من شاء.. فهَلُمَّ أعالجك.. وجعل يتكلم عن علاجه وقدراته..

والنبىﷺ ينصت إليه.. وذاك يتكلم.. والنبىﷺ ينصت!!

أتدرى ينصت إلى ماذا؟ ينصت إلى كلام رجل كافر جاء ليعالجه من مرض الجنون!!.... آآآه ما أحكمهﷺ..

حتى إذا انتهى ضماد من كلامه.. قالﷺ بكل هدوووء:

«إن الحمد لله.. نحمده ونستعينه.. من يهده الله فلا مُضل له، ومن يضلل فلا هادى له.. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له»..

فانتفض ضماد وقال: أعد علىَّ كلماتك هؤلاء.. فأعادهاﷺ عليه..

فقال ضماد: والله لقد سمعت قول الكهنة، وقول السحرة، وقول الشعراء، فما سمعت مثل هؤلاء الكلمات.. فلقد بلغن ناعوس البحر.. فهَلُمَّ يدك أبايعك على الإسلام.. فبسط النبىﷺ يده.. وأخذ ضماد يخلع عن قلبه ثوب الكفر ويردد: أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله..

فعلمﷺ أن له عند قومه شرفًا.. فقال له: وعلى قومك؟ - أى تدعوهم

إلى الإسلام -

فقال ضماد: وعلى قومي.. ثم ذهب إلى قومه هاديًا داعيًا.. إذن لتكون مستمعًا ماهرًا.. أنصت.. هز رأسك متابعًا..

تفاعل بتعابير وجهك كتقطيب الجبين حينًا.. ورفع الحاجبين حينًا آخر.. والتبسُّم.. وتحريك الشفتين بتعجب..

وانظر إلى أثر ذلك فيمن يتكلم معك.. سواء كان صغيرًا أو كبيرًا..

ستجد أنه يركز نظره عليك.. ويُقبل بقلبه إليك..[1]

---

(١) استمتع بحياتك (٤٠٧-٤١٠).



فلا أنساب بينهم

۞ قال الإمام ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ:

هبَّت عواصف الأقدار فى بيداء الأكوان، فتقلَّب الوجود، ونَجَم الخيرُ، فلما ركدت الريح إذا أبو طالب غريق فى لُجة الهلاك، وسلمان على ساحل السلامة، والوليد بن المغيرة يَقْدُم قومه فى التيه، وصهيب قد قدم بقافلة الروم، والنجاشى فى أرض الحبشة يقول: لبيك اللهم لبيك، وبلال ينادى: الصلاة خير من النوم، وأبو جهل فى رقدة المخالفة.

يا محمد! أنت تريد أبا طالب، ونحن نريد سلمان».

أبو طالب: إذا سُئل عن اسمه؟ قال: عبد مناف، وإذا انتسب، افتخر بالآباء، وإذا ذُكرت الأموال، عدَّ الإبل؛ ... وسلمان: إذا سُئل عن اسمه؟ قال: عبد الله، وعن نسبه؟ قال: ابن الإسلام، وعن ماله؟ قال: الفقر، وعن حانوته؟ قال: المسجد، وعن كسبه؟ قال: الصبر، وعن لباسه؟ قال: التقوى والتواضع، وعن وساده؟ قال السهر، وعن فخره؟ قال: «**سلمان منا**»(١)، وعن قصده؟ قال: ﴿يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ﴾(٢)، وعن سَيْرِهِ؟ قال: إلى الجنة، وعن دليله فى الطريق قال: إمام الخلق وهادى الأئمة ﷺ(٣).

---

(١) ضعيف جدًّا: رواه الطبرانى، وضعفه الألبانى فى ضعيف الجامع (٣٢٧٢).

(٢) سورة الأنعام: الآية: (٥٢).

(٣) الفوائد / للإمام ابن القيم (ص ٣٧-٣٨).

لا سكينة بلا إيمان

۞ سكينة النفس بلا ريب هى الينبوع الأول للسعادة، ولكن كيف السبيل إليها إذا كانت شيئًا لا يثمره الذكاء ولا العلم ولا الصحة والقوة، ولا المال والغِنى، ولا الشهوة والجاه، ولا غير ذلك من نِعَم الحياة المادية؟

إننا نجيب مطمئنين: إن للسكينة مصدرًا واحدًا هو الإيمان بالله واليوم الآخر، الإيمان الصادق العميق، الذى لا يُكدره شك، ولا يُفسده نفاق.

وهذا ما يشهد به الواقع الماثل، وما أيَّده التاريخ الحافل، وما يلمسه كل إنسانٍ بصيرٍ مُنصفٍ فى نفسه وفيمن حوله.

لقد علمتنا الحياة أن أكثر الناس قلقًا وضيقًا واضطرابًا، وشعورًا بالتفاهة والضياع هم المحرومون من نعمة الإيمان، وبرد اليقين.

إن حياتهم لا طعم لها ولا مذاق، وإن حفلت باللذائذ والمُرفهات، لأنهم لا يدركون لها معنى ولا يعرفون لها هدفًا ولا يفقهون لها سرًّا، فكيف يظفرون مع هذا بسكينة نفس، أو انشراح صدر؟

إن هذه السكينة ثمرة من ثمار دوحة الإيمان، وشجرة التوحيد الطيبة، التى تُؤتى أُكُلها كل حينٍ بإذن ربها.

فهى نفحة من السماء يُنزلها الله على قلوب المؤمنين من أهل الأرض، ليثبتوا إذا اضطرب الناس ويرضوا إذا سخط الناس ويوقنوا إذا شَكَّ الناس، ويصبروا إذا جزع الناس، ويحلموا إذا طاش الناس.

هذه السكينة هى التى عمرت قلب رسول الله يوم الهجرة، فلم يعره هَمٌّ

ولا حزن، ولم يَستبد به خوفٌ ولا وَجَل، ولم يخالج صدره شك ولا قلق ﴿فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ثَانِىَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا﴾(١).

لقد غلبتْ على صاحبِه الصدِّيق مشاعر الحزن والإشفاق، لا على نفسه وحياته بل على الرسول ﷺ، وعلى مصير الرسالة، حتى قال والأعداء محدقون بالغار: يا رسول الله؛ لو نظر أحدهم تحت قدميه لرآنا! فيقول الرسول مُثبتًا فؤاده: «**يا أبا بكر؛ ما ظنك باثنين الله ثالثهما**»؟!.

هذه السكينة روح من الله ونور، يسكن إليه الخائف، ويطمئن عنده القَلِق، ويتسلى به الحزين، ويستروح به المُتعَب ويقوى به الضعيف، ويهتدى به الحيران.

هذه السكينة نافذة على الجنة يفتحها الله للمؤمنين من عباده، منها تهب عليهم نسماتها وتُشرق عليهم أنوارها ويفوح شذاها وعطرها ليذيقهم بعض ما قدموا من خير، ويُريهم نموذجًا صغيرًا لما ينتظرهم من نعيم فينعموا من هذه النسمات بالروح والريحان، والسلام والأمان(٢).



(١) سورة التوبة: الآية: (٤٠).

(٢) الإيمان والحياة/ د. يوسف القرضاوى (ص ٨٧- ٨٨).

بين الموت والحياة

۞ قال تعالى: ﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا﴾[١].

وهذا مثل ضربه الله للذى هداه بعد الضلالة وشبَّهه بأنه كان كالميت الذى أحياه الله، وجعل له نورًا يمشى به فى الناس مستضيئًا به، فيميز بعضهم من بعض، ويفصل بين أبيضهم وأسودهم وجميلهم وقبيحهم ومن يعرف منهم ومن لا يعرف، ويسير فلا يتعثر أو ينكب على وجهه، ويعرف طريقه بل يساعد غيره على معرفة طريقه: يرشد العميان ويهدى الحيران، أهذا مثله مثل من بقى على الضلالة المتخبط فى الظلمة لا ينفك منها ولا يتخلص؟!

ولكى تفهم الفارق جيدًا بين الفريقين وترى التناقض الكبير والبون الشاسع بين طريقين فاسمع ما قاله زيد بن أسلم والإمام السدى فى تفسير هذه الآية: «﴿فَأَحْيَيْنَاهُ﴾ عمر رضي الله عنه، ﴿كَمَن مَّثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ﴾ أبو جهل لعنه الله»[٢].

إنه الفارق بين السماء والأرض لكن الصحيح أنها عامة فى كل مسلم وكافر، أو ضال ومهتدٍ، ووصف الموت هذا أحد عشرة أوصاف وصف الله بها قلوب الكافرين فى القرآن.

قال الإمام القرطبى: «وقال أهل المعانى: وصف الله تعالى قلوب الكفار بعشرة أوصاف: بالختم والطبع والضيق والمرض والرين والموت

(١) سورة الأنعام: الآية: ١٢٢.

(٢) القرطبى (٧/ ٧٠).

والقساوة والانصراف والحمية والإنكار....

فقال في الإنكار: ﴿قُلُوبُهُم مُّنكِرَةٌ وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ﴾(١)، وقال في الحمية: ﴿إِذْ جَعَلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْحَمِيَّةَ﴾(٢) وقال في الانصراف: ﴿ثُمَّ ٱنصَرَفُوا۟ ۚ صَرَفَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُم بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ﴾(٣)، وقال في القساوة: ﴿فَوَيْلٌ لِّلْقَٰسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ﴾(٤)، وقال: ﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ﴾(٥) وقال في الموت: ﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ﴾(٦)، وقال: ﴿إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ ٱلَّذِينَ يَسْمَعُونَ ۘ وَٱلْمَوْتَىٰ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ﴾(٧)، وقال في الرين: ﴿كَلَّا ۖ بَلْ ۜ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ﴾(٨)، وقال في المرض: ﴿فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾(٩)، وقال في الضيق: ﴿وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا﴾(١٠)، وقال في الطبع: ﴿وَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ﴾(١١)، وقال: ﴿بَلْ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ﴾(١٢)،

---

(١) سورة النحل: الآية: (٢٢).

(٢) سورة الفتح: الآية: (٢٦).

(٣) سورة التوبة: الآية: (١٢٧).

(٤) سورة الزمر: الآية: (٢٢).

(٥) سورة البقرة: الآية: (٧٤).

(٦) سورة الأنعام: الآية: (١٢٢).

(٧) سورة الأنعام: الآية: (٣٦).

(٨) سورة المطففين: الآية: (١٤).

(٩) سورة البقرة: الآية: (١٠).

(١٠) سورة الأنعام: الآية: (١٢٥).

(١١) سورة التوبة: الآية: (٨٧).

(١٢) سورة النساء: الآية: (١٥٥).

وقال فى الختم: ﴿خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ﴾(١)».

وفى مقابل وصف: ميت؛ أطلق الله على كل من قُتِل جهادًا فى سبيله لفظ: حى ... بل حرم علينا أن نُطلق عليهم لقب أموات، وما ذلك إلا لحياة قلبه، فقال: ﴿وَلَا تَقُولُوا۟ لِمَن يُقْتَلُ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتٌۢ ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ وَلَٰكِن لَّا تَشْعُرُونَ﴾(٢).

فنهانا سبحانه أن نطلق على الشهيد كلمة: ميت، فهو حى فى حياته وبعد رحيله،... لذا قال النبى ﷺ عن طلحة بن عبيد الله وهو حى: «**طلحة ممن قضى نحبه**».

فالحى حى فى حياته وبعد مماته، وميت القلب ميت فى حياته وبعد موته، وحياة قلب الشهيد توحى بها معنى كلمة شهيد والتى تعنى أنه شهد على الغيب حتى صار عنده شهادة، ولأنه رأى بقلبه ما لا يراه الناس إلا بعد موتهم؛ فأقدم على التضحية بأغلى ما يملك؛ كوفيء باستمرار إطلاق صفة الحياة عليه حتى بعد الموت(٣).



(١) سورة البقرة: الآية: (٧).

(٢) سورة البقرة: الآية: (١٥٤).

(٣) بأى قلبٍ نلقاه (ص ٤٧ – ٤٨).

لا بد أن تُقاد حتى تتعلم كيف تقود

۞إن من أهم مؤهلات القائد الناجح أن يكون قد عاش فترة من حياته مقودًا مأمورًا حتى يستفيد من كل من قادوه فيعرف كيف يأمر وينهى ويتعلم مداراة الناس، ويعلم كيف يكون صائبًا فى اتخاذ قراراته وكيف يكسب قلوب الناس دون الوقوع فيما يُغضب الله (جلَّ وعلا).

أما إذا أصبح الرجل قائدًا دون أن يمر بهذه المرحلة فإنَّه قد يفسد من حيث يريد الإصلاح وقد يُخفق من حيث يريد النجاح والتوفيق بل وقد يخاطر بمن تحت يده.

وإذا أردت ما يُثبِّت فؤادك فى هذا المعنى فانظر فى سيرة الخلفاء الراشدين رضي الله عنهم فلقد تربوا فى ظل مدرسة النبوة، وأفادوا منها أيما فائدة، فساسوا الأمة خير سياسة، وقادوها إلى بَرِّ الأمان، وأعلى مراتب المَجَادة.

وانظر فى سيرة أمير المؤمنين معاوية رضي الله عنه حيث أفاد ممن قبله، وتعلم حسن الطاعة لمن قد سبقه؛ فجمع الله عليه قلوب المهاجرين والأنصار، وصارت سيرته وحلمه مثلًا يُحتذى، ونهجًا يُقتفى.

وقُل مثل ذلك فى الخليفة الراشد أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز رحمه الله

وإذا قطعت مراحل من التاريخ وأتيت على سيرة ليث الإسلام نور الدين محمود رأيت هذا المعنى واضحًا جليًّا؛ فقد تربَّى فى كنف والده عماد الدين زنكى، وأمر عمر بن حفص - المعروف بابن الملاء - أن يكتب له سيرة عمر بن عبد العزيز ليقتفى أثره؛ فكان منه ما كان.

وقُل مثل ذلك فى شأن تلميذه صلاح الدين الأيوبى (رحم الله الجميع).

وقُل مثل ذلك فى سيرة المربين ممن تربوا تحت كنف العلماء الفضلاء أو الآباء الحكماء[1].

(١) خواطر/ د. محمد إبراهيم الحمد (ص ٢٤- ٢٥).

وصايا للدُّعاة إلى الله تعالى

۞ العارف لا يأمر الناس بترك الدنيا؛ فإنهم لا يقدرون على تركها، ولكن يأمرهم بترك الذنوب مع إقامتهم على دنياهم؛... فتَركُ الدنيا فضيلة وتَرْكُ الذنوب فريضة؛ فكيف يُؤمر بالفضيلة من لم يُقم الفريضة؟

فإن صَعُب عليهم تَركُ الذنوب؛ فاجتهد أن تُحبب الله إليهم بذكر آلائه وإنعامه وإحسانه وصفات كماله ونعوت جلاله؛ فإن القلوب مفطورة على محبته فإذا تعلقت بحبه؛ هان عليها ترك الذنوب والإصرار عليها والاستقلال منها.

وقد قال يحيى بن معاذ: طلبُ العاقل للدنيا خير من ترك الجاهل لها.

العارف يدعو الناس إلى الله من دُنياهم فتَسْهُل عليهم الإجابة، والزاهد يدعوهم إلى الله بترك الدنيا فتشق عليهم الإجابة؛ فإن الفطام عن الثدى الذى ما عقل الإنسان نفسه إلا وهو يرتضع منه شديد؛ ولكن تخيَّر من المرضعات أزكاهن وأفضلهن؛ فإن للبن تأثيرًا فى طبيعة المرتضع، ورضاع المرأة الحمقى يعود بحمق الولد، وأنفع الرضاعة ما كان من المجاعة، فإن قويت على مرارة الفطام، وإلا؛ فارتضع بقدرٍ؛ فإن من البَشَم(١) ما يَقتُل(٢).

---

(١) أى: التُّخمة.

(٢) الفوائد/ للإمام ابن القيم (ص ١٧٣).

﴿ أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ ﴾

❁ من الذى يفزع إليه المكروب، ويستغيث به المنكوب، وتصمد إليه الكائنات، وتسأله المخلوقات، وتلهج بذكره الألسُن، وتألهه القلوب ... إنه الله لا إله إلا هو. وحَقٌّ علىَّ وعليك أن ندعوه فى الشدة والرخاء، والسراء والضراء، ونفزع إليه فى المُلمَّات، ونتوسل إليه فى الكربات، وننطرح على عتبات بابه سائلين باكين ضارعين منيبين، حينها يأتى مدده ويصل عونه ويسرع فرجه، ويحل فتحه ﴿ أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ ﴾ فينجي الغريق ويرد الغائب، ويعافى المُبتلَى، وينصر المظلوم، ويهدى الضال ويشفى المريض، ويفرج عن المكروب ﴿ فَإِذَا رَكِبُوا۟ فِى ٱلْفُلْكِ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ﴾.

إن دعاءك ربك عبادة أخرى وطاعة عُظمى ثانية فوق حصول المطلوب، وإن عبدًا يجيد فن الدعاء حَرِيٌّ أن لا يهتم ولا يغتم ولا يقلق، كل الحبال تتصرم إلا حبله، كل الأبواب توصد إلا بابه، وهو قريب سميع مجيب، يجيب المضطر إذا دعاه يأمرك وأنت الفقير الضعيف المحتاج، وهو الغنى القوى الواحد الماجد بأن تدعوه ﴿ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ إذا نزلت بك النوازل وألمَّت بك الخطوب، فالهج بذكره، واهتف باسمه واطلب مدده واسأله فتحه ونصره، مرِّغ الجبين لتقديس اسمه، لتحصل على تاج الحرية، وأرغِم الأنف فى طين عبوديته لتحوز وسام النجاة. مد يديك، ارفع كفيك، أطلق لسانك أكثِر من طلبه بالغ فى سؤاله أَلِحَّ عليه، الزم بابه، انتظر لطفه، ترقَّب فتحه، أحسِن ظنك فيه، انقطع إليه، تبتل إليه تبتيلًا حتى تسعد وتفلح(١).

---

(١) حدائق ذات بهجة (ص ٢٦٠ - ٢٦١).

جاهد نفسك

۞ قال تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ ﴾(١).

ومن أعظم أنواع المجاهدة: مجاهدة النفس التى وصفها الحق جل وعلا فقال: ﴿إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾(٢).

۞ والنفس كالطفل تحتاج إلى الملاطفة والصبر ... ومن ثَمَّ فأنت تحتاج أن تفطم نفسك عن حب المعصية أولًا ثم تغذيها بالطاعة شيئًا فشيئًا وذلك لأن النفس لا تُقبل على الطاعة جملة واحدة وإلا فسوف تتركها جملة واحدة.

۞ ولقد ضرب الإمام الغزالى رَحِمَهُ اللَّهُ مثلًا رائعًا فى محاولة ترويض النفس على الطاعة كما كان الناس يفعلون بالبازى (وهو نوع من الطيور) إذا قُصد تأديبه ونقله من التوثُّب والاستيحاش إلى الانقياد والتأديب، فإنه يُحبس أولًا فى بيتٍ مظلم وتُخاط عيناه حتى يحصل به الفطام عن الطيران فى جو الهواء، وينسى ما قد كان أَلِفه من طبع الاسترسال ثم يرفق باللحم حتى يأنس بصاحبه ويألفه إلفًا، إذا دعاه أجابه، ومهما سمع صوته رجع إليه فكذلك النفس لا تألف ربها، ولا تأنس بذكره إلا إذا فُطمت عن عادتها بالخلوة والعزلة أولًا؛ ليحفظ السمع والبصر عن المألوفات، ثم عُوِّدت الثناء والذكر والدعاء ثانيًا فى الخلوة حتى يغلب عليها الأنس بذكر الله عَزَّ وَجَلَّ عِوضًا عن الأنس بالدنيا وسائر الشهوات، وذلك يثقل على المريد فى

(١) سورة العنكبوت: الآية: (٦٩).

(٢) سورة يوسف: الآية: (٥٣).

البداية ثم يتنعم به فى النهاية كالصبى يُفطم عن الثدى، وهو شديد عليه إذا كان لا يصبر عنه ساعة فلذلك يشتد بكاؤه وجزعه عند الفطام ويشتد نفوره عن الطعام الذى يُقدَّم إليه بدلًا عن اللبن، ولكنه إذا مُنع اللبن رأسًا يومًا فيومًا وعَظُم تعبه فى الصبر عليه وغلبه الجوع تناول الطعام تكلُّفًا، ثم يصير له طبعًا، فلو رُدَّ بعد ذلك إلى الثدى لم يرجع إليه فيهجر الثدى، ويعاف اللبن، ويألف الطعام ... وكذلك الدابة فى الابتداء: تنفر عن السرج واللجام والركوب؛ فتُحمل على ذلك قهرًا، وتُمنع عن السرج الذى ألفته بالسلاسل والقيود أولا، ثم تأنس به بحيث تُترك فى موضعها فتقف فيه من غير قيد، فكذلك تُؤدَّب النفس كما تُؤدَّب الطير والدواب[1].



(١)الإحياء (٣/ ٦٨).

العبد بين الجنة والنار

۞ إن العبد على جناح سفر إما إلى الجنة وإما إلى النار، فإذا طال عمره وحسن عمله كان طول سفره زيادة له فى حصول النعيم واللذة، فإنه كلما طال السفر إليها كانت الصبابة أجَلَّ وأفضل، وإذا طال عمره وساء عمله، كان طول سفره زيادة فى ألمه وعذابه ونزولًا له إلى أسفل، فالمسافر إما صاعد وإما نازل(١).

قال ﷺ: «خير النَّاس مَن طَالَ عُمُرُهُ وَحَسُنَ عَمَلُهُ، وشرُّ النَّاس مَن طَالَ عمره وسَاءَ عمله»(٢).

(١) الفوائد (ص ٨٥-٨٦).

(٢) صحيح: رواه أحمد، والترمذى، والحاكم، وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (٣٢٩٧).

لا حُزن مع الله

۞ واهمٌ من أضاع عمره فى الحزن على ما فات والهمِّ على ما هو آتٍ.

فإن أردت أن يذهب عنك الحُزنُ، فَعِشْ مع الله، فإنَّه لا حُزنَ مع الله أبدًا.

قال الله سبحانه وتعالى حكاية عن نبيه ﷺ أنه قال لصاحبه أبى بكر ﴿لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا﴾[1].

۞ **قال الإمام ابن القيم** رَحِمَهُ اللَّهُ:

فَدلَّ أنَّه لا حُزنَ مع الله وأنَّ من كان الله معه فما له وللحُزن؟!

وإنَّما الحُزنُ كلُّ الحُزن لمن فاتَهُ الله، فمن حصل الله له فعلى أى شيء يحزن ومن فاته الله فبأى شيء يفرحُ؟

قال تعالى: ﴿قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا﴾[2].

فالفرحُ بفضله ورحمته تبعٌ للفرح به سبحانه[3].

إليك وإلا لا تُشَدُّ الرَّكَائِبُ[4] ... ومِنْكَ وإلَّا فالمُؤَمِّلُ خائِبُ[5]

وَفيكَ وإلَّا فالعَزْمُ مُضَيَّعُ ... وعنكَ وإلَّا فَالمُحَدِّثُ كَاذِبُ[6]

---

(١) سورة التوبة: الآية: (٤٠).

(٢) سورة يونس: الآية: (٥٨).

(٣) «طريق الهجرتين» (٢٨١).

(٤) الرَّكَائبُ: جمعُ رِكَاب - بزنة كتاب-، وهى الإبل التى تحمل القوم، وتُجمع - أيضًا- على رُكُب، وركابات، وواحِدَة الرّكاب راحلةٌ.

(٥) خائبٌ: محرومٌ لم ينل ما طلب.

(٦) واهم (ص ٦٥-٦٦).



خير متاع الدنيا

۞ عَنْ أَبِى هُرِيرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: قيل لِرَسُولِ اللهِ ﷺ: أَى النِّسَاءِ خَيْرٌ؟ قَالَ: «الَّذِى تَسُرُّهُ إِذَا نَظَرَ، وَتُطِيعُهُ إِذَا أَمَرَ، وَلا تُخَالِفُهُ نَفْسِهَا، وَلا فِى مَالِهِ بِمَا يَكْرَهُ»(١).

وعن سعد رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «ثلاثة من السَّعادة، وثلاثة من الشَّقاء، فمِنَ السَّعادةِ: المرأَةُ الصَّالحة؛ تراها فَتُعْجِبُكَ، وتغيب عنها فتأمنُها على نفسِها ومالك ...» الحديث(٢).

قال فى «عون المعبود»: «يؤخذ من الأحاديث استحبابُ تزوج الجميلة، إلَّا إذا كانت الجميلة غيرَ دَيِّنة، والتى أدنى منها جمالًا متديِّنة، فتُقدَّم ذاتُ الدين، أمَّا إذا تساوتا فى الدين، فالجميلة أولى»(٣). اهـ.

---

(١) حسن: رواه النسائى (٣٢٣١)، وحسنه الألبانى فى السلسلة الصحيحة (١٨٣٨).

(٢) وتتمته: «والدابة تكون وطيئة؛ فتُلحقك بأصحابك، والدار تكون واسعة كثيرة المرافق، ومن الشقاء: المرأةُ تراها فتسوؤك، وتحمل لسانها عليك، وإن غِبْتَ عنها لم تَأْمَنْها على نفسِهَا ومالِكَ، والدَّابة تكون قطوفًا، فإن ضربتَها أتعبتك، وإن تركتها لم تُلْحِقكَ بأصحابك، والدار تَكون ضيقةً قليلةَ المرافق» رواه الحاكم فى «المستدرك» (٢/ ١٦٢)، وصححه، وحسنه الألبانى فى «صحيح الجامع» (٣٠٥١)، والقطوف: الضيقة المشي.

(٣) «عون المعبود» (٦/ ٤٢)، وانظر: «فتح الباري» (٩/ ١٣٥)، ومما ينبغى التنبيه إليه أن: «هناك فكرة مغلوطة يُلبِّس إبليس بها على بعض الشباب، فقد يرى الواحد منهم فتاة يروقه جمالُها، ولكنها ليست ذات دين، فيدعى أنه يريد من وراء الزواج منها أن يصلحها، وهذه الفكرة خطرة، وغير مأمونة ولا مضمونة، فقد رأينا فى الحياة الواقعية أن بعض الشباب كانوا يريدون الإصلاح، فأفسدتهم تلك الزوجة». اهـ. من «نظرات فى الأسرة المسلمة» لفضيلة الدكتور محمد الصباغ حفظه الله (ص ٣٦).

ويؤكد ﷺ هذا المعنى بقوله فيما رواه عنه عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما: «**الدُّنيا كلّها مَتَاع، وخيرُ مَتَاعها المرأَة الصَّالِحَة**»[١].

۞ الزواج عند صاحب الرسالة وسيلة لا غاية، وسيلة لإعفاف نفسه وصرفها عن الحرام، ووسيلة لبناء بيت مسلم هو لبنة فى بناء مجتمع مسلم، ووسيلة لإنجاب ذرية صالحة ترث الرسالة وتواصل المسيرة، ووسيلة لعونٍ يجده المرء من زوجه على طاعة ربه ومرضاته، ولهذا جعله بعض السلف واجبًا لا تكتمل عبادة العابد إلا به، ... فعن طاوس قال: «لا يتم نُسك الشاب حتى يتزوج»[٢].

وصاحب الرسالة يختار زوجة تحمل نفس همه، يشغلها ما يشغله، تدفعه إلى العمل ولا تُقعده، وتكون عونًا له لا عليه، أما إن تزوج دنيوية الهوى، امرأة أقصى طموحاتها نُزهة وفُسحة، ومسكن وحُلة، فهذا قد أجهض بيتًا مسلمًا من بيوتات الدعوة، لتشكل الزوجة قيدًا فى رجله كلما أراد الانطلاق، وسلسلة تغل يده عن الإنفاق لدينه إذا انشرح له صدره، ومسمارًا فى نعشه حين يبقى فى الدعوة جسدًا بلا روح يأخذ منها ولا يضيف، ويقتات عليها ولا تنتفع منه بشيء.

ومن أراد الدليل فليراجع السجلات عند مَن تفطَّرت قلوبهم حُزنًا على إخوانهم المنتقلين كما يقول أستاذنا القرضاوى إلى «جوار زوجاتهم»، وهؤلاء أثبتوا أن ولاءهم للدعوة ناقص، وإيمانهم بمبادئهم مجروح.

---

(١) صحيح: رواه مسلم (١٤٦٧) كتاب الرضاع، وأحمد (٦٥٣١).

(٢) سير أعلام النبلاء (٥/ ٤٢).

قد آثر أحدهم زوجةً لجمالها أو لأن هواه معها على حساب صاحبة الرسالة وربيبة الدعوة.

وكم رأينا فى الطريق إخوة كانوا ذوى همة ونشاط قبل زواجهم حتى خَبَتْ عزيمتهم وانطفأت همتهم بعد زواجهم بسبب الزوجة وهمِّها.

بل وكم رأينا أخوات فى ذروة نشاطهن الدعوى قبل الزواج، لكن سرعان ما خَبَتْ حماستهن بعد ارتباطهن بزوجٍ عادى ليس له دعوة، فكان القعود والسكون عقب النشاط والحركة.

والناظر فى سيرة الرسول ﷺ فى ابتداء دعوته وموقف أم المؤمنين الأولى السيدة خديجة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا يعلم دور زوجة صاحب الرسالة.

فكانت أمنا خديجة مدرسة تتخرج منها زوجات الدعاة وأصحاب الرسالات لقد آمنت به فكانت أول المؤمنين والمؤمنات، وواسته بمالها، وأعانته بكريم عشرتها وحسن مشورتها، وصبرت على تعبُّد زوجها فى الغار وابتعاده عنها أيام الجاهلية ثم صبرت على بُعده عنها أيام الإسلام فى سبيل تبليغ دعوة الله.

وهى مع هذا ... الشاطئ الذى يلقى عنده كل همومه وغمومه، ويُنفِّس فيه عن نفسه ما يلقاه من أذى المشركين، فلا عجب أن أحبها المصطفى حبًّا ما أحبه أحدًا سواها، وظل يذكرها بعد موتها حتى غارت منها أحب زوجاته إليه بعدها عائشة ابنة الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

ولا غرابة أن بُشِّرت ببيتٍ فى الجنة من قصب لا صخب فيه ولا نَصَب؛ تعبت هنا فعوفيت هناك؛ لأن الجزاء من جنس العمل.

وكم من بيتٍ فى الجنة ينتظر زوجة تؤازر زوجها اليوم فى حمل رسالته؛ تقتدى فى ذلك بأمها خديجة رضي الله عنها، لتحظى فى الجنة بشرف لقائها وعبير صحبتها[١].

(١) يا صاحب الرسالة (ص ١٦١- ١٦٣).

واحدة بالحلال تكفيك

۞ قال الشيخ على الطنطاوى رَحِمَهُ اللَّهُ: «لو أُتيت مال قارون وجسد هرقل وواصلتك عشرة آلاف من أجمل النساء من كل لون وكل شكل وكل نوع من أنواع الجمال هل تظن أنك تكتفي؟ لا ....أقولها بالصوت العالى: لا... أكتبها بالقلم العريض ولكن واحدة بالحلال تكفيك، ولا تطلبوا منى الدليل فحيثما تلفَّتم حولكم وجدتم فى الحياة الدليل قائمًا ظاهرًا مرئيًّا»[(١)].

لكن ما الذى يُزين الحرام للإنسان ويُبغِّض له الحلال؟! وما الذى يجعله تهفو نفسه للغريبة عنه وتزهد فى سكنه ومودته وشريكة عمره؟! إنه الرغبة فى التغيير والقضاء على الملل، إنه التطلع إلى كل جديد فالمرء توَّاق إلى ما لم ينل،... ويجيب الطنطاوى ثانية قائلًا: «فالنساء مختلفات، ولكن طعم المتعة بهن واحد لا يختلف، وما الفرق بين تلك الراقصة وبين امرأتك إلا أن الأولى تأتيك على جوعك بالرغيف قد لفَّته بمنديل الحرير، ووضعت المنديل فى شملة[(٢)]، وألقت الشملة فى صندوق من الفضة المذهبة، وجعلت حول الصندوق الورق الشفاف، فأنت كلما رفعت حجابًا، من هذه الحجب اشتد جوعك وشوقك إلى ما وراءها فإذا بلغت الرغيف حسبته قُطِف من قمح الجنة، ثم طحنته الملائكة، ثم عجنته بأيديهن الحور العين، وأنت لا تأكل المنديل ولا الشملة ولا الصندوق، إنما تأكل الرغيف، وأنت لا تريد هذه الثياب ولا هذه الأنوار، إنما تريد المرأة ولعل امرأتك أبهى منها وأجمل»[(٣)].

---

(١) فتاوى على الطنطاوى (ص ١٤٦).

(٢) الكساء والمئزر يُتَّشح به.

(٣) روائع الطنطاوى (ص ١٩٨- ١٩٩) إبراهيم مضواح الألمعي.

﴿وَصَاحِبْهُمَا فِي ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفًا﴾

۞ **بدا لى وأنا أقرأ قول الله تعالى:** ﴿وَصَاحِبْهُمَا فِي ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفًا﴾ معنى بديع، وهو أن التعبير بهذه اللفظة ﴿وَصَاحِبْهُمَا﴾ من ألطف ما يكون فى الحث على بر الوالدين؛ ذلك أن الصحبة فى هذه الآية تقتضى الملازمة، ومن شأن الملازمة الدوام على تقلُّب الأحوال؛ فالصحبة الطويلة يعتريها الملل، والفتور؛ فإذا استحضر الولد هذا الإرشاد الإلهى عَلِمَ أن لوالديه حقًّا عظيمًا، فيلزم صحبتهما وهما أحق الناس بحسن صحابته بالمعروف.

وذلك يشمل الملاطفة، والمشاورة، والمداراة.

ويشمل كذلك مراعاة أدب المحادثة مع الوالدين؛ لأن طول الصحبة يُفضى إلى الملل من جراء تكرار الأحاديث، والوقائع؛ فيسمعها الولد بروايات كثيرة متنوعة، مما يُضجره، ويجلب له السآمة؛ فإذا لزم حسن الصحبة لم يُظهر الملالة سواء خصَّه الوالد بالحديث، أو كان حاضرًا مع أُناسٍ يتحدث إليهم الوالد، حتى لو كان الحديث معلومًا للولد، مكرورًا على سمعه.

ويشمل كذلك الإكرام بالمال خصوصًا إذ كان الوالد محتاجًا ... فكم من الأولاد من يقصر فى هذا الحق إما تكاسُلًا، أو غفلةً، أو بُخلًا.

وكم من الأولاد من يقول: إن أبى، أو أمى لا يحتاجان إلى شيء؛ فيحرم نفسه من بركة الإنفاق على الوالدين.

وكم من الأولاد من يقول: إن إخوانى أو أخواتى يرفدون والديَّ بما يحتاجان إليه؛ فليسا إذًا فى حاجة إليَّ.

وربما قال ذلك جميع الأولاد، فاعتمد كل واحد منهما على الآخر، فخلت يد الوالدين من أى معونة من الأولاد.

فحرىٌّ بالولد ألا ينسى نصيبه من رفد والديه، ولو كانا غير محتاجين فضلًا عن كونهما كذلك.

وجديرٌ به أن يبادر إلى ذلك ولو كان إخوانه يقومون به ﴿وَفِي ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ ٱلْمُتَنَٰفِسُونَ﴾.

ومن حُسن الصحبة أن يعين والده على البر والصدقات والإحسان؛ فيحدث أحيانًا أن يكون الوالد ثريًّا محسنًا ولكنه لا يوفق بأولاد يعينونه على البر والإحسان، بل ربما قطعوا عليه الطريق، وخذلوه عن الخير؛ فإذا هَمَّ بالمعروف قالوا له: مهلًا؛ إما خوفًا من ضياع مال والدهم - كما يزعمون - وإما رغبة فى زيادة الميراث، أو شُحًّا بالخير، أو غير ذلك؛ فحقيقٌ على الأولاد ألا يقفوا حجر عثرة فى طريق والدهم، بل عليهم أن يُعينوه على الخير.

ومن صور الصحبة السفر مع الوالدين.

ومن صورها الرحلة معهما؛ فماذا يضير الابن على سبيل المثال إذا جاء الربيع، أو نزل مطر أن يصطحب والده أو والدته أو كليهما ليريا المطر، ويُمتِّعا نظريهما برؤية جمال الطبيعة؟

أليس يقضى الوقت الطويل فى صحبة الأصدقاء والمعارف؟

ومن صور المصاحبة فى المعروف القيام بإكرام ضيف الوالد، والحرص على راحته حال قدوم الضيف.

ومن ذلك صحبة الوالد إذا طلب منك الصحبة لأى مكان، أو أُناسٍ ما

لم يكن فى ذلك مأثم.

ومن ذلك أن تُعرِّف أصحابك على والدك، حتى يطمئن على سيرك، ويأنس بأصحابك إذا زاروك.

ومن ذلك قضاء حوائج الوالد أبًا أوأمًّا بكل ارتياح ونشاط وتَدفُّع.

ومن ذلك ملاحظته فى علاجه ومراجعاته، ومرافقته إلى المستشفى إن احتاج إلى ذلك.

ومن ذلك ألا يتأفف الولد إذا أمره والده دون إخوانه، على حد قول الأول:

وإذا تكون ملمة أُدعى لها وإذا يحاس الحيس يدعى جندب

بل عليه أن يفرح بذلك، بل يَجْمُل به أن يبادر إلى التنفيذ ولو لم يُؤمر.

ويحسن به أن يتحمل جفوة الوالد، وقسوته، وتغيُّر مزاجه.

وجِماع حُسن الصحبة للوالدين أن يحرص الولد على إدخال السرور عليهما، وأن يبتعد عن كل ما يكدر خاطرهما.

فهذه إشارات مما حملته الآية الكريمة من معانٍ، أما تفاصيل الحديث عن البر فليس هذا مجالها(١).

---

(١) خواطر (ص ٣٢- ٣٤).

أفمن أسَّس بُنيانه على تقوى من الله

۞ من أراد عُلو بنيانه؛ فعليه بتوثيق أساسه وإحكامه وشدة الاعتناء به؛ فإن علو البنيان على قدر توثيق الأساس وإحكامه.

فالأعمال والدرجات بنيان وأساسها الإيمان، ومتى كان الأساس وثيقًا، حمل البنيان واعتُلى عليه. وإذا تهدَّم شيء من البنيان؛ سَهُل تدارُكه، وإذا كان الأساس غير وثيق؛ لم يرتفع البنيان ولم يثبت، وإذا تهدم شيء من الأساس؛ سقط البنيان أو كاد.

فالعارف هِمَّتُه تصحيح الأساس وإحكامه، والجاهل يرفع فى البناء على غير أساس؛ فلا يلبث بنيانه أن يسقط ... قال تعالى: ﴿أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَـٰنَهُۥ عَلَىٰ تَقْوَىٰ مِنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنٍ خَيْرٌ أَم مَّنْ أَسَّسَ بُنْيَـٰنَهُۥ عَلَىٰ شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَٱنْهَارَ بِهِۦ فِى نَارِ جَهَنَّمَ﴾[1]، فالأساس لبناء الأعمال كالقوة لبدن الإنسان؛ فإذا كانت القوة قوية؛ حملت البدن ودفعت عنه كثيرًا من الآفات، وإذا كانت القوة ضعيفة؛ ضَعُف حملها للبدن، وكانت الآفات إليه أسرع شيء.

فاحمل بنيانك على قوة أساس الإيمان؛ فإذا تشعَّث شيء من أعالى البناء وسطحه؛ كان تَدارُكه أسهل عليك من خراب الأساس.

۞ وهذا الأساس أمران:

أحدهما: صحة المعرفة بالله وأمره وأسمائه وصفاته.

والثانى: تجريد الانقياد له ولرسوله دون ما سواه، ... فهذا أوثق أساس أَسَّس العبد عليه بنيانه، وبحسبه يعتلى البناء ما شاء .

---

(١) سورة التوبة: الآية: (١٠٩).

فإذا كمل البناء؛ فبيِّضْه بحسن الخلق والإحسان إلى الناس، ثم حُطْه بسورٍ من الحذر لا يقتحمه عدو، ولا تبدو منه العورة، ثم أرْخِ الستور على أبوابه، ثم اقفل الباب الأعظم بالسكوت عما تخشى عاقبته، ثم ركِّب له مفتاحًا من ذكر الله به تفتحه وتغلقه، فإن فتحت فتحت بالمفتاح، وإن أغلقت الباب، أغلقته به، فتكون حينئذٍ قد بنيت حصنًا تحصَّنت فيه من أعدائك، إذا أطاف به العدو؛ لم يجد منه مدخلًا فييأس منك. ثم تعاهَد بناء الحصن كل وقت؛ فإن العدو إذا لم يطمع فى الدخول من الباب؛ نقب عليك النقوب من بعيد بمعول الذنوب. فإن أهملت أمره؛ وصل إليك النقب[١].

---

(١) الفوائد / للإمام ابن القيم (ص ١٦٠-١٦١).

اللُّطف الخفى

۞ رأيتُ موقفيْنِ مُؤثِّريْنِ مُعبِّريْنِ للشيخ على الطنطاوى فى مذكّراتِهِ:

الموقفُ الأولُ: تحدَّثَ عن نفسِه وكاد يغرقُ على شاطئِ بيروت، حينما كان يَسبحُ فأشرف على الموتِ، وحُمِل مَغْمِيًّا عليهِ، وكان فى تلك اللحظاتِ يُذعِنُ لمولاهُ، ويودُّ لو عادَ ولو ساعةً إلى الحياةِ، ليُجدِّد إيمانه وعملهُ الصّالح، فيَصلِ الإيمانُ عنده منتهاه.

والموقفُ الثانى: ذَكَرَ أنه قَدِم فى قافلةٍ مِنْ سوريا إلى بيتِ اللهِ العتيقِ، وبينما هو فى صحراءِ تبوك ضلُّوا وبَقُوا ثلاثة أيام، وانتهى طعامُهُم وشرابُهُم، وأشرفوا على الموتِ، فقام وألقى فى الجموعِ خطبة الوداعِ من الحياةِ، خطبةً توحيديَّة حارَّةً رنَّانة، بكى وأبكى الناس، وأحسَّ أنَّ الإيمان ارتفع، وأنه ليس هناك مُعينٌ ولا مُنقذٌ إلا اللهُ جلَّ فى علاه ﴿يَسْـَٔلُهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِى شَأْنٍ﴾[1].

يقولُ سبحانهُ وتعالى: ﴿وَكَأَيِّن مِّن نَّبِىٍّ قَٰتَلَ مَعَهُۥ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا۟ لِمَآ أَصَابَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا۟ وَمَا ٱسْتَكَانُوا۟ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾[2].

إنَّ الله يحبُّ المؤمنين الأقوياء الذين يتحدَّون أعداءهم بصبرٍ وجلادةٍ، فلا يهنون، ولا يُصابون بالإحباطِ واليأسِ، ولا تنهارُ قواهُم، ولا يستكينون للذِّلَّةِ والضعْفِ والفشلِ، بل يصمُدون ويُواصلون ويُرابطون، وهى ضريبةُ إيمانِهم بربِّهم وبرسولِهِمْ وبدينِهِمْ «المؤمنُ القوى خيرٌ وأحبُّ إلى اللهِ من

(١) سورة الرحمن: الآية: (٢٩).

(٢) سورة آل عمران: الآية: (١٤٦).

المؤمنِ الضَّعيفِ وفى كلٍّ خيرٌ» .

جُرحتْ أُصْبُعُ الرسول ﷺ فى ذاتِ اللهِ فقال:

هــلْ أنــتِ إلا إصْـبَعٌ دَميــتِ وفى ســبيلِ الله مــا لقِيــتِ

ووضـع أبـو بكـرٍ إصبعهُ فى ثَقْبِ الغـارِ ليحـمى بها الرسـول ﷺ مـن العقربِ، فلُدغ، فقرأ عليها ﷺ فبرئتْ بإذِن اللهِ.

۞ قال رجلٌ لعنترة: ما السِّرُّ فى شجاعتِك، وأنك تغلِبُ الرِّجالَ؟ قال: ضعْ إصبعك فى فمى، وخُذ إصبعى فى فمك. فوضعها فى فمِ عنترة، ووضَعَ عنترةُ إصبعه فى فمِ الرَّجلِ، ... وكلٌّ عضَّ إصبع صاحبِه، فصاح الرجلُ من الألم، ولم يصبرْ فأخرجَ له عنترةُ إصبعه، وقال: بهذا غلبتُ الأبطال. أى بالصَّبر والاحتمالِ.

إنَّ ممَّ يُفرحُ المؤمن أن لُطفَ اللهِ ورحمته وعفوه قريبٌ منه، فيشعرُ برعايـةِ اللهِ وولايتـهِ بحسبِ إيمانِـهِ. والكائنـاتُ والأحيـاءُ والعجمـاواتُ والطيورُ والزواحفُ تشعرُ بأنَّ لها ربًّا خالِقًا ورازقًا ﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾[1].

يـا ربّ حمـدًا لـيس غيـرُك يُحمـدُ يـا مـنْ لـهُ كُـلُّ الخلائِـقِ تـصْمدُ

عندنا ... العامَّةُ وَقْتَ الحرْثِ يرمون الحبَّ بأيديهمْ فى شقوقِ الأرضِ، ويهتفون: حبٌّ يابسٌ، فى بلدٍ يابسٍ، بين يديك يا فاطر السماوات والأرضِ ﴿أَفَرَءَيْتُم مَّا تَحْرُثُونَ ﴿٦٣﴾ ءَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُۥٓ أَمْ نَحْنُ ٱلزَّٰرِعُونَ﴾[2]. إنَّهـا نزعـةُ توحيـدِ

---

(١) سورة الإسراء: الآية: (٤٤).

(٢) سورة الواقعة: الآيتان: (٦٣-٦٤).

الباري، وتوجُّهُ النُّفُوس إليهِ، سبحانه وتعالى.

قام الخطيبُ المُفوَّه عبدُالحميدِ كشكُ - وهو أعمى - فلمَّا علا المِنْبرَ، أخرج منْ جيبهِ سعفة نخلٍ، مكتوبٌ عليها بنفسِها: اللهُ، بالخطِّ الكوفى الجميلِ، ثم هَتَفَ فى الجموعِ:

انظُــرْ لتلــك الــشَّجرهْ ... ذاتِ الغُــصُونِ النَّــضِرهْ
مَــنْ ذا الــذى أنبتهــا ... وزانهــا بالخَــضِرهْ
ذاك هــو اللهُ الــذى ... قُدرتُــه مُقْتــدِرهْ

فأجْهش الناسُ بالبكاءِ.

إنــهُ فـاطرُ الـسماواتِ والأرضِ مرسومةٌ آياتُــه فى الكائنـاتِ، تنطـقُ بالوحدانيَّةِ والصَّمديةِ والربوبيَّةِ والألوهيَّةِ ﴿رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَاطِلًا﴾(١).

منْ دعائمِ السرورِ والارتياحِ، أنْ تشْعُرَ أنَّ هناك ربًّا يرحمُ ويغفرُ ويتوبُ على مَنْ تاب، فأبشِرْ برحمةِ ربِّك التى وسعتِ السماواتِ والأرض.

قال سبحانه: ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾(٢)، وما أعظم لُطفه سبحانه وتعالى،... وفى حديثٍ صحيحٍ: أنَّ أعرابيًّا صلَّى مع رسولِ اللهِ ﷺ، فلمَّا أصبح فى التَّشهُّدِ قال: اللهمَّ ارحمنى ومحمدًا، ولا ترحمْ معنا أحدًا. قال ﷺ: «**لقدْ حجَّرت واسعًا**» . أى: ضيَّقت واسعًا، إنَّ رحمة اللهِ وَسِعتْ كلَّ شيءٍ ﴿وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا﴾(٣)، «**اللهُ أرحمُ بعبادِهِ منْ هذهِ بولدِها**» .

أحرق رجلٌ نفسه بالنارِ فرارًا منْ عذابِ اللهِ ﷻ، فجمعه سبحانه وتعالى

(١) سورة آل عمران: الآية: (١٩١).
(٢) سورة الأعراف: الآية: (١٥٦).
(٣) سورة الأحزاب: الآية: (٤٣).

وقال له: «**عبْدِي، ما حَمَلَك على ما صنعت؟** قال: يا ربِّ، خِفْتُك، وخشيتُ ذنوبي. **فأدخلهُ اللهُ الجنّة**» .

﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ﴾(١) .

حاسب اللهُ رجلًا مُسرفًا على نفسِه موحّدًا، فلمْ يجدْ عندهُ حسَنةً، لكنّه كان يُتاجرُ في الدنيا، ويتجاوزُ عنِ المُعْسِرِ، ... قال اللهُ: نحنُ أولْى بالكرمِ منك، تجاوزوا عنهُ. فأدخله اللهُ الجنّة.

﴿ وَٱلَّذِىٓ أَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لِى خَطِيٓـَٔتِى يَوْمَ ٱلدِّينِ﴾(٢) ، ﴿لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ﴾(٣) .... عند مسلمٍ: أنّ الرسول ﷺ صلَّى بالناسِ، فقام رجلٌ فقال: أصبْتُ حدًّا، فأقِمْهُ عليَّ. قال: «**أصليت معنا؟**» . قال: نعمْ. قال. «**اذهبْ فقد غُفِر لك**» .

﴿ وَمَن يَعْمَلْ سُوٓءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُۥ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾(٤) .

هناك لُطفٌ خفي يكْتنفُ العبدَ، مِنْ أمامِهِ ومِنْ خلفه، وعن يمينهِ وعنْ شمالِهِ، ومِنْ فوقِه ومنْ تحتِ قدميْهِ .... صاحبُ اللُّطفِ الخفي هو اللهُ ربُّ العالمين ... سلَّم محمدًا ﷺ في الغار، ورحم أهل الكهف في الغار، وفرَّج عن الثلاثة الذين انطبقتْ عليهمُ الصَّخْرةُ في الغارِ، وأنْجى إبراهيم من النارِ، وأنجى موسى من الغرقِ، ونُوحًا من الطُّوفانِ، ويوسف من الجُبِّ وأيوب من المرضِ(٥) .

---

(١) سورة النازعات: الآيتان: (٤٠-٤١).

(٢) سورة الشعراء: الآية: (٨٢).

(٣) سورة الزمر: الآية: (٥٣).

(٤) سورة النساء: الآية: (١١٠).

(٥) لا تحزن (ص ٢٦٠-٢٦٣).

حاسبوا أنفسكم

۞ يا ابن آدم إنما أنت أيام فإذا ذهب يومك ذهب بعضك.

فاحرص على أن تغتنم لحظات العمر فيما يعود عليك بالنفع فى دنياك وآخرتك.

قال عمر: حاسِبوا أنفسكم قبل أن تُحاسَبوا، وزِنُوها قبل أن توزنوا، وتزينوا للعرض الأكبر.

۞ واعلم أخى الحبيب أن محاسبة النفس تحتاج إلى شيئين:

(١) معرفة كل ما يدور فى الدار الآخرة.

(٢) علو همة يُحول هذه المعرفة إلى واقع عملى من الطاعة والعبادة.

قال الحسن البصرى: المسلم لنفسه أشد محاسبة من الشريك لشريكه.

وكان الربيع بن خُثيم يكتب كلامه من الجمعة إلى الجمعة، فإن وجد حسنة، حمد الله، وإن وجد سيئة، استغفر.

وقال أحد السلف: لى ذنب من أربعين سنة، وأنا أسأل الله أن يغفره لى، ولا زلت أُلحُّ فى طلب المغفرة ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَواْ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ﴾[1].

---

(١) سورة المؤمنون: الآية: (٦٠).

خِطاب القرآن

۞ تأمل خطاب القرآن تجد ملكًا له المُلك كله وله الحمد كله، أزِمَّة الأمور كلها بيده ومصدرها منه ومردُّها إليه، مستويًا على سرير ملكه، لا تخفى عليه خافية فى أقطار مملكته، عالمًا بما فى نفوس عبيده، مُطَّلِعًا على أسرارهم وعلانيتهم، منفردًا بتدبير المملكة، يسمع ويرى، ويعطى ويمنع، ويثيب ويعاقب، ويكرم ويهين، ويخلق ويرزق، ويميت ويحيى، ويقدر ويقضى ويُدبر .... الأمورُ نازلةٌ من عنده دقيقُها وجليلُها وصاعدة إليه، لا تتحرك ذرة إلا بإذنه، ولا تسقط ورقة إلا بعلمه.

فتأمل كيف تجده يثنى على نفسه ويُمجد نفسه ويحمد نفسه، وينصح عباده ويدلهم على ما فيه سعادتهم وفلاحهم ويُرغبهم فيه، ويحذرهم مما فيه هلاكهم، ويتعرف إليهم بأسمائه وصفاته، ويتحبب إليهم بنعمه وآلائه؛ فيُذكرهم بنعمه عليهم ويأمرهم بما يستوجبون به تمامها، ويحذرهم من نِقَمه، ويُذكرهم بما أعدَّ لهم من الكرامة إن أطاعوه، وما أعد لهم من العقوبة إن عصوه، ويخبرهم بصنعه فى أوليائه وأعدائه، وكيف كانت عاقبة هؤلاء وهؤلاء.

ويثنى على أوليائه بصالح أعمالهم وأحسن أوصافهم، ويذم أعداءه بسيئ أعمالهم وقبيح صفاتهم، ويضرب الأمثال وينوع الأدلة والبراهين، ويجيب عن شُبَه أعدائه أحسن الأجوبة، ويُصدق الصادق ويُكذب الكاذب، ويقول الحق ويهدى السبيل، ويدعو إلى دار السلام، ويذكر أوصافها وحُسنها ونعيمها، ويحذر من دار البوار ويذكر عذابها وقُبحها وآلامها، ويذكر عباده فقرهم إليه، وشدة حاجتهم إليه من كل وجه، وأنهم

لا غِنى لهم عنه طرفة عين، ويَذكُر غِناه عنهم وعن جميع الموجودات، وأنه الغنى بنفسه عن كل ما سواه، وكل ما سواه فقير إليه بنفسه، وأنه لا ينال أحد ذرة من الخير فما فوقها إلا بفضله ورحمته، ولا ذرة من الشر فما فوقها إلا بعدله وحكمته، ويُشهَدُ من خطابِهِ عتابَهُ لأحبابه ألطفَ عتابٍ، وأنه مع ذلك مُقيلُ عثراتهم وغافرُ زلاتهم، ومقيم أعذارهم، ومُصلح فسادهم، والدافع عنهم، والمحامى عنهم، والناصر لهم، والكفيل بمصالحهم، والمنجى لهم من كل كرب، والموفى لهم بوعده، وأنه وليهم الذى لا ولى لهم سواه، فهو مولاهم الحق ونصيرهم على عدوهم فنعم المولى ونعم النصير.

فإذا شهدت القلوب من القرآن ملكًا عظيمًا رحيمًا جوادًا جميلًا هذا شأنه؛ فكيف لا تحبه، وتُنافس فى القرب منه وتنفق أنفاسها فى التودُّد إليه، ويكون أحب إليها من كل ما سواه، ورضاه آثر عندها من رضا كل ما سواه؟! وكيف لا تلهج بذكره، ويصير حبه والشوق إليه والأنس به هو غذاءها وقوتها ودواءها؛ بحيث إن فقدت ذلك فسدت وهلكت، ولم تنتفع بحياتها؟![1].

---

(١) الفوائد / للإمام ابن القيم (ص ٢٨-٢٩).

منتزهات القلوب

۞ قد يشعر الإنسان بشيء من المَلل والسآمة فيحتاج إلى أن يُروِّح عن نفسه بشيء من المباحات وهذا أمرٌ مشروع وذلك من باب قول النبى ﷺ «**ساعة وساعة**».

ولكن ينبغى أن نعلم أن السياحة فى الأماكن الجميلة والخروج للمتنزهات هى غذاءٌ للعين فلنحرص على أن لا ننسى غذاء القلوب ومنتزهاتها.

ومن طريف ما يُذكر: أن أبا نصر الميكالى رَحِمَهُ اللَّهُ قال: «تذاكرنا المنتزهات يومًا، وابن دريد حاضر، فقال بعضهم: أنزه الأماكن غوطة[1] دمشق، وقال بعضهم بل نهر الأُبلة[2]، وقال آخرون: بل سند سمرقند وقال بعضهم: نهروان[3] بغداد وقال بعضهم: شِعب بَوَّان[4]، وقال بعضهم: نوبهار بلخ[5]،... فقال ابن دريد: هذه منتزهات العيون، فأين أنتم من منتزهات القلوب؟

قلت: ما هى يا أبا بكر؟

قال: «عيون الأخبار» لابن قتيبة، و«الزهرة» لابن داود، و«قلعة

---

(١) الغوطة – بالضم – : موضع بدمشق كثير الماء والشجر.

(٢) الأبلة – بضم الهمزة والباء وتشديد اللام –: مدينة قرب البصرة من جانبها البحري.

(٣) النهروان – بفتح النون وتثليث الراء وبضمها: ثلاث قرى: أعلى، وأوسط، وأسفل، هن بين واسط وبغداد.

(٤) شعب بوان – بفتح الباء وتشديد الواو –: موضع بفارس، إحدى الجنان الأربع الدنيوية.

(٥) بلخ – بالفتح –: مدينة بخراسان.

المشتاق» لابن أبى طاهر.

ثم أنشأ يقول:

ومـــن تَــكُ نُزهتــه قَينــةٌ[١] وكأسٌ تُحَثُّ[٢]، وكأسٌ تُصَبْ

فنُزهتنـــــا واســــــتراحتنا تَلاقـى العيـونِ ودرسَ الكُتبِ[٣]

وقد كان السلف رحمهم الله حريصين على القراءة حتى وهم يسيرون فى الطرق، أو على فراش المرض.

ففى ترجمة الخطيب البغدادى رحمه الله يقول الأبنوسى: «كان الخطيب يمشى وفى يده جزء يطالعه»[٤].

وفى ترجمة ثعلب أحمد بن يحيى النحوى يقول ابن خَلِّكان: «وكان سبب وفاته أنه خرج من الجامع يوم الجمعة بعد العصر وكان قد لحقه صمم، ولا يسمع إلا بعد تعب ... فى يده كتاب ينظر فيه فى الطريق، فصدمته فرس؛ فألقته فى هوة[٥] فأُخرج منها وهو كالمختلط[٦]، فحُمل إلى منزله على تلك الحال، وهو يتأوه من رأسه فمات ثانى يوم»[٧].

ويقول ابن القيم رحمه الله: «حدثنى أخو شيخنا عبد الرحمن بن تيمية عن

---

(١) القينة – بالفتح: الأَمة المغنية، والجمع قينات، وقيان.

(٢) الحث: الإعجال فى اتصال، وبابُه رَدَّ.

(٣) انظر «إرشاد الأريب» لياقوت (١٨/ ١٣٩).

(٤) «السير» (١٨/ ٢٨١).

(٥) الهوة – بزنة القوة: الحفرة البعيدة القفر، والجمع هُوى.

(٦) المختلط: المختل العقل.

(٧) وفيات الأعيان (١/ ١٠٤) وينظر «البداية والنهاية» (١١/ ٩٨).

أبيه قال: كان الجد إذا دخل الخلاء يقول لى: اقرأ فى هذا الكتاب وارفع صوتك حتى أسمع.

وأعرف مَن أصابه مرض من صداع وحمى، وكان الكتاب عند رأسه فإذا وجد إفاقة قرأ فيه، فإذا غُلب وضعه.

وحدثنى شيخنا قال: ابتدأنى مرضٌ، فقال لى الطبيب: إن مطالعتك وكلامك فى العلم يزيد المرض، فقلت له: لا أصبر على ذلك وأنا أُحاكمك إلى علمك: أليست النفس إذا فرحت وسُرَّتْ قويت الطبيعة، فدفعت المرض؟ فقال: بلى.

فقلت له: فإن نفسى تُسَرُّ بالعلم، فتقوى به الطبيعة، فأجد راحة. فقال: هذا خارج عن علاجنا، أو كما قال»[1].

وقال بعضهم:

وأطيب أوقاتى من الدهر خَلوة ... يَقرُّ بها قلبى، ويصفوا بها ذهنى
ويأخذ لى من سورة الفكر[2] نشوة ... فأخرج من فَنٍّ وأدخل فى فَنِّ
ويَفهم ما قد قال عقلى تَصوُّري ... فنَقلِى عن أُذنى وسمعى بها مِنِّي
وأسمع من نجوى[3] الدفاتر ... أُزيل بها همى، وأجلو بها حُزنى
يُنادمني[4] قومٌ لدىَّ حديثهم ... فما غاب منهم غيرُ شخصهم عنِّي

(١) روضة المحبين (٧٠).

(٢) سورة الفكر – بالفتح –: صوابه وارتفاعه.

(٣) النجوى: المسارة.

(٤) المنادمة: المجالسة على الشراب.

وقال آخر:

ما لذة الخلق فى الدنيا بأجمعهم ... ولا الملوك وأهل اللهو والطربِ
كلذَّتى فى طلب العلم يا ولدي ... فالعلم مُعتَمدى حقًّا ومُكتسبي
ما المال ما الأهل ما الأولاد كُلهمْ ... ألذَّ عندى من علمى ومن كُتبي
فمؤنسى دفترى، والعلم مُفتخري ... وخاطرى حاضرى فى العلم لم يغبِ
كلُّ المسراتِ غيرَ العلم فانيةٌ ... يا حبذا العلمُ من فخرٍ ومن حسبِ
ولا يَغُرَّنَك كونُ الناس قد هجروا ... أهل العلوم وذمُّومهم بلا سببِ
فالعلمُ كَنزٌ وذخرٌ ليس يَعدلهُ ... كنزٌ من الدُّرِّ، أو كنزٌ من الذهبِ[1]

(١) (واهم .... وقفات من الحياة) للشيخ فيصل الحاشدى (ص ١٣ - ١٨) بتصرف.

لا تنسَ موعد الدواء

۞ إن كثرة الذنوب تُمرض القلوب، ومن ثَم تحتاج تلك القلوب للدواء النافع... وليس هناك دواء للقلوب من تلك الذنوب أعظم من دواء الاستغفار فى الأسحار.

قال ﷺ: **«من أحب أن تسره صحيفته فليكثر فيها من الاستغفار»**[1].

وقال ﷺ: **«طوبى لمن وجد فى صحيفته استغفارًا كثيرًا»**[2].

فالعبد لا يدرى ولا يعلم ذنوبه كلها فعليه أن يكثر من الاستغفار.

وأين نحن من الحبيب ﷺ الذى غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر.

وعلى الرغم من ذلك يقول ﷺ: **«إنه ليُغانُ على قلبى وإنى لأستغفر الله فى اليوم مائة مرة»**[3].

وقال ﷺ: **«والله إنى لأستغفر الله وأتوب إليه فى اليوم أكثر من سبعين مرة»**[4].

۞ بل تأمل معى ما قاله النبى ﷺ عن قدر نعمة الاستغفار.

۞ قال ﷺ: **«إن الشيطان قال: وعزتك يا رب لا أبرح أُغوى عبادك مادامت أرواحهم فى أجسادهم، فقال الربُّ: وعزتى وجلالى لا أزالُ أغفر لهم**

(١) حسن: رواه البيهقى فى شُعب الإيمان والضياء وحسنه الألبانى فى صحيح الجامع (٥٥٩٥).

(٢) صحيح: رواه ابن ماجه، وصححه الألبانى فى صحيح ابن ماجه (٣٠٧٨)، وصحيح الترغيب والترهيب (١٦١٨) وصحيح الجامع (٣٩٣٠).

(٣) صحيح: رواه مسلم (٢٧٠٢) كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار.

(٤) صحيح: رواه البخارى (٦٣٠٧) كتاب الدعوات.

ما استغفروني»[١].

۞ تَعطَّر بالاستغفار إن كانت قد فضحتك روائح الذنوب، مع العلم أن للدواء موعدًا لا ينبغي التخلف عنه حتى يُحدث أعظم الأثر، وهذا الموعد لم يُحدده طبيب من الأطباء بل حدده رب الأطباء فقال سبحانه: ﴿وَبِٱلْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾[٢].

وقد بلغ من أهمية هذا الدواء في علاج القلب حدًّا جعل الأطباء لا يتصورون أن يتخلف أحد عن موعدٍ واحد من مواعيد تعاطيه، أو يهمل تناول جرعة من جرعاته..لذا رُوي أن طاوس اليماني جاء في السَّحَر يطلب رجلًا، فقالوا: هو نائم، فقال: ما كنتُ أرى أن أحدًا ينام في السَّحَر!![٣].

بل وفوق ذلك ما روى يحيى بن عبد الحميد الحمَّاني عن أبيه أنه صَحِب أبا حنيفة ستة أشهر. قال: فما رأيته صلى الغداة إلا بوضوء عشاء الآخرة، وكان يختم كل ليلة عند السَّحَر.

لكن ترى ما الذي رفع سعر هذا الدواء وغلَّاه؟!

إنه الله الذي يتنزل بنفسه ليعرض عليك جرعة الدواء بلا رسول أو وسيط أو حاجب أو رقيب، ولأن الجرعة غالية فلا بد حتمًا من غلو الثمن، وهو ترك الفراش الدافئ ومجافاة الزوجة وهجر النوم اللذيذ؛ ولذا ليس في غير هذا الوقت تجد هذه الجرعة: «**من ذا الذي يدعوني فأستجيب له**»، ومتى غير الآن تنعم بشفاء: «**من ذا الذي يسألني فأعطيه**»، ومن أين لك في

---

(١) حسن: رواه أحمد، وحسنه الألباني في صحيح الجامع (١٦٥٠).

(٢) سورة الذاريات: الآية: (١٨).

(٣) حلية الأولياء (٤/ ٦).

غير السَّحَر روعة بشارة: «**من ذا الذى يستغفرنى فأغفر له**».

۞ أخى: من وظائف رياح الأسحار نقل رسائل الاعتذار، ... ووالله لو أحسسنا ببلائنا لانقطعت أصواتنا من دعائنا، وقرحت أجفاننا من بكائنا، ولكننا قوم محرومون، فسبحان مُستخرج الدعاء بالبلاء، فكل من شرد عنه لابد وأن يعيده إليه، إما لُطفًا باختياره، أو قَسرًا بابتلائه، لأن من لم تأسره حلاوة النعمة أدبته ضراوة المحنة[1].

---

(١) جرعات الدواء (٢٦٨- ٢٦٩).



من أعان ظالمًا بُلى به

۞ هذه المقولة لشيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ ... والواقع والتاريخ يشهدان بذلك؛ فلو أجَلْتَ النظر، واعتبرت كثيرًا من نهايات الظالمين لرأيت ذلك رأى العين. بل لعلها سنة ماضيةٌ، وعقوبة قدرية تلحق بكل من اتصف بذلك...فهذا ابن العلقمى الذى كان أحد أسباب تقويض خلافة بنى العباس وذلك بسبب خيانته، وممالأته لهولاكو كانت نهايته على يد هولاكو.

وهذا ثعلب الصحراء، القائد الألمانى (رومل) الذى لمع نجمه إبان الحرب العالمية الثانية، وكان ذراع هتلر الأيمن، وقائده المظفر كانت نهايته على يد هتلر ... وها هم قواد الشيوعية من لَدُن لينين إلى جورباتشوف كلما دخلت أمة لعنت أختها.

والأمثلة على ذلك كثيرة، والغرض من ذلك التمثيل لا الحصر.

وليس الأمر يقتصر على الإعانة على الظلم بالقتل أو التدمير.

بل يدخل فى هذا القبيل إعانةُ الظالم على ظلمه فى نحو الغيبة، والوقيعة؛ فيُبتلى هذا المعينُ بالظالم؛ حيث تُغرى بينهما العداوة والبغضاء، ويصبح هم كل واحدٍ منهما إسقاط الآخر.

فلا تجزعن من سيرة أنت سرتها ... فأولُ راضٍ سُنةً من يسيرها

وفى مقابل ذلك من أعان عادلًا على عدله، أو زجر ظالمًا عن ظلمه فإن العاقبة تكون حميدة للطرفين، وسينال المعين على الخير جزاء فعله فى الدنيا، أو فى الآخرة، أو فيهما جميعًا(١).

---

(١) خواطر (ص ٣١).



ازهد فى الدنيا يحبك الله

❁ يقول أحد العلماء (حفظه الله):

قرأت سير سعيد بن المسيب، وسفيان الثورى، وأحمد بن حنبل، والخليل بن أحمد وأمثالهم من علماء الملة، فوجدت العجب العجاب، من قناعتهم من الدنيا بالقليل، فهم على الخبز اليابس أحيانًا مع الماء، وأحيانًا مع الزيت، وربما جاعوا الأيام ولم يجدوا طعامًا، وربما لا يجدوا إلا خبز الشعير، مع أن الدنيا تطاردهم، وعطايا السلطان تطلبهم، وهم يرفضون ويفرون. وهذا هو العلم النافع الذى أثر فى حياتهم وأخلاقهم، فبقى ذكرهم مرفوعًا دائمًا وأبدًا، وعمَّ نفعهم، واستفيد من علمهم، وانتشر فضلهم والثناء عليهم. رحمهم الله رحمة واسعة وإيانا معهم [(١)].

بل وأخبر النبى ﷺ أنَّ الزُّهد فى الدنيا من أعظم أسباب الفوز بمحبة الله (جلَّ وعلا).

فعن سهل بن سعد الساعدى رضي الله عنه، قال: جاءَ رَجلٌ إِلَى النَّبى ﷺ، فقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ دُلَّنِى عَلَى عَمَلٍ إِذَا أَنَا عَمِلْتُهُ أَحَبَّنِى اللهُ وَأَحَبَّنِى النَّاسُ؟ فَقَالَ: «**ازْهَدْ فِى الدُّنْيَا يُحِبَّكَ اللهُ، وَازْهَدْ فِيمَا فِى أَيْدِى النَّاسِ يُحِبُّكَ النَّاسُ**»[(٢)].

❁ وكيف لا يزهد المسلم فى حطام الدنيا وقد قال ﷺ: «**الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر**»[(٣)].

---

(١) حدائق ذات بهجة (ص: ١٦٦).

(٢) صحيح: رواه ابن ماجه (٤١٠٢) كتاب الزهد، وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (٩٢٢).

(٣) صحيح: رواه مسلم (٢٩٥٦) كتاب الرقاق.

❁ قال الإمام ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

لا تتم الرغبة فى الآخرة إلا بالزهد فى الدنيا، ولا يستقيم الزهد فى الدنيا إلا بعد نظرين صحيحين:

النظر الأول: النظر فى الدنيا وسرعة زوالها وفنائها واضمحلالها ونقصها وخستها وألم المزاحمة عليها والحرص عليها، وما فى ذلك من الغُصص والنَّغص والأنكاد، وآخر ذلك الزوال والانقطاع مع ما يعقب من الحسرة والأسف،... فطالبها لا ينفكُّ من هَمٍّ قبل حصولها وهَمٍّ فى حال الظفر بها، وغَمٍّ وحُزنٍ بعد فواتها فهذا أحد النظرين.

النظر الثانى: النظر فى الآخرة، وإقبالها ومجيئها ولا بد، ودوامها، وبقائها، وشرف ما فيها من الخيرات، والمسرَّات، والتفاوت الذى بينه وبين ما هاهنا؛ فهى كما قال سبحانه ﴿وَٱلۡأَخِرَةُ خَيۡرٞ وَأَبۡقَىٰٓ﴾[1] ؛ فهى خيرات كاملة دائمة، وهذه خيالات ناقصة منقطعة مضمحلة. فإذا تم له هذان النظران؛ آثر ما يقتضى العقل إيثاره، وزهد فيما يقتضى الزهد فيه.

ولهذا نبذها رسول الله ﷺ وراء ظهره هو وأصحابه وصرفوا عنها قلوبهم وأطرحوها ولم يألفوها، وهجروها ولم يميلوا إليها، وعَدُّوها سجنًا لا جنة[2]، فزهدوا فيها حقيقة الزهد، ولو أرادوها؛ لنالوا منها كل محبوب، ولوصلوا منها إلى كل مرغوب؛ فقد عُرضت عليه مفاتيح كنوزها فردَّها وفاضت على أصحابه فآثروا بها، ولم يبيعوا حظهم من الآخرة بها، وعلموا أنها مَعبر وممر لا دار مقام ومستقر وأنها دار عبور لا دار سرور، وأنها سحابة

---

(١) سورة الأعلى: الآية: (١٧).

(٢) رواه مسلم (٢٩٥٦) كتاب الزهد والرقائق.

صيف تنقشع عن قليل، وخيالُ طيفٍ ما استتم الزيارة حتى آذن بالرحيل.

قال النبى ﷺ: «**ما لى وللدنيا؟ إنما أنا كراكب قال فى ظل شجرة ثم راح وتركها**»(١).

وقال: «**ما الدنيا فى الآخرة إلا كما يُدخل أحدكم إصبعه فى اليم؛ فلينظر بِمَ ترجع؟**»(٢)(٣).

۞ **يقول إبراهيم بن بشار** رَحِمَهُ اللَّهُ:

خَرَجْتُ أَنَا، وَإِبْرَاهِيمُ بْنُ أَدْهَمَ، وَأَبُو يُوسُفَ الْغَسُولِىُّ، وَأَبُو عَبْدِ اللهِ السَّنْجَارِىُّ نُرِيدُ الإسكندرية فَمَرَرْنَا بِنَهْرٍ يُقَالُ لَهُ: نَهْرُ الْأُرْدُنِ، فَقَعَدْنَا نَسْتَرِيحُ، وَكَانَ مَعَ أَبِى يُوسُفَ كُسَيْرَاتٍ يَابِسَاتٍ، فَأَلْقَاهَا بَيْنَ أَيْدِينَا فَأَكَلْنَاهَا وَحَمِدْنَا اللهَ عَزَّ وَجَلَّ، فَقُمْتَ أَسْعَى أَتَنَاوَلُ مَاءً لِإِبْرَاهِيمَ فَبَادَرَ إِبْرَاهِيم فَدَخَلَ النَّهْرُ حَتَّى بَلَغَ الْمَاءَ إِلَى رُكْبَتَيْهِ فَقَالَ بِكَفَّيْهِ فِى الْمَاءِ فَمَلَأَهُمَا، ثُمَّ قَالَ: بِسْمِ اللهِ وَشَرِبَ الْمَاءَ، ثُمَّ قَالَ: الْحَمْدُ لِلَّهِ، ثُمَّ مَلَأَ كَفَّيْهِ مِنَ الْمَاءِ فَقَالَ: بِسْمِ اللهِ وَشَرِبَ، ثُمَّ قَالَ: الْحَمْدُ لِلَّهِ، يَعْنِى فَعَلَ ذَلِكَ ثَلَاثًا، ثُمَّ إِنَّهُ خَرَجَ مِنَ النَّهْرِ فَمَدَّ رِجْلَيْهِ، ثُمَّ قَالَ: يَا أَبَا يُوسُفَ، لَوْ عَلِمَ الْمُلُوكُ وَأَبْنَاءُ الْمُلُوكِ مَا نَحْنُ فِيهِ مِنَ النَّعِيمِ وَالسُّرُورِ لَجَالَدُونَا بِالسُّيُوفِ أَيَّامَ الْحَيَاةِ عَلَى مَا نَحْنُ فِيهِ مِنْ لَذِيذِ الْعَيْشِ وَقِلَّةِ التَّعَبِ، فَقُلْتُ لَهُ: يَا أَبَا إِسْحَاق، طَلَبَ الْقَوْمُ الرَّاحَةَ وَالنَّعِيم فَأَخْطَئُوا الطَّرِيقَ الْمُسْتَقِيمَ فَتَبَسَّمَ، ثُمَّ قَالَ: مِنْ أَيْنَ لَكَ هَذَا الْكَلَامُ؟(٤).

---

(١) صحيح: رواه الترمذى وأحمد وابن ماجه وصححه الألبانى في صحيح الجامع (٥٦٦٨).

(٢) صحيح: رواه مسلم (٢٨٥٨) كتاب الجنة.

(٣) الفوائد (ص ٩٦- ٩٧).

(٤) انظر: الحلية (٧/ ٣٧٠)، الزهد (٨٠) للبيهقى، صفة الصفوة (٤/ ١٥٣)، تهذيب تاريخ دمشق (٢/ ١٧٩) لابن بدران.

فاذكرونى أذكركم

۞ الصدق حبيب الله، والصراحة صابون القلوب، والتجربة برهان، والرائد لا يكذب أهله، ولم يوجد عمل أشرح للصدر وأعظم للأجر كالذكر ﴿ فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ ﴾(١) وذكره سبحانه جنته فى أرضه مَن لم يدخلها لم يدخل جنة الآخرة، وهو إنقاذ للنفس من أوصابها وأتعابها واضطرابها بل هو طريق مُيسَّر مختصر إلى كل فوز وفلاح ... طالع دواوين الوحى لترى فوائد الذكر، وجرب مع الأيام بلسمه لتنال الشفاء.

إذا مرضنا تداوينا بذكركم ونترك الذكر أحيانًا فننتكس

بذكره سبحانه تنقشع سُحب الخوف والفزع والهم والحزن، بذكره تُزاح جبال الكرب، والغم والأسى.

ولا عجب أن يرتاح الذاكرون فهذا هو الأصل الأصيل، لكن العجب العجاب كيف يعيش الغافلون عن ذكره ﴿ أَمْوَاتٌ غَيْرُ أَحْيَاءٍ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ﴾(٢).

يا من شكى الأرق وبكى من الألم وتفجَّع من الحوادث، ورمته الخطوب، هيا اهتف باسمه المقدس، هل تعلم له سَميًّا.

الله أكبر كلُّ همٍّ ينجلي عن قلب كل مُكبِّرٍ ومُهلِّلِ

بقدر إكثارك من ذكره ينبسط خاطرك، يهدأ قلبك، تسعد نفسك، يرتاح ضميرك، لأن فى ذكره (جل فى عُلاه) معانى التوكل عليه والثقة به والاعتماد

---

(١) سورة البقرة: الآية: (١٥٢).

(٢) سورة النحل: الآية: (٢١).

عليه والرجوع إليه، وحسن الظن فيه، وانتظار الفرج منه، فهو قريب إذا دُعى، سميع إذا نودى، مجيب إذا سُئل، فاضرع واخضع واخشع، وردِّد اسمه الطيب المبارك على لسانك ثناءً ومدحًا ودعاءً وسؤالًا واستغفارًا وسوف تجد بحوله وقوته السعادة والأمن والسرور والنور والحبور ﴿ فَـَٔاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ ثَوَابَ ٱلدُّنْيَا وَحُسْنَ ثَوَابِ ٱلْـَٔاخِرَةِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾[1][2].

۞ ولو لم يكن هناك ثمرة للذكر سوى أنك إذا ذكرت الله ذكرك في التو واللحظة لكفى بها شرفًا وفخرًا.

قال تعالى: ﴿ فَٱذْكُرُونِىٓ أَذْكُرْكُمْ ﴾[3].

عن سعيد بن جبير رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: ﴿ فَٱذْكُرُونِىٓ ﴾ بطاعتى ﴿أَذْكُرْكُمْ ﴾ بمغفرتى ورحمتى.

قال رسول الله ﷺ: **«قال اللهُ: يا ابن آدم إِن ذكرتنى فى نفسِكَ؛ ذكرتُك فِى نفسى، وإن ذكرتنى فى مَلإٍ ذكرتك فى مَلإٍ مِنْ الملائكة أو فى ملإٍ خَير منهم، وإن دنَوْتَ مِنِّى شبرًا دنوت منك ذراعًا، وإن دنوت مِنِّى ذِراعًا دَنَوتُ مِنكَ بَاعًا، وَإِنْ أَتيْتَنِى تَمشِى أَتيْتُكَ أُهَرْوِلُ»**[4].



(١) سورة آل عمران: الآية: (١٤٨).

(٢) حدائق ذات بهجة (ص ١٠٩ - ١١٠).

(٣) سورة البقرة: الآية: (١٥٢).

(٤) صحيح: رواه أحمد، وصححه العلامة الألبانى فى صحيح الجامع (٤٣٣٧).

سورة الملك هى المانعة من عذاب القبر

۞ قال ﷺ: «سورة تبارك هى المانعة من عذاب القبر»(١).

وقال ﷺ: «إن سورة من القرآن ثلاثون آية شفعت لرجل حتى غُفر له وهى سورة: ﴿تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ﴾»(٢).

وقال ﷺ: «سورة من القرآن ما هى إلا ثلاثون آية خاصمت عن صاحبها حتى أدخلته الجنة وهى تبارك»(٣).

۞ عن ابن مسعود أنه ذكر سورة تبارك فقال: هى المانعة تمنع من عذاب القبر، ... توفى رجل فأُتى من قِبل رجليه فتقول رجلاه: لا سبيل لكم على ما قِبلى إنه كان يقرأ سورة الملك، ... ويُؤتى من قِبل بطنه فتقول بطنه: لا سبيل لكم على ما قبلى إنه كان يقرأ سورة الملك(٤).



(١) صحيح: رواه ابن مردويه والحاكم وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (٣٦٤٣).

(٢) حسن: رواه أحمد والترمذى وأبو داود وحسنه الألبانى فى صحيح الجامع (٢٠٩١).

(٣) حسن: رواه الطبرانى فى الأوسط، والصغير وقال الهيثمى فى المجمع (١١٤٣): رجاله رجال الصحيح، وحسنه الألبانى فى صحيح الجامع (٣٦٤٤).

(٤) «أهوال القبور» لابن رجب (ص ٣٣).

التخلية قبل التحلية

۞ قبول المحل لما يوضع فيه مشروط بتفريغه من ضده، وهذا كما أنه فى الذوات والأعيان؛ فكذلك هو فى الاعتقادات والإرادات:

فإذا كان القلب ممتلئًا بالباطل اعتقادًا ومحبة؛ لم يبقَ فيه لاعتقادِ الحقِّ ومحبته موضعٌ؛ كما أن اللسان إذا اشتغل بالتكلُّم بما لا ينفع؛ لم يتمكن صاحبه من النطق بما ينفعه؛ إلا إذا فرغ لسانه من النطق بالباطل، وكذلك الجوارح إذا اشتغلت بغير الطاعة؛ لم يمكن شغلها بالطاعة إلا إذا فرغها من ضدها.

فكذلك القلب المشغول بمحبة غير الله وإرادته والشوق إليه والأُنس به لا يمكن شغله بمحبة الله وإرادته وحبه والشوق إلى لقائه؛ إلا بتفريغه من تعلُّقِه بغيره، ولا حركة اللسان بذكره والجوارح بخدمته، إلا إذا فرغها من ذكر غيره وخدمته؛ فإذا امتلأ القلب بالشغل بالمخلوق والعلوم التى لا تنفع؛ لم يبقَ فيها موضع للشغل بالله ومعرفة أسمائه وصفاته وأحكامه.

وسِرُّ ذلك: أن إصغاء القلب كإصغاء الأذن: فإذا صغى إلى غير حديث الله؛ لم يبقَ فيه إصغاء ولا فهم لحديثه، كما إذا مال إلى غير محبة الله لم يبقَ فيه ميل إلى محبته، فإذا نطق القلب بغير ذكره؛ لم يبقَ فيه محل للنطق بذكره؛ كاللسان.

ولهذا فى الصحيح عن النبى ﷺ أنه قال: «**لأن يمتلئ جوف أحدكم قيحًا حتى يَرِيَه خيرٌ له من أن يمتلئ شعرًا**»(١). فبيَّن أن الجوف يمتلئ بالشعر.

---

(١) متفق عليه: رواه البخارى (٦١٥٥) كتاب الأدب، ومسلم (٢٢٥٧) كتاب الشعر.

فكذلك يمتلئ بالشُّبَه، والشكوك، والخيالات، والتقديرات التى لا وجود لها، والعلوم التى لا تنفع، والمفاكهات، والمُضحكات، والحكايات... ونحوها.

وإذا امتلأ القلب بذلك؛ جاءته حقائق القرآن والعلم الذى به كماله وسعادته، فلم تجد فيه فراغًا لها ولا قبولًا، فتعدَّته وجاوزته إلى محلٍّ سواه؛ كما إذا بَذَلْتَ النصيحة لقلبٍ ملآن من ضدها لا منفذ لها فيه؛ فإنه لا يقبلها ولا تلج فيه. لكن تمر مجتازة لا مستوطنة، ولذلك قيل:

نزِّه فؤادكَ عن سوانا تَلْقَنَا ... فجانبُنا حِلٌّ لكلِّ مُنزَّهِ
والصبرُ طِلسمٌ لكنزِ وصالنا ... مَنْ حَلَّ ذا الطَّلسمِ فازَ بكنزِهِ

وبالله التوفيق.(١).

(١) الفوائد/ للإمام ابن القيم (ص ٢٩-٣٠).

تهادوا تحابوا

❁ قال ﷺ: **«تهادوا تحابوا»**[١].

❁ لقد وهم من عرف الأثر العظيم للهدية ثم يعدل عنها إلى غيرها.

فالهدية سبيل الحب، وبساط الود، وإكسير الألفة، وبريد القلب، وشعار التقدير وعنوان التكريم، والسحر الحلال الذى يفتح الباب المُصمَت[٢]، ويَسلُّ[٣]، سخيمة[٤]، القلب، ويَذهب بوحر الصدر[٥].

فليحرص عليها ما استطاع وخاصة الداعية إلى الله؛ علَّه يتسلل إلى تلك القلوب الشاردة، فيردها إلى رياض الهدى والإيمان.

هدايا الناس بعضهم لبعض ... تُولِّد فى قلوبهم الوصالا
وتزرع فى القلوب هوًى وودًّا ... وتكسوك المهابة والجلالا
مصايد للقلوب بغير لَغبٍ[٦] ... وتمنحك المحبة والجمالا[٧]

---

(١) حسن: رواه أبو يعلى وحسنه الألبانى فى صحيح الجامع (٣٠٠٤).

(٢) الباب المصمت: المُبهم إغلاقه.

(٣) السَّلُّ: انتزاع الشيء وإخراجه فى رفق وبابه: رَدَّ.

(٤) السخيمة: الحقد، والجمع السخائم.

(٥) وحر الصدر – بالتحريك-: غِلُّه وعداوته.

(٦) اللغب: كالتعب زِنة ومعنى.

(٧) واهم ... وقفات من الحياة (ص ١١٣- ١١٤).



وتوكل على الحى الذى لا يموت

۞ قال ﷻ: ﴿ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْحَىِّ ٱلَّذِى لَا يَمُوتُ وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِۦ ﴾(١).

سبحان الله كيف يلجأ أحد إلى غير الله بعد سماعه هذه الآية؟!

ألم تر أنه أعلمك أنه لا يموت وجميع خلقه يموتون، ومن لا يستطيع أن يدفع عن نفسه الموت هل يصلح أن تستعين به وتتوكل عليه؟! ثم أمرك بالتسبيح بحمده وفى هذا فائدتان جليتان:

۞ **الأول**: التسبيح فيه تنزيه الله عن كل نقصٍ وعيبٍ وضعفٍ وعجزٍ، فإذا استقر هذا فى القلب وامتلأت كل ذرة بهذا التبجيل والتعظيم والإجلال؛ سَهُل عليك استجلاب معنى التوكل على من هذه صفته وجمع الهم عليه.

۞ **الثانية**: أن التسبيح ذكر الله، وذكر الله يجلب معية الله «**وأنا معه إذا ذكرني**» ومعية الله عون وإعانة ودعم وإمداد؛ ولذا فقوة المتوكلين وعزتهم مستمدة من قوة الله وعزته، وطمأنينة قلوبهم يقف وراءها سر: ﴿أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ ﴾(٢).

وفى ضوء هذه الآية تعرف لماذا أطلق سليمان الخواص قوله:

«لو عامل عبدٌ اللهَ بحسن التوكل وصدق النية له بطاعته، لاحتاجت إليه الأمراء ومَن دونهم، فكيف يكون هذا محتاجًا وموئله إلى الغنى الحميد؟!»(٣)(٤).

---

(١) سورة الفرقان: الآية: (٥٨).

(٢) سورة الرعد: الآية: (٢٨).

(٣) التوكل (ص ٧٠).

(٤) البحث عن اليقين (ص ١٣٢ - ١٣٣).

لن تُعدم مَن يُقدرون المكارم

۞ يُذكر أن مريضًا نفسيًّا كان يتوهم أنه حَبَّة؛ فإذا مرَّ به دجاج فرَّ منها؛ خشية أن تعدو عليه، وتأكله.

فلما رأى حاله بعض مُحبيه ذهب به إلى طبيب نفسي؛ فشرح هذا المريض للطبيب مشكلته، وبعد جهد أقنعه الطبيب بأنه إنسان سوي.

ولما هَمَّ المريض بالانصراف قال: أنا – أيها الطبيب – اقتنعت بأننى إنسان لا حبة ولكن من يُقنع الدجاج بذلك؟

۞ هذه الحكاية تُذكرك بأُناسٍ عُقلاء أسوياء ذوى أخلاق كريمة، ونفوس مطمئنة؛ ولكنهم يُبتلون بأُناسٍ شرسين سيئى الظن؛ فإذا عاملهم العاقل السوى، المهذب الراقى بما تقتضيه طبيعته الطيبة ظنوا ذلك منه سذاجة أو بلاهة وربما ظنوه تَملُّقًا ومكرًا، ومكايدة؛ فلهذا تراه يحار، ويقول: إننى على خطأ، وإن القوم ربما استضعفوني؛ فلا أريد أن يشمت بى الأعداء، ويجعلونى سُبة.

فتقول له: أنت اليد العليا، وأنت المحسن، وأنت الكريم.

فيقول لك: إذًا فمن يقنع هؤلاء بسلامة مقصدى، وطهارة سريرتي؛ فدعنى وشأنى فسأغير طباعى، وألبس لهم لبوسهم متمثلًا بقول أبى العلاء:

ولما رأيت الجهل فى الناس فاشيًا ... تجاهلت حتى ظُنَّ أنى جاهل

وبعد فهذه الحالة تعترى كثيرًا من النفوس؛ فتهبط بها عن عليائها ويصبح الناس بسببها قطعانًا من الذئاب الضارية؛ فلا مروءة، ولا تذمم،

ولا رعاية، ولا تكرم.

فحقٌّ على الكريم العاقل أن يعتصم بالفضيلة، وألا يثنيه عنها جهل جاهل، أو تَنكُّر حاسد.

وإذا اعترضتك مثل هذه الأحوال فاحتفظ بألمعيتك، وطهارة قلبك ومنطقك.

وإذا لم يُعرف قدرك فيكفيك علم الله بك، ولن تَعدم مَن يقدرون المكارم قدرها؛ فـ ﴿ خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴾ واستحضر أنك بإحسانك إلى الناس، وإساءتهم إليك - أنك كمن يُسِفُّهم المَلَّ (الرماد الحار)، ولا يزال معك من الله ظهير[1].



(١) خواطر (ص ٢٠- ٢١).

ومن يتق الله يجعل له مخرجًا

۞ ما من مسلمٍ يتقى الله ﷻ إلا جعل الله له فرجًا ومخرجًا ورَزَقَه من حيث لا يحتسب.

قال تعالى: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مَخۡرَجٗا ۝٢ وَيَرۡزُقۡهُ مِنۡ حَيۡثُ لَا يَحۡتَسِبُۚ﴾(١).

قال المفسرون: الآية عامة وقد نزلت فى «عوف بن مالك الأشجعي» أسر المشركون ابنه، فأتى رسول الله ﷺ وشكا إليه الفاقة، وقال: إنَّ العدوَّ أسر ابنى وجزعت أمه فما تأمرني؟ فقال ﷺ له: «**اتقِ اللهَ واصْبِر، وآمرك وإياها أن تستكثرا من قول: لا حول ولا قوة إلا بالله**» ففعل هو وامرأته، فبينما هو فى بيته إذ قرع ابنه الباب، ومعه مائة من الإبل غفل عنها العدو فاستقاها فنزلت: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مَخۡرَجٗا ۝٢ وَيَرۡزُقۡهُ مِنۡ حَيۡثُ لَا يَحۡتَسِبُۚ﴾(٢).

۞ ودَّع ابنُ عون رجلًا فقال: عليك بتقوى الله؛ فإن المتقى ليست عليه وحشة.

وقال زيد بن أسلم: كان يقال: من اتقى الله؛ أحبه الناس وإن كرهوا.

وقال الثورى لابن أبى ذئب: إن اتقيت الله؛ كفاك الناس، وإن اتقيت الناس لن يُغنوا عنك من الله شيئًا.

وقال سليمان بن داود: «أوتينا مما أُوتى الناس ومما لم يُؤتَوا، وعُلِّمنا مما عُلِّم الناس ومما لم يُعلَّموا، فلم نجد شيئًا أفضل: من تقوى الله فى السر والعلانية، والعدل فى الغضب والرضا، والقصد فى الفقر والغنى»(٣).

---

(١) سورة الطلاق: الآيتان: (٢-٣).

(٢) القرطبى (١٨/ ١٦٠)، والطبرى (٢٨/ ٩٠).

(٣) صحيح: أخرجه أحمد فى «الزهد»، (ص ٥١)، وأبو نعيم فى «الحلية» (٧/ ٢٩٩). وصححه =

وفى «الزهد» للإمام أحمد أثر إلهى: «ما من مخلوق اعتصم بمخلوقٍ دوني؛ إلا قطعت أسباب السماوات والأرض دونه؛ فإن سألني؛ لم أُعْطِهِ، وإن دعاني؛ لم أُجبه، وإن استغفرنى لم أغفر له، وما من مخلوق اعتصم بى دون خلقي؛ إلا ضمنت السماوات والأرض رزقه، فإن سألني؛ أعطيتُهُ، وإن دعاني؛ أجبتُهُ، وإن استغفرنى غفرتُ له»(١).

= الألبانى فى «الصحيحة»، برقم (١٨٠٢).

(١) الفوائد / للإمام ابن القيم (ص ٥٢-٥٣).

دوام الحال من المُحال

۞ يا إنسان بعد الجوع شِبَع، وبعد الظمأ ري، وبعد السهر نوم، وبعد المرض عافية، .... سوف يصل الغائب ويهتدى الضال، ويُفَكُّ العانى، وينقشع الظلام ﴿فَعَسَى ٱللَّهُ أَن يَأْتِيَ بِٱلْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِّنْ عِندِهِۦ﴾(١).

بَشِّر الليل بصبحٍ صادق يطارده على رؤوس الجبال، ومسارب الأودية، بشر المهموم بفرجٍ مفاجئٍ يصل فى سرعة الضوء ولمح البصر.

بشِّر المنكوب بلطفٍ خفيٍّ وكفٍّ حانية وادعة.

إذا رأيت الصحراء تمتد وتمتد، فاعلم أن وراءها رياضًا خضراء وارفة الظلال.

إذا رأيت الحبل يشتد ويشتد، فاعلم أنه سوف ينقطع.

مع الدمعة بسمة، ومع الخوف أمنٌ ومع الفزع سكينة ... النار لا تحرق إبراهيم التوحيد، لأن الرعاية الربانية فتحت نافذة بردٍ وسلام.

البحر لا يُغرق كليم الرحمن، لأن الصوت القوى الصادق نطق بكلا إن معى ربى سيهدين.

المعصوم فى الغار بشَّر صاحبه بأنه وحده (جلَّ فى علاه) معنا فنزل الأمن والفتح والسكينة.

إن عبيدَ ساعاتِهم الراهنة، وأرقاء ظروفهم القاتمة لا يَرَوْنَ إلا النكد والضيق والتعاسة لأنهم لا ينظرون إلا إلى جدار الغرفة، وباب الدار فحسب، ألا فليمدوا أبصارهم وراء الحُجُب، وليُطلقوا أَعِنَّة أفكارهم إلى

---

(١) سورة المائدة: الآية: ٥٢.

ما وراء الأسوار.

إذًا فلا تضق ذَرعًا، فمن المحال دوام الحال، وأفضل العبادة انتظار الفرج ... الأيام دول، والدهر قُلَّب، والليالى حبالى، والغيب مستور، والحكيم كل يوم هو فى شأن، ولعل الله يُحْدِث بعد ذلك أمرًا، وإن مع العسر يسرًا[1].

(١) حدائق ذات بهجة (ص ١٢٥- ١٢٦).

إنظار المُعْسِر إلى مَيسرة والتجاوز عن الموسر

۞ ما أجمل أن يتراحم المسلمون فيما بينهم حتى تسود المحبة والألفة مجتمعاتنا الإسلامية ... والإسلام دائمًا يحضنا على التراحُم فيما بيننا فقد قال النبى ﷺ: «**إنما يرحم الله من عباده الرُّحماء**»(١).

۞ وكان من صور التراحم بين المسلمين: إنظار المُعسر إلى ميسرة.

۞ قال تعالى: ﴿ وَإِن كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ ۚ وَأَن تَصَدَّقُوا خَيْرٌ لَّكُمْ ﴾(٢).

۞ وعن بريدة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «**مَن أَنظَر مُعسرًا، فله بكل يوم مثله صدقة قبل أن يحلَّ الدَّين، فإذا حَلَّ الدَّين فأنظره فله بكل يوم مثلاهُ صدقة**»(٣).

۞ وعن شداد بن أوس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**من أنظر معسرًا، أو وضع عنه، أظله الله فى ظله يوم لا ظل إلا ظله**»(٤).

۞ وعن حذيفة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «**تلقَّت الملائكة روح رجل ممن كان قبلكم، فقالوا: أعملت من الخير شيئًا؟ قال: لا. قالوا: تذكَّر. قال كنت أُداين الناس. فآمر فِتيانى أن ينظروا المعسر، ويتجوزُوا عن الموسر، قال: قال الله عَزَّ وَجَلَّ: تجوَّزوا عنه**»(٥).

---

(١) متفق عليه: رواه البخارى (١٢٨٤)، ومسلم (٩٢٣).

(٢) سورة البقرة: الآية: (٢٨٠).

(٣) صحيح: رواه أحمد وابن ماجة والحاكم وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (٦١٠٨).

(٤) صحيح: رواه مسلم (٣٠١٤) كتاب الزهد والرقائق.

(٥) متفق عليه: رواه البخارى (٢٠٧٧) كتاب البيوع، ومسلم (١٥٦٠) كتاب المساقاة.

۞ وعن حذيفة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «إن رجلاً مات فدخل الجنة. فقيل له: ما كنت تعمل؟ قال: فإما ذَكر،وإما ذُكِّر: كنتُ أبايع الناس، فكنت أنظر المعسر، وأجوز فى السكة، أو فى النقد، فغُفر له»(١).

(١) متفق عليه: رواه البخارى (٢٠٧٧) كتاب البيوع، ومسلم (١٥٦٠) كتاب المساقاة.

العرش والقلب

۞ أنزه الموجودات وأطهرها وأنورها وأشرفها وأعلاها ذاتًا وقدرًا وأوسعها عرشُ الرحمن ﷻ، ولذلك صلح لاستوائه عليه، وكل ما كان أقرب إلى العرش؛ كان أنور وأنزه وأشرف مما بَعُد عنه؛ ولهذا كانت جنة الفردوس أعلى الجنان وأشرفها وأنورها وأجَلُّها؛ لقربها من العرش إذ هو سقفها[1]، وكل ما بَعُد عنه كان أظلم وأضيق، ولهذا كان أسفل سافلين شر الأمكنة وأضيقها وأبعدها من كل خير.

وخلق الله القلوبَ وجعلها محلًّا لمعرفته ومحبته وإرادته، فهي عرش المثل الأعلى الذي هو معرفته ومحبته وإرادته ... قال تعالى: ﴿ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْآخِرَةِ مَثَلُ ٱلسَّوْءِ ۖ وَلِلَّهِ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾[2].

وقال تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَبْدَؤُا ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ ۚ وَلَهُ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾[3]، وقال تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ﴾[4]؛ فهذا من المثل الأعلى وهو مُستوٍ على قلب المؤمن فهو عرشه. وإن لم يكن أطهر الأشياء وأنزهها وأطيبها وأبعدها من كل دنس وخبث؛ لم يصلح لاستواء المثل الأعلى عليه معرفةً ومحبةً وإرادةً، فاستوى عليه مثل الدنيا الأسفل ومحبتها وإرادتها والتعلق بها، فضاق وأظلم وبَعُد من كماله وفلاحه.

---

(١) صحيح: رواه البخاري (٧٤٢٣) كتاب التوحيد.

(٢) سورة النحل: الآية: (٦٠).

(٣) سورة الروم: الآية: (٢٧).

(٤) سورة الشورى: الآية: (١١).

حتى تعود القلوب على قلبين: قلب هو عرش الرحمن، ففيه النور والحياة والفرح والسرور والبهجة وذخائر الخير.

وقلب هو عرش الشيطان، فهناك الضيق والظُّلمة والموت والحزن والغم والهم، فهو حزين على ما مضى، مهموم بما يستقبل، مغموم في الحال.[1].

---

(١) الفوائد/ للإمام ابن القيم (ص ٢٧).

حروفنا تصنع سعادتنا

الكلمة لها شأن عظيم وخطر جسيم، ولا يجهل شأنها إلا مَنْ قَلَّ حظه من العقل والنظر وعمق التفكير.

الكلمة نهر ساكن مليء بالخيرات، أو بحر هائج فيه الموت والهلاك.

الكلمة بلسم شافٍ لكل الجراحات والعلل، أو سم ناقع لا يلبث مَن شَربِه أن يكون من سكان القبور.

الكلمة فيها الحياة، والأمن، والسعادة، والراحة، والطمأنينة، أو هي قنبلة موقوتة تدمر كل شيء بأمر ربها.

بالكلمة يصنع السلام ويسود الوئام وتنتشر الألفة، والمحبة بين الناس، وبالكلمة تثور الحروب، وتفشو الضغائن، وتظهر الفتن، وتنجم المحن.

الكلمة آلة بناء وعلو وارتفاع، أو معول هدم وتخريب وتمزيق.

فـ «لا إله إلا الله» كلمة الإخلاص والتوحيد والنجاة والسعادة.

وقول الكفار: ﴿لَسْتَ مُرْسَلًا﴾[1] كلمة أوبقت عليهم دنياهم وأخراهم.

قال تعالى: ﴿يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ مَا قَالُوا وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ وَكَفَرُوا بَعْدَ إِسْلَامِهِمْ﴾[2] وقال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ ﴿٢٤﴾ تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٥﴾ وَمَثَلُ

---

(١) سورة الرعد: الآية: ٤٣.

(٢) سورة التوبة: الآية: ٧٤.

كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ ٱجْتُثَّتْ مِن فَوْقِ ٱلْأَرْضِ مَا لَهَا مِن قَرَارٍ ﴾(١).

ويقول النبى ﷺ: «**إن الرجل ليتكلم بالكلمة من رضوان الله تعالى، ما يظن أن تبلغ ما بلغت، فيكتب الله له بها رضوانه إلى يوم القيامة، وإن الرجل ليتكلم بالكلمة من سخط الله تعالى ما يظن أن تبلغ ما بلغت، فيكتب الله عليه بها سخطه إلى يوم القيامة**»(٢).

ولما أخبر النبى ﷺ معاذ بن جبل بأبواب الخير ورأس الأمر وعموده وذروة سنامه قال له: «**ألا أُخبرك بملاك ذلك كلّه؟**».

قال معاذ: بلى يا رسول الله.

قال ﷺ: «**كُفَّ عليك هذا**» وأشار إلى لسانه قال معاذ: يا نبى الله! وإنَّا لمؤاخذون بما نتكلم به؟.

قال: «**ثكلتك أمك، وهل يَكُبُّ الناسَ فى النار على وجوههم – أو قال: على مناخرهم – إلا حصائد ألسنتهم**»(٣).

۞ أخى الحبيب:

إن كثيرًا من الناس اليوم لا يقيم للكلمة وزنًا، ولا يحسب لها حسابًا، فتجده يتكلم بما يشاء، ويكتب ما شاء، كذبًا وضلالاً، غيبة ونميمة، سخفًا ورعونة، وكفرًا وإلحادًا ...والله تعالى يقول: ﴿ مَا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴾(٤).

---

(١) سورة إبراهيم: الآيات: (٢٤- ٢٦).

(٢) صحيح: رواه أحمد والترمذى والنسائى، وصححه الألباني فى صحيح الجامع (١٦١٩).

(٣) صحيح: رواه أحمد والترمذى، وصححه الألباني فى صحيح الجامع (٥١٣٦).

(٤) سورة ق: الآية: (١٨).

قال الإمام ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ومن العجب أن الإنسان يهون عليه التحفُّظ والاحتراز من أكل الحرام، والظلم، والزنا، والسرقة، وشرب الخمر، ومن النظر المحرم وغير ذلك، ويَصْعُب عليه التحفظ من حركة لسانه، حتى يُرى الرجل يشار إليه بالدين والزهد والعبادة، وهو يتكلم بالكلمة لا يلقى لها بالًا، ينزل بالكلمة الواحدة منها أبعد مما بين المشرق والمغرب.

وكم ترى من رجلٍ متورع عن الفواحش والظلم، ولسانه يفرى فى أعراض الأحياء والأمواتٍ ولا يبالى ما يقول....

وقد كان بعض السلف يحاسب نفسه فى قوله: يوم حار، ويوم بارد. ولقد رُؤى بعض الأكابر من أهل العلم فى النوم بعد موته فسُئل عن حاله فقال: أنا موقوف على كلمة قلتها، قلت: ما أحوج الناس إلى غيث. فقيل لى: وما يدريك، وأنا أعلم بمصلحة عبادي[١][٢].



(١) الجواب الكافى (ص ٢١٦– ٢١٧).

(٢) لا تحزن وكن مطمئنًا (ص ٤٠– ٤٢) إعداد القسم العلمى بدار الوطن.

من آثار ترك الذنوب والمعاصي

۞ سبحان الله رب العالمين! لو لم يكن فى ترك الذنوب والمعاصى إلا إقامة المروءة، وَصوْن العرض، وحفظ الجاه، وصيانة المال الذى جعله الله قِوامًا لمصالح الدنيا والآخرة، ومحبة الخلق، وجواز القول بينهم، وصلاح المعاش، وراحة البدن، وقوة القلب وطيب النفس، ونعيم القلب، وانشراح الصدر، والأمن من مخاوف الفُسّاق والفُجّار، وقلة الهم والغم والحزن، وعز النفس عن احتمال الذل، وصون نور القلب أن تطفئه ظلمة المعصية، وحصول المَخرج له مما ضاق على الفساق والفجار، وتيسير الرزق عليه من حيث لا يحتسب، وتيسير ما عَسُر على أرباب الفسوق والمعاصى، وتسهيل الطاعات عليه، وتيسير العلم والثناء الحسن فى الناس، وكثرة الدعاء له. والحلاوة التى يكتسبها وجهه، والمهابة تُلقَى له فى قلوب الناس، وانتصارهم وحَمّيتهم له إذا أُوذى وظُلم، وذَبُّهم عن عِرضه إذا اغتابه مغتاب، وسرعة إجابة دعائه، وزوال الوحشة التى بينه وبين الله، وقرب الملائكة منه، وبُعد شياطين الإنس والجن منه. وتنافُس الناس على خدمته وقضاء حوائجه، وخطبتهم لمودته وصحبته، وعدم خوفه من الموت، بل يفرح به لقدومه على ربه ولقائه له ومصيره إليه، وصغر الدنيا فى قلبه، وكبر الآخرة عنده، وحرصه على المُلك الكبير، والفوز العظيم فيها، وذوق حلاوة الطاعة. ووجْدُ حلاوة الإيمان، ودعاء حملة العرش ومن حوله من الملائكة له، وفرح الكاتبين به ودعاؤهم له كل وقت، والزيادة فى عقله وفهمه وإيمانه ومعرفته. وحصول محبة الله له وإقباله عليه وفرحه بتوبته. وهكذا يجازيه بفرح وسرور لا نسبة له إلى فرحه وسروره بالمعصية

بوجهٍ من الوجوه. فهذه بعض آثار ترك المعاصى فى الدنيا.

فإذا مات؛ تلقَّته الملائكة بالبشرى من ربه بالجنة، وبأنه لا خوف عليه ولا حزن، وينتقل من سجن الدنيا وضيقها إلى روضة من رياض الجنة ينعم فيها إلى يوم القيامة. فإذا كان يوم القيامة، كان الناس فى الحر والعرق، وهو فى ظل العرش. فإذا انصرفوا من بين يدى الله؛ أُخذ به ذات اليمين مع أوليائه المتقين وحزبه المفلحين و﴿ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴾[1][2].



(١) سورة الجمعة: الآية: (٤).

(٢) الفوائد/ للإمام ابن القيم (ص ١٥٥-١٥٦).

عُلُوٌّ فى الحياة وفى الممات

۞ لما قتل عَضُد الدولة ابن بقية الوزير الشهير قام أبو الحسن الأنبارى فرثاه بقصديته الرائعة فقال فيها:

عُلُـــوٌّ فى الحيــاةِ وفى الممــاتِ ... لَحَقٌّ أنـت إحـدى المعجـزاتِ

كـأن النـاس حولـك حيـن قـاموا ... وفــود نــداك أيــام الــصِّلاتِ

كأنــك واقــفٌ فـيهم خطيبًــا ... وهـــم وقفـــوا قيامًـــا للـــصلاةِ

مـددت يـديك نحوهمـو احتفـاءً ... كمـــدِّهما إلـــيهم بالهبـــاتِ

ولما ضاق بطـنُ الأرض عـن أنْ ... يُــواروا فيــه تلــك المَكْرُمــاتِ

أصاروا الجو قبـرك واستعاضـوا ... عليـك اليـوم صـوتَ النائحـاتِ

ومــا لــك تُربــةٌ فـأقول تُـسقى ... لأنـك نـصبَ هَطْـلِ الهـاطلاتِ

عليــك تحيــةُ الــرحمن تَتْـرَى ... بتبريـــك الفـــؤاد الرائحـــاتِ

لعظمك فى النفوس تَباتُ تُرعـى ... بحُــــرَّاسٍ وحُفَّـــاظٍ ثقـــاتِ

وتُوقَــدُ حولــك النيــرانُ لــيلًا ... كـــذلك كنـــت أيـــام الحيـــاةِ

لما سمع هـذه الأبيـات عـضدُ الدولـة الـذى قتلَهُ، دمعـت عينـاه، وقـال: وددت والله أننى قُتلت وصُلبت وقِيلت فيَّ.





عشرة أشياء لا يُنتفع بها

۞ لن تعيش إلا مرة واحدة فاحرص على أن تجعل حياتك ودقائق عمرك وأنفاسك فيما يُرضى الله لتفوز فى الدارين: فى الدنيا والآخرة ... واحذر من كل ما يُفسد قلبك ويُضيع عمرك ويُبعدك عن ربك ﷻ.

۞ قال الإمام ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ:

عشرة أشياء ضائعة لا يُنتفع بها: علم لا يُعمل به، وعملٌ لا إخلاص فيه ولا اقتداء، ومال لا يُنفَق منه فلا يستمتع به جامعُه فى الدنيا ولا يقدمه أمامه إلى الآخرة، وقلب فارغ من محبة الله والشوق إليه والأنس به، وبدن مُعطَّل من طاعته وخدمته، ومحبة لا تتقيد برضاء المحبوب وامتثال أوامره، ووقت مُعطل عن استدراك فارطٍ أو اغتنام برٍّ وقربة، وفكر يجول فيما لا ينفع، وخدمة مَن لا تقربك خدمته إلى الله ولا تعود عليك بصلاح دنياك، وخوفك ورجاؤك لمن ناصيته بيد الله وهو أسير فى قبضته، ولا يملك لنفسه ضرًّا ولا نفعًا ولا موتًا ولا حياة ولا نشورًا.

وأعظم هذه الإضاعات إضاعتان هما أصل كل إضاعة: إضاعة القلب وإضاعة الوقت؛ فإضاعة القلب من إيثار الدنيا على الآخرة، وإضاعة الوقت من طول الأمل. فاجتمع الفساد كله فى اتباع الهوى وطول الأمل، والصلاح كله فى اتباع الهدى والاستعداد للقاء، والله المستعان [1].

---

(١) الفوائد / للإمام ابن القيم (ص ١١٥).

وقل لعبادى يقولوا التى هى أحسن

۞ بعض الناس إذا تكلم فإنما ينثر على مُحدثه الورد والياسمين فلا تسمع منه إلا جميل القول وجيد العبارة، وكأنَّما يعدّ كلامه عدًّا فلا تخرج منه كلمة جافية، ولا عبارة نابية.

وبعض الناس إذ تكلم، فإنما يقذف فى وجهك بالحجارة، أو يرميك بالمدافع والقنابل، فكلماته شَرٌّ من لدغ الثعبان، تحمل بين حروفها السم الناقع والموت المحدق.

وانظر إلى سلف هذه الأمة كيف كانوا يختارون ألفاظهم وكيف كانوا ينتقون كلمتهم كما ينتقون أطايب الثمر.

۞ فهذا عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ خرج يعسُّ فى المدينة بالليل، فرأى نارًا موقدة فى خباء، فوقف وقال: «يا أهل الضوء» وكَرِه أن يقول: يا أهل النار.

۞ وسُئل العباس: أنت أكبر أم رسول الله ﷺ فقال: هو أكبر منى، وأنا وُلدتُ قبله!

۞ وسُئل عن ذلك قباث بن أثيم فقال: رسول الله ﷺ أكبر منى، وأنا أَسنُّ منه.

۞ وكان لبعض القضاة جليس أعمى، وكان إذا أراد أن ينهض يقول: يا غلام اذهب مع أبى محمد، ولا يقول: خذ بيده. قال: والله ما أخلَّ بها مرة!!

۞ ومن ذلك: أنَّ الرشيد رأى فى داره حزمة خيزران، فقال لوزيره الفضل بن الربيع: ما هذه؟ قال: عروق الرماح يا أمير المؤمنين، ولم يقل الخيزران لموافقة اسم أم الرشيد.

۞ ويشبه هذا: أن معن بن زائدة دخل على المنصور، فقارب فى خطوه،

فقال له المنصور: كبرت سنّك يا معن..

قال: فى طاعتك يا أمير المؤمنين.

قال: إنك لجلد.

قال: على أعدائك.

قال: وإن فيك لبقية.

قال: هى لك.

۞ قال ابن القيم: «وَأَصْلُ هَذَا الْبَابِ: قَوْله تَعَالَى: ﴿ وَقُل لِّعِبَادِى يَقُولُوا۟ ٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ ٱلشَّيْطَـٰنَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ ۚ ﴾ [1] فَالشَّيْطَانُ يَنْزَغُ بَيْنَهُمْ إذَا كَلَّمَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا بِغَيْرِ الَّتِى هِى أَحْسَنُ، فَرُبَّ حَرْبٍ وَقُودُهَا جُثَثٌ وَهَامٌ، أَهَاجَهَا الْقَبِيحُ مِنْ الْكَلَامِ.

وَفِى «الصَّحِيحَيْنِ» مِنْ حَدِيثِ سَهْلِ بْنِ حُنَيْفٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «لا يَقُولَنَّ أَحَدُكُمْ: خَبُثَتْ نَفْسِى، وَلَكِنْ لِيَقُلْ: لَقِسَتْ نَفْسِي» [2] وَخَبُثَتْ وَلَقِسَتْ وَغَثَّتْ مُتَقَارِبَةُ الْمَعْنَى.

فَكَرِهَ رَسُولُ اللهِ ﷺ لَفْظَ «الْخُبْثِ» لِبَشَاعَتِهِ، وَأَرْشَدَهُمْ إلَى الْعُدُولِ إلَى لَفْظٍ هُوَ أَحْسَنُ مِنْهُ، وَإِنْ كَانَ بِمَعْنَاهُ تَعْلِيمًا لِلْأَدَبِ فِى الْمَنْطِقِ، وَإِرْشَادًا إلَى اسْتِعْمَالِ الْحَسَنِ، وَهَجْرِ الْقَبِيحِ مِنْ الْأَقْوَالِ، كَمَا أَرْشَدَهُمْ إلَى ذَلِكَ فِى الْأَخْلَاقِ وَالْأَفْعَالِ[3][4].

(١) سورة الإسراء: الآية (٥٣).

(٢) متفق عليه: رواه البخارى (٥٨٢٦)، ومسلم (٢٢٥١).

(٣) الطرق الحكمية (ص ٤٠-٤١).

(٤) لا تحزن وكن مطمئنًا (ص ٢٢١-٢٢٣).

وإن لكم فى الأنعام لعبرة

قال تعالى: ﴿ وَإِنَّ لَكُمْ فِي ٱلْأَنْعَٰمِ لَعِبْرَةً ﴾(١).

۞ **غلا ثمن الراحلة** .. لما صابرت طول السفر وقلة الزاد، فاستحقت أن تُكرَّم وتُزيَّن وتظل حياتها عزيزة حتى يتوفاها الموت، وأما غيرها من الإبل فأرخصها نفاد صبرها وضعف تحملها، لذا تأكل لتؤكل، وتُكرم لتُذبح، وغاية إكرامها: إخفاء السكين عنها ساعة الذبح.

۞ **إذا فرغ التمساح من طعامه** .. فغر فاه واسعًا ليسمح لعصفورٍ صغير بالتقاط بقايا الطعام من بين أسنانه، خشية أن ينخر فيها السوس، وبعض الناس ينخر فيه السوس منذ زمن دون أن يسمح لأحدٍ بالتقاط أصل الداء منه، لا التمساحَ شابه ولا العصفورَ قلَّد .. أخى إن لم تكن فاعلًا فمتفاعلًا .. إن لم تدبِّج خطبة فاحضرها .. إن لم تُلقِ درسًا فاشهده .. إن لم تكن أهلًا لإصلاح غيرك، فلا مانع فى أن يقوم غيرك بإصلاحك.

۞ **الحمام الزاجل**.. إذا أطلقه صاحبه فى توصيل رسالة كابد قرص الشمس، وواصل الليل والنهار محتملًا ما يقابله من رياح وأمطارٍ ورعدٍ وبرقٍ، وحلَّق عاليًا خشية أن تناله سهام الصياد، وهو مع هذا يحذر النزول على حبةِ قمحٍ مُلقاةٍ، خوفًا من خديعة فخ تورث عرقلة سير أو كسر جناح فتضيع الرسالة، فإذا أوصل الرسالة أطلق لجناحيه العنان فى البرج يأكل ما يشاء.

فيا حاملى رسائل القرب إلى الله: ماذا كابدتم؟ وإلى أى علو منه

---

(١) سورة النحل: الآية (٦٦).

سموتم؟ وأى فخٍّ عرقل تقدمكم؟ ويحكم .. غمسة فى الجنة تُنسى آلام العمر، ولحظة واحدة فيها خير من الدنيا وما فيها، فلِمَ التردد؟

۞ **القط**.. إذا أحسنت إليه مرة جعل كلما رآك لاطفك وتمسَّح بثيابك، وأنت كل ذرة من بدنك تشهد بإحساننا، وكل شعرة من جسدك مغمورة بنعمنا، ومع هذا كله كلما رغَّبناك فينا رغبت عنا، وكلما أدنيناك منا أحببت غيرنا، وكلما واصلناك جافيتنا، خاصمتنا وأنت أحوج ما تكون إلينا، وصالحناك ونحن أغنى ما نكون عنك، هلا تعلمت من البهائم يا ذا القلب الهائم، ولا تستعظمن قدرك فقد تعلَّم قابيل كيف يدفن أخاه من غراب وعلم سليمان خبر بلقيس من هدهد.

۞ **النمل**.. مع صغر حجمه وضعف قوته، يحمل أضعاف أضعاف وزنه صيفًا ليقتات عليها شتاءً، ودون أن تشغله حلاوة زاد الصيف عن جمع زاد الشتاء لعلمه بضراوة الجوع فيه، ولكونه أخذ العبرة من كثرة الهالكين فيه .. يا أخى تدبر ... الدنيا صيف والآخرة شتاء، فقليل من الاعتبار يرحمك الله.

۞ **الحمار**.. يسير فى الليلة المظلمة إلى المنزل يعرفه، فإذا خُلِّى سبيله وصل إليه بغير دليل، وهو مع هذا يميِّز بين الصوت الذى به يُستوقف والصوت الذى يُحَثُّ به على السير، فيا ضالًّا طريقه إلى الجنة .. يا فاقدًا التمييز بين صوت داعى الجنة وبائع النار أين همتك[1].

(١) صفقات رابحة (ص ٦٥-٦٦) بتصرف.

القرض الحسن

۞ الأيام دول ... وقد يحدث لأى إنسان ضائقة مالية فيحتاج إلى من يُقرضه ليستقيم حاله مرة أخرى ... فمن أقرض هذا الرجل وساعده على أن يستقيم حاله مرة أُخرى فسوف يُجزل الله له العطاء؛ لأنَّ من فرَّج عن مسلمٍ كُربة من كُرب الدنيا فرَّج الله عنه كُربة من كُرب يوم القيامة.

قال الله تعالى: ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥٓ أَضْعَافًا كَثِيرَةً ۚ وَٱللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْصُۜطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾(١). وقال تعالى: ﴿مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥ وَلَهُۥٓ أَجْرٌ كَرِيمٌ﴾(٢).

۞ وعن بريدة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**من أنظر معسرًا، فله كل يوم مثله صدقة**»، ثم سمعته يقول: «**مَن أَنظَر معسرًا فله مثليه صدقة**»، فقلت: يا رسول الله، سمعتك تقول: «**من أنظر معسرًا فله كل يوم مثله صدقة**»، ثم سمعتك تقول: «**من أنظر معسرًا؛ فله كل يوم مثليه صدقة**». قال له: «**كل يوم مثله صدقة قبل أن يحلَّ الدين، فإذا حَلَّ فأنظَره، فله كل يوم مثليه صدقة**»(٣).

۞ **قال ابن عمر** رضي الله عنهما: لأن أقرض رجلاً دينارًا فيكون عنده ثم آخذه فأُقرضه آخر، أحب إلىَّ من أن أتصدق به، فإن الصدقة إنما يكتب لك أجرها حين تصدَّق بها، وهذا يُكتبُ لك أجره ما كان عند صاحبه(٤).

---

(١) سورة البقرة: الآية: (٢٤٥).

(٢) سورة الحديد: الآية: (١١).

(٣) صحيح: رواه الحاكم وأحمد، وصححه الألبانى فى صحيح الترغيب والترهيب (٩٠٧).

(٤) رواه البيهقى فى شعب الإيمان (١١٢٦٤).

۞ وعن ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «ما من مسلم يُقرض مسلمًا قرضًا مرتين، إلا كان كصدقتها مرة»[(١)].

۞ وعنه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «إن السلف يجرى مجرى شطر الصدقة»[(٢)].

۞ وعنه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبى ﷺ قال: «كل قرض صدقة»[(٣)].

۞ وعن أبى أُمامة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبى ﷺ قال: «دخل رجل الجنة، فرأى مكتوبًا على بابها: الصدقة بعشر أمثالها، والقرضُ بثمانية عشر»[(٤)].

---

(١) صحيح: رواه ابن ماجه، وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (٩٦٧٥).

(٢) صحيح: رواه أحمد، وصححه الألبانى فى السلسلة الصحيحة (١٥٥٣) وصحيح الجامع (١٦٤٠).

(٣) حسن: رواه الطبرانى فى الأوسط وأبو نعيم وحسنه الألبانى فى صحيح الجامع (٤٥٤٢).

(٤) حسن: رواه الطبرانى، والبيهقى وحسنه الألبانى فى صحيح الترغيب والترهيب (٩٠٠).

شجرة فى القلب

۞ السَّنة شجرة، والشهور فروعها، والأيام أغصانها، والساعات أوراقها، والأنفاس ثمرها، فمن كانت أنفاسه فى طاعة، فثمرة شجرته طيبة، ومن كانت فى معصية، فثمرته حنظل. وإنما يكون الجَداد[1] يوم المعاد، فعند الجَداد يتبين حلو الثمار من مُرِّها.

والإخلاص والتوحيد شجرة فى القلب؛ فروعها الأعمال، وثمرها طيب الحياة فى الدنيا والنعيم المقيم فى الآخرة.

وكما أن ثمار الجنة لا مقطوعة ولا ممنوعة، فثمرة التوحيد والإخلاص فى الدنيا كذلك.

والشرك والكذب والرياء شجرة فى القلب؛ ثمرها فى الدنيا الخوف والهم والغم وضيق الصدر، وظلمة القلب، وثمرها فى الآخرة الزَّقُّوم والعذاب المقيم، وقد ذكر الله هاتين الشجرتين فى سورة إبراهيم[2][3].



(١) هو قطفُ الثمار.

(٢) وذلك فى قوله سبحانه: ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِى ٱلسَّمَآءِ ﴿٢٤﴾ تُؤْتِىٓ أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍۭ بِإِذْنِ رَبِّهَا ۗ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٥﴾ وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ ٱجْتُثَّتْ مِن فَوْقِ ٱلْأَرْضِ مَا لَهَا مِن قَرَارٍ ...﴾ [٢٤-٢٦].

(٣) الفوائد / للإمام ابن القيم (ص ٢٢٤).

عبادة التفكُّر

۞ هى عبادة جليلة وجرعة ثمينة ذات شأن عظيم، إلا أنها للأسف ضمرت واضمحلَّت فى هذا الزمان، حتى كادت تُنسى وسط زحمة الحياة المضطربة، وذلك على الرغم من نجاعتها فى العلاج، وقوتها فى التأثير، لكنها تحتاج إلى سكينة نفس قد لا يملكها الكثيرون، وفراغ وقتى وعقلى ورُقى روحى يشكو من ندرته المشغولون، وما أقلَّ من اعتبر، وما أندر من اتَّعظ وادَّكر، واسمعوا قول أطباء القلوب:

۞ قال ابن القيم وهو يتكلم عن:

«فضل التفكر وشرفه، وأنه من أفضل أعمال الْقلب وأنفعها لَهُ؛ حَتَّى قيل: تفكُّر سَاعَة خير من عبَادَة سنة، فالفكر هُوَ الَّذِى ينْقل من موت الفطنة الى حَيَاة الْيَقَظَة، وَمن المكاره إلى المحاب، وَمن الرَّغْبَة والحرص إلى الزّهْد والقناعة، وَمن سجن الدُّنْيَا إلى فضاء الآخرة، وَمن ضيق الْجَهْل إلى سَعَة الْعلم ورحبه، وَمن مرض الشَّهْوَة والإخلاد إلى هَذِه الدَّار إلى شِفَاء الإنابة إلى الله والتجافى عَن دَار الْغرُور، وَمن مُصِيبَة الْعَمى والصمم والبكم إلى نعْمَة الْبَصَر والسمع والفهم عَن الله وَالْعقل عَنهُ، وَمن أمراض الشُّبُهَات إلى برد الْيَقِين وثلج الصُّدُور، وَبِالْجُمْلَةِ فَأصل كل طَاعَة إِنَّمَا هِى الْفِكر وَكَذَلِكَ أصل كل مَعْصِيّة إِنَّمَا يحدث من جَانب الفكرة»[١].

۞ ولأثره الناجع فى علاج القلب من أدوائه جزم ابن عطاء:

«ما نفع القلبَ مثل عُزلة يدخل بها ميدان فكرة».

---

(١) مفتاح دار السعادة (١/ ١٨٣).

۞ وتابعهما الغزالى فى سرد فضائل التفكر والإشادة به فقال:

«ولا يخفى أنَّ الفكر هو مفتاح الأنوار ومبدأ الاستبصار، وهو شبكة العلوم ومصيدة المعارف والفهوم، وأكثر الناس قد عرفوا فضله ورُتبَتَه؛ لكن جهلوا حقيقته وثمرته ومصدره ومورده ومجراه ومسرحه وطريقه وكيفيته»(١).

اللهم لا تجعلنا من أكثر هؤلاء الناس ونحن لا نعلم!!

ولدوره العظيم ومكانته الرفيعة بين سائر العبادات؛ جعله سعيد بن المسيب هو العبادة، ... قَالَ مَالِكٌ: سَمِعْتُ يَحْيَى بْنَ سَعِيدٍ يَقُولُ: أَوَّلُ مَنْ صلى فى المسجد بَيْنَ الظُّهْرِ وَالْعَصْرِ عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ مَرْوَانَ وَفِتْيَانٌ مَعَهُ، كَانُوا إِذَا صَلَّى الإِمَامُ الظُّهْرَ قَامُوا فَصَلُّوا إِلَى الْعَصْرِ، فَقِيلَ لِسَعِيدِ بْنِ الْمُسَيِّبِ: لَوْ قُمْنَا فَصَلَّيْنَا كَمَا يُصَلِّى هَؤُلاءِ، فَقَالَ سَعِيدٌ: لَيْسَتِ الْعِبَادَةُ بِكَثْرَةِ الصَّلاةِ وَلا الصَّوْمِ، إِنَّمَا الْعِبَادَةُ التَّفَكُّرُ فِى أَمْرِ اللهِ، وَالْوَرَعُ عَنْ مَحَارِمِ اللهِ(٢).

۞ وسبب آخر لشرف التَّفَكُّر وفضله، وهو قول الإمام ابن القيم: «لأنَّ الفِكرة عمل القلب، والعبادة عمل الجوارح، والقلب أشرف من الجوارح، فكان عمله أشرف من عمل الجوارح»(٣).

فلكلِّ عضو من أعضاء الجسد عمل، ويقوم بدور وينشغل بوظيفة، فإن كانت عيون المتقين تبكي؛ فإنَّ قلوبهم تتفكَّر... قال أبو سليمان الداراني:

---

(١) الإحياء (٤/ ٤٢٣).

(٢) أخرجه الذهبى فى تاريخ الإسلام.

(٣) مفتاح دار السعادة (١/ ١٨٦-١٨٧).

«عوِّدوا أعينكم البكاء وقلوبكم التَّفكُّر»(١).

من أجل ذلك عدَّه خامس الخلفاء ودرة الأمراء عمر بن عبد العزيز أفضل أنواع العبادات فقال: «الفكرة فى نعم الله ﷻ من أفضل العبادة»(٢).

۞ وهو شرط الانتفاع بالعلم عند شقيق البلخى الذى جزم بقوله: «وَلَوْ أَنَّ رَجُلًا كَتَبَ جَمِيعَ الْعِلْمِ لَمْ يَنْتَفِعْ بِهِ حَتَّى يَكُونَ فِيهِ خَصْلَتَانِ: حَتَّى يَكُونَ فَعْلُهُ التَّفكرُ وَالْعِبَرُ، قَلْبُهُ فَارِغًا لِلتَّفَكُّرِ، وَعَيْنُهُ فَارِغَةٌ لِلْعِبَرِ، كُلَّمَا نَظَرَ إِلَى شَيْءٍ مِنَ الدُّنْيَا كَانَ لَهُ عِبْرَةٌ. الْمُؤْمِنُ مَشْغُولٌ بِخَصْلَتَيْنِ وَالْمُنَافِقُ مَشْغُولٌ بِخَصْلَتَيْنِ، الْمُؤْمِنُ بِالْعِبَرِ وَالتَّفَكُّرِ، وَالْمُنَافِقُ مَشْغُولٌ بِالْحِرْصِ وَالْأَمَلِ»(٣).

ولفضله كان أكثر عبادة أبى ذر،... فعن محمد بن واسع أنَّ رجلًا من أهل البصرة ركب إلى أم ذر بعد موت أبى ذر فسألها عن عبادة أبى ذر فقالت: «كان نهاره أجمع فى ناحية البيت يتفكر»(٤).

ومن ثمرات التفكر أن الفكرة تلد الفكرة ثم الفكرة تلو الفكرة وهَلُمَّ جرًّا، وتوالد الأفكار بالاتفاق هو منبع الحكمة.

قال الحسن: «إن أهل العقل لم يزالوا يعودون بالذِّكر على الفكر، وبالفِكر على الذِّكر حتى استنطقوا قلوبهم؛ فنطقت بالحكمة»(٥).

---

(١) حلية الأولياء (٩/ ٢٧٤).

(٢) الإحياء (٤/ ٤٢٥).

(٣) حلية الأولياء (٣/ ٣٨١).

(٤) الإحياء (٤/ ٤٢٤).

(٥) الإحياء (٤/ ٤٢٥).

ومن كلام الشافعي: «استعينوا على الكلام بالصَّمت، وعلى الاستنباط بالفكرة»[١].

۞ ومن ثمراته: التوبة لأنَّ مَن تفكَّر فقد صنع مفتاحًا مُباركًا يفتح به باب الرحمة الإلهية ليدخل بإذن الله ساحة الغفران مأجورًا مرحومًا؛ لأنه يتفكَّر في ذنوبه وجرائمه التي ارتكبها في حق نفسه وحق ربه ويدرك عندها العواقب ويزداد يقينًا بالجزاء فيبكي ويقلع ويتوب.

قال سفيان بن عيينة: «التفكر مفتاح الرحمة، ألا ترى أنه يتفكر فيتوب»[٢].

لذا كانت مجالس التفكُّر أشهى مجالس المؤمنين وأحلى لحظات العاقلين... قال يحيى بن معاذ الرازي وقد سُئل: أي مجلس أشهى وألذ؟ قال: «الجلوس مع الفكرة في ميدان التوحيد تُشمُّ من رائحة المعرفة وتُسقى من كأس المحبة، سبحان الله ما ألذه من مجلس! وأعذبه من شراب!»[٣][٤].

---

(١) السابق (٤/ ٤٢٥).

(٢) الحلية (٧/ ٣٠٦).

(٣) شعب الإيمان (١/ ٣٧٤).

(٤) جرعات الدواء (٢٢٦-٢٢٩).

أعمالك الصالحة تدافع عنك في قبرك

۞ عن كعب قال:

إذا وُضع العبد الصالح فى قبره احتوشته أعماله الصالحة؛ الصلاة، والصيام، والحج، والجهاد، والصدقة،... قال: وتجىء ملائكة العذاب من قِبل رجليه فتقول الصلاة: إليكم عنه فقد أطال القيام لله عليهما قال: فيأتون من قِبل رأسه فيقول الصيام: لا سبيل لكم عليه فقد أطال ظمأه لله تعالى فى الدنيا، قال: فيأتون من قِبل جسده فيقول الحج والجهاد: إليكم عنه فقد أَنْصَب نفسه وأتعب بدنه، وحَجَّ وجاهد لله ﷻ لا سبيل لكم عليه.

قال: فيأتونه من قِبل يديه فتقول الصدقة: كُفُّوا عن صاحبى فكم مِن صدقة خرجت من هاتين اليدين حتى وقعت فى يد الله ﷻ ابتغاء وجهه فلا سبيل لكم عليه، فيقال: هنيئًا طيبًا حيًّا وميتًا، قال: ويأتيه ملائكة الرحمة فتفرش له فراشًا من الجنة ودثارًا من الجنة ويُفسح له فى قبره مَدَّ البصر ويُؤتَى بقنديل من الجنة فيستضىء بنوره إلى يوم يبعثه الله من قبره[1].

(١) «أهوال القبور» لابن رجب (ص ٣٢).

اللهم بارك لأمتى فى بكورها

۞ لما كان الوقت الذى يعقب صلاة الفجر أكثر الأوقات بركة، فقد حرص النبى ﷺ على اغتنامه وشَغْلِه بالذكر، فكان يجلس بعد صلاة الفجر يذكر الله تعالى حتى تطلع الشمس ثم يصلى ركعتين، ويبشر أصحابه إن هم فعلوا هذا بأنَّ لهم أجر حجة وعمرة تامة تامة، ... ولقد حرص السلف الصالح على التزام سنة النبى ﷺ، فكان ابن تيمية - كما ينقل عنه تلميذه ابن القيم - يذكر الله فى هذا الوقت المبارك ويقول: «هذه غدوتى ولو لم أتغدَّ الغذاء سقطت قوتي»(١).

وهذا الوقت وقت البركة الوفيرة فى الرزق، ولهذا نجد أصحاب المهن والحرف والتجارة حريصين على اغتنام هذا الوقت، ... فعن صخر الغامدى رضي الله عنه أنَّ النبى ﷺ قال: «**اللهمَّ بارك لأمتى فى بكورها**»(٢).

قال صخر: وكان ﷺ **إذا بعث سرية أو جيشًا بعثهم أول النهار**،... وكان صخر تاجرًا وكان إذا بعث تجارة بعثها أول النهار، فأثرى وكَثُر ماله، ولا يعنى ذلك أنَّ النائم لا يُرزق، بل إن الله يرزق البر والفاجر، والمؤمن والكافر، لكن البركة كنز لا يناله إلا المستيقظون فى هذا الوقت، الذى يفيض بالبركة على أهله .. بركة فى المال فلا فقر، وفى الصحة فلا مرض، وفى العزيمة فلا وهن، وفى الوقت فلا ضيق، وفى العقل فلا شطط، وكذا فى سائر نعم الله على العبد(٣).

---

(١) الوابل الصيب من الكلم الطيب / لابن القيم (ص ٣٧).
(٢) صحيح: رواه أحمد، وأصحاب السنن، وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (١٣٠٠).
(٣) صفقات رابحة (ص ٥١-٥٢).

أحسن الظن بكل من حولك

﴿ قَالَ سَهْلُ بْنُ أَسْلَمَ:

كَانَ بَكْرُ بْنُ عَبْدِ اللهِ إِذَا رَأَى شَيخًا قَالَ: «هَذَا خيرٌ مِنِّى عَبَدَ اللهَ قَبْلِى»، وَإِذَا رَأَى شَابًّا قَالَ: «هَذَا خيرٌ مِنِّى ارْتَكَبْتُ مِنَ الذُّنُوبِ أَكْثَرَ مِمَّا ارْتَكَبَ».

﴿ وَقَالَ كِنَانَةُ بن جَبَلَة: «إذا رأيتَ مَنْ هُوَ أَكْبَرُ مِنْكَ فَقُلْ: هَذَا سَبَقَنِى بِالْإِيمَانِ وَالْعَمَلِ الصَّالِحِ فَهُوَ خيرٌ مِنِّى، وَ إذا رأيتَ مَنْ هُوَ أَصْغَرَ مِنْكَ فَقُلْ: قَدْ سَبقْتُ هَذَا بِالْمَعَاصِى وَالذُّنُوبِ وَاسْتَوْجَبْتُ الْعُقُوبَةَ فَهُوَ خيرٌ مِنِّى، وإِذَا رَأَيتَ إِخْوَانَكَ يُكْرِمُونَكَ وَيُعَظِّمُونَكَ وَيُصِلُونَكَ فَقُلْ: هَذَا فَضْلٌ أَحْدَثُوهُ، وَإِنْ رَأَيتَ مِنْهُمْ جفَاءً وَانْقِبَاضًا فَقُلْ: هَذَا ذَنْبٌ أَحْدَثْتُهُ»[١].

(١) الحلية (٢/ ٢٢٦).

هَلُمَّ إلى الدخول على الله عَزَّوَجَلَّ

۞ هَلُمَّ إلى الدخول على الله ومجاورته فى دار السلام بلا نَصَبٍ ولا تعبٍ ولا عناءٍ بل من أقرب الطرق وأسهلها!.

وذلك أنك فى وقتٍ بين وقتين وهو فى الحقيقة عمرك، وهو وقتك الحاضر بين ما مضى وما يُستقبل؛ فالذى مضى تُصلحه بالتوبة والندم والاستغفار، وذلك شيء لا تعب عليك فيه ولا نَصَب ولا معاناة عملٍ شاق، إنما هو عمل القلب، وتمتنع فيما يُستقبل من الذنوب، وامتناعك تركٌ وراحة ليس هو عملًا بالجوارح يشق عليك معاناته، وإنما هو عزم ونية جازمة تريح بدنك وقلبك وسِرَّك. فما مضى تُصلحه بالتوبة. وما يُستقبل تُصلحه بالامتناع والعزم والنية[1].

(١) الفوائد/ للإمام ابن القيم (ص ٢٨١).



اليقين قلبُ الإيمان

۞ قال رسول الله ﷺ: «**صلاح أول هذه الأمة بالزهد واليقين، ويهلك آخرها بالبُخل والأمل**»(١).

ويبين لنا سبب هذا الصلاح واعظ دمشق أحمد بن عاصم الأنطاكى الذى كان يسميه أصحابه جاسوس القلوب لمعرفته بأمراض القلوب وأسقامها.... قال رَحِمَهُ اللَّهُ: «يسير اليقين يُخرج كل شك من القلب»(٢).

وكأن اليقين نوع من السِّحر تكفى لمسة واحدة منه فحسب لنسف كل آثار الشَّك ومظاهر ضعف الإيمان، أو إن شئت قلت:

فيه بركة الوصية النبوية «**صلاح أول هذه الأمة ..**» التى بفضل اتباعها يحصل المراد ويتحقق المطلوب. وإذا خرج الشك من القلب تفجَّرت كل طاقات البذل، وتحررت الروح من أَسْرِ الشهوات، وانطلقت إشارة الانطلاق لتعلن بدء السباق إلى الجنات.

قال سفيان الثورى: لو أنَّ اليقين استقرَّ فى القلب كما ينبغى لطار فرحًا وحزنًا. شوقًا إلى الجنة أو خوفًا من النار.

والمتأمل فى منهج تربية النبى ﷺ لأصحابه يرى أنه ظل طوال ثلاثة عشر عامًا فى مكة يبنى هذا الأساس المتين المُسَمَّى: اليقين، والذى بنى عليه صرح الإسلام العظيم، فكان هو الزاد الذى بلَّغ الصَّحابة أروع درجات البذل والتضحية والفداء، والذى لولا النقل الصحيح المتواتر لقلنا

---

(١) حسن: رواه أحمد، والطبرانى فى الأوسط، وحسنه الألبانى فى صحيح الجامع (٣٨٤٥).

(٢) نزهة الفضلاء (٢/ ٩٥٥).

ذاك ضَرْبٌ من خيال بل هو الشيء المحال، هذا المنهج التربوى هو - بلا ريب- أعظم طريقة لتفجير طاقات النفس المؤمنة وتأجيج حماسها، بل لا سبيل إلى ذلك غيره[١].

إن منزلة اليقين عالية، سامية غالية؛ ولذا كانت أول صفة مُدح بها المؤمنون فى القرآن: ﴿ٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡغَيۡبِ﴾[٢]، بل هى أصل الإيمان كما قال ابن القيم:

«فالإيمان قلب الإسلام ولُبُّه، واليقين قلب الإيمان ولُبُّه، وكل علم وعمل لا يزيد الإيمان واليقين قوة؛ فمدخول، وكل إيمان لا يبعث على العمل فمدخول»[٣].

۞ عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**أَى الْخَلْقِ أَعْجَبُ إِلَيْكُمْ إِيمَانًا؟**» قَالُوا: الملائكة قَالَ: «**وكيف لا يؤمنون وَهُمْ عِنْدَ رَبِّهِم؟!**». قَالُوا: فالنبيون قَالَ: «**ومالهم لا يُؤْمِنُونَ وَالْوَحْى يَنْزِلُ عَلَيْهِمْ؟**» قَالُوا: فَنَحْنُ. قَالَ: «**ومالكم لا تُؤْمِنُونَ وَأَنَا بَيْنَ أَظْهُرِكُمْ؟**» قَالُوا: فَمَنْ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: «**أَلَا إِن أَعْجَبَ الْخَلْقِ إِلَيَّ إِيمَانًا لَقَوْمٌ يَكُونُونَ مِنْ بَعْدِكُمْ يَجِدُونَ صُحُفًا فِيهَا كِتَابٌ يُؤْمِنُونَ بِمَا فِيهَا**»[٤].

ألا ما أجمل هذا الحديث، وأثلج نزوله على قلوب المؤمنين، وهم يسمعون مديح الرسول ﷺ لهم، وتثبيته لقلوبهم التى تهب عليها

(١) البحث عن اليقين/ د. خالد أبو شادى (ص ١٨-١٩).

(٢) سورة البقرة: الآية: (٣).

(٣) الفوائد (٨٥-٨٦).

(٤) حسن: حسنه الألبانى فى الصحيحة (٣٢١٥)، وكان قد ضعفه فى الضعيفة (٦٤٧)، ثم تراجع عن تضعيفه فقواه.

زوابع الشك العاتية صباح مساء، ... إنها اللمسة الحانية التى تمسح التعب عن الأجساد والأرواح، وشهادة التقدير التى تزيل الهموم والألم، وهل مُدح هؤلاء إلا بسبب يقينهم؟! وهل فاق إعجاب رسول الله بهم إعجابه بالملائكة والنبيين والصحابة إلا من أجل إيمانهم بالغيب وتصديقهم؟!

لا ترضَ أن يكون أحدٌ أطوع لله منك

۞ عن عمر بن ذر قال: لما استُخلف عمر بن عبد العزيز، دخل عليه سالم بن عبد الله، ومحمد بن كعب، وهو مكتئب حزين، فأقبل على أحدهما، فقال: «عظني» فقال:

«يا أمير المؤمنين! إن الله لم يجعل أحدًا من خلقه فوقك، فلا ترضَ لنفسك أن يكون أحد من خلقه أطوع له منك.

واجعل الناس أصنافًا ثلاثة: الكبير بمنزلة الأب، والوسط بمنزلة الأخ، والصغير بمنزلة الولد. فبِرَّ أباك، وصِلْ أخاك، واعطف على ولدك. واعلم أنك أول خليفة يموت».

فأقبل على الآخر فقال: «عظني» فقال:

«يا أمير المؤمنين! إن الدنيا عَطَنٌ مهجور، وأكل منزوع، وعرض بلاء، ومستقر آفات يحيط بها الذُّلّ ويفنيها الثكل، لكل فرحة منها ترحة، ولكل سرور منها غرور، وقد رغب عنها السُّعداء، وانتُزعت من أيدى الأشقياء.

فكن فيها، يا أمير المؤمنين كالمداوى جرحه، يصبر على شدة الدواء لما يرجو من الشفاء».

فبكى عمر وقال: لا حول ولا قوة إلا بالله[1].

---

(١)مناقب عمر (ص/ ١٥٦) لابن الجوزى.

أحسن الظن بالله (جل وعلا)

۞ طوبى لمن أنصف ربه، فأقرَّ له بالجهل فى علمه، والآفات فى عمله، والعيوب فى نفسه، والتفريط فى حقه، والظلم فى معاملته.

فإنْ آخذه بذنوبه؛ رأى عَدْلَهُ، وإن لم يؤاخذه بها؛ رأى فَضْلَهُ.

وإن عمل حسنةً رآها من مِنّتِهِ وصدقته عليه، فإن قَبِلها، فَمِنَّةٌ وصدقة ثانية، وإن ردَّها، فلكون مثلها لا يصلح أن يُواجَه به.

وإن عمل سيئةً رآها من تخلّيه عنه، وخذلانه له، وإمساك عصمته عنه، وذلك من عدله فيه، فيرى فى ذلك فقره إلى ربه، وظلمه فى نفسه؛ فإن غفرها له، فبمحض إحسانه وجوده وكرمه.

ونكتةُ المسألةِ وسرُّها: أنه لا يرى ربه إلا محسنًا، ولا يرى نفسه إلا مسيئًا أو مُفرطًا أو مُقصرًا ... فيرى كل ما يَسُرُّهُ من فضل ربه عليه، وإحسانه إليه، وكل ما يسوءه من ذنوبه وعدل الله فيه[1].



(١) الفوائد / للإمام ابن القيم (ص ٣٣-٣٤).

فى ذمة الله

❁ قال رسول الله ﷺ: «من صلَّى الصبح فهو فى ذمة الله»[١].

وتأمل معى قوله: «ذمة الله»: فهى ليست ذمة ملك من ملوك الأرض لأنه - وإن علا مُلكه وأُوقفت مراكب السير تعظيمًا وتبجيلًا له- لا تزال فيه حقارة الأرض وذلة الأرض والضعف الكائن فى المخلوق من تراب الأرض، وإنما هى ذمة مالك الملك ورب الأرباب وخالق الأرض وما عليها والواصف نفسه قائلًا: ﴿وَٱلۡأَرۡضُ جَمِيعٗا قَبۡضَتُهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ﴾[٢].

ذمة الله هى الذمة التى لا يستطيع أحد خرقها بل مسَّها، تحيط المؤمن بسياج من الحماية له فى نفسه وولده وعقله ودينه وسائر أمره، فيحس بالطمأنينة فى كنف الله، ويشعر أن عين الله ترعاه وأن قوته تحفظه، فيمضى يومه واثق الخُطى ثابت الجنان عديم الوجل من كل مَن دَبَّ على وجه الأرض وخُلق منها[٣].

---

(١) صحيح: رواه مسلم (٦٥٧).

(٢) سورة الزمر: الآية: (٦٧).

(٣) صفقات رابحة (ص ٤٦-٤٧).

حب الخير للغير

۞ عن مصعب بن أحمد بن مصعب قال: قَدِم أبو محمد المروزى إلى بغداد يريد مكة، وكنت أحب أن أصحبه، فأتيته واستأذنته فى الصحبة فلم يأذن لى فى تلك السنة، ثم قدم سنة ثانية وثالثة فأتيته فسلَّمت عليه، وسألته فقال: اعزم على شرط، يكون أحدنا الأمير لا يخالفه الآخر. فقلت: أنت الأمير، فقال: لا، بل أنت. فقلت: أنت أسن وأولى. فقال: فلا تعصنى. فقلت: نعم. فخرجت معه وكان إذا حضر الطعام يُؤْثِرنى فإذا عارضته بشىء قال: ألم أشرط عليك أن لا تخالفنى؟ فكان هذا دأبنا حتى ندمت على صحبته لما يُلحق نفسه من الضرر. فأصابنا فى بعض الأيام مطرٌ شديد ونحن نسير فقال لى: يا أبا أحمد اطلب الميل[1] ثم قال لى: اقعد فى أصله فأقعدنى فى أصله وجعل يديه على الميل وهو قائم قد حنا علىَّ، وعليه كساء قد تجلل به يظلنى من المطر حتى تمنيت أنى لم أخرج معه لما يلحق نفسه من الضرر، فلم يزل هذا دأبه حتى دخل مكة - رحمة الله عليه-.

---

(١) اطلب الميل: اذهب إلى أقرب ميل. والميل هو: حجر قائم يُبنى للمسافر، ولا سيما فى طريق مكة؛ للاهتداء به وإدراك المسافة، وبين كل ميل وآخر مقدار مدى البصر.

العبد يقطع منازل السير إلى الله بقلبه

۞ قال أبو الدرداء رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: يا حبَّذا نوم الأكياس وفطرهم؛ كيف يَغبنون به قيام الحمقى وصومهم؛ والذرة من صاحب تقوى أفضل من أمثال الجبال عبادة من المُغترين؟!(١)

وهذا من جواهر الكلام وأدلّه على كمال فقه الصحابة وتقدُّمِهم على مَن بعدهم في كل خير رَضِيَ اللهُ عَنْهُم. فاعلم أن العبد إنما يقطع منازل السير إلى الله بقلبه وهمته لا ببدنه، والتقوى في الحقيقة تقوى القلوب لا تقوى الجوارح.

قال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَـٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ﴾(٢).

وقال: ﴿لَن يَنَالَ ٱللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَآؤُهَا وَلَـٰكِن يَنَالُهُ ٱلتَّقْوَىٰ مِنكُمْ﴾(٣).

وقال النبي ﷺ: «**التقوى هاهنا**» وأشار إلى صدره(٤).

فالكيِّس يقطع من المسافة بصحة العزيمة وعلو الهمة وتجريد القصد وصحة النية مع العمل القليل، أضعاف أضعاف ما يقطعه الفارغ من ذلك مع التعب الكثير، والسفر الشاق؛ فإن العزيمة والمحبة تُذهب المشقة وتُطيِّب السير، والتقدُّم والسبق إلى الله -سبحانه- إنما هو بالهمم وصدق الرغبة والعزيمة، فيتقدم صاحب الهمة مع سكونه صاحب العمل الكثير بمراحل؛ فإن ساواه في همته؛ تقدم عليه بعمله(٥).

---

(١) أخرجه أحمد في «الزهد»، برقم (٧٤٢)، وأبو نعيم في «الحلية» (١/ ٢١١).

(٢) سورة الحج: الآية: (٣٢).

(٣) سورة الحج: الآية: (٣٧).

(٤) أخرجه مسلم (٢٥٦٤) كتاب البر والصلة.

(٥) الفوائد / للإمام ابن القيم (ص ١٤٥-١٤٦).

الرجل على دين خليله

۞ علمتنى الحياة أن الصَّاحب ساحب وأن القرين بالقرين يقتدى وأنَّ الناس أشكالٌ كأشكال الطير، الحمام مع الحمام، والغراب مع الغراب، والدَّجَاج مع الدَّجاج، والنُّسور مع النُّسور، والصُّقور مع الصُّقور، كلٌّ مع شكله، والطيور على أشكالها تقع، والخليل على دين خليله.

ففرّ من قرين السوء فرارك من الأسد، فهو أجربُ مُعدٍ يقودُكَ إلى جهنم إن أجبته قذفك فيها، وسيكون لك عدوًّا بين يدى الله الواحد الأحد: ﴿ ٱلْأَخِلَّآءُ يَوْمَئِذٍۭ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلْمُتَّقِينَ ﴾[1].

ها هو عقبة بن أبى مُعَيْط، كان يجلس مع النبى ﷺ بمكة، ولا يؤذيه وكان كافرًا، وكان بقية قريش إذا جلسوا معه ﷺ يؤذونه، وكان لابن أبى مُعيط صديق كافر غائب بالشام، وقد ظَنَّت قُريش أن عُقبة قد أسلم لما يعامل النبى ﷺ من معاملة حسنة، فلما قَدِم خليله من الشَّام قالت قريش: ها هو خليلك ... ابن أبى مُعيط قد أسلم، فغضب خليله وقرينه غضبًا شديدًا وأبى أن يُكلِّمَ عقبة، وأبى أن يُسلِّم عليه حتى يؤذى النبى ﷺ، فاستجاب عقبة له وآذى النبى ﷺ حتى إنه خنقه بتلابيبه ذات مرة وحتى أنه بصق فى وجهه الشريف مرة أخرى فاستأثر بكل حقارة ولؤم على وجه الأرض فى تلك الساعة، وكان عاقبته أن مات يوم بدر كافرًا، فأنزل الله فيه وفى أمثاله قرآنًا يُتلى إلى يوم القيامة: ﴿ وَيَوْمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَـٰلَيْتَنِى ٱتَّخَذْتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلًا ﴿٢٧﴾ يَـٰوَيْلَتَىٰ لَيْتَنِى لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا ﴿٢٨﴾ لَّقَدْ

---

(١) سورة الزخرف: الآية: (٦٧)

أَضَلَّنِي عَنِ ٱلذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَآءَنِي ۗ وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِلْإِنسَٰنِ خَذُولًا ﴾[١].

فإياك وصديق السوء، فإنه يُعدى كما يعدى الصحيحَ الأجربُ.

إذا كنت فى قومٍ فصاحب خيارهم ... ولا تصحب الأردى فتردى مع الردى

عن المرء لا تسأل وسَلْ عن قرينه ... فكل قرينٍ بالمقارن يقتدى[٢]

(١) سورة الفرقان: الآيات: (٢٧-٢٩)

(٢) هكذا علمتنى الحياة (ص ٧٦-٧٧).



إياك أن تشكو من يرحمك إلى من لا يرحمك

۞ قال الإمام ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

الجاهل يشكو الله إلى الناس، وهذا غاية الجهل بالمشكوِّ والمشكوِّ إليه؛ فإنه لو عرف ربه، لما شكاه، ولو عرف الناس لما شكا إليهم.

ورأى بعض السلف رجلًا يشكو إلى رجلٍ فاقته وضرورته، فقال: يا هذا! والله ما زدت على أن شكوت من يرحمكً إلى من لا يرحمك.

وفي ذلك قيل:

وإذا شكوت إلى ابن آدم إنما تشكو الرحيمَ إلى الذي لا يرحَمُ

والعارفُ إنما يشكو إلى الله وحده، وأعرفُ العارفين مَن جعل شكواه إلى الله من نفسه لا من الناس؛ فهو يشكو من موجبات تسليط الناس عليه، فهو ناظر إلى قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِيكُمۡ﴾(١)، وقوله: ﴿وَمَآ أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفۡسِكَ﴾(٢)، وقوله: ﴿أَوَلَمَّآ أَصَٰبَتۡكُم مُّصِيبَةٞ قَدۡ أَصَبۡتُم مِّثۡلَيۡهَا قُلۡتُمۡ أَنَّىٰ هَٰذَاۖ قُلۡ هُوَ مِنۡ عِندِ أَنفُسِكُمۡۗ﴾(٣)

فالمراتب ثلاثة:

أخسُّها: أن تشكو الله إلى خلقه.... وأعلاها: أن تشكو نفسك إليه.

وأوسطها: أن تشكو خلقه إليه(٤).

---

(١) سورة الشورى: الآية: (٣٠).

(٢) سورة النساء: الآية: (٧٩).

(٣) سورة آل عمران: الآية: (١٦٥).

(٤) الفوائد / للإمام ابن القيم (ص ٨٩-٩٠).

حالنا مع الدعاء

۞ أخبر النبى ﷺ، فقال: «**أفضل العبادة الدعاء**»[(١)].

وما نال الدعاء هذا الفضل إلا لأن العبد فيه يرمى بنفسه بين يدى خالقه، خارجًا من حوله وقوته إلى حول الله وقوته، مُقرًّا بالإساءة والعجز والجهالة، مُسلِّمًا بكمال الله وعظمته وقوته، وبهذين: سوء ظن بنفسه وتعظيم ربه يصل أو يوشك.

هذه تجربة ابن قيم الجوزية فى الدخول على الله، حكاها لنا فقال رحمه الله:

«دخلتُ على الله من أبواب الطاعات كلها، فما دخلت على باب إلا رأيت عليه الزحام، فلم أتمكن من الدخول حتى جئت باب الذُّلّ والافتقار، فإذا به أقرب باب إليه وأوسعه ولا مُزاحم فيه ولا معوق، فما هو إلا أن وضعت قدمى فى عتبته، فإذا هو سبحانه قد أخذ بيدى وأدخلنى عليه»[(٢)].

قال ﷺ: «**ما من داعٍ يدعو الله إلا أتاه بها إحدى ثلاث: إما أن يُعجِّل له حاجته، وإما أن يعطيه من الخير مثلها، وإما أن يصرف عنه من الشر مثلها**»[(٣)].

فليس الخير دائمًا كما تظن، فى إجابة سؤالك وتحقيق طلبك.

فربما .. لم يُجبك لكنك لا تعلم ما ردَّه الدعاء عنك من بلاء، وما جرى من تصارع بين البلاء النازل والدعاء الدافع الذى انتهى بنجاتك ودفع الشر عنك، فحمدًا لله على سلامتك.

---

(١) صحيح: رواه الحاكم، وابن سعد، وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (١١٢٢).

(٢) تهذيب مدارج السالكين (ص ٢٢٩).

(٣) حسن: رواه الترمذى، وحسنه الألبانى فى صحيح الجامع (٥٦٣٧).

وربما .. لم يُجبك ؛ لأنه سبق فى علمه أن كفة حسناتك لن ترجح يوم القيامة، إلا أن يوزن فيها أجر دعائك المؤجل إلى الآخرة، فإذا رأيت يوم القيامة أن ما أُجبت فيه قد ذهب، وما لم تُجَب فيه قد بقى ثوابه قلت: ليتك يا رب لم تُجب لى دعوة قط!!

وربما .. لم يُجبك لسابق علمه أنَّ الخير فى صرف هذا المطلوب عنك، فهو وحده المطلع على الغيب؛ ولذا فهو الأدرى بما ينفعك ويصلحك، فإن كان المطلوب مالًا فلربما أطغاك وأفسدك، وإن كان ولدًا فلربما كبر وأصبح عاقًّا فأعياك وأجهدك، وإن كان عملًا أو وظيفة فلربما فتحا لك بابًا للحرام أرداك وضيَّعك، فكم من محبوبٍ فى مكروهٍ، ومكروهٍ فى محبوبٍ ولا يعلم ذلك إلا الله.

وربما لم يُجبك لأنك أدخلت الحرام فى رزقك أو أسكنت شهوة فى قلبك، فيكون عدم الإجابة بمثابة لفت نظر لتصحيح ما سبق وتستدرك ما فات.

وربما .. لم يُجبك لأنه أراد أن يصل حبالًا قطعتها ووشائج هجرتها، فألجأك إليه حتى يسمع همسك فى الأسحار ويرى دمعك المدرار، فيغسل ذنوبًا لا يغسلها غير دموع الأسى على ما فات والندم على ما انقضى.

وهو ما دفع هلال بن يساف إلى أن يُصرِّح فى قولٍ تملؤه الثقة بالله وحسن الظن به:

«بلغنى أن العبد المسلم إذا دعا ربه فلم يستجب له كُتبت له حسنة»[1].

---

(١) شعب الإيمان (٢/ ٤٩).

❁ أليس هذا الذى قلناه هو ما أوجزه ابن عطاء فى قوله:

«لا يكون تأخُّر أمد العطاء مع الإلحاح فى الدعاء موجبًا ليأسك، فهو قد ضمن لك الإجابة فيما يختاره لك لا فيما تختاره لنفسك، وفى الوقت الذى يريد لا الوقت الذى تريد»[1][2].

(١) شرح الحكم (١/ ٧).

(٢) صفقات رابحة (ص ١٠٢-١٠٤) بتصرف.

التآلف مع الناس

۞ فالمؤمن لا يجعل بينه وبين إخوانه حواجزًا وأسوارًا بل إنه قريبٌ منهم يسكن قلوبهم .. فهو يألف ويؤلف... تحبه إذا رأيته وتَسعد بقُربه منك وتحزن لبُعده عنك.

فمن اتصف بتلك الصفة فهو من أحب الناس إلى قلب رسول الله ﷺ.

۞ قال تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَـٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَـٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟ ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾[(١)].

۞ عن أبى سعيد الخدرى رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**أكملُ المؤمنين إيمانًا أحسنُهُم خُلُقًا، الموطؤون أكنافًا؛ الذين يألفون ويؤلفون، ولا خير فيمن لا يألف ولا يُؤلفُ**»[(٢)].

۞ وعن أبى هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن أحبَّكُم إلىَّ؛ أحاسنُكم أخلاقًا، الموطؤون أكنافًا، الذين يألفون ويُؤلفون، وإن أبغضكُم إلىَّ المشَّاؤون بالنميمة، المفرقون بين الأحِبَّة، الملتمسون للبُرآء العيب**»[(٣)].

---

(١) سورة الحجرات: الآية: (١٣).

(٢) حسن: رواه الطبرانى فى الأوسط، وحسنه الألبانى فى صحيح الجامع (١٢٣١).

(٣) حسن لغيره: رواه الطبرانى فى الصغير والأوسط، وحسنه الألبانى فى صحيح الترغيب (٢٦٥٨).

يوم العقبة

۞ قال الأصمعى: حدثنا شبيب بن شيبة قال: كنا بطريق مكة وبين أيدينا سفرة لنا نتغدى فى يومٍ قائظ (شديد الحر). فوقف علينا أعرابى ومعه جارية له زنجية، فقال: يا قوم أفيكم أحد يقرأ كلام الله ﷻ حتى يكتب لنا كتابًا؟ قال: قلت له: أَصِب من غدائنا حتى نكتب لك ما تريد. قال: إنى صائم، فعجبنا من صومه فى البرية، فلما فرغنا من غدائنا دعونا به فقلنا: ما تريد؟ فقال: أيها الرجل إن الدنيا قد كانت ولم أكن فيها، وستكون ولا أكون فيها. وإنى أردت أن أعتق جاريتى هذه لوجه الله ﷻ، ثم ليوم العقبة، تدرى ما يوم العقبة؟ قول الله تعالى: ﴿فَلَا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ ﴿١١﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْعَقَبَةُ ﴿١٢﴾ فَكُّ رَقَبَةٍ﴾(١) اكتب ما أقول لك، ولا تزيدن علىَّ حرفًا: هذه فلانة خادمة فلان قد أعتقها لوجه الله ﷻ ليوم العقبة. قال شبيب: فقدمت البصرة وأتيت بغداد، فحدثت بهذا الحديث المهدىّ، فقال: مائة نسمة تُعتَق على عهد الأعرابى(٢).

---

(١) سورة البلد: الآيات: (١١-١٣).

(٢) صفة الصفوة (٤/ ٥١٣).

علامات السعادة والشقاوة

۞ من علامات السعادة والفلاح: أن العبد كلما زيد في علمه؛ زيد في تواضعه ورحمته، وكلما زيد في عمله زيد في خوفه وحذره، وكلما زيد في عمره نقص من حرصه، وكلما زيد في ماله؛ زيد في سخائه وبذله، وكلما زيد في قدره وجاهه؛ زيد في قربه من الناس وقضاء حوائجهم والتواضع لهم.

۞ وعلامات الشقاوة: أنه كلما زِيد في علمه؛ زِيد في كبره وتيهه. وكلما زيد في عمله زيد في فخره واحتقاره للناس، وحسن ظنه بنفسه، وكلما زيد في قدره وجاهه زيد في كبره وتيهه. وهذه الأمور ابتلاء من الله وامتحان يبتلى بها عباده، فيسعد بها أقوام ويشقى بها أقوام.

وكذلك الكرامات امتحان وابتلاء؛ كالمُلك والسلطان والمال.

قال تعالى عن نبيه سليمان لما رأى عرش بلقيس عنده: ﴿هَٰذَا مِن فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ﴾[(١)] فالنعم ابتلاء من الله وامتحان يظهر بها شكر الشكور وكفر الكفور. كما أن المحن بلوى منه -سبحانه- فهو يبتلي بالنعم كما يبتلي بالمصائب، قال تعالى: ﴿فَأَمَّا الْإِنسَانُ إِذَا مَا ابْتَلَاهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ ﴿١٥﴾ وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلَاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَهَانَنِ ﴿١٦﴾ كَلَّا﴾[(٢)] أي: ليس كل من وسَّعت عليه وأكرمته ونعَّمته يكون ذلك إكرامًا مني له. ولا كل مَن ضيَّقت عليه رزقه وابتليته يكون ذلك إهانة مني له[(٣)].

(١) سورة النمل: الآية: (٤٠).

(٢) سورة الفجر: الآيتان: (١٥-١٧).

(٣) الفوائد / للإمام ابن القيم (ص ١٥٩-١٦٠).

اجعل همَّك رضا ربك

۞ قَالَ الإمام ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

إذا أصبح العبد وأمسى وليس هَمُّه إلا الله وحده؛ تحمَّلَ الله سبحانه حوائجه كلها، وحَمَلَ عنه كل ما أهمَّهُ، وفرَّغ قلبه لمحبته، ولسانه لذكره، وجوارحه لطاعته، وإن أصبح وأمسى والدنيا همه؛ حمَّله الله همومها وغمومها وأنكادها، ووكله إلى نفسه، فشغل قلبه عن محبته بمحبة الخلق، ولسانه عن ذكره بذكرهم، وجوارحه عن طاعته بخدمتهم وأشغالهم؛ فهو يكدح كدح الوحش فى خدمة غيره، كالكير ينفخ بطنه ويعصر أضلاعه فى نفع غيره[1].

فكل من أعرض عن عبودية الله وطاعته ومحبته؛ بُلى بعبودية المخلوق ومحبته وخدمته.

قال تعالى: ﴿ وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُۥ شَيْطَٰنًا فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٌ ﴾[2].

قال سفيان بن عيينة: لا تأتون بِمَثَلٍ مشهورٍ للعرب؛ إلا جئتكم به من القرآن، فقال له قائل: فأين فى القرآن: «أعط أخاك تمرة؛ فإن لم يقبل؛ فأعطه جمرة؟» فقال: فى قوله: ﴿ وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُۥ شَيْطَٰنًا ﴾[3].

---

(١) كما فى الحديث الذى أخرجه ابن ماجه (٤١٠٥)، وأحمد (٥/ ١٨٣)، وابن حبان برقم (٦٨٠/ إحسان)، وغيرهم من حديث زيد بن ثابت رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ. وصححه الألبانى فى «الصحيحة»، برقم (٩٥٠).

(٢) سورة الزخرف: الآية: (٣٦).

(٣) الفوائد / للإمام ابن القيم (ص ٨٥-٨٦).

قُطوفٌ وشذرات(١)

۞ من لم ينتفع بعينه؛ لم ينتفع بأذنه.

۞ للعبد سِتْرٌ بينه وبين الله وسِتْرٌ بينه وبين الناس؛ فمن هتك الستر الذى بينه وبين الله؛ هتك الله الستر الذى بينه وبين الناس.

۞ للعبد ربٌّ هو ملاقيه، وبيت هو ساكنه؛ فينبغى له أن يسترضى ربه قبل لقائه، ويعمر بيته قبل انتقاله إليه.

۞ إضاعة الوقت أشد من الموت؛ لأن إضاعة الوقت تقطعك عن الله والدار الآخرة، والموت يقطعك عن الدنيا وأهلها.

۞ الدنيا من أولها إلى آخرها لا تساوى غم ساعة؛ فكيف بغم العمر؟!

۞ محبوب اليوم يعقبه المكروه غدًا، ومكروه اليوم يعقبه المحبوب غدًا.

۞ أعظم الربح فى الدنيا أن تشغل نفسك كل وقت بما هو أولى بها وأنفع لها فى معادها.

۞ كيف يكون عاقلًا من باع الجنة بما فيها بشهوة ساعة؟!

۞ يخرج العارف من الدنيا ولم يقضِ وَطَرَهُ من شيئين: بكاؤه على نفسه، وثناؤه على ربه.

۞ المخلوق إذا خِفْتَهُ استوحشت منه وهربت منه، والربُّ تعالى إذا خفته أنست به وقربت إليه.

---

(١) بتصرف من كتاب (الفوائد) للإمام ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ.

۞ لو نفع العلم بلا عمل لما ذَمَّ الله سبحانه أحبار أهل الكتاب، ولو نفع العمل بلا إخلاص لما ذم المنافقين.

۞ دَافِعِ الخَطْرَةَ؛ فإن لم تفعل، صارت فكرة، فدافع الفكرة؛ فإن لم تفعل، صارت شهوة، فحاربها، فإن لم تفعل، صارت عزيمة وهمة، فإن لم تدافعها، صارت فعلًا، فإن لم تتداركه بضده، صار عادةً، فيصعب عليك الانتقال عنها.

۞ مَن خَلَقَهُ الله للجنة؛ لم تزل هداياها تأتيه من المكاره، ومن خَلَقَهُ للنار، لم تزل هداياها تأتيه من الشهوات[1].

۞ لما طلب آدم الخلود فى الجنة من جانب الشجرة، عوقب بالخروج منها، ولما طلب يوسف الخروج من السجن من جهة صاحب الرؤيا، لبث فيه بضع سنين.

۞ قلة التوفيق، وفساد الرأى، وخفاء الحق، وفساد القلب، وخمول الذكر، وإضاعة الوقت، ونفرة الخلق، والوحشة بين العبد وبين ربه، ومنع إجابة الدعاء، وقسوة القلب، ومحق البركة فى الرزق والعمر، وحرمان العلم، ولباس الذل، وإهانة العدو، وضيق الصدر، والابتلاء بقرناء السوء الذين يفسدون القلب ويضيعون الوقت، وطول الهم والغم، وضنك المعيشة، وكسف البال...، تتولد من المعصية والغفلة عن ذكر الله، كما يتولد الزرع عن الماء، والإحراق عن النار، وأضدادُ هذه تتولد عن الطاعة.

۞ مَن فَقَد أُنسه بين الناس ووجده فى الوحدة، فهو صادق ضعيف،

(١) روى مسلم (٢٨٢٣) فى كتاب الجنة عن أنس وأبى هريرة رضي الله عنهما أنَّ رسول الله ﷺ قال: «**حُفَّت الجنة بالمكاره، وحفَّت النار بالشهوات**».

ومن وجده بين الناس وفقده فى الخلوة، فهو معلول، ومَن فَقدَه بين الناس وفى الخلوة؛ فهو ميت مطرود، ومن وجده فى الخلوة وفى الناس، فهو المحب الصادق القوى فى حاله.

ومن كان فَتحُه فى الخلوة لم يكن مزيده إلا منها، ومن كان فتحه بين الناس ونصحهم وإرشادهم، كان مزيده معهم، ومن كان فَتحُه فى وقوفه مع مراد الله حيث أقامه وفى أى شيء استعمله، كان مزيده فى خلوته ومع الناس.

فأشرف الأحوال أن لا تختار لنفسك حالة سوى ما يختاره لك ويقيمك فيه، فكن مع مراده منك ولا تكن مع مرادك منه.

۞ سَبَق العلم بنبوة موسى وإيمان آسية، فسيق تابوته إلى بيتها، فجاء طفل منفرد عن أُمٍّ، إلى امرأة خالية عن ولد! فلله كم فى هذه القصة من عبرة! كم ذبح فرعون فى طلب موسى من ولد، ولسان القدر يقول: لا نُربيه إلا فى حجرك!!

۞ كيف يَسْلَمُ مَن له زوجة لا ترحمه، وولد لا يعذره، وجار لا يأمنه، وصاحب لا ينصحه، وشريك لا يُنصفه، وعدو لا ينام عن معاداته، ونَفْسٌ أمَّارة بالسوء، ودنيا متزينة، وهوى مُرْدٍ، وشهوة غالبة له، وغضب قاهر، وشيطان مزين، وضعفٌ مُسْتَوْلٍ عليه؟.

۞ علماء السوء جلسوا على باب الجنة يَدْعُونَ إليها الناسَ بأقوالهم ويدعونهم إلى النار بأفعالهم؛ فكلما قالت أقوالهم للناس: هَلُمُّوا! قالت أفعالهم: لا تسمعوا منهم! فلو كان ما دَعَوا إليه حقًّا؛ كانوا أول المستجيبين له! فهم فى الصورة أدلاء وفى الحقيقة قُطاع الطرق.

۞ سُئل سهل التسترى: الرجل يأكل فى اليوم أكلة، قال: هذا أكل الصّدّيقين. قيل له: فأكلتين؟ قال: أكل المؤمنين. قيل له: فثلاث أكلات؟ فقال: قل لأهله يبنوا له معلفًا.

قال الأسود بن سالم: ركعتين أُصليهما لله أحب إلىَّ من الجنة بما فيها. فقيل له: هذا خطأ، فقال: دعونا من كلامكم: الجنة رضا نفسى والركعتان رضا ربى، ورضا ربى أحب إلىَّ من رضا نفسي.

۞ الناس منذ خُلقوا لم يزالوا مسافرين، وليس لهم حَطٌّ رحالهم إلا فى الجنة أو النار، والعاقل يعلم أن السفر مبنى على المشقة وركوب الأخطار. ومن المُحال عادةً أن يُطْلَب فيه نعيم ولذة وراحة، إنما ذلك بعد انتهاء السفر، ومن المعلوم أن كل وطأة قدم، أو كل آنٍ من آنات السفر غير واقفة، ولا المُكلَّف واقف، وقد ثبت أنه مسافر على الحال التى يجب أن يكون المسافر عليها من تهيئة الزاد الموصل، وإذا نزل أو نام أو استراح فعلى قدم الاستعداد للسير.



موضع سوطٍ فى الجنة خير من الدنيا

۞ إن قلوبنا لا تشتاق إلى أى وطن فحسب... بل إنها تشتاق لأغلى وطن... إنها الجنة التى يعدل الشبر فيها متاع الدنيا بل وأكثر من ذلك.

قال ﷺ: «**موضع سوط فى الجنة خير من الدنيا وما فيها**»(١).

أتدرون لماذا خصَّ النبى ﷺ السوط بالذكر؟!

لأن من شأن الفارس إذا أراد النزول فى منزل أن يُلقى سوطَه قبل نزوله إعلامًا بقدومه، فإذا كان مجرد موضع السوط من الجنة خيرًا من الدنيا وما فيها وأنت لم تنزل بعدُ من راحلتك إلى الجنة، فكيف إذا نزلت فيها وأقمت(٢).

(١) صحيح: رواه البخارى (٣٢٥٠) كتاب بدء الخلق.

(٢) ليلى بين الجنة والنار / د. خالد أبو شادى (ص: ١٨).

اعرف وطنك

۞ فالمسافر لا يهتم بمعرفة الكثير من التفاصيل عن مكان الغربة سوى المكان الذى يعيش فيه، ولا يتطلع إلى تفاصيل لا يحتاجها، فيكفيه من المعرفة ما بلَّغه المقصد من رحلته، ولا يأبه بما زاد عن ذلك، أما وطنه الأصلى فهو على دراية تامة به: يعرف طُرقه وسككه، وحدائقه ومتنزهاته، وأسواقه ونواديه، وكذلك المؤمن فى الدنيا يعرف الجنة أكثر، ويعلم نعيمها ووصف أركانها قبل أن يدخلها، لأنها وطنه الأبدى ومستقره الأخير، لذا كان التفكير فيها ومعرفتها من البدهيات، حتى إذا ما وصلها العبد لم يحتج إلى أن يستدل أحدًا على بيته من وسط ما لا يُحصى فيها من البيوت، وكأنه سكنها منذ خُلق، فيكون المؤمن أهدى إلى درجته فى الجنة وزوجته وخدمه منه إلى منزله وأهله فى الدنيا، وهو قول الله ﷻ: ﴿وَيُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ عَرَّفَهَا لَهُمْ﴾[1].

ومصداق قول النبى ﷺ: «**فوالذى نفس محمدٍ بيده لأحدهم أهدى بمنزله فى الجنة منه بمنزله كان له فى الدنيا**»[2][3].

(١) سورة محمد: الآية: (٦).

(٢) صحيح: رواه البخارى (٦٥٣٥) كتاب الرقاق.

(٣) ليلى بين الجنة والنار (ص: ٢٠، ٢١).

قِصر الأمل... والطريق إلى الجنة

۞ وهل رأيتم مسافرًا قط يبالغ فى تزويق بيته وعمارة مسكنه وهو راجع إلى وطنه غدًا أو بعد غد؟! ألا يتهمه الناس فى عقله وينعتونه بالسَّفه؟! أليس من الأجدى أن يدَّخر ما جمع من مال ليرجع ويتمتع به فى وطنه؟!

وما حياتك الدنيوية إلا الرحلة الأولى من إجمالى أربع رحلات إجبارية، ومدتها على أحسن الفروض ما بين الستين والسبعين عامًا، هى متوسط أعمار بنى آدم إن لم يكن أقل، أما الرحلة الثانية فهى من الدنيا إلى القبر، ويستغرق مكوثك فى هذه الحفرة آلاف الأعوام، أو أقل أو أكثر... علم ذلك عند ربى، والرحلة الثالثة من القبر إلى ساحة الحشر، ويستغرق العرض فى ساحة الحشر يوم القيامة خمسين ألف سنة(١)، والرحلة الأخيرة هى من ساحة الحشر إلى الدار الأبدية فى الجنة أو النار،... فرحلتك الدنيوية هى كما ترى أولى هذه الرحلات وأقصرها على الإطلاق، لكنها الرحلة المحورية التى تحدد الشقاوة أو السعادة التى تنتظرك فى باقى الرحلات.

لا فناء إذن لأى بشر على وجه الأرض، إنما هو الانتقال والسفر فحسب، وهو ما عبَّر عنه بلال بن سعد بما كان يقول فى مواعظه:

«يا أهل الخلود، ويا أهل البقاء: إنكم لم تُخلقوا للفناء: وإنما خُلقتم للخلود والأبد، ولكنكم تُنقلون من دارٍ إلى دار».

---

(١) لكن مدة ذلك اليوم تتفاوت - فمنهم من يقف فى أرض المحشر خمسين ألف سنة ومنهم من يقف عشرين ألف سنة.. ومنهم من يقف مائة سنة.. ومنهم من يقف مدة لا تتجاوز الفترة التى تكون بين صلاتى الظهر والعصر. ولذا قال النبى ﷺ: «**يوم القيامة على المؤمنين كقدر ما بين الظهر والعصر**» [صحيح الجامع: ٨١٩٣].

الدنيا بحر... والجنة ساحل

۞ إننا لابد أن نعلم أن الدنيا بحرٌ تاه فيه مَن تاه... وغرق فيه من غرق وأن الجنة هى الساحل وهى بَرُّ الأمان.

ومن المعلوم أن سعادة الوصول إلى بر الأمان أعظم بكثير من لذة السفر فى بحار الدنيا.

۞ فالدنيا قنطرة فاعبروها ولا تعمروها.

وليس المقصود بكلمة «ولا تعمروها» أننا ندعو الناس لترك العمل والتكاسل عن إعمار الكون.. وإنما المقصود هو ألا تُصبح الدنيا أكبر همنا وألا تُصبح الدنيا هى الشغل الشاغل عن الآخرة والاستعداد لها.

۞ ولذا قال النبى ﷺ: «**كُن فى الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل**»(١).

ولا ينبغى أن ننسى أن الجنة هى منازلنا الأولى...

فقد كنا نسكن الجنة حتى أُخرج منها أبونا آدم عليه السلام.

فلا بد أن نحرص على أن نعود مرة أخرى إلى أوطاننا.

۞ أخى الحبيب: أما آن الأوان لكى تعود من رحلتك فى بحار الدنيا التى خاطرت فيها بحياتك إلى ساحل الجنة (بر الأمان).

فحى على جنات عدن فإنها ... منازلُك الأولى وفيها المخيمُ

ولكننا سبىُ العدو فهل تُرى ... نعود إلى أوطاننا ونسلمُ

قال إبراهيم بن أدهم: «نحن نَسْلٌ من نسل الجنة، سبانا إبليس منها بالمعصية، وحقيق على المَسبىِّ ألا يهنأ بعيشه حتى يرجع إلى وطنه»(٢).

---

(١) صحيح: رواه البخارى (٦٤١٦) كتاب الرقاق.

(٢) نثر الدر (٢/ ٦٤).

بداية الشوق نظرة

۞ وكما يقولون: بداية الألف ميل خطوة وبداية السيل قطرة.. فكذلك نقول: إن بداية الشوق نظرة.

فإن العبد المؤمن إذا كان على فراش الموت وهو فى النزع الأخير فإن أول ما يراه وينظر إليه هو: الملائكة والأكفان والحنوط من الجنة.

ومن هنا تشتعل نيران الأشواق فى قلب العبد المؤمن إلى جنة الرحمن (جلا وعلا).. فإذا نزل قبره وجده روضة من رياض الجنة فيزداد الشوق أكثر وأكثر إلى الجنة.

ولا يزال العبد فى هذا الشوق حتى يدخل الجنة ويتلذذ بنعمة النظر إلى وجه الله (جل وعلا).

۞ وقد حدَّث بعض الصالحين بما رأى عند الموت فلم يستطع أن يصف ذلك ولكنه قال كلمة تُعبِّر للناس عما يراه من النعيم.

۞ فها هو شيخ الإسلام عبد الله بن المبارك رَحِمَهُ ٱللَّهُ عند السكرات يبتسم ويقول لمن حوله: ﴿لِمِثْلِ هَٰذَا فَلْيَعْمَلِ ٱلْعَٰمِلُونَ﴾[1].



(١) سورة الصافات: الآية: (٦١).

هل تأهلت لمجاورة الملك (جل وعلا)

۞ إن الله ﷻ لا يصلح لمجاورته إلا أصحاب القلوب الطاهرة الذين آثروا رضاه على زهرة الدنيا وزينتها الفانية.

قال ﷺ: «**من أراد أن يعلم ما له عند الله فلينظر ما لله عنده**»(١).

۞ فمن الآن أيها الأخ الحبيب اجعل همك كله نقاء قلبك وطهارته وسلامة صدرك وانشغال جوارحك بطاعة الله (جل وعلا) لتتأهل لمجاورة الملك القدوس فى جنات النعيم.

۞ **قال الإمام ابن القيم** رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

«ولو أن ملكًا من ملوك الدنيا جعل خاصته وحاشيته سَفَلة الناس الذين تتناسب أقوالهم وأعمالهم وأخلاقهم فى القُبح والرداءة والدناءة لقَدَح الناس فى مُلكه، وقالوا: لا يصلح للمُلك، فما الظن بمجاورى الملك الأعظم مالك الملوك فى داره، وتمتعهم برؤية وجهه وسماع كلامه ومرافقتهم للملأ الأعلى الذين هم أطيب خلقه وأزكاهم وأشرفهم»(٢).

---

(١) حسن: رواه الدارقطنى فى الأفراد، وحسنه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٦٠٠٦).

(٢) طريق الهجرتين (١/ ١٧٩).

النعيم لا يُدرَك بالنعيم

۞ قال الإمام ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ:

«النعيم لا يُدرَك بالنعيم، وإن مَن آثر الراحة فاتته الراحة، وإنه بحسب ركوب الأهوال واحتمال المشاق تكون الفرحة واللذة، فلا فرحة لمن لا هَمَّ له، ولا لذة لمن لا صبر له، ولا نعيم لمن لا شقاء له، ولا راحة لمن لا تعب له، بل إذا تعب العبد قليلًا استراح طويلًا، وإذا تحمل مشقة الصبر ساعة قاده لحياة الأبد، وكل ما فيه أهل النعيم المقيم فهو صبر ساعة»[1].

۞ أخى الحبيب: إذا أردت ألا تتعب فعليك أن تتعب.

نعم.. إذا أردت الراحة فى الآخرة فاتعب فى الدنيا وأكثِر من الصلاة والصيام وسائر العبادات لتجنى ثمار ذلك كله فى جنة الرحمن (جل وعلا).

۞ وانظر لأهل الدنيا الذين يكِدُّون ويكدحون من أجل راتبٍ دنيوى أو ترقية تنتظرهم... فمن باب أولى أن تتعب أنت من أجل جنة عرضها السماوات والأرض.

۞ ومن أجل ذلك كان الصالحون يُؤْثِرون قيام الليل على النوم والراحة حتى كان أحدهم تغلبه عيناه فينام ثم يقوم منتفضًا من على فراشه ويضع يده عليه ويقول: يا فراشى والله إنك للِّين ولكن فراش الجنة ألين منك... ثم لم يزل يصلى حتى يطلع الصبح.

(١) مفتاح دار السعادة (٢/ ١٥).

لا تضع العصا عن عاتقك

۞ وقد عبَّر عن كمال انتباه هذا المسافر المشتاق ويقظته وقوة عزمه الإمام ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ حين وصف مسافرًا أُخرويًّا بقوله: «لا يضع عصا السير عن عاتقه حتى يصل إلى مطلبه»(١).

ولعل هذا ما دفع بعض الصالحين إلى إمساك العصا ليظلوا دومًا متذكرين حالة السفر... قيل للشافعي رَحِمَهُ اللَّهُ: ما لك تُدمن إمساك العصا ولست بضعيف؟ فقال: لأُذكِّر نفسي أني مسافر.

حملتُ العصا لا الضعف أوجب ... ولا أنى تحنَّيت على كِبَر

ولكننى ألزمتُ نفسى حملها ... لأُعلمها أن المقيم على سفر

۞ **قال ابن الجوزى رَحِمَهُ اللَّهُ:**

«ومما يزيل كسلك - إن تأملته - أن تتخايل ثواب المجتهدين وقد فاتك، ويكفى ذلك فى توبيخ المقصر إن كانت له نفس، فأما ميت الهمة فما لُجرحٍ بميتٍ إيلام.

كيف بك إذا قمت من قبرك وقد قُربت نجائب النجاة لأقوام وتعثَّرت، وأسرعت أقدام الصالحين على الصراط وتخبَّطت؟ هيهات ذهبت حلاوة البطالة وبقيت مرارة الأسف، ونضب ماء كأس الكسل وبقى رسوب الندامة!!

فيا خاطبًا حور الجنة وهو لا يملك فلسًا من عزيمة، افتح عين الفكر فى ضوء العبر لعلك تبصر مواقع خطابك، فإن رأيت تثبيطًا من الباطن

---

(١) طريق الهجرتين (١/ ٩٢).

فاستغث بعون اللطف، وتنبَّه فى الأسحار لعلك تتلمح ركب الأرباح، وتعلق على قطار المستغفرين ولو خطوات، وانزل فى رباع المجتهدين ولو منزلًا أى منزل»[1].

(١) صيد الخاطر (ص ٣١٩).

كما بين السماء والأرض

۞ لا وجه للمقارنة بين الدنيا والآخرة كمًّا ولا نوعًا،... وأحاديث النبى ﷺ عرضت هذا البون الشاسع، وحاولت تقريبه للعقول بأمثال تزيد الأمر وضوحًا، فالفارق الكَمِّى أقسم عليه النبى ﷺ يومًا فقال: «**والله ما الدنيا فى الآخرة إلا مثل ما يجعل أحدكم أصبعه هذه فى اليم فلينظر بِمَ يرجع**»(١).

خذ هذه الحقيقة العلمية لتقريب الصورة، فإن الأبد لا يمكن لحدود العقل البشرى القاصر أن يحيط به:

بعض المجرات تبعد عن الأرض ألف مليون سنة ضوئية، ومعلوم أن الضوء يقطع فى الثانية الواحدة ٣٠٠ ألف كيلو متر.

السنة الضوئية تساوى ٩.٥ مليون مليون كيلو متر... اضرب هذا الرقم فى ألف مليون سنة لتحسب بُعد هذه المجرة عنا(٢)، ثم اعلم أن هذه المسافة وهذا الجزء من الدنيا - على ضخامته - لا يساوى بجوار الجنة الأبدية سوى قطرة فى بحر.

هذا عن الفارق المادى، أما الفارق النوعى؛ ففى الحديث الثانى يوضح النبى ﷺ الهوة السحيقة بين الدارين:

«لو أن ما يُقلُّ ظِفْرٌ مما فى الجنة بدا لتزخرفت له ما بين خوافق

---

(١) صحيح: رواه مسلم (٢٨٥٨) كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها.

(٢) حقيقة علمية: يجتاز ضوء الشمس مسافة ١٥٠ مليون كيلو متر حتى يصل إلينا، وبذلك يستغرق ضوء الشمس ٥٠٠ ثانية أى حوالى ٨ دقائق حتى يصل إلينا، على حين أن أقرب نجم إلينا تصل أشعته لنا فى ٤ سنوات!! وهناك نجوم لا تصلنا أشعتها إلا بعد ١٠٠ مليون سنة!

السموات والأرض، ولو أن رجلًا من أهل الجنة اطلع فبدا أساوره؛ لطمس ضوء الشمس كما تطمس الشمس ضوء النجوم»[١].

ومعنى الحديث أنه لو أن ما يحمله ظفر من نعيم الجنة ظهر لتزينت لهذا المقدار الضئيل جوانب السماوات والأرض!![٢].

(١) صحيح: رواه الترمذى (٢٥٣٨) كتاب صفة الجنة، وأحمد (١/ ١٧١)، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى الصحيحة (٣٣٩٦).

(٢) ليلى بين الجنة والنار (ص: ٣٤ - ٣٦) بتصرف.

وفى ذلك فليتنافس المتنافسون

۞ إن الجنة هى ميدان التنافس الحقيقى الذى ينبغى أن يتنافس فيه أهل الإيمان والتوحيد.

إنها الغاية التى يجب أن يسعى إليها أهل الإيمان... فهى الجائزة الكبرى والسلعة الغالية التى أعدها الله لعباده الصالحين.

قال تعالى: ﴿وَفِي ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ ٱلْمُتَنَٰفِسُونَ﴾(١).

مطلبٌ يستحقُّ المنافسة، أُفق يستحقُّ السباق، وغايةٌ تستحقُّ الغلاب.

والذين يتنافسون فى شىء من أشياء الأرض - مهما كبر وجَلَّ وارتفع وعَظُم - إنما يتنافسون فى حقيرٍ فانٍ قريب. والدنيا لا تزن عند الله جناح بعوضة، هزيلة زهيدة، فهوِّن من شأنها، وارفع نفسك عنها... لعبٌ ولهوٌ وزينة وتفاخر وتكاثر.

فليس السباق إلى إحراز اللهو واللعب والتفاخر والتكاثر: بسباقٍ يليق بمن شبُّوا عن الطوق، وتركوا عالم اللهو واللعب للأطفال والصغار، إنما السباق إلى ذلك الأفق، وإلى ذلك الهدف، وإلى ذلك المُلك العريض ﴿وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ﴾(٢).

من رضى بالحظ الخسيس من عاجل الدنيا؛ بقى عن نفيس الآخرة.

إن الحياة للأرض حياة تليق بالديدان والزواحف، والحشرات والهوام، والوحوش والأنعام، فأما الحياة الآخرة فهى الحياة اللائقة بذلك الإنسان

---

(١) سورة المطففين: الآية: (٢٦).

(٢) سورة الحديد: الآية: (٢١).

الكريم على الله، الذى خلقه فسوَّاه، وأودع رُوحه الإيمان الذى ينزع به إلى السماء، وإن استقرت على الأرض قدماه.

إن من شاء التفاوت الحق، والتفاضُل الضخم؛ فهناك فى الآخرة، هنالك فى الرقعة الفسيحة، والآماد المتطاولة التى لا يعلم حدودها إلا الله.

وفى ذلك فليتنافس المتنافسون، لا فى متاع الدنيا القليل الهزيل!![1].

۞ حُكِي أنَّ أصحاب سفيان الثورى رَحِمَهُ ٱللَّهُ كلموه فيما كانوا يرون من خوفه واجتهاده ورقة حاله، فقالوا: يا أستاذ لو نقصت من هذا الجهد نلت مرادك أيضًا إن شاء الله تعالى، فقال سفيان: كيف لا أجتهد وقد بلغنى أن أهل الجنة يكونون فى منازلهم، فيتجلى لهم نور تضيء له الجنات الثمانية، فيظنون أن ذلك نور من جهة الرب سبحانه وتعالى فيخرون ساجدين، فيُنَادَون: أن ارفعوا رؤوسكم، ليس الذى تظنون، إنما هو نور جارية تبسمت فى وجه زوجها، ثم أنشا يقول:

ما ضَرُّ مَن كانت الفردوس منزله ... ماذا تحمَّل من بؤسٍ وإقتارِ

تراه يمشى كئيبًا خائفًا وَجِلًا ... إلى المساجد يرجو رحمة الباري

يا نفس ما لك من صبرٍ على لهبٍ ... قد حان أن تُقبلى من بعد إدبار[2]

---

(١) فى ظلال القرآن / أ. سيد قطب.

(٢) منهاج العابدين (ص ١٨٦) أبو حامد الغزالي.

الجنة تحتاج إلى عمل

۞ نحن نعلم أن سلعة الله غالية كما قال النبى ﷺ: «.. **ألا إن سلعة الله غالية ألا إن سلعة الله هى الجنة**»[(١)].

فالجنة تحتاج لمن يدفع مهرها من صيام وقيام وعبادات وطاعات.

ولذا قال النبى ﷺ: «**كل أمتى يدخلون الجنة إلا من أبَى**»، قالوا: يا رسول الله، ومن يأبى؟ قال: «**من أطاعنى دخل الجنة ومن عصانى فقد أبى**»[(٢)].

وقال ﷺ: «**والذى نفسى بيده لتدخُلنَّ الجنة كلُّكم إلا مَن أبَى وشرد على الله كشُرود البعير**». قالوا: ومن يأبى أن يدخل الجنة؟! فقال: «**من أطاعنى دخل الجنة، ومن عصانى فقد أبى**»[(٣)].

۞ «فالمحب الصادق يرى خيانة منه لمحبوبه أن يتحرك بحركة اختيارية فى غير مرضاته، وإذا فعل فعلًا مما أُبيح له بموجب طبيعته وشهوته تاب منه كما يتوب من الذنب، ولا يزال هذا الأمر يقوى عنده حتى تنقلب مباحاته كلها طاعات، فيحتسب نومه وفطره وراحته كما يحتسب قومته وصومه واجتهاده، وهو دائمًا بين سرَّاء يشكر الله عليها، وضرَّاء يصبر عليها، فهو سائر إلى الله دائمًا فى نومه ويقظته»[(٤)].

---

(١) صحيح: رواه الترمذى (٢٤٥٠) كتاب صفة القيامة والرقائق والورع، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٦٢٢٢).

(٢) صحيح: رواه البخارى (٧٢٨٠) كتاب الاعتصام.

(٣) صحيح: أخرجه الطبرانى فى الأوسط (١/ ٢٤٦)، قال الهيثمى (١٠/ ٧٠) : رجاله رجال الصحيح، وابن حبان (١٥/ ٤٣٥) ، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى الصحيحة (٢٠٤٤).

(٤) مفتاح دار السعادة (١/ ١٥٩).

قال الحسن البصرى وغيره من السلف: «زعم قوم أنهم يحبون الله فابتلاهم الله بهذه الآية فقال: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ﴾(١)»(٢).

ولذا أحسن الإمام ابن القيم غاية الإحسان حين قال:

«لما كثر المُدَّعون للمحبة طولبوا بإقامة البينة على صحَّة الدعوى فلو أُعطى الناس بدعواهم لادَّعى الخَلىُّ حُرقة الشَّجى فتنوَّع المُدَّعون فى الشهود، فقيل: لا تُقبل هذه الدعوى إلا ببيِّنة: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ﴾(٣)، فتأخر الخلق كلهم، وثبت أتباع الحبيب فى أفعاله وأخلاقه، فطولبوا بعدالة البينة بتزكية: ﴿يُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍ﴾(٤). فتأخر أكثر المحبين وقام المجاهدون»(٥).

۞ قال أبو حامد الغزالى رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

«والعجب أنه لو تقدم عليك أقرانك أو جيرانك بزيادة درهم أو بعلو بناء ثَقُل عليك ذلك، وضاق به صدرك، وتنغَّص بسبب الحسد عيشك، وأحسن أحوالك أن تستقر فى الجنة، وفيها أقوام سبقوك بلطائف لا توازيها الدنيا بحذافيرها»(٦).

فهل ضاق صدرك يومًا لأن جارك سبقك فى صلاة الفجر أو تكبيرة

---

(١) سورة آل عمران: الآية: (٣١).

(٢) تفسير ابن كثير (١/ ٤٧٧).

(٣) سورة آل عمران: الآية: (٣١).

(٤) سورة المائدة: الآية: (٥٤).

(٥) مدارج السالكين (٣/ ٨).

(٦) الإحياء (٤/ ٥٣٧) بتصرف.

الإحرام؟!

هل تحرَّقت ساعة لأن غيرك أنفق أكثر مما أنفقت أو بذل من وقته وجهده لله ما حُرِمت منه أو تقدم فى ميدان من ميادين الخير وتأخرت؟! أرجو ذلك!!

اغرس الخير لتجنى ثمرته فى الجنة

۞ لاشك أن الدنيا مزرعة للآخرة.. وأن ما نغرسه هنا فسوف نجنيه هناك فى يومٍ لا ينفع فيه مالٌ ولا بنون إلا من أتى الله بقلبٍ سليم.

۞ وها هى بعض الأمثلة التى تُثلج الصدور:

۞ **أسماء بنت أبى بكر:**

تشق نطاقها فى الهجرة لتحمل فيه الزاد، وهو مجرد قطعة قماش، فيبشرها النبى ﷺ بالعوض فى الجنة قائلًا: «أبدلك الله بنطاقك هذا نطاقين فى الجنة!».

۞ **حكيم بن حزام** رضي الله عنه **:**

كان بيده حين أسلم دار الندوة، فباعها بمائة ألف دينار، وفى رواية بأربعين ألفًا، فقال له ابن الزبير: بعت مَكْرُمة قريش، فقال له حكيم: «ابن أخى!! ذهبت المكارم فلا كرم إلا التقوى، يا ابن أخى!! إنى اشتريتها فى الجاهلية بزق خمر، ولأشترين بها دارًا فى الجنة... أُشهدك أنى قد جعلتها فى سبيل الله»(١).

۞ **عثمان بن عفان** رضي الله عنه **:**

لما قدم المهاجرون المدينة احتاجوا إلى الماء، وكانت لرجل من بنى غفار عين يقال لها رومة، وكان يبيع منها القربة بمُدٍّ، فقال رسول الله ﷺ: «**تبيعها بعين فى الجنة؟!**»، فقال: ليس لى يا رسول الله عين غيرها، لا أستطيع ذلك، فبلغ ذلك عثمان فاشتراها بخمسة وثلاثين ألف درهم، ثم أتى النبى ﷺ فقال: أتجعل لى مثل الذى جعلت له عينًا فى الجنة إن

---

(١) البداية والنهاية (٨/ ٦٩) بتصرف.

اشتريتها؟! قال: «**نعم**». قال: «**قد اشتريتها وجعلتها للمسلمين**»[(١)].

۞ ويذوق عثمان حلاوة الأجر فيطمع فى المزيد ولا أروع، وذلك حين يضيق المسجد بالمسلمين، ويحثُّ النبى ﷺ أصحابه على شراء بقعة بجوار المسجد تزيد رقعته مُعلنًا عن عقد المبادلة المغرى: «**من يشترى بقعة آل فلان فيزيدها فى المسجد بخيرٍ منها فى الجنة؟**»[(٢)]، فاشتراها عثمان رضى الله عنه من صُلب ماله.

۞ عبد الله بن جحش رضى الله عنه:

لما خرج بنو جحش من دارهم مهاجرين عدا عليها أبو سفيان ابن حرب فباعها، فلما بلغ بنى جحش ما صنع أبو سفيان بدارهم ذكر ذلك عبد الله بن جحش لرسول الله ﷺ، فقال له رسول الله ﷺ: «**ألا ترضى يا عبد الله أن يعطيك الله بها دارا خيرًا منها فى الجنة؟**» قال: بلى. قال: «**فذلك لك**»[(٣)].

۞ أبو الدحداح رضى الله عنه:

قال عنه ﷺ: «**كم من عِذْقٍ مُعلَّق لأبى الدحداح فى الجنة**»[(٤)]، وفى رواية أن الرسول ﷺ كرَّر مرارًا: «**كم من عِذْقٍ دوَّاح لأبى الدحداح فى الجنة**»[(٥)].

---

(١) تاريخ الإسلام (١/ ٤٥١).

(٢) صحيح: رواه الترمذى (٣٧٠٣) كتاب المناقب، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الترمذى.

(٣) سيرة ابن هشام (٣/ ٢٨).

(٤) صحيح: رواه مسلم (٩٦٥) كتاب الجنائز.

(٥) صحيح: أخرجه أحمد (٣/ ١٤٦)، وابن حبان (٢٢٧١ - موارد)، والطبرانى فى «المعجم الكبير»، والحاكم (٢/ ٢٠)، وصححه العلامة الألبانى فى الصحيحة (٢٩٦٤).

۞ والقصة كما أوردها البخارى:

حصلت خصومة بين يتيم وبين أبى لُبابة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ على نخلة حيث كان هناك بستان لهذا الصحابى وبستان آخر لليتيم وبينهما نخلة، فتنازعا على النخلة، فذهب اليتيم فاشتكى أبا لبابة إلى النبى ﷺ، فخرج النبى ﷺ وعاين البساتين تواضعًا منه ﷺ وتحريًا للعدل، فإذا بالنخلة فى بستان الصحابى فحكم بها لأبى لبابة، فذرفت دموع اليتيم على خديه، فأراد النبى ﷺ أن يَجبر كسر قلبه، فقال لأبى لبابة: «**أتعطيه هذه النخلة ولك بها عذق فى الجنة؟!**» لكن الصحابى كان فى وقت غضب إذ كيف يشكوه والحق له فأبى ذلك، وكان فى المجلس رجل يتحيَّن الفرص الإيمانية وهو أبو الدحداح رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ، فقال: يا رسول الله!! إن اشتريت هذه النخلة وأعطيتها هذا اليتيم.. ألىَّ هذا العذق فى الجنة؟! قال: «**لك ذلك**»، فلحق بأبى لبابة وقال: أتبيعنى هذه النخلة ببستانى كله؟ فباعه النخلة ببستانه كله، ثم ذهب إلى أهله ونادى فيهم: يا أم الدحداح ويا أبناء أبى الدحداح!! قد بعناها من الله فاخرجوا منها، فقالت امرأته على الفور: ربح البيع، فخرجوا من البستان ومع أطفاله بعض الرُّطَب، فقام يأخذه ويرميه فيها ويقول: قد بعناها من الله جل وعلا، لا نخرج منها بشىء!![1].

(١) ليلى بين الجنة والنار (ص: ١٤٠-١٤٢) بتصرف.

صفقة رابحة

قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ ۚ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ ۖ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ وَٱلْقُرْءَانِ ۚ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِ ۚ فَٱسْتَبْشِرُوا۟ بِبَيْعِكُمُ ٱلَّذِى بَايَعْتُم بِهِۦ ۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾[١].

ما أجمل هذه الصورة البديعة والتمثيل الرائع، صورة العقد الذى عقده رب العزة جل جلاله بنفسه، وجعل ثمنه ما لا عين رأت ولا أُذن سمعت ولا خطر على قلب بشر، وسجَّل كلماته بحروفٍ من نور فى الكتب السماوية الثلاثة، وما أشرفه من صَكٍّ وتوثيق، ووعدًا ألزم الله به نفسه وجعله حقًّا عليه مبالغة فى الفضل منه والكرم وإيناسًا لعباده ولُطفًا بهم، ولا أحد أوفى من صاحب هذا الوعد، فالوعد الغائب من الرب أقوى من بضاعة كل عبيده الحاضرة.

لكن.. ماذا تساوى نفوسنا المعيبة - وإن طهرت - حتى يشتريها الله منا بكل هذا الثمن.... لذا قال الحسن البصرى وقتادة: «بايعهم والله فأغلى ثمنهم»[٢].

فكيف بعت هذه النفس الثمينة بشهوة تنقضى فى لحظة؟! وبلذة لا تبقى سوى ساعة؟! وهبْ أنها بقيت أيامًا أو أعوامًا فماذا تساوى بجوار لذة الخلد؟! وبعتها لمن؟! لأعدى أعدائك: شيطانك!!

(١) سورة التوبة: الآية: (١١١).

(٢) تفسير ابن كثير (٢/ ٥١٥).

هذا ما دفع ابن القيم أن يتعجَّب منك فى إحدى فوائده قائلًا: «إنما أبعدنا إبليس إذ لم يسجد لك وأنت فى صُلب أبيك، فواعجبًا كيف صالحته وتركتنا!!»[1][2].

۞ وها أنا أريدك أن تقرأ هذا العقد مرة أخرى:

قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ ۚ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ ۖ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ وَٱلْقُرْءَانِ ۚ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِ ۚ فَٱسْتَبْشِرُوا۟ بِبَيْعِكُمُ ٱلَّذِى بَايَعْتُم بِهِۦ ۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾[3]، فجعل سبحانه هاهنا الجنة ثمنًا لنفوس المؤمنين وأموالهم، بحيث إذا بذلوها فيه استحقوا الثمن وعَقَد معهم هذا العقد وأكَّده بأنواع من التأكيد.

ثم ذكر سبحانه أهل هذا العقد الذين وقَّع لهم العقد، وتم لهم دون غيرهم وهم التائبون مما يكره، العابدون له بما يجب (أو: بما يحب)، الحامدون له على ما يحبون وما يكرهون، السائحون... وفُسِّرت السياحة بالصيام، وفُسرت بالسفر فى طلب العلم، وفُسرت بالجهاد وفُسرت بدوام الطاعة. والتحقيق فيها أنها سياحة القلب فى ذكر الله ومحبته والإنابة إليه والشوق إلى لقائه، ويترتب عليها كل ما ذُكر من الأفعال.

وتأمل كيف جعل الله سبحانه التوبة والعبادة قرينتين،... هذه ترك ما يكره، وهذه فعل ما يجب (أو: ما يحب) والحمد والسياحة قرينتين.

---

(١) الفوائد (١/ ٧٧).

(٢) ليلى بين الجنة والنار (ص: ٢٤- ٢٦) بتصرف.

(٣) سورة التوبة: الآية: (١١١).

هذا الثناء عليه بأوصاف كماله وسياحة اللسان فى أفضل ذكره، وهذه سياحة القلب فى حبه وذكره وإجلاله.

وجعل الركوع والسجود قرينين، وجعل الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر قرينين، وأدخل بينهما الواو دون ما تقدم إعلامًا بأن أحدهما لا يكفى حتى يكون مع الآخر، وجعل ذلك قرينًا لحفظ حدوده، فهذا حفظها فى نفس الإنسان، وذلك أمر غيره بحفظها، وأفهمت الآية خطر النفس الإنسانية وشرفها وعظم مقدارها، فإن السلعة إذا خفى عليك قدرها فانظر إلى المشترى لها من هو وانظر إلى الثمن المبذول فيها ما هو؟ وانظر إلى من جرى على يده عقد التبايع.... فالسلعة النفس، والله سبحانه المشترى لها، والثمن لها جنات النعيم، والسفير فى هذا العقد خير خلقه من الملائكة وأكرمهم عليه وخيرهم من البشر وأكرمهم عليه.

قد هيؤوك لأمر لو فطنت له فاربأ بنفسك أن ترعى مع الهمل

وعن أبى هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: **«من خاف أدلج، ومن أدلج بلغ المنزل، ألا إن سلعة الله غالية، ألا إن سلعة الله الجنة»**(١).

---

(١) صحيح: رواه الترمذى (٢٤٥٠) كتاب صفة القيامة والرقائق والورع، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٦٢٢٢).

الدفع مقدمًا

وإذا أردت إتمام تلك الصفقة الرابحة فلابد أن تدفع الثمن مقدمًا واعلم أن من لم يُقدِّم نفسه وماله أولًا فإنه لم يعقد الصفقة بعد.. فلا يستحق العبد الجنة إلا بعد تسليم النفس والمال إلى المشترى.. وهو الله (جل وعلا).

۞ فإن كنت تستطيع أن تُقدم نفسك ومالك لتفوز بالجنة فهل تعجز عن أن تغض بصرك أو تبرّ والديك أو تصل رحمك أو تأكل حلالًا أو تستيقظ لصلاة الفجر لتفوز برضوان الله وجنته.

۞ إذا لم تستطع أن تقدم ما هو أسهل من النفس والمال فأنت تريد بذلك أن تفوز بأغلى سلعة (الجنة) مقابل أبخس ثمن.

۞ فادفع مقدمًا لتكون من الفائزين.



والثمن الجنة

وإذا أردت أن تستشعر معنى هذه البيعة فعليك أن تعلم مَن الذين نزلت فيهم آية البيعة ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ﴾[1].

۞ سبب النزول: لما بايع الأنصار رسول الله ﷺ ليلة العقبة - وكانوا سبعين رجلًا - قال عبد الله بن رواحة: يا رسول الله اشترط لربك ولنفسك ما شئت، فقال: «**أشترط لربى أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئًا، وأشترط لنفسى أن تمنعونى مما تمنعون منه أنفسكم**»، قالوا: فإذا فعلنا ذلك فما لنا؟ قال: «**الجنة**»، قالوا: ربح البيع لا نقيل ولا نستقيل... فنزلت ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ﴾[2] الآية.

۞ وها هم الأنصار يبايعون رسول الله ﷺ ليفوزوا بالجنة... فتعالوا بنا لنرى ماذا قدموا ليفوزوا بالجنة.

۞ لقد جاؤوا إلى النبى ﷺ وقالوا له:

يا رسول الله على ما نبايعك؟ قال: «**تبايعونى على السمع والطاعة فى المنشط والكسل، وعلى الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، وأن تقولوا لله، لا تخافوا فى الله لومة لائم، وعلى أن تنصرونى فتمنعونى، إذا قدمت عليكم مما تمنعون منه أنفسكم وأزواجكم وأبناءكم ولكم الجنة**»[3].

---

(١)سورة التوبة: الآية: (١١١).

(٢)زاد المسير (٣/ ٥٠٤) لابن الجوزى.

(٣) صحيح: رواه أحمد (٣/ ٣٢٢، ٣٢٣ - ٣٣٩)، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى الصحيحة (٦٣)

۞ عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: «حملني خالي جد بن قيس في السبعين راكبًا الذين وفدوا على رسول الله ﷺ من قِبل الأنصار ليلة العقبة، فخرج علينا رسول الله ﷺ، ومعه عمه العباس بن عبد المطلب فقال: «**يا عم خذ على أخوالك**»، فقال له السبعون: يا محمد سَلْ لربك، ولنفسك ما شئت[1].

فقال: «**أما الذي أسألكم لربي فتعبدوه ولا تشركوا به شيئًا، وأما الذي أسألكم لنفسي فتمنعوني مما تمنعون منه أنفسكم**».

قالوا: فما لنا إذا فعلنا ذلك؟ قال: «**الجنة**»[2].

۞ وعن أنس عن ثابت بن قيس رضي الله عنه: «خطب مقدم النبي ﷺ فقال: إنا نمنعك مما نمنع منه أنفسنا وأولادنا فما لنا يا رسول الله؟ قال: «**لكم الجنة**». قالوا: رضينا»[3].

---

(١) أخرجه الحاكم في المستدرك (٣/ ٣٦٤) وصححه، ووافقه الذهبي.

(٢) أخرجه الطبراني في الكبير (٢/ ١٨٦)، وفي الأوسط (٨/ ٦٢)، وفي الصغير (٢/ ٢٢٩)، قال الهيثمي (٦/ ٤٩): رجاله ثقات. وأخرجه الحاكم (٣/ ٣٦٤) وقال: صحيح الإسناد.

(٣) رواه أبو يعلى (٣٧٧٢) والحاكم (٤/ ٢٣٤)، وصححه على شرط الشيخين ووافقه الذهبي.

ورضوانٌ من الله أكبر

۞ قال تعالى: ﴿ قُلْ أَؤُنَبِّئُكُم بِخَيْرٍ مِّن ذَٰلِكُمْ ۚ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ ۗ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ ﴾(١).

وقال تعالى: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ ۚ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ أَكْبَرُ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾(٢).

وقال تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَٰئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ ﴿٧﴾ جَزَاؤُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ۖ رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ۚ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ ﴾(٣).

۞ وعن أبى سعيد الخدرى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: **«إن الله عَزَّ وَجَلَّ يقول لأهل الجنة: يا أهل الجنة! فيقولون: لبيك ربنا، وسعديك، والخير فى يديك. فيقول: هل رضيتم؟ فيقولون: وما لنا لا نرضى يا ربنا وقد أعطيتنا ما لم تُعط أحدًا من خلقك. فيقول: ألا أعطيكم أفضل من ذلك؟ فيقولون: وأى شىء أفضل من ذلك؟ فيقول: أُحِلُّ عليكم رضوانى فلا أسخط عليكم بعده أبدًا»**(٤).

---

(١) سورة آل عمران: الآية: (١٥).

(٢) سورة التوبة: الآية: (٧٢).

(٣) سورة البينة: الآيتان: (٧-٨).

(٤) متفق عليه: رواه البخارى (٦٥٤٩) كتاب الرقاق، ومسلم (٢٨٢٩) كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها.

دعوة مستجابة

۞ أخى الحبيب.. أختى الفاضلة:

أضع بين أيديكم هذا الكتاب المتواضع سائلًا ربى ﷻ أن ينفع به المسلمين فى كل زمان ومكان، وأن يجعله فى ميزان حسنات أبى وأمى.

فما كان فى هذا الكتاب من صواب فمن الله وحده، وما كان فيه من سهوٍ أو خطأ أو نسيان فمنى ومن الشيطان.. والله ورسوله ﷺ منه براء... وأعوذ بالله أن أُذكّركم به وأنساه.

فمن استفاد فائدة من هذا الكتاب فلا يبخل علىَّ بدعوة لعل الله أن يتجاوز عنى وعنكم، وأن يجمعنا جميعًا فى جنته إخوانًا على سُررٍ متقابلين.

۞ روى مسلم أن النبى ﷺ قال: «**من دعا لأخيه بظهر الغيب قال الملك الموكَّل به: آمين ولك بمثله**»(١).

۞ جزى الله خيرًا كل من قرأ هذا الكتاب وتعلم منه شيئًا وعلَّمه لمن حوله.

۞ كما أنصح إخوانى وأخواتى بقراءة هذا الكتاب على المسلمين فى المساجد والبيوت ومجالس العلم لتعم الفائدة وتموت البدع وتحيا السنن وتعود الأمة مرة أخرى خير أمة أُخرجت للناس.

---

(١) صحيح: رواه مسلم (٢٧٣٢) كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار.

۞ سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك....

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

وكتبه الفقير إلى عفو الرحيم الغفار





فهرس الموضوعات


رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com



من إصداراتنا















